



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

كتاب الدعوى

مؤلفه

أبو الفرج الأصفهاني حفيد إمام الحسين

المكتبة سنة 1431 هـ

مكتبة تحقيق كتاب الحديث الشريف

طبعة خاصة بجمعية الخيرية، القاهرة، مصر
مقدمة من أئمة العلماء والفقهاء، علماء مصر، علماء

«٢١-٢٢»

دار الفکر للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الأغاني

كاتب:

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

نشرت في الطباعة:

دار احياء التراث العربي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
24	الأغانى المجلد 21
24	هوية الكتاب
24	اشارة
28	تممة التراجم
28	اشارة
28	1 - أخبار المنخل و نسبه
28	اشارة
28	يتهمه النعمان بالمتجرده فيقتله:
28	تفصيل سبب قتله:
30	يحرص على عكب قاتله:
30	من شعره في المتجرده:
32	رواية أخرى لخبر المنخل مع المتجرده:
34	الأصح أن قاتله هو النعمان لا عمرو بن هند:
34	قصيدته في المتجرده:
34	اشارة
38	صوت
39	2 - أخبار أمية بن الأسكر و نسبه
39	نسبه:
39	عمر يستعمل ابنه كلابا على الأبله:
39	شعره لابنه كلاب لما أغزاه عمر و طالبت غيبته عنه:
41	ينشد عمر شعرا ليرد له كلابا فيبكي عمر رحمة له و يرده عليه:
43	عمر يسأل كلابا عن مبلغ بره بأبيه فيصفه له:

- 43 عمر يرد كلاباً عليه و يأمره أن يلزم أبويه:
- 43 يخرجهم قومه لأن إبله أصيبت بالهيام:
- 45 شعره حين ضحك راع منه و قد عمر حتى خرف:
- 45 الإمام علي يتمثل بشعر له:
- 47 يعود كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه و يولي الأبله ثم يستعفى منها:
- 47 شعر أمية و قد ظفر بنو ليث بقومه:
- 49 عبد الله بن الزبير يتمثل بشعره:
- 49 سيدان يخطبان بنتا له و يتفاخران في الظفر بها:
- 53 شعره حين أصيب رهط من قومه يوم المريسيع:
- 55 شعر طارق الخزاعي يجيبه فيه:
- 55 ابن عباس و معاوية يتمثلان بشعره و شعر صاحبه:
- 55 إشارة
- 57 صوت
- 58 3 - نسب عبدة بن الطيب و أخباره
- 58 نسبه و اسم الطيب أبيه:
- 58 كان شاعرا مجيدا ليس بالمكثر:
- 58 أرثى بيت قائلته العرب من شعره:
- 60 يترفع عن الهجاء:
- 60 عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعر له:
- 60 إشارة
- 60 صوت
- 62 4 - أخبار الأغلب و نسبه
- 62 نسبه:
- 62 إسلامه و استشهاده:
- 62 هو أول من رجز الأراجيز الطوال:

- 62 كانت له سرحة يصعد عليها ويرتجز:
- 64 ينقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعر في الجاهلية:
- 64 شعر في سجاح حين تزوجت مسيلمة:
- 66 من أخبار سجاح:
- 66 إشارة
- 70 صوت
- 71 5 - أخبار البحري ونسبه
- 71 نسبه وكنيته:
- 71 شاعريته وندرة هجائه:
- 73 هو وأبو تمام:
- 75 يعشق غلاما. فيلتحي:
- 75 بدء التعارف بينه وبين أبي تمام:
- 77 إنشاد له بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري:
- 77 كان بخيلا زري الهيئة:
- 79 ماء من يد حسناء:
- 79 قصته مع أحمد بن علي الإسكافي:
- 81 شعره في نسيم غلامه:
- 82 خبره مع محمد بن علي القمي و غلامه:
- 85 كان موته بالسكنة:
- 85 أبو تمام يلقن البحري درسا في الاستطراد:
- 87 أبو تمام يشيد به:
- 87 أبو تمام ينعي نفسه:
- 87 يشمخ بأنفه فيغري به المتوكل الصيمري:
- 91 الصيمري يسترسل في سخريته به بعد موت المتوكل:
- 94 6 - ذكر تنف من أخبار عريب مستحسنة

- 94 منزلتها في الغناء والأدب:
- 94 هي وإسحاق والخليفة المعتصم:
- 95 أصواتها كمًا وكيفًا:
- 99 برمكية النسب:
- 99 إشارة:
- 101 صوت:
- 101 تعشق، وتهرب إلى معشوقها:
- 105 تذكر ناسيا:
- 107 رقيب يحتاج إلى رقيب:
- 107 من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون:
- 110 نسبة هذا الصوت:
- 110 صوت:
- 112 رقعة منها في تركه:
- 112 إشارة:
- 112 صوت:
- 112 تجيب على قبلة بطعنة:
- 114 تحب أميرا وتتزوج خادما:
- 114 إشارة:
- 114 صوت:
- 115 قبلي سالفتي تجدي ريح الجنة:
- 116 وقت انسجام لا وقت ملام:
- 116 إشارة:
- 116 صوت:
- 116 مع ثمانية من الخلفاء:
- 118 شرطان فاحشان:

- 118 تلقت حبيبتها درسا في كيف تكون الهدية:
- 118 أيهما أغلى: الخلافة أم الخل الوفي؟
- 120 نسبة هذا الصوت
- 120 صوت
- 120 لما ذا غضب الواثق و المعتصم عليها:
- 122 نسبة هذين الصوتين
- 122 صوت
- 122 صوت
- 122 تغضب على جارية مبتذلة:
- 122 كانت تجيد ركوب الخيل:
- 123 تندمج في الصوت فلا تحس لدغ العقرب:
- 124 غسالة رأسها تقسمها جواربها:
- 124 ترتجل معارضة لصوت:
- 124 إشارة
- 124 صوت
- 125 رموز برموز:
- 126 لها حكم النظام:
- 126 ما ذا كانت تفعل في خلوتها مع محمد بن حامد:
- 128 تعشق ولا تعشق:
- 130 بيتا عباس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبتها:
- 130 اختلاف في فن عريب:
- 130 قصة لحن في بيت يتيم:
- 132 تروي قصة غرامية عن أبي محلم:
- 134 فأما نسبة هذا الصوت
- 134 تستزير حبيبتها فيخشي على نفسه:

134 اشارة

134 صوت

136 صوت

136 رحمة حبيبة بشار ورحمة حبيب أبي نواس:

138 مدخل إلى ترجمة معقل بن عيسى:

138 صوت

140 نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني

140 صوت

141 7 - ذكر معقل بن عيسى

141 شاعر مغن:

141 اشارة

141 صوت

141 صوت

143 صوت

143 خير رجل من عاد:

143 اشارة

143 صوت

145 8 - الأحوص و بعض أخباره

145 الأحوص يعارض ابن أبي دبال أو يسرقه:

151 نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

151 صوت

151 من هي عاتكة؟

153 الفرزدق و كثير يزوران الأحوص:

155 من هي الجعراء؟

155 ملاحاة بينه و بين السري:

- 157 شعره يسعف دليل المنصور:
- 159 ابن المقفع يتمثل بمطلع لاميته:
- 159 هو و معبد يردان اعتبار جارية:
- 159 اشارة
- 161 صوت
- 163 يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثل بشعره عند النكسة:
- 163 بيتان من شعره يؤذنان بزوال الدولة الأموية:
- 163 اشارة
- 165 صوت
- 166 9 - ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام و نسبه و أخباره و خير هذا الشعر
- 166 نسبه:
- 166 سميت جدته الجرباء لحسنها:
- 166 جمال و سوء خلق:
- 168 زواجه فاطمة بنت الحسين:
- 168 ليس لمخضوب البنان يمين:
- 170 كان من أجمل الناس و أفضلهم:
- 172 غمزة ترحى بها شفاعاة:
- 172 يعطي جائزة:
- 172 كان يسدل شعره:
- 172 السبب في حسه و قتل ابنيه:
- 177 زوجته هند بنت أبي عبيدة:
- 177 اشارة
- 179 صوت
- 180 10 - أخبار تأبط شرا و نسبه
- 180 نسبه و لقبه:

- 182 كان أحد العدائين المعدودين:
- 182 يصف غولا افترسها:
- 182 لم لا تهشه الحيات؟
- 184 يبيع ثقفيا أحقق اسمه بطيلسانة:
- 184 يخونه نشاطه أمام الحسان:
- 184 قصته مع بجيلة:
- 190 يفر و يدع من معه:
- 194 محاولة قتله هو وأصحابه بالسم:
- 196 يتخذ من العسل مزلقا على الجبل فينجو من موت محقق:
- 198 غارة ينتصر فيها على العوص:
- 200 عود إلى سبب تسميته:
- 202 غارته على مراد:
- 202 مع غلام من خثعم:
- 202 قالوا لها لا تكحية:
- 206 عود إلى فراره وترك صاحبيه:
- 206 يغير على خثعم:
- 208 خير أيامه:
- 212 شر أيامه:
- 214 مخاتلة يظفر فيها:
- 218 موت أخيه عمرو:
- 220 أخوه السمع يثار لأخيه عمرو:
- 220 إصابته في غارة على الأزد:
- 222 يثب مع قلة من أصحابه فيظفرون:
- 226 ينهزم أمام النساء:
- 230 مصرعه على يد غلام دون المحتمل:

234 مقتنه:

234 اشارة

238 صوت

240 11 - عمرو بن براق

240 يسلبه حريم ماله فيسترده منه:

240 اشارة

242 صوت

243 12 - أخبار الشنفرى ونسبه

243 نسبه و نشأته في غير قومه:

243 غارته على من نشأ فم:

245 يقتلونه بعد أن يسملوا عينه:

247 تأبط شرا يرثيه:

249 رواية أخرى في مقتله:

251 من شعر الشنفرى:

259 رواية ثالثة في مقتله:

259 اشارة

263 صوت

264 13 - أخبار الخليل ونسبه

264 نسبه:

264 يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله:

264 يسيء الأزدي فهم غنائه:

266 نسبة هذين الصوتين

266 اشارة

266 صوت

266 صوت

- 269 14 - أخبار علقمة ونسبه .
- 269 اشارة .
- 269 واش يلقي جزاءه: .
- 269 سبب تسميته بعلقمة الفحل: .
- 269 قصيداته سمطا الدهر: .
- 271 يسرقون شعره: .
- 271 أيهما أوصف للفرس هو أم امرئ القيس: .
- 273 ربيعة بن حذار يحكم له: .
- 273 بيت من أبياته يضرب المتمثل به عشرين سوطا: .
- 273 اشارة .
- 273 صوت .
- 276 15 - ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره .
- 276 اشارة .
- 276 يتربصون به فيفلت منهم: .
- 279 يسابق الخيل فيسبقها: .
- 279 يمدح دية حيا ويرثيه ميتا: .
- 281 يرثي زهير بن العجوة: .
- 283 يستنقذ أسرى بني ليث: .
- 285 يزهد زهد الهنود: .
- 285 يفتدي أخاه عروة فياطمه: .
- 287 خير أخويه الأسود و أبي جندب: .
- 289 خير أخيه زهير: .
- 291 خير أخيه عروة و ابنه خراش: .
- 293 أخبار أخوته: .
- 301 يشكو إلى عمر فراق ابنه: .

303 مصرعه:

303 اشارة

303 صوت

305 16 - أخبار ابن دارة و نسبه ..

305 نسبه:

305 يستعلي قومه عكلا على بني أسد:

305 اشارة

305 صوت

309 خبر السمهري مع نديمه و مصرعه:

321 بعض أخباره:

321 نهاية بهدل:

323 مساجلة بينه و بين الكميت:

325 يقتلون ابن سعدة و أمه:

327 مصرعه:

327 اشارة

327 صوت

329 17 - أخبار مسعود بن خرشة ..

329 يهوى جارية من قومه:

329 يسرق إبلا:

332 18 - أخبار بحر و نسبه ..

332 اشارة

332 صوت

333 19 - أخبار هذبة بن خشم و نسبه قصته في قوله هذا الشعر و خبر مقتله ..

333 نسبه و أدبه:

333 الحرب بين رهطه و رهط زيادة بن زيد:

- 334 هدية و زيادة كل منهما يشب بأخت الآخر:
- 338 يرتجزون بعمه زفر:
- 338 هو و زيادة يتهاديان الأشعار:
- 340 اخترت منها قوله:
- 342 يقتل زيادة فيسجن:
- 342 اشارة
- 342 صوت
- 344 رجع الخبر إلى سياقته
- 346 بينه و بين جميل بن معمر:
- 346 من شعر أمه فيه:
- 346 يتوسطون له فترض وساطتهم:
- 348 لقاؤه الأخير بزوجه:
- 348 اشارة
- 348 صوت
- 350 أيهما أحسن: سر به أم السمكات الثلاث؟:
- 350 حبي ترثي لحاله:
- 350 يبين لزوجه أوصاف من يخلفه عليها:
- 350 زوجته تشوه جمالها بسكين:
- 352 زوجته تكث بعهداها:
- 352 أخو زيادة يرفض كل شفاعاة ودية:
- 354 يعرض بحبي و هو في طريقه إلى الموت:
- 356 كاهنة تتبأ بقتله صبرا:
- 356 أخباره هو و زياد حديث العلية:
- 356 صاحب بثينة راوية له:
- 358 عائشة أم المؤمنين تدعو له بعد موته:

- 358 اشارة
- 358 صوت
- 359 20 - نسب الفرزدق و أخباره و ذكر مناقضاته
- 359 نسبه:
- 359 جده محيي الموءودات:
- 363 إسلام أبيه على يد الرسول:
- 365 أبوه يعطي دون أن يسأل:
- 367 سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه:
- 367 يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن:
- 369 عريق في قرض الشعر:
- 369 أيهما أشعر، هو أو جرير؟:
- 371 يغتصب بيتين لابن ميادة:
- 371 عود إليه هو و جرير:
- 373 خبره مع النوار:
- 373 اشارة
- 373 صوت
- 377 يخاصم كل من يمد يده لمساعدة النوار:
- 381 ملاحاة بينه و بين ابن الزبير:
- 385 يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزبير:
- 385 يتقون لسانه:
- 385 ليس طريقه إلى جهنم:
- 385 يغضب على ابن الكلبي لعدم روايته شعره:
- 387 يكاید النوار بحدراء فتستعدي عليه جريرا:
- 391 خيران عن ولديه:
- 391 بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة:

- 393 عمرو بن عفراء يتحداه:
- 395 يتطفل فيجاز:
- 395 يريد أن يتحدى الناس الموت:
- 395 يعطي عروضاً بدل النقد:
- 395 يحتج بشعره:
- 397 يهجو إبليس:
- 397 الحسن يتمثل بالشعر:
- 397 هل ينقض الشعر الوضوء:
- 399 من أبياته السيارة:
- 403 لا يكذب في مدحه:
- 403 يأبى حين يريد:
- 405 لم يستطع أهله منعه:
- 405 يهجو عمر بن هبيرة:
- 409 يهجو خالد بن عبد الله القسري أيضا:
- 409 مهر حدراء و مصرعها:
- 413 زوجة أخرى تنشز منه:
- 413 يبكي ولدا له من سفاح:
- 415 يتزوج طيبة فيعجز عن إتيانها:
- 417 يشيد بابنته مكية و أمها الزنجية:
- 419 يملح سعيدا فيغضب مروان:
- 421 رواية أخرى للخير السابق:
- 423 بينه و بين مخنث:
- 423 جرير يعترف له بالغلبة:
- 423 جرير يلقبه بالعزيز:
- 425 يلقب جريرا بالقرم:

- 425 يغتصب شعر الشعراء:
- 427 يحوز السبق في الفخر:
- 427 يتعصب لابنته مكية:
- 429 يعقه ابنه:
- 433 من شعره في سجنه:
- 441 شريطان يعبثان به:
- 442 حديثه مع توبة و ليلى الأخيلية:
- 445 رواية أخرى في الخبر السابق:
- 445 يقضي يوماً كيوم دارة جلجل:
- 449 يهجو من يرثي زيادا:
- 449 يهجو و يمدح آل المهلب:
- 453 يخشى بأس يزيد بن المهلب:
- 453 ماجن يريد أن ينزو عليه:
- 453 يفخر بالمضربة أمام حاكم يمني:
- 455 يفحم المنذر بن الجارود:
- 455 خليفة أموي بفضله و يصله:
- 455 عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد:
- 457 يلجأ إلى بكر بن وائل:
- 459 يأمن زيادا في حمى سعيد بن العاص:
- 461 بينه و بين مسكين الدارامي:
- 461 عاندة بقر أبيه:
- 463 عاندة بقر أبيه:
- 463 عاندة أخرى بقر أبيه:
- 465 جرير ييز:
- 465 هناك من هو أجفى منه:

- 465 تهزمه امرأة:
- 467 يهجو إبليس:
- 467 لا صلح بينه وبين جرير:
- 467 يهزأ به و بهجائه:
- 467 يأمره مجنون فيطبع:
- 468 هو وغيره يؤثرون القصار:
- 469 يتلر باسمه فيلقمه حجرا:
- 469 بيتان يثيرانه:
- 469 هو والحسين بن علي:
- 471 حافظلة الفرزدق:
- 471 يشرب الخمر ممزوجة باللبن:
- 471 يزني بامراته:
- 473 يضمن عليه ابن سيرة بجارية فيهجو:
- 473 لا يستسيغ خطأ في القرآن:
- 473 يمدح أسماء بن خارجة:
- 473 هل شاخ شعره بشيخوخته:
- 475 قواد له من أصحابه:
- 475 يغتصب بيتا:
- 477 تستعيد بقر أبيه:
- 477 ما ذا يشتهي:
- 477 يتبرم بعشاق شعره:
- 477 يعاني في قرص الشعر:
- 477 يهجو راويته فلا ينقض كلامه:
- 479 سكينه بنت الحسين تجرحه و تأسوه:
- 481 يطالب معاوية بتراث عمه:

- 481 امرأة تهجوه فتوجهه:
- 483 كأنه يريد أن يؤتى:
- 483 أنصاري يتحداه بشعر حسان بن ثابت:
- 489 يجتمع هو وجرير بالشام:
- 489 الفرزدق لعنة وجرير شهاب:
- 489 يتلدر بمحمد بن وكيع:
- 489 هاشم بن القاسم يتجاهله:
- 489 الكلبيون يعثون به:
- 491 أسود يستخف به:
- 491 يرثي وكيعا، فينسى مشيعه الاستغفار له:
- 491 ميمية المأثورة في علي بن الحسين:
- 495 بينه وبين مالك بن المنذر:
- 497 جرير يشفع له:
- 499 يهجو بني فقيم:
- 499 يهرب من زياد:
- 501 مروان ينفيه ثم يجيزه:
- 503 يموت بذات الجنب:
- 503 يتمرد في مرض موته:
- 505 ينظم وصيته شعرا:
- 505 يسبقه إلى الآخرة غلام له:
- 505 وقع نعيه على جرير:
- 507 في أي سنة مات:
- 507 جرير ينعي نفسه ويرثيه:
- 509 يموت بالدبيلة:
- 509 أبو لبلبى المجاشعي يرثيه:

- 509 أعلام ماتوا سنة موته:
- 511 يتراءى في المنام:
- 511 هو و الحسن في جنازة النوار:
- 513 رواية أخرى له مع الحسن:
- 513 يذكر ذنوبه فينشج:
- 513 تتجيه شيبته من النار:
- 513 رواية أخرى في لقائه مع الحسين:
- 515 أبو هريرة يعظه:
- 515 موازنة بينه وبين جرير و الأخطل:
- 517 ثلث اللغة من شعره:
- 517 يقرض الشعر في خلافة عثمان و علي:
- 517 يسليخ خمسا و سبعين سنة من عمره في الهجاء:
- 517 يرث الشعر عن خاله:
- 517 يؤنبه أخواله فيمن عليهم:
- 519 بنو حرام يخشون لسانه:
- 521 لاندأه بقر أبيه:
- 521 لاندأه بقر أبيه:
- 521 يعتذر عن مناقضته نفسه:
- 523 هل أجاز إياس شهادته؟
- 523 يسترد هبته:
- 523 مجنون يريد أن ينزو عليه:
- 525 عمر بن عبد العزيز يجيره، ثم ينفيه:
- 527 يهجو من يستكثر عليه الجائزة:
- 527 إشارة
- 527 صوت

529 قصة تتعلق بأبيات هذا الصوت:

530 فهرس موضوعات الجزء الحادي والعشرون

532 تعريف مركز

هوية الكتاب

الأغاني

المؤلفين الآخرين

مدقق لغوي ومترجم:

مكتبة تحقيق دار احياء التراث العربي

المجلدات : 25 ج

لسان: العربية

ناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

سنة النشر: 1415 هجرى قمرى 1994 ميلادى

رمز الكونغرس: PJA 3892 / الف 1374 6

إعداد النص الرقمي : ميثم الحيدري

ص: 1

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

1 - أخبار المنخل و نسبه

هو المنخل بن عمرو - ويقال: المنخل بن مسعود - بن أفلت بن عمرو بن كعب بن سواء بن غنم بن حبيب بن يشكر بن بكر بن وائل. و ذكر أبو محلّم النسابة: أنه المدخل بن مسعود بن أفلت بن قطن بن سواء بن مالك بن ثعلبة بن حبيب بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر. و قال ابن الأعرابي: هو المنخل بن الحارث بن قيس ابن عمرو بن ثعلبة بن عدي بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر.

يتهمه النعمان بالمتجرّدة فيقتله:

شاعر مقلّ من شعراء الجاهلية، و كان النعمان بن المنذر قد اتهمه بامرأته المتجرّدة - و قيل: بل وجدته معها، و قيل: بل سعي به إليه في أمرها فقتله، و قيل: بل حبسه، ثم غمض خبره، فلم تعلم له حقيقة إلى اليوم. فيقال: إنه دفنه حيًا، و يقال: إنه غرقه. و العرب تضرب به المثل كما تضربه بالقارظ العنزّي (1) و أشباهه ممن هلك و لم يعلم له خبر. و قال ذو الرّمة:

تقارب حتى تطمع التابع الصّبا *** و ليست بأدنى من إياب المنخل

و قال التمر بن تولب:

و قولي إذا ما أطلقوا عن بعيرهم *** تلاقونه حتى يئوب المنخل

تفصيل سب قتله:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، قال: أخبرني أحمد بن زهير قال: أخبرني عبد الله بن كريم قال:

أخبرني أبو عمرو الشيباني قال:

كان سب قتل المنخل أنّ المتجرّدة - و اسمها ماويّة و قيل: هند بنت المنذر بن الأسود الكلبيّة - كانت عند ابن عم لها يقال له: حلم، و هو الأسود بن المنذر بن حارثة الكلبي، و كانت أجمل أهل زمانها، فرآها المنذر بن المنذر الملك اللّخميّ فعشّقها، فجلس ذات يوم على شرابه و معه حلم و امرأته المتجرّدة، فقال المنذر لحلم: إنه لقبّيح بالرجل أن يقيم على المرأة زمانا طويلا حتى لا يبقى في رأسه و لا لحيته شعرة بيضاء إلا عرفتها، فهل لك أن تطلّق امرأتك المتجرّدة و أطلق امرأتي سلمى؟ قال: نعم، فأخذ كلّ واحد منهما على صاحبه عهدا. قال: فطلّق المنذر امرأته سلمى، و طلق حلم امرأته المتجرّدة، فتزوجها المنذر و لم يطلق لسلمى أن تزوج حلما، و حجبها - و هي أمّ ابنه النعمان بن المنذر - فقال النابغة الذبياني يذكر ذلك:

قد خادعوا حلما عن حرّة خرد *** حتى تبطنها الخدّاع ذو الحلم

ص: 5

1- هو يذكر بن عنزة، أو عامر بن رهم، و كلاهما من عنزة، خرجا في طلب القرظ فلم يرجعا.

قال: ثم مات المنذر بن المنذر، فتزوَّجها بعده النعمان بن المنذر ابنه، وكان قصيرا دميما أبرش، وكان ممن يجالسه ويشرب معه النابغة الذبياني - وكان جميلا عفيفا - والمنخل الشكري - وكان يتَّهم - بالمتجرده.

فأما النابغة فإن النعمان أمره بوصفها فقال قصيدته التي أولها:

من آل مَيَّة رائح أو مغتدى *** عجلان ذا زاد وغير مزود

ووصفها فأفحش فقال:

وإذا طعنت طعنت في مستهدف *** رابي المجسَّة بالعبير مقرمد (1)

وإذا نزعت نزعت عن مستحصف (2) *** نزع الحزور (3) بالرشاء المحصد (4)

فغار المنخل من ذلك، وقال: هذه صفة معاين، فهمَّ النعمان بقتل النابغة حتى هرب منه، / أو خلا المنخل بمجالسته، وكان يهوى المتجرده و تهواه، وقد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل، وكانت العرب تقول: إنهما منه. فخرج النعمان لبعض غزواته - قال ابن الأعرابي: بل خرج متصيِّدا - فبعث المتجرده إلى المنخل فأدخلته قبتِّها، وجعلا يشربان، فأخذت خلخالها وجعلته في رجله، وأسدلت شعرها فشددت خلخالها إلى خلخاله الذي في رجله من شدة إعجابها به. ودخل النعمان بعقب ذلك فرآها على تلك الحال، فأخذه فدفعه إلى رجل من حرسه من تغلب يقال له: عكب، وأمره بقتله، فعذبه حتى قتله.

يحرّض على عكب قاتله:

فقال المنخل يحرّض قومه عليه:

ألا من مبلغ الحيين عني *** بأن القوم قد قتلوا أبا

فإن لم تتأروا لي من عكب *** فلا روّيتم أبدا صديا

وقال أيضا:

ظلّ وسط الندى قتلى بلا جر *** م وقومي ينتجون السخالا (5)

من شعره في المتجرده:

وقال في المتجرده:

ديار للتي قتلتك غصبا *** بلا سيف يعدّ ولا نبال

بطرف ميّت في عين حيّ *** له خبل يزيد على الخبال

وقال أيضا:

و لقد دخلت على الفتاة *** الخدر في اليوم المطير

ص: 6

1- مقرمد: مطلى.

2- مستحصف: قليل البلولة ضيق.

3- الحزور: الرجل القوي.

4- المحصد: الحبل الشديد الفتل.

5- السخال: أولاد الغنم من الضأن والمعز ساعة: يولد.

الكاعب الخنساء(1) تر *** فل في الدّمقس وفي الحرير

دافعتها فتدافعت *** مشى القطة إلى الغدير

ولثمتها فتتفّست *** كتفّس الظبي البهير(2)

ورنت وقالت يا منحّ *** ل هل بجسمك من فتور؟(3)

/ما مس جسمي غير حبّ *** ك فاهدني عني و سيري

يا هند هل من نائل *** يا هند للعاني الأسير؟

وأحبّها و تحبّني *** و يحبّ ناقتها بعيري

ولقد شربت من المدى *** مة بالكبير وبالصغير

فإذا سكرت(4) فإنني *** ربّ الخورنق(5) و السرير

و إذا صحوت فإنني *** ربّ الشويهة و البعير

يا ربّ يوم - للمنخّ *** ل قد لها فيه - قصير

رواية أخرى لخبر المنخل مع المتجرّدة:

و أخبرني بخبر المنخل مع المتجرّدة أيضا عليّ بن سليمان الأخفش قال: أخبرني أبو سعيد السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال:

كانت المتجرّدة امرأة النعمان فاجرة، و كانت تتّهم بالمنخل، و قد ولدت للنعمان غلامين جميلين يشبهان المنخل، فكان يقال: إنهما منه، و كان جميلا- و سيمًا، و كان النعمان أحمر أبرش قصيرا دميما. و كان للنعمان يوم يركب فيه فيطيل المكث، و كان المنخل من ندماته لا يفارقه، و كان يأتي المتجرّدة في ذلك اليوم الذي يركب فيه النعمان فيطيل عندها، حتى إذا جاء النعمان أذنتها بمجيئه وليدة لها موكّلة بذلك فتخرجه.

فركب النعمان ذات يوم و أتاها المنخل كما كان يأتيها فلا عبته، /و أخذت قيّدا، فجعلت إحدى حلقتيه في رجله و الأخرى في رجلها، و غفلت الوليدة عن ترقب النعمان؛ لأن الوقت الذي يجيء فيه لم يكن قرب بعد، و أقبل النعمان حينئذ و لم يطل في(6) مكثه كما كان يفعل، فدخل إلى المتجرّدة، فوجدها مع المنخل قد قيّدت رجلها، و رجله بالقيّد، فأخذه النعمان فدفعه إلى عكبّ صاحب سجنه ليعذّبه - و عكبّ/رجل من لحم - فعذّبه حتى قتله.

و قال المنخل قبل أن يموت هذه الأبيات، و بعث بها إلى ابنه:

-
- 1- الخنس بالتحريك: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة، وفي ج: «الحسنا».
 - 2- البهير: المتتابع الأنفاس.
 - 3- رواية «الحماسة»: فدنت وقالت يا منخل ما بجسمك من حرور
 - 4- في ج: «شربت».
 - 5- الخورنق: قصر للنعمان الأكبر. وفي «الحماسة»: «السدير»، وهو نهر بناحية الحيرة.
 - 6- في ج. ف: «ولم يطل في وجهه».

وإن لم تتأروا لي من عكبٍ *** فلا أرويتما أبداً صدياً

يطوّف بي عكبٍ في معدّ *** ويطعن بالصمّلة(1) في قفياً

الأصح أن قاتله هو النعمان لا عمرو بن هند:

قال ابن حبيب: وزعم ابن الجصاص أن عمرو بن هند هو قاتل المنخل، والقول الأول أصح.

قصيدته في المتجرّدة:

إشارة

وهذه القصيدة التي منها الغناء يقولها في المتجرّدة، وأولها قوله:

إن كنت عاذلتني فسيري *** نحو العراق ولا تحوري

لا تسألني عن جلّ ما *** لي واذكري كرمي وخيري

وإذا الرياح تناوحت *** بجوانب البيت الكسير(2)

ألفيتني هسّ الندى *** بمرّ قدحي أو شجيري(3)

- الشجير: القدح الذي لم يصلح حسناً، ويقال: بل هو القدح العاريّة -.

ونهى أبو أفعى فقلّ *** دني أبو أفعى جريري(4)

و جلاله(5) خطّارة(6) *** هو جاء جائلة الصّفور(7)

تعدو بأشعث قد وهى *** سر باله باقي المسير(8)

فضلا(9) على ظهر الطر *** يق إليك علقمة بن صير

الواهب الكوم(10) الصفا(11) *** يا والأونس في الخدور

يصفيك حين تجينه *** بالعصب(12) والحلي الكثير

ص: 8

1- ب، س: «الصميلة»، تحريف، وزاد في ف بعد الأبيات: «الصميلة: الحربة».

2- البيت الكسير: الذي له كسور، وهي ما مس الأرض من هدابة، وفي ف: «الكبير».

3- في «حماسة» أبي تمام «و اللسان»: ألفيتني هـش الـيدين بمرى قـدحي أو شـجيري. و يقول التبريزي في «شرحـه»: الشـجير: القـريب، و إنما يعني قـدحا يتبرك به فيستعار. يقول: تجـدني خـفيف الـيد بمسـح القـداح و عند حـضور الأيسار، سـواء القـدح الـذي جـربته و الـذي لم أجـربه حـبا للـندى.

4- الجـرير: الزمـام، و حـبل يـجعل للـبـعير بـمنزلة العـذار للـدابة. و المراد منعه أن يعمل ما يريد.

5- جلالـة: ناقة مسنة.

6- خطـارة: تضرب بـذنبها يمينـا و شمالـا.

7- الضفـور: جمـع ضفـر كـحبل، و هو ما يشـد البـعير به من مـضفـور.

8- باقي المسير: لم يستنفـد القـدرة على المسير.

9- فضـلا: مـتفضـلا في ثوب واحد. و في ف: «قصدـا على: وضح الطـريق».

10- الكوم: جمـع كـوماء، و هي الناقـة العـظيمة السنام.

11- الصفايا: النوق الغزيرة اللبن.

12- العصب: هو ضرب من البرود. و في ب، س: «بالغض».

و فوارس كأوار(1) حرّ *** النار أحلاس(2) الذكور
شدّوا دوابر بيضهم *** في كلّ محكمة القتير(3)
فاستلأمو(4) و تلبّوا *** إن التلبّ للمغير
و على الجياد المضمرا *** ت فوارس مثل الصقور
يخرجن من خلل الغبا *** ر يجفن بالنعم الكثير
فشفيت نفسي من أول *** نك و الفوائح بالعبير
يرفلن في المسك الذكيّ *** و صائك(5) كدم التّحير
يعكفن(6) مثل أساود التّ (7) *** توم لم تعكف لزور
و لقد دخلت على الفتاة *** ة الخدر في اليوم المطير
الكاعب الخنساء(8) تر *** فل في الدمقس وفي الحرير
فدفعتها فتدافعت *** مشى القطة إلى الغدير
و لثمتها فتنفّست *** كتنفّس الطبي البهير
فدنت و قالت يا مننّح *** ل ما بجسمك من حرور؟
ما شفّ جسمي غير حبّك *** فاهدئي عني و سيرى
و لقد شربت من المدى *** مة بالصغير و بالكبير
و لقد شربت الخمر بال *** خيل الإناث و بالذكور
و لقد شربت الخمر بال *** عبد الصحيح و بالأسير
فإذا سكرت فإنني *** ربّ الخورنق و السدير
و إذا صحوت فإنني *** ربّ الشويهة و البعير
يا ربّ يوم للمننّح *** ل قد لها فيه قصير
يا هند هل من نائل *** يا هند للعاني الأسير(9)

- 1- الأوار: اللهب و الوهج.
- 2- أحلاس: ملازمون، جمع حلس بكسر فسكون، من حلس البيت، وهو الكساء ييسط تحت حر الثياب.
- 3- القتير: رءوس مسامير الدروع.
- 4- استلأموا: لبسوا اللأمامات، وهي الدروع، و تلببوا: تحزموا، وفي ب، س: «فاستلبثوا و تلبثوا.. إن التلبث»..
- 5- صانك: وصف من صاك به الطيب يصيك: لزق.
- 6- يعكفن: يمشطن أو يصفرن شعورهن.
- 7- التنوم: شجر يسود كله، شبه صفائهن بفروعه.
- 8- ف «الحسنا».
- 9- جاء هذا البيت في من مو، هد، مد، ولم يرد في سائر النسخ.

و من الناس من يزيد في هذه القصيدة:

وأحبّها و تحبّني *** و يحبّ ناقتها بعيري

و لم أجده في رواية صحيحة.

صوت

لمن شيخان قد نشدا كلابا *** كتاب الله لو قبل الكتابا

أناشده فيعرض في إباء *** فلا و أبي كلاب ما أصابا

الشعر لأمية بن الأسكر الليثي، و الغناء لعبد الله بن طاهر، رمل بالوسطى. صنعه و نسبه إلى لميس جاريته، و ذكر الهشامي أن اللحن لها، و ذكره عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في جامع أغانيهم و وقع إليّ، فقال: الغناء فيه للدّار الكبيرة، و كذلك كان يكتنّى عن أبيه، و عن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب و جواريتهم، و يكتنّى عن نفسه و جاريته شاجي و ما يصنع في دور إخوته بالدار الصغيرة.

ص: 10

2 - أخبار أمية بن الأسكر و نسبه

نسبه:

هو أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبد الله بن سراييل الموت بن زهرة بن زينة(1) بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر فارس مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، و كان من سادات قومه و فرسانهم، و له أيام ماثورة مذكورة.

عمر يستعمل ابنه كلابا على الأبله:

و كان له أخ يقال له: أبو لاقع الدم، و كان من فرسان قومه و شعرائهم، و ابنه كلاب بن أمية أيضا أدرك النبي صلى الله عليه و سلم فأسلم مع أبيه، ثم هاجر إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال أبوه فيه شعرا، ذكر أبو عمرو و الشيباني أنه هذا الشعر، و هو خطأ، إنما خاطبه بهذا الشعر لما غزا(2) مع أهل العراق لقتال الفرس، و خبره في ذلك يذكر بعد هذا.

قال أبو عمرو في خبره: فأمره صلى الله عليه و سلم بصلة أبيه و ملازمته طاعته.

و كان عمر بن الخطاب استعمل كلابا على الأبله(3)، فكان أبواه ينتابانه، يأتيه أحدهما في كل سنة، ثم أبطن عليه و كبرا فضعفا عن لقائه، فقال أبياتا و أنشدها عمر، فرق له و رده إليهما، فلم يلبث معهما إلا مدة حتى نهشته أفعى؛ فمات و هذا أيضا و هم من أبي عمرو، و قد عاش كلاب حتى ولي لزياد الأبله، ثم استعفى، أعفاه. و سأذكر خبره في ذلك و غيره هاهنا إن شاء الله تعالى.

شعره لابنه كلاب لما أغزاه عمر و طالت غيبته عنه:

فأما خبره مع عمر فإن الحسن بن علي أخبرني به، قال: حدثني الحارث بن محمد قال: حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي عن الزبير عن عروة بن الزبير قال:

/هاجر كلاب بن أمية بن الأسكر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب، فأقام بها مدة، ثم لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله و الزبير بن العوام، فسألهما: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا: الجهاد، فسأل عمر فأغزاه في جيش، و كان أبوه قد كبر و ضعف، فلما طالت غيبة كلاب عنه قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا *** كتاب الله إن(4) قبل الكتابا

أناديه فيعرض في إباء *** فلا و أبي كلاب ما أصابا

ص: 11

1- في ب، س: «زينة».

2- ف: «بهذا الشعر لما غزا».

- 3- الأبله: بلدة غربي البصرة، ونهرها معدود من أجمل متنزهات الدنيا.
- 4- في ف: «لوقبل»، و الأبيات في «أمالى القالى» 3:108 بترتيب مخالف.

إذا سبعت (1) حمامة بطن واد *** إلى (2) بيضاتها دعرا كلابا

أناه مهاجران تكنفاه *** ففارق (3) شيخه خطأ (4) و خابا

تركت أباك مرعشة يداه *** وأمك ما تسيغ لها شرابا

تمسح مهره شفقاً عليه *** وتجنبه أباعرها الصعابا

- قال: تجنبه وتجنبه واحد، من قول الله عز وجل: وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (5). قال: -

فإنك قد تركت أباك شيخاً *** يطارق (6) أينما شزبا (7) طرابا

/فإنك و التماس الأجر بعدي *** كباغي الماء يتبع السرابا (8)

ينشد عمر شعرا ليرد له كلابا فيبكي عمر رحمة له و يرده عليه:

فبلغت أبياته عمر، فلم يردد كلابا و طال مقامه (9) فأهتر أمية و خلط جزعا عليه، ثم أتاه يوما و هو في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و حوله المهاجرون و الأنصار، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

أعاذل قد عدلت بغير قدر *** و لا تدرين عاذل ما ألقى

فإما كنت عاذلتي فردّي *** كلابا إذ توجه للعراق

و لم أفض اللبانة من كلاب *** غداة غد و أذن بالفراق

فتى الفتيان في عسر و يسر *** شديد الركن في يوم التلاقي

فلا و الله ما باليت و جدي *** و لا شفقي عليك و لا اشتياقي

و إبقائي عليك إذا شتونا *** و ضمك تحت نحري و اعتناقني

فلو فلق الفؤاد شديد وجد *** لهم سواد قلبي بانفلاق

سأستعدى على الفاروق ربّا *** له دفع الحجيج إلى بساق (10)

و أدعو الله مجتهدا عليه *** ببطن الأخشين إلى دفاق

إن الفاروق لم يردد كلابا *** إلى شيخين هامهما زواق

- 1- في «الأمالي»: «هتفت».
- 2- في «الأمالي»: «على».
- 3- في «الأمالي»: «ليترك».
- 4- كذا في «الأمالي» والسمط. وفي ب، س، ف: «خطا و طابا» تحريف.
- 5- سورة إبراهيم، آية: 35.
- 6- يطارق: يطابق.
- 7- شزبا: ضامرة. وفي «الأمالي». وإن إياك حيث علمتماه يطارد أينقا شسبا طرابا
- 8- هذا البيت ساقط من «الأمالي».
- 9- في ب، س: «أمية»، تحريف.
- 10- بساق: موضع بعينه.

عمر يسأل كلابا عن مبلغ بره بأبيه فيصفه له:

قال: فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب بردّ كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل إليه، فقال: ما بلغ من برّك /بأبيك؟ قال: كنت أوثره(1) و أكفيه أمره، و كنت أعتمد إذا أردت أن أحلب له لبنا أغزر ناقة في إبله و أسمنها فأريحها(2) و أتركها حتى تستقرّ، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له(3) فأسقيه.

عمر يرد كلابا عليه و يأمره أن يلزم أبويه:

فبعث/عمر إلى أمية من جاء به إليه، فأدخله يتهدى و قد ضعف بصره و انحنى. فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كلاباً فأشمه شمة، و أضمه ضمّة قبل أن أموت. فبكى عمر، ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحبّ إن شاء الله تعالى. ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل، و يبعث إليه. بلبنها، ففعل فناوله عمر الإناء، و قال: دونك هذا يا أبا كلاب(4).

فلما أخذه و أدناه إلى فمه قال: لعمر: و الله يا أمير المؤمنين، إني لأشتم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، و قال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جنتك به، فوثب إلى ابنه و ضمّه إليه و قتله، و جعل عمر يبكي و من حضره، و قال لكلاب: الزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما، و أمر له بعطائه، و صرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه.

يخرجه قومه لأن إبله أصيبت بالهيام:

و نسخت من كتاب أبي سعيد السكريّ أن أمية كانت له إبل هائمة - أي أصابها الهيام و هو داء يصيب الإبل من العطش - فأخرجته بنو بكر مخافة أن يصيب إبلهم، فقال لهم: يا بني بكر، إنما هي ثلاث ليال: ليلة بالبعاء(5) و ليلة بالفرع(6)، و ليلة بلقف(7) في سامر من بني بكر، فلم ينفعه ذلك و أخرجوه، فأتى مزينة فأجاروه، و أقام عندهم إلى أن صحّت إبله، و سكنت، فقال يمدح مزينة:

تكتّفها الهيام و أخرجوها *** فما تأوى إلى إبل صحاح

إفكان إلى مزينة منتهاها *** على ما كان فيها من جناح

و ما يكن الجناح فإنّ فيها *** خلائق ينتمين إلى صلاح

و يوماً في بني ليث بن بكر *** تراعى تحت فقعة الرماح

فإمّا أصبحن شيخاً كبيراً *** وراء الدار يثقلني سلاحي

فقد آتى الصريخ إذا دعاني *** على ذي منعة(8) عتد(9) وقاح

ص: 13

1- في ب، س: «أدثره». و في «المختار»: «كنت أبه».

- 2- زيادة: من هد، ف.
- 3- زيادة: من هد، ف.
- 4- في ب، س: «يا كلاب».
- 5- البقعاء: ماء لعبس، وقيل: مياه لبني السليط، تلقاء نجد على 24 ميلا من المدينة.
- 6- الفرع: قرية من ناحية المدينة.
- 7- «لقف» موضع أيضا، وفي ب، س: «تلقف»، تحريف.
- 8- وفي ج. ف: «مיעة» وهي جري الفرس ونشاطه.
- 9- عتد أي شديد نام الخلق. والوقاح: ذو الصلابة وفي ب، س: «عند»، تحريف.

وشرّ أخي مؤامرة خذول *** على ما كان مؤتكل (1) ولاح

شعره حين ضحك راع منه و قد عمر حتى خرف:

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال:

عمر أمية بن الأسكر عمرا طويلا- حتى خرف، فكان ذات يوم جالسا في نادي قومه و هو يحدث نفسه، إذ نظر إلى راعي ضأن لبعض قومه يتعجب منه، فقام لينهض فسقط على وجهه، فضحك الراعي منه، وأقبل ابنه إليه، فلما رأهما أنشأ يقول:

يا بني (2) أمية إني عنكما غان *** و ما الغنى غير أني مرعش فان

يا بني أمية إلا تحفظا كبرى *** فإنما أنتما و الثكل سيان (3)

هل لكما في تراث تذهبان به *** إن التراث لهيان بن بيان

- يقال: هيان بن بيان، و هي ترى للقريب و البعيد -.

أصبحت هزاء (4) لراعي الضأن يسخر بي (5) *** ما ذا يريبك مني راعي الضأن

أعجب لغيري إني تابع سلفي *** أعمام مجد و أجدادي و إخواني

و انعق بضائك في أرض تطيف بها *** بين الأساف (6) و أنتجها بجلدان (7)

- جلدان (8): موضع بالطائف -

ببلدة لا ينام الكالتان بها *** و لا يقربها أصحاب ألوان

الإمام علي يتمثل بشعر له:

و هذه الأبيات تمثّل بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه في خطبة له على المنبر بالكوفة.

حدثنا بها أحمد بن عبيد الله بن عمار و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قالوا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا محمد بن أبي رجاء، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: قال عبد الله بن عديّ بن الخيار:

شهدت الحكمين، ثم أتيت الكوفة و كانت لي إلى عليّ عليه السلام حاجة، فدخلت عليه، فلما رأيته قال:

مرحبا بك يا ابن أم قتال، أزايرا جئتنا أم لحاجة؟ فقلت: كلّ جاء بي، جئت لحاجة، و أحببت أن أجدد بك عهدا،

- 1- مؤتكل: غاصب هائج.
- 2- في ب، س: «بني أمية».
- 3- في ف: «مثلان».
- 4- في ب، س: «قردا».
- 5- ف: «يلعب بي».
- 6- الأساف: البقاع التي لا تنبت، جمع أسافة، كسحابة وكناسة.
- 7- في «الأمالي»: «جمدان» كعثمان، وهو اسم واد، واسم جبل. في ب، س: «بخلدان».
- 8- في ب، س: «خلدان».

و سألته عن حديث فحدثني على ألاّ أحدث به واحدا(1)، فبينما أنا يوماً بالمسجد في الكوفة إذا عليّ صلوات الله عليه متنكب قرنا(2) له. فجعل يقول: الصلاة جامعة. و جلس على المنبر، فاجتمع الناس، و جاء الأشعث بن قيس فجلس إلى جانب المنبر. فلما اجتمع الناس، و رضي منهم قام فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:

/أيها الناس، إنكم تزعمون أن عندي من رسول الله - صلى الله عليه و سلّم - ما ليس عند الناس، ألا و إنه ليس(3) عندي إلا ما في قرني هذا، ثم نكت(4) كنانته، فأخرج منها صحيفة فيها: المسلمون تتكافأ دماؤهم، و هم يد على من سواهم.

من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين». فقال له الأشعث بن قيس: هذه و الله عليك لا لك، دعها تترحل، فخفض عليّ - صلوات الله عليه - إليه بصره، و قال: ما يدريك ما عليّ مما لي! عليك لعنة الله و لعنة اللاعنين، حائك ابن حائك، منافق ابن منافق، كافر ابن كافر. و الله لقد أسرك الإسلام مرة و الكفر مرة، فما فداك من واحد منهما حسبك و لا مالك، ثم رفع إليّ بصره فقال: يا عبيد الله:

أصبحت قنّاً لراعي الضأن يلعب بي *** ما ذا يريك متي راعي الضان

فقلت: بأبي أنت و أمي، قد كنت و الله أحبّ أن أسمع هذا منك. قال: هو و الله ذلك، قال:

فما قيل من بعدها من مقالة *** و لا علقت مني جديدا و لا درسا

يعود كلاب إلى البصرة بعد موت أبيه و يولي الأبله ثم يستغنى منها:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا الحارث، عن المدائنيّ قال:

لما مات أمية بن الأسكر عاد ابنه كلاب إلى البصرة، فكان يغزو مع المسلمين، منها مغازيهم، و شهد فتوحات كثيرة، و بقي إلى أيام زياد، فولاه الأبله، فسمع كلاب يوماً عثمان بن أبي العاص يحدث أن داود نبيّ الله - عليه السلام - كان يجمع أهله في السحر فيقول: ادعوا ربكم فإن في السحر ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن إلا غفر له، إلا أن يكون عشّاراً(5) أو عريفاً(6).

/فلما سمع ذلك كلاب كتب إلى زياد، فاستعفاه من عمله فأعفاه.

قال المدائنيّ: و لم يزل كلاب بالبصرة(7) حتى مات، و المربعة المعروفة بمربعة كلاب بالبصرة(8) منسوبة إليه.

شعر أمية و قد ظفر بنو ليث بقومه:

و قال أبو عمرو و الشيبانيّ: كان بين بني غفار قومه و(7) و بني ليث حرب، فظفرت بنو ليث بغفار، فحالف رحضة بن خزيمة بن خلاف بن حارثة بن غفار و قومه(7) جميعاً بني أسلم بن أفصى بن خزاعة، فقال أمية بن الأسكر

ص: 15

2- قرنا: جعبة.

3- في ف: «وإنه والله».

4- في ب، س: «نكب»، تحريف.

5- العشار: جابي عشر الأموال.

6- العريف: الرئيس، أو النقيب، وهو دون الرئيس.

7- تكملة من ف.

8- تكملة من ف.

في ذلك، و كان سيد بني جندع بن ليث و فارسهم:

لقد طببت نفسا عن مواليك يا رحضا *** آثرت أذنان الشوائل و الحمضا(1)

تعلّنا بالتّصر في كل شتوة *** و كلّ ربيع أنت رافضنا رفضا

فلو لا تأسينا و حدّ رماحنا *** لقد جرّ قوم لحمنا تربا قضا

- القصّ و القضيض: الحصا الصغار -

عبد الله بن الزبير يتمثل بشعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال:

افتعل عمرو بن الزبير كتابا عن معاوية إلى مروان بن الحكم بأن يدفع إليه مالا، فدفعه إليه، فلما عرف معاوية خبره كتب إلى مروان بأن يحبس عمرا حتى يؤدّي المال، فحبسه مروان، و بلغ الخبر عبد الله بن الزبير، فجاء إلى مروان و سأله عن الخبر، فحدّثه به، فقال: ما لكم في ذمتي، فأطلق عمرا، و أدّى عبد الله المال عنه، و قال: و الله إني لأؤديه عنه و إني لأعلم أنه غير شاكر، ثم تمثّل قول أمية بن الأسكر الليثي:

فلو لا تأسينا و حدّ رماحنا *** لقد جرّ قوم لحمنا تربا قضا

سيدان يخطبان بنتا له و يتاخران في الظفر بها:

و قال ابن الكلبيّ: حدثنا بعض بني الحارث بن كعب قال:

اجتمع يزيد بن عبد المدان و عامر بن الطفيل بموسم عكاظ، فقدم أمية بن الأسكر، و معه بنت له من أجمل أهل زمانها، فخطبها يزيد و عامر، فقالت أمّ كلاب امرأة أمية: من هذان الرجلان؟ قال: هذا ابن الديان، و هذا عامر بن الطفيل. قالت: أعرف ابن الديان، و لا أعرف عامرا. قال: هل سمعت بملاعب(2) الأسنّة؟ قالت: نع و الله. قال: فهذا ابن أخيه.

و أقبل يزيد فقال: يا أمية أنا ابن الديان، صاحب الكثيب، و رئيس مذحج، و مكلم العقاب، و من كان يصوب أصابعه فتتطف دما، و يدلك راحتيه فتخرجان(3) ذهبا. قال أمية: بخ بخ.

فقال عامر: جدّي الأحزم، و عمّي أبو الأصبع، و عمّي ملاعب الأسنّة، و جدّي الرّحال، و أبي فارس قرزل.

قال أمية: بخ بخ، مرعى و لا كالسعدان(4)، فأرسلها. مثلا.

فقال يزيد: يا عامر، هل تعلم شاعرا من قومي رحل بمدحه إلى رجل من قومك؟ قال: لا، قال: فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدحهم إلى قومي؟ قال: نعم. قال: فهل لك نجم يمان أو برد يمان أو سيف يمان أو ركن يمان؟ فقال: لا، قال: فهل ملكناكم و لم تملكونا؟ قال: نعم، فنهض يزيد و قام، ثم قال:

- 1- الشوائل: جمع شائلة، وهي التي أتى على حملها سبعة أشهر، والحمض: نبت ترعاه الإبل. وفي ب، س، السوالك و المحصنا.
- 2- في ب، س: «ملاعب».
- 3- في ب، س: «فتخرج»، تحريف.
- 4- السعدان: نبت من أفضل مراعي الإبل. مثل يضرب للشيء يفضل على أقرانه: وفي «مجمع الأمثال» للميداني: أنه للخنساء.

أُمِّي يَا ابْنَ الْأَسْكَرِ بْنِ مَدْلَجٍ *** لَا تَجْعَلُنْ (1) هُوَازِنَا كَمَذْحَجٍ

إِنَّكَ إِنْ تَلْهَجَ بِأَمْرِ تَلْجَجٍ (2) *** مَا النَّبْعُ فِي مَغْرَسِهِ كَالْعَوْسَجِ

وَلَا الصَّرِيحَ الْمُحْضَ كَالْمَمْزَجِ

وَقَالَ مَرَّةً بَنُ دُودَانَ الْعَقِيلِيِّ، وَكَانَ عَدُوًّا لِعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ:

يَا لَيْتَ شَعْرِي عَنْكَ يَا يَزِيدُ *** مَاذَا الَّذِي مِنْ عَامِرٍ تَرِيدُ؟

لِكُلِّ قَوْمٍ فَخْرُهُمْ عَتِيدُ *** أَمْطَلِقُونَ نَحْنُ أَمْ عَبِيدُ؟

إِلَّا بَلْ عَبِيدُ زَادَنَا الْهَبِيدُ (3)

فَزَوَّجَ أُمِيَّةَ يَزِيدَ (4) فَقَالَ يَزِيدُ فِي ذَلِكَ:

يَا لِلرِّجَالِ لَطَارِقِ الْأَحْزَانِ *** وَلِعَامِرِ بْنِ طَفِيلِ الْوَسْنَانِ

كَانَتْ إِتَاوَةٌ قَوْمِهِ لِمَحْرَقٍ (5) *** زَمْنَا وَصَارَتْ بَعْدَ لِلنَّعْمَانِ

عَدَّ (6) الْفُؤَارِسَ مِنْ هُوَازِنِ كَلِّهَا *** كَثْفًا (7) عَلِيٍّ وَجَنَّتْ بِالذِّيَّانِ

فَإِذَا لِي الْفَضْلُ الْمُبِينُ بِوَالِدِ *** ضَنْخِ الْمَدْسِيعةِ (8) أَزَانِيَّ (9) وَيَمَانَ

يَا عَامِ إِنَّكَ فَارِسٌ مَتَهَوَّرٌ *** غَضَّ الشَّبَابِ أَخُو نَدَى وَقِيَانِ

أَوْ اعْلَمْ بِأَنَّكَ يَا ابْنَ فَارِسِ قَرَزَلٌ *** دُونَ الَّذِي تَسْمُو لَهُ وَتَدَانِي

لَيْسَتْ فُؤَارِسٌ عَامِرٌ بِمَقَرَّةٍ *** لَكَ بِالْفَضِيلَةِ فِي بَنِي عَيْلَانَ

فَإِذَا لَقِيتَ بَنِي الْخَمِيسِ وَمَالِكَا *** وَبَنِي الصَّبَابِ وَحِيَّ آلَ قَنَانَ

فَاسْأَلْ مِنَ الْمَرْءِ الْمُنَوَّهِ بِاسْمِهِ *** وَالدَّافِعِ الْأَعْدَاءِ عَنِ نَجْرَانَ؟

يُعْطَى الْمَقَادَةَ فِي فُؤَارِسِ قَوْمِهِ *** كَرَمًا لِعَمْرِكَ وَكَالرَّيْمِ يَمَانَ (10)

فَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ مَجِيبًا لَهُ:

يَا لِلرِّجَالِ لَطَارِقِ الْأَحْزَانِ *** وَلَمَّا يَجِيءُ بِهِ بَنُو الذِّيَّانِ

فَخَرُوا عَلَيَّ بِحُبُوبَةٍ لِمَحْرَقٍ *** وَإِتَاوَةٌ سَلَفَتْ مِنَ النَّعْمَانِ

- 1- في ب، س: «لا تخلن» تحريف.
- 2- في ف: «تلهج».
- 3- الهبيد: الحنظل.
- 4- في ف: «يزيد بن عبد المدان ابنته».
- 5- ممن يلقبون بالمحرق: عمرو بن هند، و الحارث بن عمرو.
- 6- في ب، س: «غدت».
- 7- الكثف: الكثرة و الالتفاف.
- 8- الدسيعة: الجفنة و المائدة الكريمة.
- 9- أزانّي: لغة في يزني، نسبة إلى يزن، بطن من حمير، و واد لهم: حماه أحد ملوكهم، فسمي بزدي يزن. و في ف: «زانني و نماني».
- 10- في ب، س: «معان».

ما أنت و ابن محرق و قبيله *** و إتاوة اللخميّ في عيلان؟

فاقصد بذرعك قصد أمرك (1) قصده *** ودع القبائل من بني قحطان

إذ كان سالفنا الإتاوة فيهم *** أولى ففخرتك فخر كل يمان

و افخر (2) برهط بني الحماس (3) و مالك *** و ابن الصّباب و زعبل و قيان

و أنا المنخل و ابن فارس فرزل *** و أبو نزار زانني و نماني (4)

و إذا تعاظمت الأمور موازنا *** كنت المنوّه باسمه و الثاني

فلما رجع القوم إلى بني عامر و ثبوا على مرّة بن دودان، و قالوا: أنت شاعر بني عامر و لم تهج بني الديان، فقال:

/تكلّفني هوازن فخر قوم *** يقولون الأنام لنا عبيد

أبوهم مذحج و أبو أيهم *** إذا ما عدّت الآباء - هود

و هل لي إن فخرت بغير فخر *** مقال و الأنام له شهود؟

فإنّا لم نزل لهم قطينا (5) *** تجيء إليهم منا الوفود

فإنّا (6) نضرب الأحلام صفحا *** عن العلياء أو (7) من ذا بكيد؟

فقولوا يا بني عيلان كنا *** لكم قتا و ما عنكم محيد (8)

و هذا الخبر مصنوع من مصنوعات ابن الكلبيّ، و التوليد فيه بين، و شعره شعر ركيك غثّ، لا يشبه أشعار القوم، و إنما ذكرته لئلا يخلو الكتاب من شيء قد روي.

شعره حين أصيب رهط من قومه يوم المريسي:

و قال محمد بن حبيب فيما روى عنه أبو سعيد السكريّ، و نسخته من كتابه، قال أبو عمرو الشيبانيّ:

أصيب قوم من بني جندع بن ليث بن بكر بن هوازن رهط أمية بن الأسكر يقال لهم: بنو زينة، أصابهم أصحاب النبي - صلى الله عليه و سلّم - يوم المريسي (9) في غزوته بني المصطلق، و كانوا جيرانه يومئذ - و معهم ناس من بني لحيان من هذيل، و مع بني جندع رجل من خزاعة يقال له: طارق، فاتهمه بنو ليث بهم، و أنه/دلّ عليهم. و كانت خزاعة مسلمها (10) و مشركها يميلون إلى النبي - صلى الله عليه و سلّم - على قريش. فقال أمية بن الأسكر لطارق الخزاعيّ:

1- في ف: «قصدا قومك قصره».

2- زيادة من ف.

3- ذكروا في شعر يزيد باسم «بني الخميس».

4- زيادة من ف.

5- قطينا: أتباعا.

6- في ب، س: «وإني».

7- في ف: «أم».

8- في ف: «لهم قنا و ما عنها».

9- المريسيع: بئر أو ماء الواحة.

10- في ف: «مسلموها و مشركوها».

لعمرك إني و الخزاعي طارقا *** كنعجة عاد حتفها تتحفر

أثارت عليها شفرة بكراعها *** فظلت بها من آخر الليل تجزر(1)

شمت بقوم هم صديقك أهلكوا *** أصابهم يوم من الدهر أعسر

كأنك لم تنبأ بيوم ذؤالة *** و يوم الرجيع إذ تنحر حبت(2)

فهلاً أباكم في هذيل و عممكم *** ثأرتهم و هم أعدى قلوبا و أوتر

و يوم الأراك يوم أردف سبيكم(3) *** صميم سراة الدليل عبد و يعمر

و سعد بن ليث إذ تسلّ نساؤكم *** و كلب بن عوف نحروكم و عقروا(4)

عجبت لشيخ من ربيعة مهتر(5) *** أمر له يوم من الدهر منكر

شعر طارق الخزاعي يجيبه فيه:

فأجابه طارق الخزاعي فقال:

لعمرك ما أدري و إني لقائل *** إلى أي من يظنني(6) أتعدّر؟

أعتف أن كانت زينة أهلكت *** و نال بني لحيان شرّ و نفروا

ابن عباس و معاوية يتمتلان بشعره و شعر صاحبه:

إشارة

و هذه الأبيات: الابتداء، و الجواب تمثّل بابتدائها ابن عباس في رسالة إلى معاوية، و تمثّل بجوابها معاوية في رسالة أجابه بها.

حدّثني بذلك أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجليّ العطار بالكوفة، قال: حدّثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المنقريّ قال: حدّثنا زيد بن المعدّل النّمريّ، قال: حدّثنا يحيى بن شعيب الخراز، قال: حدّثنا أبو مخنف، قال:

لما بلغ معاوية مصاب أمير المؤمنين عليّ - عليه السلام - دسّ رجلا من بني القين إلى البصرة يتجسس الأخبار و يكتب بها إليه، فدلّ على القينيّ بالبصرة في بني سليم، فأخذ و قتل.

و كتب ابن عباس من البصرة إلى معاوية:

أما بعد، فإنك و دسك أخوا بني القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال الشاعر:

لعمرك إني و الخزاعي طارقا *** كنعجة عاد حتفها تتحفّر
أثارت عليها شفرة بكراعها *** فظلت بها من آخر الليل تجزر

ص: 19

-
- 1- في ف: «تتحر».
 - 2- في ف: «خيبر».
 - 3- في ب، س: «سيبكم».
 - 4- في ب، س: «عقر»، تحريف.
 - 5- المهتر: الرجل يفقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن.
 - 6- يظنني: يتهمني.

شمتّ يقوم هم صديقك أهلكوا *** أصابهم يوم من الدهر أمعر(1)

فأجابه معاوية: أما بعد، فإن الحسن قد كتب إليّ بنحو مما كتبت به وأتّبني/بما لم أجن(2) ظنا و سوء رأي، وإنك لم تصب مثلنا، ولكن مثلنا و مثلكم كما قال طارق الخزاعي:

فو الله ما أدري و إني لصادق *** إلى أيّ من يظنني أتعدّر؟

أعتّف أن كانت زينة أهلكت *** و نال بني لحيان شرّ و نفّروا

صوت

أبنيّ إني قد كبرت و رابني *** بصري و فيّ لمصلح مستمتع

فلئن كبرت نقد دنوت من(3) البلى *** و حلت لكم منّي خلائق أربع

عروضه من الكامل، و الشعر لعبد بن الطبيب، و الغناء لابن محرز، و لحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، و فيه لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر في مجراها عنه أيضا.

ص: 20

1- الأعر: القليل الخير، و في ب، س: «أصعر».

2- في ب، س: «أجز»، تحريف.

3- في ف: «إلى» و رواية «المفضليات»: (146): فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا تبقى لكم منها مآثر أربع

3 - نسب عبدة بن الطبيب و أخباره

نسبه و اسم الطبيب أبيه:

هو فيما ذكر ابن حبيب عن ابن الأعرابي، و أبو نصر أحمد بن حاتم عن الأصمعي و أبي عمرو الشيباني و أبي فروة العكلي: عبدة بن الطبيب، و الطبيب اسمه يزيد بن عمرو بن وعله بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس. و يقال: عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

و قال ابن حبيب خاصة: و قد أخبرني أبو عبيدة قال:

تميم كلها كانت في الجاهلية يقال لها: عبد تيم، و تيم: صنم كان لهم يعبدونه.

كان شاعرا مجيدا ليس بالمكثر:

و عبدة شاعر مجيد ليس بالمكثر، و هو مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم، و كان في جيش النعمان بن المقرن الذين حاربوا معه الفرس بالمدائن. و قد ذكر ذلك في قصيدته التي أولها:

هل حبل خولة بعد الهجر موصول *** أم أنت عنها بعيد الدار مشغول؟

حلّت خويلة في دار مجاورة *** أهل المدينة (1) فيها الديك و الفيل

يقارعون رءوس العجم ضاحية *** منهم فوارس لا عزل و لا ميل (2)

أرثي بيت قائله العرب من شعره:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال:

أرثي بيت قائله العرب قول عبدة بن الطبيب:

فما كان قيس هللكه هلك واحد *** و لكنه بنيان قوم تهدّما

/و تمام هذه الأبيات: أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن السكري و المبرّد و الأحول (3) لعبدة يرثي قيسا:

عليك سلام الله قيس بن عاصم *** و رحمته ما شاء أن يترحمّا

تحية من أوليته منك نعمة *** إذا زار عن شحط بلادك سلّمّا

و ما كان قيس هللكه هلك واحد *** و لكنه بنيان قوم تهدّما

1- في «المفضليات»: «المدائن».

2- ميل: جمع أميل، وهو الجبان والسيئ الركوب. أو من لا ثمل معه ولا سيف ولا رمح.

3- في ب، س: «الأقوال»، تحريف.

يترفع عن الهجاء:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو عثمان الأشنانداني عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال:

قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو، فقال: لا تقل ذلك، فوالله ما أبي من عي، ولكنه كان يترفع عن الهجاء و يراه ضعة، كما يرى تركه مروءة و شرفا، قال:

و أجراً من رأيت بظهر غيب *** على عيب الرجال أولو(1) العيوب

عبد الملك بن مروان يروي أفضل ما ذكره في شعر له:

إشارة

/أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب، عن ابن الأعرابي: أن عبد الملك بن مروان قال يوماً لجلسائه:

أيّ المناديل أشرف؟ فقال قائل منهم: مناديل مصر، كأنها غرقى(2) البيض. وقال آخرون: مناديل اليمن، كأنها نور الربيع. فقال عبد الملك: مناديل أخي بني سعد عبدة بن الطبيب، قال:

لما نزلنا نصبنا ظلّ أخبية(3) *** و فار للقوم باللحم المراجيل

/ورد و أشقر(4) ما يؤنيه(5) طابخه *** ما غير الغلي منه فهو مأكول

ثمت قمنا إلى جرد مسومة *** أعرافهنّ لأيدينا مناديل

يعني بالمراجيل: المراجل، فزاد فيها الياء ضرورة.

صوت

إن الليالي أسرع في تقضي *** أخذن بعضي و تركن بعضي

حنين طولي و طوين عرضي *** أقعدني من بعد طول نهض

عروضه من الرّجز، الشعر للأغلب العجليّ، و الغناء لعمر و بن بانه، هزج بالبنصر.

ص: 22

1- في ف: «أخو».

2- الغرقى: القشرة الملتفة بياض البيض.

3- في «المفضليات»: 141: «لما وردنا رفعنا ظل أردية».

- 4- في «المفضليات»: «وردا». شبه ما أخذ فيه النصج من اللحم بالورد، و ما لم ينصج بالأشقر.
- 5- يؤنيه، أي يمهله. وفي «المفضليات»: «لم ينهته» أي ينصجه وفي ب، س «ما ينهته»، تحريف.

4 - أخبار الأغلب و نسبه

نسبه:

هو - فيما ذكر ابن قتيبة - الأغلب بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم بن صععب بن علي بن بكر بن وائل.

إسلامه و استشهاده:

و هو أحد المعمرين، عمّر في الجاهلية عمرا طويلا، و أدرك الإسلام فأسلم، و حسن إسلامه و هاجر، ثم كان فيمن توجه إلى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص، فنزلها، و استشهد في وقعة بنهاوند(1)، فقبره هناك في قبور الشهداء.

هو أول من رجز الأراجيز الطوال:

و يقال: إنه أول من رجز الأراجيز الطوال من العرب، وإياه عنى الحجاج بقوله مفتخرا:

إني أنا الأغلب أمسى قد نشد(2)

قال ابن حبيب: كانت العرب تقول الرجز في الحرب و الحداء و المفاخرة و ما جرى هذا المجرى، فتأتي منه أبيات يسيرة، فكان الأغلب أول من قصّد الرجز، ثم سلك الناس بعده طريقته.

كانت له سرحة يصعد عليها و يرتجز:

أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحيّ أبو خليفة في كتابه إلينا، قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال: حدثنا الأصمعيّ.

و أخبرنا أحمد بن محمد أبو الحسن الأسديّ قال حدثنا الرياشيّ، قال حدثنا معمر بن عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء، قال:

كانت للأغلب سرحة(3) يصعد عليها، ثم يرتجز:

قد عرفتي سرحتي فأطت(4) *** و قد شمطت بعدها و اشمطت

فاعترضه رجل من بني سعد، ثم أحد بني الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد، فقال له:

أقبحت من سالفة(5) و من قفا *** عبد إذا ما رسب القوم طفا

ص: 23

1- نهاوند: من بلاد الجبل. جنوبي همدان.

2- في ف: «نثر».

3- السرحية: كل شجرة لا شوك فيها.

4- أطت: صوتت.

5- أصل السالفة: مقدم عنق الفرس. والمراد ذمه بقبح وجهه وقفاه.

كما شرار الرعي (1) أطراف السنى

بنقص عمر عطاءه لقبوله الإنشاد من شعر في الجاهلية:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن عباد بن حبيب المهلبى، قال: حدثني نصر بن ناب عن داود بن أبي هند عن الشعبي، قال:

كتب/عمر بن الخطاب إلى المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة: أن أستنشد من قبلك من شعراء قومك (2) ما قالوا في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجلي فاستنشده فقال:

لقد سألت هيتنا موجودا *** أرجزا تريد أم قصيدا؟

ثم أرسل إلى لييد فقال له: إن شئت مما عفا الله عنه - يعني الجاهلية - فعلت. قال: لا، أنشدني ما قلت في الإسلام. فانطلق لييد فكتب سورة البقرة في صحيفة، وقال: أبدلني الله عز وجل بهذه في الإسلام مكان الشعر.

فكتب المغيرة بذلك إلى عمر، فنقص عمر من عطاء الأغلب خمسمائة، وجعلها في عطاء لييد؛ فكتب إلى عمر: يا أمير المؤمنين، أتقص عطائي أن أطعتك (3)! فرد عليه خمسمائة وأقر عطاء لييد على ألفين وخمسمائة.

أخبرني محمد بن عبد العزيز (4)، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا علي بن القاسم، عن الشعبي قال:

ادخل الأغلب على عمر، فلما رآه قال: هيه، أنت القائل:

أرجزا تريد أم قصيدا؟ *** لقد سألت هيتنا موجودا

فقال: يا أمير المؤمنين إنما أطعتك، فكتب عمر إلى المغيرة: أن أردد عليه الخمس المائة (5) وأقر الخمس المائة للييد.

شعر في سجاح حين تزوجت مسيلمة:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: قال الأغلب العجلي في سجاح لما تزوجت مسيلمة الكذاب:

لقد لقيت سجاح من بعد العمى *** ملوحا (6) في العين مجلود القرا (7)

مثل العتيق (8) في شباب قد أتى *** من اللجيمييين أصحاب القرى

ص: 24

1- الرعي: ما يرعى.

2- في ف: «مصرك».

3- ف: «إنما أطعتك».

4- ف: «أحمد بن عبد العزيز».

5- في ب، س: «الخمسمائة».

6- ملوحا: وصف من لوحة السفر ونحوه، أي غيره وأضمرة، أو من لوح الشيء بالنار بمعنى أحميته.

7- القرا: الظهر.

8- العتيق: الجواد الرائع، والفحل من النخل. وقد تكون محرفة عن الفنيق، وهو الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب.

ليس بذى واهنة(1) و لا نسا(2) *** نشأ بلحم و بخبز ما اشترى(3)

حتى شتا(4) ينتح(5) ذفراه(6) الندى *** خاظى(7) البضيع(8) لحمه خطا بظا(9)

كأنما جمّع من لحم الخصى *** إذا تمطى بين برديه صأى(10)

كأن عرق أيره إذا ودى(11) *** حبل عجوز ضفرت سبع قوى

يمشي على قوائم خمس زكا(12) *** يرفع وسطاهنّ من برد التدى

قالت: متى كنت أبا الخير متى؟ *** قال حديثا لم يغيّرني البلى

و لم أفارق خلّة لي عن قلى *** فانتسفت(13) فيشته ذات الشوى(14)

كأن في أجلادها(15) سبع كلى(16) *** ما زال عنها بالحديث و المنى

و الخلق السّفساف يردى في الردى *** قال: ألا ترينه قالت: أرى

قال: ألا أدخله؟ قالت: بلى *** فشام فيها مثل محراث(17) الغضى(18)

يقول لما غاب فيها و استوى *** لمثلها كنت أحسّيك الحسا

من أخبار سجاح:

إشارة

و كان من خبر سجاح و ادعائها النبوة و تزويج مسيلمة الكذاب إياها ما أخبرنا به إبراهيم بن النسوي يحيى، عن أبيه عن شعيب عن سيف:
إنّ سجاح التميميّة ادعت النبوة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلّم، و اجتمعت/عليها بنو تميم، فكان فيما ادّعت أنه أنزل/عليها: يا
أيها المؤمنون المتقون، لنا نصف الأرض، و لقريش نصفها، و لكنّ قريشا قوم ييغون.

ص: 25

1- الواهنة: ريح تأخذ في المنكبين، أو في العضد، أو في الأذنين عند الكبر.

2- النسا: عرق من الورك إلى الكعبين، كأنه يريد أن نساه صحيح.

3- في ف، مد: «ما اشتهى».

4- في ف: «نشا».

5- ينتح: يخرج.

6- الذفري: العظم الشاخص خلف الأذن.

- 7- خاطئ: مكتنز.
- 8- البضيع: ما انماز من لحم الفخذ، جمع بضيعه.
- 9- و خطا: اكتنز وركب لحمه بعضه بعضا، و بظا: و توكيد لما قبله.
- 10- صأى: صوت.
- 11- ودى: المراد نعظ، أي قام.
- 12- أصل الزكا: الشفع من العدد. و قيل في الشفع و الوتر: الأعداد كلها شفع و وتر. فيكون خمس زكا، خمس عددا.
- 13- انتسف اللون بالبناء للمجهول: التمع، و انتسف الطائر الشيء: نقره. و في «المختار»: «فانتفشت».
- 14- الشوى: في الأصل: قحف الرأس.
- 15- أجلادها: أصل الأجلاذ من الإنسان جسمه أو حملة شخصه.
- 16- من معاني الكلية: مقعد حمالة القوس.
- 17- المحراث: ما تحرك به النار.
- 18- في ب، س «الفضا»، و في ف: «القضا». و كل تحريف.

و اجتمعت بنو تميم كلها إليها لتنصرها. و كان فيهم الأحنف بن قيس، و حارثة بن بدر، و وجوه تميم كلها.

و كان مؤذنها شبيب بن ربيعي الرياحي، فعمدت في جيشها إلى مسيلمة الكذاب و هو باليمامة، و قالت: يا معشر تميم، اقصدوا اليمامة، فاضربوا فيها كل هامة، و أضرموا فيها نارا ملهامة، حتى تتركوها سوداء كالحمامة(1).

و قالت لبني تميم: إن الله لم يجعل هذا الأمر في ربيعة، و إنما جعله في مضر، فاقصدوا هذا الجمع، فإذا فضضتموه كرتم على قريش. فسارت في قومها و هم الدّهم(2) الدايم. و بلغ مسيلمة خبرها، فضاق بها ذرعا، و تحصّن في حجر حصن اليمامة. و جاءت في جيوشها فأحاطت به، فأرسل إلى وجوه قومه و قال: ما ترون؟ قالوا:

نرى أن نسلّم هذا الأمر إليها و تدعنا، فإن لم نفعل فهو البوار.

و كان مسيلمة ذا دهاء، فقال: سأنظر في هذا الأمر. ثم بعث إليها: إن الله - تبارك و تعالى - أنزل عليك و حيا، و أنزل عليّ. فهلّمّي نجمع، فنندرس ما أنزل الله علينا، فمن عرف الحق تبعه، و اجتمعنا فأكلنا العرب أكلا بقومي و قومك.

فبعثت إليه: أفعل، فأمر بقتية أدم فضربت، و أمر بالعود المندلي(3) فسجر فيها، و قال: أكثروا من الطيب و المجرم(4)، فإن المرأة إذا شمّت رائحة الطيب ذكرت الباه، ففعلوا ذلك.

و جاءها رسوله يخبرها بأمر القبة المضروبة للاجتماع، فأته فقالت: هات ما أنزل عليك. فقال: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نطفة تسعى، بين صفاق(5) و حشا، من بين ذكر و أنثى، و أموات و أحياء، ثم إلى ربهم يكون المنتهى. قالت: و ما ذا؟ قال: ألم تر أن الله خلقنا أفواجا، و جعل النساء لنا أزواجا، فنولج فيهن الغراميل إيلاجاً، و نخرجها منهن إذا شئن إخراجاً. قالت: فبأي شيء أمرك؟ قال:

ألا قومي إلى النيك *** فقد هبّي لك المضجع

فإن شئتي(6) ففي البيت *** و إن شئتي ففي المخدع

و إن شئتي سلقناك(7) *** و إن شئتي على أربع

و إن شئتي بثلثيه *** و إن شئتي به أجمع

قال: فقالت: لا، إلا به أجمع. قال: فقال: كذا أوحى الله إليّ، فواقعها. فلما قام عنها قالت: إن مثلي لا يجري أمرها هكذا، فيكون وصمة على قومي و عليّ، و ليكن مسلمة النبوة إليك، فاخطبني إلى أوليائي يزوجوك، ثم أقود تميما معك.

فخرج و خرجت معه، فاجتمع الحيان من حنيفة و تميم، فقالت لهم سجاح: إنه قرأ عليّ ما أنزل عليه،

ص: 26

1- عبارة الطبري (2:239):... و دفوا دفيف الحمامة.

2- الدهم: العدد الكثير.

3- العود المندي: هو المطري بالمسك و العنبر. و اللبان. منسوب إلى مندل: قرية بالهند.

4- المجرم: ما يوضع فيه الجمر.

5- الصفاق: الجلد الأسفل الذي تحث الجلد الذي عليه الشعر.

6- وصلت تاء الفاعل المكسورة بالياء لهجة لريعة.

7- سلقها: بسطها فجامعها.

فوجدته حَقًّا، فاتبعته، ثم خطبها، فَرَوَّجوه إياها، وسألوه عن المهر، فقال: قد وضعت عنكم صلاة العصر، فبنو تميم إلى الآن بالرَّمْل لا يصلونها، ويقولون: هذا حق لنا، و مهر كريمة منا لا نردّه. قال: وقال شاعر من بني تميم يذكر أمر سجاح في كلمة له:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها *** وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

قال: وسمع الزبرقان بن بدر لأحنف يومئذ، وقد ذكر مسيلمة وما تلاه عليهم، فقال/الأحنف: والله ما رأيت أحقق من هذا النبي قط. فقال الزبرقان: والله لأخبرن بذلك مسيلمة. قال: /إذا والله أحلف أنك كذبت فيصدقني ويكذبك. قال: فأمسك الزبرقان، وعلم أنه قد صدق.

قال: وحدث الحسن البصري بهذا الحديث، فقال: أمن والله أبو بحر من نزول الوحي. قال: فأسلمت سجاح بعد ذلك وبعد قتل مسيلمة، وحسن إسلامها.

صوت

كم ليلة فيك بتّ أسهرها *** ولوعة من هواك أضمرها

و حرقة و الدموع تطفئها *** ثم يعود الجوى فيسعرها

بيضاء رود(1) الشباب قد غمست *** في خجل دائب يعصفرها

الله جار لها فما امتلأت *** عيناى إلا من حيث أبصرها

الشعر للبحرّي، والغناء لعريب، رمل مطلق من مجموع أغانيها، وهو لحن مشهور في أيدي الناس، والله أعلم.

ص: 27

1- الرود: مخفف الرود، وهي الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غداء.

نسبه و كنيته:

هو الوليد بن عبيد الله (1) بن يحيى بن عبيد بن شمالال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم (2) ابن أبي حارثة بن جدي بن تدول بن بحتري بن عتود بن عثمة (3) بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة و هو طيبي بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

شاعريته و ندره هجائه:

و يكنى أبا عبادة، شاعر فاضل فصيح حسن المذهب، نقي الكلام، مطبوع، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء، و له تصريف حسن فاضل نقي في ضروب الشعر، سوى الهجاء، فإن بضاعته فيه نزره، و جيده منه قليل. و كان ابنه أبو الغوث يزعم أن السبب في قلة بضاعته في هذا الفن أنه لما حضره الموت دعا به، و قال له:

اجمع كل شيء قلت في الهجاء. ففعل، فأمره بإحراقه، ثم قال له: يا بني، هذا شيء قلت في وقت، فشفيت به غيظي، و كافأت به قبيحا فعل بي، و قد انقضى أربي في ذلك، و إن بقي روي، و للناس أعقاب يورثونهم العدا و المودة، و أخشى أن يعود عليك من هذا شيء (4) في نفسك أو معاشك لا فائدة لك و لي فيه، قال: فعلت أنه قد نصحتني و أشفق علي، فأحرقته.

أخبرني بذلك علي بن سليمان الأخفش عن أبي الغوث.

و هذا - كما قال أبو الغوث - لا فائدة لك و لا لي فيه، لأن الذي وجدناه و بقي في أيدي الناس من هجائه أكثره ساقط، مثل قوله في ابن شير زاد:

/نفقت نفوق الحمام الذكر *** و بان ضراطك عنا فمر

و مثل قوله في علي بن الجهم (5):

و لو أعطاك ربك ما تمنى (6) *** لزدك منه في غلظ الأيور

علام طفقت تهجوني مليا *** بما لفتت من كذب و زور

ص: 28

1- م، ف: «عبيد».

2- ف: «جشم».

3- ف: «عمير».

4- ف: «شر».

5- ف: «مروان بن أبي الجنوب» بدل «علي بن الجهم» و المثبت في «الديوان» هو ما ذكرناه.

6- تمنى هنا ليس فعلا ماضيا، ولكنه مضارع محذوف أحد التاءين.

و أشباه لهذه الأبيات، و مثلها(1) لا يشاكل طبعه، و لا تليق بمذهبه، و تنبئ بركاكتها و غثاثة/ألفاظها عن قلة حظّه في الهجاء، و ما يعرف له هجاء جيّد إلا قصيدتان إحداهما قوله في ابن أبي قماش:

مرّت على عزمها و لم تقف *** مبدية للشّنان و الشّنف

يقول فيها لابن أبي قماش:

قد كان في الواجب المحقّق أن *** تعرف ما في ضميرها التّطف

بما تعاطيت في العيوب و ما *** أوتيت من حكمة و من لطف

أ ما رأيت المرّيج قد مازج الرّ *** هرة في الجدّ منه و الشّرف

و أخبرتك النّحوس أنكما *** في حالتي ثابت و منصرف

من أين أعملت ذا و أنت على *** التّقويم و الرّيج جدّ منعكف(2)

أ ما زجرت الطّير العلاء أو تعي *** فت المها(3) أو نظرت في الكتف

رذلت في هذه الصناعة أو *** أكديت أو رمتها على الخرف

لم تخط باب الدهليز منصرفا *** إلا و خلخالها مع الشّنف(4)

او هي طويلة، و لم يكن مذهبي ذكرها إلا للإخبار عن مذهبه في هذا الجنس، و قصيدته في يعقوب بن الفرّج النّصرانيّ، فإنها - و إن لم تكن في أسلوب هذه و طريقتها - تجري مجرى التّهكّم باللفظ الطيّب الخبيث المعاني، و هي:

تظنّ شجونني لم تعتلج *** و قد خلع البين من قد خلع

و كان البحتريّ يتشبهه بأبي تّمّام من شعره، و يحذو مذهبه، و ينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تّمّام يستعمله، و يراه صاحباً و إماماً، و يقدّمه على نفسه، و يقول في الفرق بينه و بينه قول منصف: إنّ جيّد أبي تّمّام خير من جيّده، و وسطه و رديئه خير من وسط أبي تّمّام و رديئه(5)، و كذا حكم هو على نفسه.

هو و أبو تّمّام:

أخبرني محمد بن يحيى الصولي: قال: حدثني الحسين بن علي الياقظانيّ: قال:

قلت للبحتريّ: أيّما أشعر أنت أو أبو تّمّام؟ فقال: جيّد خير من جيّدي، و رديئي خير من رديئه.

حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني أبو الغوث يحيى بن البحتريّ: قال:

كان أبي يكتني أبا الحسن، وأبا عبادة، فأشير عليّ (6) في أيام المتوكل بأن أقتصر (6) على أبي عبادة، فإنها أشهر، فاقتصرت (6) عليها.

ص: 29

-
- 1- ف، مم: «من جنسها».
 - 2- البيت ساقط من ب، س.
 - 3- لعلها: «تعيفت لها» بدل «تعيفت المها».
 - 4- الشنف: ما علق بالأذن، وفي ف: «الكتف».
 - 5- كذا في ف: وفي باقي النسخ: «ووسطه خير من وسط أبي تمام وروديته» وهذا أسلم للعبارة.
 - 6- ف، مم: «فأشير عليه... بأن يقتصر... فاقتصر».

حدثني محمد قال:

سمعت عبد الله بن الحسين بن سعد يقول للبحتريّ - وقد اجتمعنا في دار عبد الله بالخلد، وعنده المبرّد في سنة ست وسبعين ومائتين، وقد أنشد البحتريّ شعرا لنفسه قد كان أبو تمام قال في مثله - أنت والله أشعر من أبي تمام في هذا الشعر، قال: كلاً والله، إن أبا تمام للرئيس والأستاذ، والله ما أكلت الخبر إلا به، فقال له المبرّد: لله درك يا أبا الحسن، فإنك تأبى إلا شرفاً من جميع جوانبك.

حدثني محمد: قال: حدثني الحسين بن إسحاق: قال:

قلت للبحتريّ: إن الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام، فقال: والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضرب أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كان كما قالوا، ولكني والله تابع له أخذ منه لاند به، نسيمي يركد عند هوانه، وأرضي تنخفض عند سمائه.

حدثني محمد بن يحيى: قال: حدثني سوار بن أبي شراة، عن البحتري: قال: وحدثني أبو عبد الله الألويسي، عن علي بن يوسف (1)، عن البحتري: قال:

كان أول أمري في الشعر ونباهتي أنني صرت إلى أبي تمام، وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل عليّ، وترك سائر من حضر، فلما تفرّقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف بالله حالك؟ فشكوت خلة (2) فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحدق بالشعر، وشفع لي إليهم وقال: امتدحهم، فصرت إليهم، فأكرموني بكتابه، وظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول مال أصبته. وقال علي بن يوسف في خبره: فكانت نسخة كتابه: «يصل كتابي هذا على يد الوليد أبي عبادة الطائي، وهو - على بذاذته (3) - شاعر، فأكرموه».

يعشق غلاما. فيلتحي:

حدثني جحظة: قال: سمعت البحتريّ يقول: كنت أتعشق غلاما من أهل/منبج يقال له شقران، واتفق لي سفر، فخرجت فيه، فأطلت الغيبة، ثم عدت، وقد التحى، فقلت فيه، وكان أول شعر قلته:

نبتت لحية شقرا *** ن شقيق النفس بعدي

حلقت (4)، كيف أتته *** قبل أن ينجز وعدي!

وقد روى في غير هذه الحكاية أن اسم الغلام شندان.

بدء التعارف بينه وبين أبي تمام:

حدثني علي بن سليمان: قال: حدثني أبو الغوث بن البحتريّ عن أبيه، وحدثني عمي: قال: حدثني علي بن العباس التوبختي، عن البحتريّ، وقد جمعت الحكايتين، وهما قريبتان: قال:

1- ف، مم: «علي بن سيف».

2- الخلة: الحاجة.

3- بذ بذاذة و بذوذة: ساءت حاله ورثت هيئته.

4- حلقت بالبناء للمجهول: جملة دعائية، وفي بعض النسخ: خلقت، وهو تصحيف.

أول ما رأيت أبا تمام أنني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف، وقد مدحته بقصيدتي:

أفأق صبّ من هوى فأفأيقا *** أو خان عهدا أو أطاع شفيقا؟

فسر بها أبو سعيد، وقال: أحسنت والله يا فتى وأجدت، قال: وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه، فوق كل من حضر عنده، تكاد تمسّ ركبته ركبته، فأقبل عليّ ثم قال: يا فتى، أما تستحي منّي! هذا شعر لي تنتحله، وتشدّه بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقّ تقول! قال: نعم، وإنما علقه مني، فسبقني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيدة، حتى شككني - علم الله - في نفسي، وبقيت متحيراً، فأقبل عليّ أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منّا وودك لنا ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرّجة من الأيمان أنّ الشّعر لي ما سبقني إليه أحد، ولا سمعته منه، ولا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئاً، وأطرق أبو سعيد، وقطع بي، حتى تمنيت أني سخت في الأرض، فقامت منكسر البال أجرّ رجليّ، فخرجت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فرّدوني، فأقبل عليّ الرّجل، فقال: الشعر لك يا بني، والله ما قلته قطّ، ولا سمعته إلا منك، ولكنني ظننت أنّك تهاونت بموضعي، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي، حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك، ولوددت ألاّ تلد أبدا طائبة إلا مثلك، وجعل أبو سعيد يضحك، ودعاني أبو تمام، وضمّني إليه، وعانقني، وأقبل يقرّظني، ولزمته بعد ذلك، وأخذت عنه، واقتديت به، هذه رواية من ذكرت.

إنشاد له بأبي سعيد محمد بن يوسف الثغري:

وقد حدثني عليّ بن سليمان الأخفش أيضاً قال: حدثني عبد الله بن الحسين بن سند القطريلي:

أن البحريّ حدثه أنّه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغريّ، وقد مدحه بقصيدة، وقصده بها، فألقى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له فيه، فاستأذنه البحريّ في الإنشاد وهو يومئذ حديث السنّ، فقال له: يا غلام أتشدني بحضرة أبي تمام؟ فقال: تأذن ويستمع (1)، فقام، فأنشده إياها، وأبو تمام يسمع ويهتّز من قرنه إلى قدمه استحساناً فلما فرغ منها قال: أحسنت والله يا غلام، فممن أنت؟ قال: من طيّئ، فطرب أبو تمام وقال: من طيّئ، الحمد لله على ذلك، لوددت أن كل طائبة تلد مثلك، وقبّل بين عينيه، وضمّته إليه وقال لمحمد بن يوسف:

قد جعلت له جائزتي، فأمر محمد بها، فضمّت إلى مثلها، ودفعت (2) إلى البحريّ، وأعطى أبا تمام مثلها، وخصّ به، وكان مدّاحاً له طول أيامه ولابنه بعده، ورثاهما بعد مقتليهما، فأجاد، ومراثيه فيهما أجود من مدائحه، وروى أنه قيل له في ذلك فقال: من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح (3) لا كما قال الآخر - وقد سئل عن ضعف مراثيه فقال -: كنا نعمل للرّجاء، نحن نعمل اليوم للوفاء. وبينهما بعد.

كان بخيلا زري الهيئة:

حدثني حكيم بن يحيى الكنتحي قال:

كان البحريّ من أوسخ خلق الله ثوبا وآلة وأبخلهم على كل شيء (4). وكان له أخ و غلام معه في داره،

1- ف، مم: «تأذن وتستمع».

2- ف: «ودفعتنا».

3- زيادة «لا» عن مم، ف، وهي زيادة ضرورية، لأن مذهب الشاعرين على طرفي تقيض.

4- مم: «وأبخلهم على الطعام».

فكان يقتلها جوعاً، فإذا بلغ منهما الجوع أتياه بيكيان، فيرمي إليهما بثمر أفواتهما مضيّقا مقترًا، ويقول: كلا، أجاج الله أكبادكما(1) و أعرى أجلا دكما(2) و أطال إجهادكما.

قال حكم بن يحيى: و أنشدته يوما من شعر أبي سهل بن نوبخت، فجعل يحرك رأسه، فقلت له: ما تقول فيه؟ فقال: هو يشبه مضغ الماء ليس له طعم و لا معنى.

و حدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب، قال:

دخلت على البحريّ يوما فاحتبسنى عنده، و دعا بطعام له، و دعاني إليه، فامتنت من أكله، و عنده شيخ شاميّ لا أعرفه، فدعاه إلى الطّعام، فتقدّم، و أكل معه أكلا عنيفا، فغاظه ذلك، و التفت إليّ، فقال لي: أتعرف هذا الشيخ؟ فقلت: لا، قال: هذا شيخ من بني الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر:

و بنو(3) الهجيم قبيلة ملعونة *** حصّ اللّحي(4) متشابهو الألوان

لو يسمعون بأكلة أو شربة *** بعمان أصبح جمعهم بعمان(5)

قال: فجعل الشيخ يشتمه، و نحن نضحك.

ماء من يد حسناء:

و حدثني جحظة: قال: حدثني عليّ(6) بن يحيى المنجم: قال:

اجتازت جارية بالمتوكّل معها كوز ماء، و هي أحسن من القمر، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: برهان، قال: و لمن هذا الماء؟ قالت: لستيّ قبيحة، قال: صبيّه في حلقي، فشربه عن آخره، ثم قال للبحريّ: قل في هذا شيئا، فقال البحريّ:

ما شربة(7) من رحيق كأسها ذهب *** جاءت بها الحور من جنّات رضوان

يوما بأطيب من ماء بلا عطش *** شربته عبثا من كف برهان

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، و أحمد بن جعفر جحظة: قالوا: حدثنا أبو الغوث بن البحريّ: قال:

كتبت إلى أبي يوما أطلب منه نبيذا، فبعث إليّ بنصف قنينة دردي(8)، و كتب إليّ: دونكها يا بنيّ، فإنها تكشف القحط، و تضبط الرّهط. قال الأخفش، و تقيت الرّهط.

قصته مع أحمد بن علي الإسكافي:

حدثني أبو الفضل عباس بن أحمد بن ثوابة قال:

1- التكملة من: ف، مم.

2- التكملة من: ف، مم.

3- ب، س: «و بنى الهجيم».

4- حص اللحي: قليلو شعر اللحية.

5- عمان الأولى ممنوعة من الصرف، و عمان الثانية مصروفة، و ليس في هذا ضرورة شعرية. لأنه يجوز فيها الأمران، كقريش و تميم و نحوهما، على معنى حي أو قبيلة.

6- كذا في النسخ، و في نسخة بيروت: «يحيى بن علي المنجم».

7- ف: «قهوة».

8- الدردي: ما رسب أسفل العسل و الزيت و نحوهما من كل شيء مائع كالأشربة و الأدهان.

قدم البحترى النّيل (1) على أحمد/بن عليّ الإسكافيّ مادحا له، فلم يشبه ثوبا يرضاه بعد أن طالّت مدّته عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

ما كسبنا من أحمد بن عليّ *** و من النّيل غير حمى النّيل

و هجاه بقصيدة أخرى أولها:

قصّة النّيل فاسمعوها عجابه

فجمع إلى هجائه إياه هجاء أبي ثوبة، و بلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم و ثياب و دابة بسرجهها و لجامها، فردّه إليه، و قال: قد أسلفتكم إساءة لا يجوز معها قبول رفقكم (2)، فكتب إليه أبي: أمّا الإساءة فمغفورة و أمّا المعذرة فمشكورة، و الحسنات/يذهبن السيئات، و ما يأسو جراحك مثل يدك. و قد رددت إليك ما رددته عليّ، و أضعفته، فإن تلافيت ما فرط منك أثبنا و شكرنا، و إن لم تفعل احتملنا و صبرنا. فقبل ما بعث به، و كتب إليه: كلامك و الله أحسن من شعري، و قد أسلفتني ما أخجلني، و حمّلتني ما أثقلني، و سيأتيك ثنائي. ثم غدا إليه بقصيدة أولها:

ضلال لها ما ذا أرادت إلى الصّد

و قال فيه بعد ذلك:

برق أضاء العقيق من ضممه

و قال فيه أيضا:

دان دعا داعي الصّبأ فأجابه

قال: و لم يزل أبي يصله بعد ذلك، و يتابع برّه لديه حتى افترقا.

شعره في نسيم غلامه:

أخبرني جحظة قال:

كان نسيم غلام البحترى الذي يقول فيه:

دعا عبرتي تجري على الجور و القصد *** أظنّ نسيمًا قارف الهمّ من بعدي

خلا ناظري من طيفه بعد شخصه *** فيا عجبا للدّهر فقد (3) على فقد

غلاما روميّا ليس بحسن الوجه، و كان قد جعله بابا من أبواب الحيل على التّاس، فكان يبيعه و يعتمد أن يصيرّه إلى ملك بعض أهل المروءات و من ينفق عنده الأدب، فإذا حصل في ملكه شبّب به، و تشوّقه، و مدح مولاه، حتى يهبه له، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم،

فكفي النَّاس أمره.

خبره مع محمد بن علي القمي و علامه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأُخفش قال:

ص: 33

1- النيل: بليدة في سواد الكوفة، ونهر من أنهار الرقة، عن «معجم ياقوت».

2- ف: «صلتكم».

3- فقد بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، وفي ف: فقد بالانصب على الحالية.

كتب البحتريّ إلى أبي محمد بن عليّ القمّيّ (1) يستهديه نبذاً، فبعث إليه نبذاً مع/غلام له أمرد، فجمّشه (2) البحتريّ، فغضب الغلام غضباً شديداً، دلّ البحتريّ على أنه سيخبر مولاه بما جرى، فكتب إليه:

أبا جعفر كان تجميشنا *** غلامك إحدى الهنات الدنيّة

بعثت إلينا بشمس المدام *** تضيء لنا مع شمس البريّة

فليت الهدية كان الرسول *** وليت الرسول إلينا الهدية

فبعث إليه محمد بن عليّ الغلام هديّة، فانقطع البحتريّ عنه بعد ذلك مدة، خجلاً مما جرى، فكتب إليه محمد بن عليّ:

هجرت كأنّ البرّ أعقب حشمة *** ولم أر وصلاً قبل ذا أعقب الهجرا

فقال فيه قصيدته التي أولها:

فتى مذحج عفوا فتى مذحج غفرا (3)

وهي طويلة. وقال فيه أيضاً:

أ مواهب (4) هاتيك أم أنواء *** هطل وأخذ ذاك أم إعطاء

إن دام ذا أو بعض ذا من فعل ذا *** ذهب (5) السخاء فلا يعدّ (6) سخاء

ليس الذي حلّت تميم وسطه *** الدهناء، لكن صدرك الدهناء (7)

ملك أغر لآل طلحة مجده *** كّفاه بحر سماحة و سماء (8)

أو شريف أشراف إذا احتكّت بهم *** جرب القبائل أحسنوا وأساءوا (9)

أ محمد بن عليّ أسمع عذرة *** فيها شفاء للمسيء و داء

مالي إذ ذكر الكرام رأيتني *** ما لي مع النّفر الكرام وفاء؟

يضفو عليّ العذل وهو مقارب *** ويضيق عني العذر وهو فضاء

إنّي هجرتك إذ هجرتك حشمة *** لا العود يذهبها ولا الإبداء

ص: 34

2- التجميش: المغازلة و الملاعبة.

3- مذحج كمجلس: أكمة، ولدت مالكا و طينا أمهما عندها، فسموا مذحجا، و في ب: «فتى مذحج غفرا فتى مذحج غفرا»، و المثبت من ف، و هو الوجه.

4- مواهب بالتنوين للضرورة.

5- في «المختار»: فني السخاء.

6- في «الديوان»: «فلا يحس سخاء».

7- الدهناء: الصحراء.

8- ف: «و عطاء».

9- ب، م: «إذا احتلت» بدل «إذا احتكت». و «حرب» بدل «جرب» و المثبت من ف.

أخجلتني بندي يديك فسوّدت *** ما بيننا تلك اليد البيضاء(1)

وقطعتني بالبرّ حتى إنني *** متوهّم أن لا يكون لقاء

صلة غدت في الناس وهي قطيعة *** عجباً و برّ راح وهو جفاء

ليواصلتْك ركب شعري سائراً *** تهدي به في مدحك الأعداء(2)

حتى يتمّ لك الثناء مخلّداً *** أبداً كما دامت لك النعماء

فتظللّ تحسدك الملوك الصيد بي *** وأظللّ يحسدني بك الشعراء

كان موته بالسكّنة:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش: قال: سألني القاسم بن عبيد الله عن خير البحريّ، وقد كان أسكت، و مات من تلك العلّة، فأخبرته بوفاته، و أنه مات في تلك السكّنة، فقال: ويحه رمي في أحسنه(3).

أبو تمام يلقن البحري درسا في الاستطراد:

أخبرني محمد بن يحيى: قال: حدثني محمد بن عليّ الأنباريّ: قال:

سمعت البحريّ يقول: أنشدني أبو تمام يوماً لنفسه:

و سابع هطل التّعداء هتّان *** على الجراء أمين غير خوآن(4)

أظمي الفصوص و لم تظماً قوائمه *** فخلّ عينيك في ظمآن ريّان(5)

فلو تراه مشيحا و الحصى زيم(6) *** بين السنابك من مثنيّ و وحدان

أيقنت إن لم تثبت أنّ حافره *** من صخر تدمر أو من وجه عثمان(7)

ثم قال لي: ما هذا الشعر؟ قلت: لا أدري، قال: هذا هو المستطرد، أو قال الاستطراد. قلت: و ما معنى ذلك؟ قال: يريك أنه يريد وصف الفرس و هو يريد هجاء عثمان، و قد فعل البحري ذلك، فقال في صفة الفرس:

ما إن يعاف قذى و لو أوردته *** يوماً خلّاق حمدويه الأحول

و كان حمدويه الأحول عدوّاً لمحمد بن عليّ القمّي الممتدح بهذه القصيدة فهجاه في عرض مدحه محمداً.

والله أعلم.

- 1- لعله يريد بتسويد النعمة البيضاء، ما فرط منه من تجميشه للغلام، أو يريد أن هذه النعمة جعلته له رقيقا على حد قول الشاعر: كلما قلت
أعتق الله رقي صيرتني له المكارم عبدا
- 2- في ب: «لأوصلنك». وفي م: «تهذي» بدل «تهدي» وفي «المختار»: «يرويه فيك لحسنه الأعداء».
- 3- لعله يريد بأحسن ما فيه، لسانه.
- 4- ب: «الشعراء» بدل «التعداء» وهو تحريف، و الجراء: جمع جرو، وهو ولد الكلب و كل سبع.
- 5- الفصوص: المفاصل، و ظمؤها: ضمورها، و جر «ريان» و كذا عثمان في البيت الأخير لضرورة الشعر، وفي «المختار»: «فجل بعينيك
في ظمآن ريان».
- 6- زيم: جمع زيمة، وهو القطعة من الشيء.
- 7- تثبت: فعل مضارع حذف منه إحدى التاءين. و تدمر: قال ياقوت: تدمر: مدينة قديمة مشهورة في برية الشام، و المقصود وصف وجه
عثمان بالصفافة، حتى كأنه قطعة قدت من صخر، و عثمان هو عثمان بن إدريس.

أبو تمام يشيد به:

حدثني علي بن سليمان الأخفش: قال: حدّثني أبو الغوث بن البحرّي: قال:

حدثني أبي: قال: قال لي أبو تمام: بلغني أنّ بني حميد أعطوك مالا جليلا فيما مدحتهم به، فأنشدني شيئا منه، فأنشدته بعض ما قلته فيهم، فقال لي: كم أعطوك؟ فقلت: كذا وكذا، فقال: ظلموك، والله ما وفوك حقك، فلم استكثرت ما دفعوه إليك؟ / والله لبيت منها خير مما أخذت، ثم أطرق قليلا، ثم قال: لعمرى لقد استكثرت ذلك، واستكثرت لك لَمّا مات الناس وذهب الكرام، وفاضت المكارم، فكسدت سوق الأدب، أنت والله يا بني أمير الشعراء غدا بعدي، فقامت فقبّلت رأسه و يديه ورجليه، وقلت له: والله لهذا القول أسرّ إلى قلبي وأقوى لنفسي مما وصل إلي من القوم.

أبو تمام ينعي نفسه:

حدثني محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب: قال: قال لي البحرّي: أنشدت أبا تمام يوما شيئا من شعري، فتمثّل ببيت أوس بن حجر:

إذا مرقم منا ذرا حدّ نابه *** تخمّط فينا ناب آخر مرقم (1)

ثم قال لي: نعت و الله إليّ نفسي، فقلت: أعيذك بالله من هذا القول، فقال: إنّ عمري لن يطول، وقد نشأ في طيء مثلك، أما علمت أنّ خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبه، وهو من رهطة يتكلم، فقال: يا بني، لقد نعى إليّ نفسي إحسانك في كلامك، لأتأ أهل بيت ما نشأ فينا خطيب قطّ إلا مات من قبله، فقلت له: بل يبيك الله، ويجعلني فداءك. قال: و مات أبو تمام بعد سنة.

يشمخ بأنفه فيغري به المتوكل الصيمري:

حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال: حدثني أبو العنيس الصميريّ قال:

كنت عند المتوكل و البحرّي ينشده:

عن أيّ ثغر تبسم *** و بأيّ طرف تحنكم؟

حتى بلغ إلى قوله:

قل للخليفة جعفر ال *** متوكل بن المعتصم

/المبتدي للمجتدي (2) *** و المنعم بن المنتقم

أسلم لدين محمد *** فإذا سلمت فقد سلم

قال: و كان البحرّي من أبغض الناس إنشادا، يشادق و يتزاور (3) في مشيه مرة جانبا، و مرّة القهقري، و يهزّ

-
- 1- المقرم: السيد المقدم، تشبيهاً بالمقرم من الإبل، وهو المكرم الذي لا يحمل عليه ولا يذلل، وذرا حد نابه: انكسر، والتخمط: الأخذ والقهر بغلبة، والبيت في معنى قول الآخر: إذا مات منا سيد قام صاحبه
- 2- ب، م: «المجتدي للمتجدي»، وما أثبتناه من ف. وهو أبلغ في المدح، لأن المراد أن يعطي قبل السؤال.
- 3- يتزاور: ينحرف.

رأسه مرّة، و منكبيه أخرى، و يشير بكمّته، و يقف عند كل بيت، و يقول: أحسنت و الله، ثم يقبل على المستمعين، فيقول: ما لكم لا تقولون أحسنت؟ هذا و الله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله: فضجر المتوكل من ذلك و أقبل عليّ، و قال: أ ما تسمع يا صيمريّ ما يقول؟ فقلت: بلى يا سيّدي، فمرني فيه بما أحببت، فقال: بحياتي أهجه على هذا الرّويّ الذي أنشدنيه، فقلت: تأمر ابن حمدون أن يكتب ما أقول، فدعا بداوة و قرطاس، و حضرني على البديهة أن قلت:

أدخلت رأسك في الرّحم *** و علمت أنّك تنهزم

يا بحتريّ حذار و يحك *** من قضاقة ضغم(1)

فلقد أسلت بواديي *** ك(2) من الهجاسيل العرم

فبأيّ عرض تعتصم *** و بهتكه جفّ القلم؟

و الله حلفة صادق *** و بقبر أحمد و الحرم

و بحقّ جعفر الإما *** م ابن الإمام المعتصم

لأصيرنك شهرة *** بين المسيل إلى العلم

أحيّ الطلّول(3) بذي سلم *** حيث الأراكة و النخيم

يا بن الثّقيلة و الثّق *** يل على قلوب ذوي النّعم

أو على الصّغير مع الكب *** ير من الموالي و الحشم

في أيّ سلح ترتطم *** و بأيّ كفّ تلتقم؟

يا بن المباحة للورى *** أ من العفاف أم التّهم(4)

إذ رحل أختك للعجم *** و فراش أمك في الظّلم

و بباب دارك حانة *** في بيته يؤتى الحكم

قال: فغضب، و خرج يعدو، و جعلت أصيح به:

أدخلت رأسك في الرّحم *** و علمت أنّك تنهزم

و المتوكل يضحك، و يصفق حتى غاب عن عينه.

هكذا حدثني جحظة عن أبي العنيس.

ووجدت هذه الحكاية بعينها بخط الشاهيني حكاية عن أبي العنيس، فرأيتها قريبة اللفظ، موافقة المعنى لما ذكره جحظة، والذي يتعارفه الناس أن أبا العنيس قال هذه الأبيات ارتجالاً، وكان واقفاً خلف البحترى، فلما ابتداءً وأشد قصيدته:

ص: 37

-
- 1- القضاقض: الأسد، وجمعه قضاقضة، وضمه: عضه بملء فيه، فهو ضاغم، وجمعه ضغم.
 - 2- ب، م: «بوالديك» والمثبت من ف.
 - 3- ب، س: «حيث الطلول».
 - 4- ب: «أ من العقاب أم الفهم» والمثبت من م، ف، والمستفهم عنه ما ورد في البيتين التاليين.

عن أيّ ثغر تبتسم *** وبأيّ طرف تحتكم

صاح به أبو العنيس من خلفه:

في أيّ سلاح ترتطم *** وبأيّ كفّ تلتقم

أدخلت رأسك في الرّحم *** وعلّمت أنّك تنهزم

/فغضب البحتريّ، و خرج، فضحك المتوكّل حتى أكثر، وأمر لأبي العنيس بعشرة آلاف درهم والله أعلم.

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّوليّ، وحدثني عبد الله بن أحمد بن حمدون عن أبيه: قال: وحدثني يحيى بن عليّ عن أبيه:

إنّ البحتريّ أنشد المتوكّل - وأبو العنيس الصّيمريّ حاضر - قصيدته:

عن أيّ ثغر تبتسم *** وبأيّ طرف تحتكم؟ (1) إلى آخرها، وكان إذا أنشد يختال، ويعجب بما يأتي به، فإذا فرغ من القصيدة ردّ البيت

الأول، فلما رده بعد فراغه منها. وقال:

عن أيّ ثغر تبتسم *** وبأيّ طرف تحتكم (2)

قال أبو العنيس وقد غمزه المتوكّل أن يولع به:

في أيّ سلاح ترتطم *** وبأيّ كفّ تلتقم

أدخلت رأسك في الرّحم *** وعلّمت أنّك تنهزم

فقال نصف البيت الثاني، فلما سمع البحتريّ قوله ولّى مغضبا، فجعل أبو العنيس يصيح به:

وعلّمت أنّك تنهزم

فضحك المتوكّل من ذلك حتى غلب، وأمر لأبي العنيس بالصّلة التي أعدّت للبحتريّ.

قال أحمد بن زياد (3): فحدّثني أبيّ قال:

/جاءني البحتريّ، فقال لي: يا أبا خالد أنت عشيرتي وابن عمّي وصديقي، وقد رأيت ما جرى عليّ، أفأذن لي (4) أن أخرج إلى منبع بغير

إذن، فقد ضاع العلم، وهلك الأدب؟ فقلت: لا تفعل من هذا شيئا، فإن الملوك تمزح بأعظم مما جرى، و مضيت معه إلى الفتح، فشكا إليه

ذلك، فقال له نحو من قولي، و وصله، /و خلع عليه، فسكن إلى ذلك.

الصيمري يسترسل في سخريته به بعد موت المتوكّل:

حدثني لحظة عن عليّ بن يحيى المنجم: قال:

-
- 1- التكملة من هد، هج.
 - 2- التكملة من هد، هج.
 - 3- مم، ف: «أحمد بن يزيد».
 - 4- ف: «أفترى لي». و منبج: بلدة الشاعر شمالي سوريا.

يا وحشة الدنيا على جعفر *** على الهمام الملك الأزهر (1)

على قتيل من بني هاشم *** بين سرير الملك والمنبر

والله رب البيت والمشعر *** والله أن لو قتل البحري

لثار بالشام له ثائر *** في ألف نغل (2) من بني عض خرى

يقدمهم كل أخي ذلة *** على حمار دابر أعور

فشاعت الأبيات حتى بلغت البحري، فضحك، ثم قال: هذا الأحق يرى أنني أجيبه على مثل هذا، فلو عاش امرؤ القيس. فقال، من كان يجيبه (3)؟.

ص: 39

1- البيت من مم، ف، وهو ساقط من ب، س.

2- ب: «نفل» بدل «نغل» و النغل ابن الزنا، أما عض خرى فلعله اسم قبيلة اخترعها للصيمري اختراعاً لمجرد السخرية.

3- في «المختار»: «ولو عاش امرؤ القيس. فقال مثل قوله لم أجبه».

منزلتها في الغناء و الأدب:

كانت عريب مغنّية محسنة، وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام، ونهاية في الحسن والجمال والطرف، و حسن الصورة وجودة الضرب، وإتقان الصنعة والمعرفة بالتغم والأوتار، والرواية للشعر والأدب، لم يتعلق بها أحد من نظرائها، ولا رني في النساء بعد القيان الحجازيات القديمات، مثل جميلة وعزة الميلاء وسلامة الزرقاء ومن جرى مجراهن - على قلة عددهن - نظير لها، وكانت فيها من الفضائل التي وصفناها ما ليس لهنّ مما يكون لمثلها من جواري الخلفاء، ومن نشأ في قصور الخلافة وغدّي برقيق العيش، الذي لا يدانيه عيش الحجاز، والنش بين العامة والعرب الجفافة، ومن غلظ طبعه، وقد شهد لها بذلك من لا يحتاج مع شهادته إلى غيره.

أخبرني محمد بن خلف وكيع، عن حماد بن إسحاق: قال: قال لي أبي:

ما رأيت امرأة أضرب من عريب، ولا أحسن صنعة ولا أحسن وجهها، ولا أخفّ روحا، ولا أحسن خطابا، ولا أسرع جوابا، ولا ألعب بالشطرنج والترد، ولا أجمع لخصلة حسنة لم أر مثلها في امرأة غيرها. قال حمّاد:

فذكرت ذلك ليحيى بن أكثم في حياة أبي، فقال: صدق أبو محمد، هي كذلك، قلت: أفسمعتها؟ قال: نعم هناك، يعني في دار المأمون، قلت: أفكانت كما ذكر أبو محمد في الحدق؟ فقال يحيى: هذه مسألة الجواب فيها على أبيك، فهو أعلم مني بها، فأخبرت بذلك أبي، فضحك، ثم قال: ما استحييت من قاضي القضاة أن تسأله عن مثل هذا.

هي وإسحاق والخليفة المعتصم:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى: قال: حدثني أبي، قال:

قال لي إسحاق: كانت عندي صنّاجة (1) كنت بها معجبا، و اشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون، فبينما أنا ذات يوم في منزلي، إذ أتاني إنسان يدقّ الباب دقا/شديدا، فقلت: انظروا من هذا؟ فقالوا: رسول أمير المؤمنين، فقلت: ذهب صنّاجتي، تجده ذكرها له ذاكر، فبعث إليّ فيها. فلما مضى بي الرسول انتهيت إلى الباب، وأنا متخن، فدخلت، فسلمت، فردّ عليّ السلام، ونظر إلى تعيّر وجهي، فقال لي: أسكن، فسكنت، فقال لي:

غنّ صوتا (2) وقال لي: أتدري لمن هو؟ فقلت: أسمع، ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله ذلك، فأمر جارية من وراء الستارة، فغنّته و ضربت، فإذا هي قد شبّهته بالغناء القديم، فقلت: زدني معها عودا آخر، فإنه أثبت لي، فزادني عودا آخر، /فقلت: هذا الصوت محدث لامرأة ضاربة، قال: من أين قلت ذلك؟ قلت: لما سمعت لينة

1- الصنّاجة: آلة موسيقية ذات أوتار.

2- ف، مم: «فسألني عن صوت».

عرفت أنه محدث من غناء النساء، ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أنّ صاحبته ضاربة، وقد حفظت مقاطعه وأجزاءه، ثم طلبت عودا آخر، فلم أشكّ، فقال: صدقت، الغناء لعريب.

قال ابن المعتز: وقال يحيى بن عليّ (1):

أمرني المعتمد على الله أن أجمع غناءها الذي صنعه، فأخذت منها دفاترها و صحفها التي كانت قد جمعت فيها غناءها فكتبته فكان ألف صوت.

أصواتها كما وكيفا:

وأخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خرداذبه:

أنه سأل عريب عن صنعتها، فقالت: قد بلغت إلى هذا الوقت ألف صوت.

وحدثني محمد بن إبراهيم قريظ (2) أنه جمع غناءها من ديواني ابن المعتز، وأبي العبيس بن حمدون، وما أخذه عن بدعة جارتها التي أعطها إياها بنو هاشم، فقابل بعضه ببعض، فكان ألفا ومائة وخمسة وعشرين صوتا.

وذكر العتّابي أنّ أحمد بن يحيى حدثه: قال:

سمعت أبا عبد الله الهشاميّ يقول - وقد ذكرت صنعة عريب -: صنعتها مثل قول أبي دلف في خالد بن يزيد حيث يقول:

يا عين بكيّ خالدًا *** ألفا و يدعى واحدا

يريد أنّ غناءها ألف صوت في معنى واحد، فهي بمنزلة صوت واحد و حكى عنه أيضا هذه الحكاية ابن المعتز.

و هذا تحامل لا يحلّ (3)، و لعمرى إن في صنعتها لأشياء مرذولة لئنة، و ليس ذلك مما يضعها، و لا عري كبير أحد من المغنّين القدماء و المتأخرين من أن يكون صنعه النادر و المتوسّط سوى قوم معدودين مثل ابن محرز و معبد في القدماء، و مثل إسحاق و حده في المتأخرين، و قد عيب بمثل هذا ابن سريج في محله، فبلغه أن المغنين يقولون: إنما يغنى ابن سريج الأرمال و الخفاف، و غناؤه يصلح للأعراس و الولائم، فبلغه ذلك فتغنى بقوله:

لقد حبّبت نعم إلينا بوجهها *** مساكن (4) ما بين الوتائر فالنتع

ثم توفّي بعدها، و غناؤه يجري مجرى المعيب (5) عليه، و هذا إسحاق يقول في أبيه: - على عظيم محلّه في هذه الصناعة و ما كان إسحاق يشيد به من ذكره و تفضيله على ابن جامع و غيره - و لأبي ستمائة صوت، منها مائتان تشبّه فيها بالقديم، و أتى بها في نهاية من الجودة، و مائتان غناء وسط مثل أغاني سائر الناس، و مائتان فلسية (6) و ددت أنه

2-ب: «محمد بن القاسم قريظ».

3-ف، م: «لا يجمل».

4-ف: «منازل»، و الوتار: موقع بين مكة و الطائف، و البيت لعمر بن أبي ربيعة.

5-ف: «ثم توفي بعدها فجرى مجرى المعتب عليه».

6-ف، م: «فلسية» و لعله يقصد أنها تافهة، فينسبها إلى الفلاس المقابل للدرهم و الدينار.

لم يظهرها و ينسبها لنفسه، فأسترها عليه، فإذا كان هذا قول إسحاق في أبيه فمن يعتذر بعده من أن يكون له جيّد ورديء، و ما عري أحد في صناعة من الصناعة من حال ينقصه عن الغاية، لأن الكمال شيء تفرّد الله العظيم به، و النقصان جبلة طبع بني آدم (1) عليها، و ليس ذلك إذا وجد في بعض أغاني عريب مما يدعو إلى إسقاط سائرهما، و يلزمه اسم الضّعف و اللّين، و حسب المحتجّ لها شهادة إسحاق بتفضيلها، و قلّما شهد/الأحد، أو سلم خلق - و إن تقدّم و أجمع على فضله - من شينه (2) إيّاه و طعنه عليه، لنفاسته في هذه الصناعة، و استصغاره أهلها، فقد تقدّم في أخباره مع علوية، و مخارق، و عمرو بن بانه، و سليم بن سلام، و حسين بن محرز، و من قبلهم/و من فوقهم مثل ابن جامع و إبراهيم بن المهديّ و تهجينه إياهم، و موافقته لهم على خطئهم فيما غنّوه و صنعوه مما يستغنى به عن الإعادة في هذا الموضوع، فإذا انضاف فعله هذا بهم، و تفضيله إياها، كان ذلك أدلّ على التحامل ممّن طعن عليها، و إبطاله فيما ذكرها به، و لقائل ذلك - و هو أبو عبد الله الهشامي - سبب كان يصطنعه عليها، فدعاه إلى ما قال، نذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى.

و مما يدلّ على إبطاله أنّ المأمون أراد أن يمتحن إسحاق في المعرفة بالغناء القديم و الحديث، فامتحنه بصوت من غنائها من صنعتها، فكاد يجوز عليه، لو لا - أنه أطال الفكر و التلّوم و استثبت، مع علمه بالمذاهب في الصنعة، و تقدّمه في معرفة النغم و عللها، و الإيقاعات و مجاريها.

و أخبرنا بذلك يحيى بن عليّ بن يحيى: قال: حدثني أبي عن إسحاق:

فأمّا السبب الذي كان من أجله يعاديهما الهشامي، فأخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الله بن طاهر قال: ذكر لأبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عمي أنّ الهشاميّ زعم أن أحسن صوت صنّعه عريب:

صاح قد لمت ظالما

و إن غناءها بمنزلة قول أبي دلف في خالد:

يا عين بكّي خالدا *** ألفا و يدعى واحدا

فقال: ليس الأمر كما ذكر، و لعريب صنعة فاضلة متقدّمة، و إنما قال هذا فيها/ظلما و حسدا، و غمطها ما تستحقّه من التّفضيل، بخبر لها معه طريف، فسألناه عنه، فقال: أخرجت الهشاميّ معي إلى سرّ من رأى، بعد وفاة أخي، يعني أبا محمد بن عبد الله بن طاهر، فأدخلته على المعتزّ، و هو يشرب، و عريب تغني، فقال له: يا بن هشام، غنّ، فقال: تبت من الغناء قتل سيّدي المتوكل، فقالت له عريب: قد و الله أحسنت حيث تبت، فإن غناءك كان قليل المعنى، لا متقن (3) و لا - صحيح و لا مطرب، فأضحكت أهل المجلس جميعا منه، فنجل؛ فكان بعد ذلك يبسط لسانه فيها، و يعيب صنّعتها، و يقول: هي ألف صوت في العدد، و صوت واحد في المعنى.

و ليس الأمر كما قاله، إن لها لصنعة تشبّعت فيها بصنعة الأوائل، و جودت، و برزت فيها، منها:

أإن سكنت نفسي و قلّ عويلها

و منها:

1- كذا في ب على أن فاعل طبع ضمير ذى الجلال، وفي ف، مم: «طبع بالبناء للمجهول».

2- مم: «تليه».

3- كان القياس لا متقنا، ولا صحيحا، ولا مطربا بالنصب، فلعل هنا مبتدأ مقدر «لا هو متقن...» إلخ.

تقول همّي يوم ودّعتها

و منها:

إذا أردت انتصافا كان ناصركم

و منها:

بأبي من هو دائي(1)

و منها:

أسلموها في دمشق كما

و منها:

فلا تتعتني ظلما و زورا(2)

و منها:

لقد لام ذا الشوق الخلي من الهوى(3)

و نسخت ما أذكره من أخبارها، فأنسبه إلى ابن المعتز من كتاب دفعه إليّ محمد بن إبراهيم الجراحيّ المعروف بقريظ، و أخبرني أن عبد الله بن المعتز دفعه إليه، من جمعه و تأليفه، فذكرت منها ما استحسنته من أحاديثها، إذا كان فيها حشو كثير، و أضفت إليه ما سمعته و وقع إليّ غير مسموع مجموعا و متفرقا، و نسبت كل رواية إلى راويها.

برمكية النسب:

إشارة

قال ابن المعتز: حدّثني الهشاميّ أبو عبد الله و أخبرني علي بن عبد العزيز، عن ابن خرداذبه قال:

كانت عريب لعبد الله بن إسماعيل صاحب مراكب الرّشيد، و هو الذي ربّأها، و أدبها، و علّمها الغناء.

قال ابن المعتز: و حدّثني غير الهشاميّ، عن إسماعيل بن الحسين خال المعتصم: أنها بنت جعفر بن يحيى، و أنّ البرامكة لما انتهبوا سرقت و هي صغيرة.

قال: فحدّثني عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب: قال:

حدّثني /من أثق به، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي: أنّ أمّ عريب كانت تسمّى فاطمة، و كانت قيّمة لأم عبد الله بن يحيى بن

خالد، و كانت صبيّة نظيفة، فرآها جعفر بن يحيى، فهويها، وسأل أم عبد الله أن تزوجه إيها، ففعلت، و بلغ الخبر يحيى بن خالد، فأنكره؛ و قال له: أتتزوج من لا تعرف لها أم و لا أب؟ اشتر مكانها مائة(4) جارية و أخرجها، فأخرجها، و أسكنها دارا في ناحية باب الأنبار سرّا من أبيه. و وُكّل بها من يحفظها، و كان يتردّد إليها، فولدت عريب في سنة/إحدى و ثمانين و مائة، فكانت سنوها إلى أن ماتت سنا و تسعين سنة، قال:

و ماتت أم عريب في حياة جعفر، فدفعها إلى امرأة نصرانية، و جعلها داية لها، فلما حدثت الحادثة بالبرامكة باعتها

ص: 43

1-ب: «دان» بدل: «دائي».

2-ساقطة من ب، و هي في مم، ف.

3-ب، س، مم: «لقد نام ذو الشوق القديم من الهوى».

4-ف: «ألف جارية».

من سننيس النّحاس، فباعها من المراكبي.

قال ابن المعتز: وأخبرني يوسف بن يعقوب:

إنه سمع الفضل بن مروان يقول: كنت إذا نظرت إلى قدمي عريب شبّهتهما بقدمي جعفر بن يحيى، قال:

وسمعت من يحيى أن بلاغتها في كتبها ذكرت لبعض الكتّاب فقال: فما يمنعها من ذلك و هي بنت جعفر بن يحيى؟.

و أخبرني جحظة قال: دخلت إلى عريب مع شروين المغني وأبي العيس بن حمدون، وأنا يومئذ غلام عليّ قباء و منطقة، فأنكرتني و سألت عنيّ، فأخبرها شروين، و قال: هذا فتى من أهلك، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد، و هو يغني بالطنبور، فأدنتني، و قرّبت مجلسي، و دعت بطنبور، و أمرتني بأن أغنيّ فغنيّت أصواتا، فقالت: قد أحسنت يا بنيّ و لتكوننّ مغنّيا، و لكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت و طنبورك بين عوديهما، و أمرت لي بخمسين ديناراً.

قال ابن المعتز: و حدّثني ميمون بن هارون: قال:

حدّثتني عريب قالت: بعث الرشيد إلى أهلها(1) - تعني البرامكة - رسولا يسألهم عن حالهم، و أمره ألاّ يعلمهم أنه من قبله، قالت: فصار إلى عمي الفضل، فسأله، فأنشأ عمي يقول:

صوت

سألونا عن حالنا كيف أنتم *** من هوى نجمه فكيف يكون؟

نحن قوم أصابنا عنث الدّهر *** فظلنا لريبه نستكين

/ذكرت عريب أنّ هذا الشعر للفضل بن يحيى، و لها فيه لحنان: ثاني ثقيل و خفيف ثقيل، كلاهما بالوسطى، و هذا غلط من عريب، و لعله بلغها أنّ الفضل تمثل بشعر غير هذا، فأنسيته و جعلت هذا مكانه.

فأمّا هذا الشعر فللحسين بن الضحّاك، لا يشكّ فيه، يرثي به محمدا الأمين بعد قوله:

نحن قوم أصابنا حادث *** الدّهر فظلنا لريبه نستكين

نتمنّى من الأمين إيابا *** كلّ يوم و أين ممّا الأمين؟

و هي قصيدة.

تعشق، و تهرب إلى معشوقها:

قال ابن المعتز: و حدّثني الهشامي:

إنّ مولاها خرج إلى البصرة، وأدبها وخرّجها وعلّمها الخطّ والنحو والشعر والغناء، فبرعت في ذلك كله، وتزايدت حتى قالت الشعر، و كان لمولاها صديق يقال له حاتم بن عديّ من قواد خراسان، وقيل: إنه كان يكتب/العجيف على ديوان الفرض، فكان مولاها يدعوها كثيرا، و يخالطه، ثم ركب دين فاستتر عنده، فمدّ عينه إلى عريب، فكاتبها، فأجابته، وكانت المواصلّة بينهما، وعشقتة عريب، فلم تزل تحتال حتى اتخذت سلّما من

ص: 44

1- ف، م: «أهلنا».

عقب(1)، وقيل: من خيوط غلاظ، و سترته، حتى إذا همّت بالهرب إليه بعد انتقاله عن منزل مولاها بمدة - وقد أعدّ لها موضعا - لفت ثيابها وجعلتها في فراشها بالليل، و دثرتها بدثارها، ثم تسوّرت من الحائط، حتى هربت، فمضت إليه، فمكثت عنده زمانا، قال: و بلغني أنها لما صارت عنده بعث إلى مولاها يستعير منه عودا تغّييه به، فأعاره عودها، و هو لا يعلم أنها عنده، و لا يتهمه بشيء من أمرها، فقال عيسى بن عبد الله بن إسماعيل المراكبي، و هو عيسى ابن زينب يهجو أباه و يعيّره بها، و كان كثيرا ما يهجو:

اقاتل الله عربيا *** فعلت فعلا عجيبا

ركبت و الليل داج *** مركبا صعبا مهوبا(2)

فارتقت متصلا بالنجم *** أو منه قريبا

صبرت حتى إذا ما *** أقصد النوم الرقبيا(3)

مثلت بين حشايا *** ها لكيلا تستريا(4)

خلفا منها إذا نو *** دي لم يلف مجيبا

و مضت يحملها الخو *** ف قضيبا و كثيبا

محة(5) لو حرّكت خفت *** عليها أن تذوبا

فتدلّت لمحبّ *** فتلقّاها حيبيا

جدلا قد نال في الدنيا *** من الدنيا نصيبا

أيها الظبي الذي تسحر *** عيناه القلوبا

و الذي يأكل بعضا *** بعضه حسنا و طيبا

كنت نهبا لذئاب *** فلقد أطعمت ذيبا

و كذا الشاة إذا لم *** يك راعيها ليبيا

لا يبالي وبأ المر *** عى إذا كان خصيبا(6)

فلقد أصبح عبد الله م *** كسخان حريبا(6)

اقد لعمرى لطم الوجه *** و قد شقّ الجيوبا

و جرت منه دموع *** بكت الشعر الخضبيا

-
- 1- العقب: العصب الذي تعمل منه الأوتار.
 - 2- ف، م: «المختار» «مهيبا» بدل «مهوبا» و كلاهما صحيح.
 - 3- أقصد النوم الرقيبا أي أصاب الرقيب سهم النوم.
 - 4- المراد: أنها مثلت في مخدع نومها شبعا يوهم أنه هي حتى لا تبعث الريبة.
 - 5- المحة: صفرة البيض، يشبهها بمح البيضة في اللين.
 - 6- الكشخان: الديوث، والحريب: المسلوب المال، وفي م: «كشخان مريبا»، وفي «المختار» «كشخانا حريبا».

أنّها ملّته بعد ذلك، فهربت منه، فكانت تغنيّ عند أقوام عرفتهم ببغداد، وهي متسترة متخفية، فلمّا كان يوم من الأيام اجتاز ابن أخ للمراكبي ببستان كانت فيه مع قوم تغنيّ، فسمع غناءها، فعرفه، فبعث إلى عمه من وقته، وأقام هو بمكانه، فلم يبرح حتى جاء عمّه، فلبّتها (1) وأخذها، فضربها مائة مقرعة، وهي تصيح: يا هذا لم تقتلني! أنا لست أصبر عليك، أنا امرأة حرّة إن كنت مملوكة فبعني، لست أصبر على الضديّة، فلما كان من غد ندم على فعله، وصار إليها فقبّل رأسها ورجلها، وهب لها عشرة آلاف درهم، ثم بلغ محمدا الأمين خبرها، فأخذها منه، قال: وكان خبرها سقط إلى محمد في حياة أبيه، فطلبها منه، فلم يجبه إلى ما سأل، وقبل ذلك ما كان طلب منه خادما عنده، فاضطغن لذلك عليه، فلما ولي الخلافة جاء المراكبيّ، ومحمد راكب، ليقبّل يده، فأمر بمنعه ودفعه، ففعل ذلك الشاكريّ، فضربه المراكبيّ وقال له: أتمنعي من يد سيدي أن أقبلها؟ فجاء الشاكريّ لمّا نزل محمد فشكاه، فدعا محمد بالمراكبيّ، وأمر بضرب عنقه، فسئل في أمره، فأعفاه، وحبسه، وطالبه بخمسمائة ألف درهم مما اقتطعه من نفقات الكراع، وبعث، فأخذ عريب من منزله مع خدم كانوا له، فلما قتل محمّد هربت إلى المراكبيّ، فكانت عنده، قال: وأنشدني بعض أصحابنا لحاتم بن عدّي الذي كانت عنده لمّا هربت إليه، ثم ملّته فهربت منه، وهي أبيات عدّة، هذان منها:

ورشوا على وجهي من الماء واندبوا *** قتيل عريب لا قتيل حروب

فليتك إن عجّلتنى فقتلتنى *** تكونين من بعد الممات نصيبي

قال ابن المعتزّ: وأما رواية إسماعيل بن الحسين، خال المعتصم فإنها تخالف هذا، وذكر أنّها إنما هربت من دار مولاها المراكبيّ إلى محمد بن حامد الخاقانيّ المعروف بالخشن، أحد قوَاد خراسان قال: وكان أشقر أصهب الشعر أزرق، وفيه تقول عريب - ولها فيه هزج و رمل من روايتي الهشامي وأبي العباس -:

بأبي كلّ أزرق *** أصهب اللون أشقر (2)

جنّ قلبي به ول *** يس جنوني بمنكر

تذكر ناسيا:

قال ابن المعتزّ: وحدثني ابن المدبرّ قال:

خرجت مع المأمون إلى أرض الروم، أطلب ما يطلبه الأحداث من الرزق، فكنا نسير مع العسكر، فلما خرجنا من الرقّة رأينا جماعة من الحرم في العماريّات على الجمّازات (3) وكنا رقيقة، وكنا أتربا، فقال لي أحدهم:

على بعض هذه الجمّازات عريب، فقلت: من يراهنني أمرّ في جنبات هذه العماريّات، وأنشد أبيات عيسى ابن زينب؟.

قاتل الله عريبا *** فعلت فعلا عجيبا

فراهنني بعضهم وعدل الرّهنان (4) وسرت إلى جانبها فأنشدت الأبيات رافعا صوتي بها، حتى أتممتها، فإذا أنا

1- لَبَّيْهَا: أخذ بتلابيها، وهي مجتمع ثيابها عند العنق، وفي مم: «فكبتها» بدل «لَبَّيْهَا».

2- ف: «بأبي كل أصهب أزرق العين أشقر».

3- ف: «رأينا جماعة من الخدم معهم جماعة الحرام». و العماريات: الهوادج، و الجمازات جمع جماز و توصف بها النياق السريعة.

4- عدل الرهنان: سوى بين المبلغين اللذين تراهن عليهما المتراهنان.

بامرأة قد أخرجت رأسها فقالت: يا فتى أنسيت (1) أجود الشعر و أطيبه؟ أنسيت قوله:

وعريب رطبة الشّف *** رين قد نيكث ضروبا(2)

/اذهب فخذ ما بايعت فيه، ثم ألقث السّجف، فعلمت أنها عريب، وبادرت إلى أصحابي خوفا من مكروه يلحقني من الخدم.

رقيب يحتاج إلى رقيب:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال: قال لنا عمر بن شبة:

كانت للمراكبيّ جارية يقال لها مظلومة، جميلة الوجه، بارعة الحسن، فكان يبعث بها مع عريب إلى الحمام، أو إلى من تزوره من أهله و معارفه، فكانت ربما دخلت معها إلى ابن حامد الذي كانت تميل إليه، فقال فيها بعض الشعراء وقد رآها عنده:

لقد ظلموك يا مظلوم لَمَّا *** أقاموك الرّقيب على عريب

/ولو أولوك إنصافا وعدلا *** لما أخلوك أنت من الرّقيب

أتهين المريب عن المعاصي *** فكيف وأنت من شأن المريب

و كيف يجانب الجاني ذنوبا *** لديك و أنت داعية الذّنوب

فإن يسترقبوك على عريب *** فما رقبوك من غيب القلوب(3)

وفي هذا المعنى، وإن لم يكن من جنس ما ذكرته ما أنشدني عليّ بن سليمان الأخفش في رقيقة مغنّية استحسنت و أظنه للتأشّي:

فديتك لو أنهم أنصفوا *** لقد منعوا العين عن ناظريك(4)

ألم يقرءوا ويحهم ما يرو *** ن من وحي طرفك في مقلتيك

وقد بعثوك رقبيا لنا *** فمن ذا يكون رقبيا عليك

تصدّين أعيننا عن سواك *** و هل تنظر العين إلا إليك

من بلاط الأمين إلى بلاط المأمون:

قال ابن المعتز: و حدثني عبد الواحد بن إبراهيم، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، و عن محمد بن إسحاق البغويّ، عن إسحاق بن إبراهيم:

أنّ خبر عريب لَمَّا نمي إلى محمد الأمين بعث في إحضارها و إحضار مولاها، فأحضرا، و غنّت بحضرة إبراهيم بن المهديّ تقول:

1- ولوقرئت (أنسيت) بالبناء للمجهول على أن الجملة خبرية لا إنشائية لكان ذلك حسنا.

2- المعروف: إن رطوبة الشفرين ليست من الصفات المستحسنة في المرأة، فلعل الشاعر يكنى بذلك عن استدامة غشيان الرجال لها بدليل تنمة البيت.

3- ف: «من ريب القلوب».

4- ف، «والمختار»: «فديتك لو أنهم أنصفوك لما منعوا العين عن ناظريك»

فطرب محمد، و استعاد الصوت مرارا، و قال لإبراهيم: يا عمّ كيف سمعت؟ قال: يا سيدي، سمعت حسنا، و إن تطاولت بها الأيام، و سكن روعها ازداد غناؤها حسنا، فقال للفضل بن الربيع: خذها إليك، و ساوم بها، ففعل، فاشتطّ مولاها في السّوم، ثم أوجبها له بمائة ألف دينار، و انتقض أمر محمّد، و شغل عنها، و شغلت عنه، فلم يأمر لمولاها بثمانها حتى قتل بعد أن أفتضّنها، فرجعت إلى مولاها، ثم هربت منه إلى حاتم بن عديّ، و ذكر باقي الخبر كما ذكره من تقدم.

و قال في خبره: إنها هربت من مولاها إلى ابن حامد(1)، فلم تزل عنده حتى قدم المأمون بغداد، فتظلم إليه المراكبيّ من محمد بن حامد(2)، فأمر بإحضاره فأحضر، فسأله عنها فأنكر، فقال له المأمون: كذبت قد سقط إليّ خبرها. و أمر صاحب الشرطة أن يجرده في مجلس الشرطة، و يضع عليه السّياط حتى يردها، فأخذه، و بلغها الخبر فركبت حمار مكار، و جاءت و قد جرّد ليضرب، و هي مكشوفة الوجه، و هي تصيح: أنا عريب، إن كنت مملوكة فليبعني، و إن كنت حرّة فلا سبيل له عليّ، فرفع خبرها إلى المأمون، فأمر بتعديلها(3) عند قتيبة بن زياد القاضي، فعُدلت عنده، و تقدّم إليه المراكبيّ مطالبا بها، فسأله البيّنة على ملكه إياها، فعاد متظلّما إلى المأمون، و قال: قد طولبت بما لم يطالب به أحد في رقيق، و لا يوجد مثله في يد من ابتاع عبدا أو أمة.

و تظلمت إليه زبيدة، و قالت: من أغلظ ما جرى عليّ بعد قتل محمد ابني هجوم المراكبيّ على داري و أخذه عريبا منها. فقال المراكبيّ: إنما أخذت ملكي، لأنّه لم يتقدني الثمن، فأمر المأمون بدفعها إلى محمد بن عمر الواقديّ - و كان قد ولّاه القضاء بالجانب الشرقيّ - فأخذها من قتيبة بن زياد، فأمر ببيعها ساذجة، فاشتراها المأمون بخمسين ألف درهم، فذهبت به كلّ مذهب ميلا إليها و محبّة لها.

قال ابن المعتز: و لقد حدثني علي بن يحيى المنجم أن المأمون قبّل في بعض الأيام رجلها، قال: فلما مات المأمون بيعت في ميراثه، و لم يبع له عبد و لا أمة غيرها، فاشتراها المعتصم بمائة ألف درهم، و أعتقها، فهي مولاته.

و ذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّها لمّا هربت من دار محمد حين قتل تدلّت من قصر الخلد بحبل إلى الطريق، و هربت إلى حاتم بن عديّ.

و أخبرني جحظة، عن ميمون بن هارون:

أنّ المأمون اشتراها بخمسة آلاف دينار، و دعا بعبد الله بن إسماعيل، فدفعها إليه و قال: لو لا أنّي حلفت ألاّ أشتري مملوكا بأكثر من هذا لذتلك، و لكنني سأؤليك عملا - تكسب فيه أضعافا لهذا الثمن مضاعفة، و رمى إليه بخاتمين من ياقوت أحمر، قيمتها ألف دينار، و خلع خلعاً سنّيّة، فقال: يا سيدي، إنما ينتفع الأحياء بمثل هذا، و أما أنا فإنني ميّت لا محالة، لأن هذه الجارية كانت حياتي، و خرج عن حضرته، فاختلط و تغيّر عقله، و مات بعد أربعين يوما.

ص: 48

1- ف: «حاتم».

2- ف: «حاتم بن عدي».

3- عدل الشيء أو الحكم: أقامه و سواه. و تعديلها عند قتيبة بن زياد إقامة العدل في أمرها عنده.

قال ابن المعتز: فحدثني علي بن يحيى قال: حدثني كاتب الفضل بن مروان: قال:

حدثني إبراهيم بن رباح قال:

كنت أتولى نفقات المأمون، فوصف له إسحاق بن إبراهيم الموصلّي عريب، فأمره أن يشتريها، فاشتراها بمائة ألف درهم، فأمرني المأمون بحملها، وأن أحمل إلى إسحاق مائة ألف درهم أخرى. ففعلت ذلك، ولم أدر كيف/أثبتها، فحكيت في الديوان أن المائة الألف خرجت في ثمن جوهرة، والمائة الألف الأخرى خرجت لصانعتها ودلائلها، فجاء الفضل بن مروان إلى المأمون، وقد رأى ذلك، فأنكره، وسألني عنه، فقلت: نعم هو ما رأيت، فسأل المأمون عن ذلك، وقال: أوجب وهب لدلائل وصانع مائة ألف درهم، وغلظ القصة، فأنكرها المأمون، فدعاني، ودنوت إليه، وأخبرته أنه المال الذي خرج في ثمن عريب وصله إسحاق، وقلت: أيما أصوب يا أمير المؤمنين: ما فعلت أو أثبت في الديوان أنها خرجت في صلة مغرّ و ثمن مغنّية؟ فضحك المأمون وقال: الذي فعلت أصوب، ثم قال للفضل بن مروان: يا نبطي، لا تعترض على كاتبني هذا في شيء.

وقال ابن المكي: حدثني أبي عن تحرير الخادم: قال:

دخلت يوما قصر الحرم، فلمحت عريب جالسة(1) على كرسي ناشرة شعرها تغتسل، فسألت عنها، فقيل:

هذه عريب(2) دعا بها سيدها اليوم، فافتصّها.

قال ابن المعتز: فأخبرني ابن عبد الملك البصري:

أنّها لما صارت في دار المأمون احتالت حتى وصلت إلى محمد بن حامد، وكانت قد عشقته و كاتبتّه بصوت قائلته، ثم احتالت في الخروج إليه، وكانت تلقاه في الوقت بعد الوقت، حتى حبلت منه وولدت بنتا، وبلغ ذلك المأمون فزوجه إياها.

وأخبرنا إبراهيم بن القاسم بن زرور، عن أبيه، وحدثني به المظفر بن كيغلب عن القاسم بن زرور، قال:

لما وقف المأمون على خبرها مع محمد بن حامد أمر بالباسها جبّة صوف و ختم زيقها(3) و حبسها في كنيف مظلم شهرا لا ترى الضوء، يدخل إليها خبز و ملح و ماء من تحت الباب/في كل يوم، ثم ذكرها، فرق لها، و أمر بإخراجها، فلما فتح الباب عنها، و أخرجت لم تتكلم بكلمة حتى اندفعت تغني:

/حجبه عن بصري فمئل شخصه*** في القلب فهو محجّب لا يحجب

فبلغ ذلك المأمون، فعجب منها، وقال: لن تصلح هذه أبدا، فزوجه إياه.

نسبة هذا الصوت

صوت

لو كان يقدر أن يبثك ما به*** لرأيت أحسن عاتب يتعّب

حجبوه عن بصري فمثّل شخصه *** في القلب فهو محجب لا يحجب

ص: 49

1- التكملة من: مم، ف.

2- التكملة من: مم، ف.

3- زيق القميص ونحوه: ما أحاط بالعنق منه.

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى.

رقعة منها في تركه:

إشارة

قال ابن المعتز: وحدثني لؤلؤ صديق علي بن يحيى المنجم: قال: حدثني أحمد بن جعفر بن حامد: قال:

لما توفي عمي محمد بن حامد صار جدّي إلى منزله، فنظر إلى تركته، وجعل يقلّب ما خلف، ويخرج إليه منها الشيء بعد الشيء إلى أن أخرج إليه سفظ مختوم، ففصّ الخاتم، وجعل يفتحه، فإذا فيه رقاع عريب إليه، فجعل يتصفّحها ويتسم، فوقع في يده رقعة، فقرأها، ووضعها من يده وقام لحاجة، فقرأتها فإذا فيها قوله:

صوت

ويلي عليك و منكا *** أوقعت في الحق شكّا

زعمت أنّي خئون *** جورا عليّ وإفكا

إن كان ما قلت حقا *** أو كنت أزمعت تركا

فأبدل الله ما بي *** من ذلّة الحبّ نسكا

العريب في هذه الأبيات رمل و هزج، عن الهشاميّ والشعر لها.

تجيب على قبلة بطعنة:

قال ابن المعتز: وحدثني عبد الوهاب بن عيسى الخراسانيّ، عن يعقوب الرّخاميّ: قال:

كنا مع العباس بن المأمون بالرّقة و على شرطته هاشم - رجل من أهل خراسان - فخرج إليّ، وقال: يا أبا يوسف، ألقى إليك سرّاً لثقتي بك، وهو عندك أمانة، قلت: هاته، قال: كنت واقفا على رأس الأمين (1) و بي حرّ شديد، فخرجت عريب، فوقفتم معي، وهي تنظر في كتاب (2) فما ملكت نفسي أن أومأت بقبلة، فقالت: كحاشية البرد. فوالله ما أدري ما أردت، فقلت: قالت لك: طعنة.

قال: وكيف ذاك؟ قلت: أردت قول الشاعر:

رمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة *** كحاشية البرد اليمانيّ المسهم (3)

و حكى هذه القصة أحمد بن أبي طاهر، عن بشر بن زيد، عن عبد الله بن أيوب بن أبي شمير، أنهم كانوا عند المأمون و معهم محمد بن حامد، و عريب تغنيهم، فغنت تقول:

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة *** كحاشية البرد اليماني المسهم:

فقال لها المأمون: من أشار إليك بقبلة، فقلت له طعنة؟ فقالت له: يا سيدي، من يشير إليّ بقبلة من

ص: 50

1- ف: «الأمير».

2- ف: «و هو ينظر في كتاب».

3- الناب: الناقة المسنة، و المراد أن الطعنة كانت نافذة فأحدثت بالضرع ما يشبه النقش المسهم في البرود اليمانية، و يعتبر قولها: كحاشية البرد، من الكنايات الخفية، كأنها تقول لمن أوما إليها بالقبلة: رميت بمثل هذه الطعنة. يفهم من هذا أن قصة القبلة الأولى و ما لابسها من الطعنة المشار إليها في هذا البيت كانت قد شاعت و تدوولت حتى أوحى تكرار البيت أمام المأمون أن ثمة قبلة أخرى أوما بها مومئ إلى عريب، فوقف الغناء و جعل يتحرى مصدر هذه القبلة.

مجلسك؟ فقال: بحياتي عليك! قالت: محمد بن حامد، فسكت.

تعب أميراً و تزوج خادماً:

إشارة

قال ابن المعتز: وحدثني محمد بن موسى: قال:

اصطحب المأمون يوماً معه ندماءؤه، وفيهم محمد بن حامد و جماعة من المغنين، و عريب معه على مصلاًه، فأوماً محمد بن حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداء.

ارمى ضرع ناب فاستمرّ بطعنة *** كحاشية البرد اليمانيّ المسهّم

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد بأن تقول له: طعنة، فقال لها المأمون: أمسكي، فأمسكت، ثم أقبل على الندماء فقال: من فيكم أوماً إلى عريب بقبله؟ و الله لئن لم يصدقني لأضربنّ عنقه، فقام محمد، فقال: أنا يا أمير المؤمنين أومات إليها، و العفو أقرب للتقوى، فقال: قد عفوت.

فقال: كيف استدللّ أمير المؤمنين على ذلك؟ قال: ابتدأت صوتاً، و هي لا تغني ابتداء إلا لمعني، فعلمت أنها لم تبتدى بهذا الصوت إلا لشيء أومئ به إليها، و لم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماء بقبلة، فعلمت أنها أجابت بطعنة.

قال ابن المعتز: وحدثني عليّ بن الحسين:

أنّ عريب كانت تتعشق أبا عيسى بن الرشيد و روى غيره أنها كانت لا تضرب المثل إلا بحسن وجه أبي عيسى و حسن غنائها، و كانت تزعم أنها ما عشقت أحداً من بني هاشم و أصفته المحبّة من الخلفاء و أولادهم سواه.

قال ابن المعتز: وحدثني بعض جوارينا:

إنّ عريب كانت تتعشق صالحاً المنذريّ الخادم، و تزوّجته سرّاً، فوجّه به المتوكل إلى مكان بعيد في حاجة له، فقالت فيه شعراً، و صاغت لحنه في خفيف الثقليل و هو:

صوت

أمّا الحبيب فقد مضى *** بالرغم منّي لا الرضا

أخطأت في تركي لمن *** لم ألق منه معوضاً(1)

قال: فغنته يوماً بين يدي المتوكل، فاستعاده، و جعل جواريه يتغامزن و يضحكن، فأصغت إليهنّ سرّاً من المتوكل، فقالت: يا سحاقات، هذا خير من عملكنّ.

قال: وحدثت عن بعض جوارى المتوكل، أنها دخلت يوما على عريب، فقالت لها: تعالي ويحك إليّ، فجاءت. قال: فقالت: قبلي هذا الموضوع منّي فإنك تجدين ربح الجنة فأومأت إلى سالفتها(2)، ففعلت، ثم قالت لها: ما السبب في هذا؟ قالت: قبلي صالح المنذري في ذلك الموضوع.

ص: 51

-
- 1- ب، مم: «عوضا» والمثبت من ف، وهو أرجح؛ لأن البيتين من مجزوء الكامل لا مجزوء الرجز. وفي «المختار»: «لم ألف».
 - 2- السالفة: ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى نقرة الترقوة.

إشارة

قال ابن المعتز: وأخبرني أبو عبد الله الهشامي قال: حدثني حمدون بن إسماعيل، قال: حدثني محمد بن يحيى الوائقي، قال:

قال لي محمد بن حامد ليلة: أحب أن تفرغ لي مضربك، فإني أريد أن أجيئك، فأقيم عندك، ففعلت، ووافاني، فلما جلس جاءت عريب، فدخلت.

وقد حدثني به جحظة: قال: حدثني أبو عبد الله بن حمدون:

أن عريب زارت محمد بن حامد، وجلسا جميعا، فجعل يعاتبها، ويقول: فعلت كذا، وفعلت كذا، فقالت لي: يا محمد، هذا عندك رأي(1)؟ ثم أقبلت عليه، فقالت: يا عاجز خذ بنا فيما نحن فيه وفيما جئنا إليه.

/وقال جحظة في خبره:

اجعل سراويلي مخنقتي، وأصق خلخالتي بقرطي، فإذا كان غد فاكتب إليّ بعتابك في طومار حتى أكتب إليك بعذري في ثلاثة، ودع هذا الفضول، فقد قال الشاعر:

صوت

دعي عدّ الذنوب إذا التقينا *** تعالي لا أعدّ ولا تعدّي (2)

وتمام هذا قوله:

فأقسم لو هممت بمدّ شعري *** إلى نار الجحيم لقلت مدّي

الشعر للمؤمل: والغناء لعريب، خفيف رمل، وفيه لعلوية رمل بالبصر من رواية عمرو بن بانه:

مع ثمانية من الخلفاء:

أخبرني أبو يعقوب إسحاق بن الضحّاك بن الخصيب: قال:

حدثني أبو الحسن/علي بن محمد بن الفرات قال: كنت يوما عند أخي أبي العباس، وعنده عريب جالسة على دست مفرد لها، وجواربها يغتئين بين يدينا وخلف ستارتنا، فقلت لأخي - وقد جرى ذكر الخلفاء -: قالت لي عريب: ناكني منهم ثمانية ما اشتبهت منهم أحدا إلا المعتز، فإنه كان يشبه أبا عيسى بن الرشيد. قال ابن الفرات:

فأصغيت إلى بعض بني أخي، فقلت له: فكيف ترى شهوتها الساعة، فضحك و لمحتة، فقالت: أي شيء قلت؟ فجحدها. فقالت لجواربها: أمسكن، ففعلن، فقالت: هنّ حرائر لئن لم تخبراني بما قلتما لينصرفن جميعا، وهنّ حرائر(3). إن حردت من شيء جرى، ولو أنها تسفيل،

فصدقتهأ. فقالت: وأى شىء فى هذا؟ أما الشهوة فبحالها، و لكن الآلة قد بطلت(4) أو قالت: قد كلت، عودوا إلى ما كنتم فىه.

ص: 52

-
- 1- الجملة استفهامية حذف منها أداة الاستفهام، كأنها تقول له: أ توافق على أن هذا وقت عتاب.
 - 2- لا فى «لا أعد» نافية؛ لأن المرء لا ینهى نفسه؛ و لا الثانية ناهية بدلیل حذف النون.
 - 3- استئناف لكلام جدید، تبین فىه أنها لن تغضب مما یتسارون به فى شأنها مهما یكن.
 - 4- و لكن الآلة قد بطلت: تريد أن شبابها ولى.

وحدثني الحسن بن علي بن مودّة: قال: حدثني إبراهيم بن أبي العبيس: قال: حدثنا أبي: قال:

دخلنا على عريب يوما مسلّمين، فقالت: أقيموا اليوم عندي حتى أطعمكم لوزنيجة صنعتها بدعة بيدها من لوز رطب، و ما حضر من الوظيفة، و أغنيكم أنا و هي، قال: فقلت لها على شريطة، قالت: و ما هي؟ قلت: شيء أريد أن أسألك عنه منذ سنين، و أنا أهابك؟ قالت: ذاك لك، و أنا أقدم الجواب قبل أن تسأل، فقد علمت ما هو، فعجبت لها، و قلت: فقولي، فقالت: تريد أن تسألني عن شرطي أي شرط هو؟ فقلت: إي و الله ذاك الذي أردت.

قالت: شرطي أير صلب، و نكهة طيبة، فإن انضاف إلى ذلك حسن يوصف، و جمال يحمد فقد زاد قدره عندي، و إلا فهذان ما لا بدّ لي منهما.

تلقن حبيها درسا في كيف تكون الهدية:

وحدثني الحسن بن علي، عن محمد بن ذى السيفين إسحاق بن كنداجيق (1). عن أبيه: قال:

كانت عريب تولع بي و أنا حديث السن، فقالت لي يوما: يا إسحاق قد بلغني أنّ عندك دعوة فابعث إليّ نصيبي منها، قال: فاستأنفت طعاما كثيرا. و بعثت إليها منه شيئا كثيرا؛ فأقبل رسولي من عندها مسرعا. فقال لي:

لما بلغت إلى بابها، و عرفت خبري أمرت بالطعام فأذهب و قد وّجّهت إليك برسول. و هو معي، فتحيّرت و ظننت أنها قد استقصرت فعلي، فدخل الخادم و معه شيء مشدود في منديل و رقعة، فقرأتها، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا عجمي يا غبي، ظننت أنّي من الأتراك و خش (2) الجند، فبعثت إليّ بخبز و لحم و حلواء، الله المستعان عليك، يا فدتك نفسي، قد وّجّهت إليك زلّة (3) من حضرتي، فتعلم ذلك من الأخلاق و نحوه من الأفعال، و لا تستعمل أخلاق العامة، في ردّ الظرف. فيزداد العيب و العتب عليك إن شاء الله، فكشفت المنديل، فإذا طبق و مكبّه من ذهب منسوج على عمل الخلاف، و فيه زبدية فيها لقمتان من رقاق، و قد عصبت طرفيهما و فيها قطعتان من صدر درّاج مشوي و نقل و طلع (4) و ملح. و انصرف رسولها (5).

أيهما أغلى: الخلافة أم الخل الوفي؟

قال ابن المعتز: حدثني الهشامي أبو عبد الله. عن رجل ذكره، عن علوية قال:

أمرين المأمون و سائر المغنين في ليلة من الليالي أن نصير إليه بكرة ليصطحب، فغدونا و لقيني المراكبي مولى عريب، و هي يومئذ عنده، فقال لي: يا أيها الرجل الظالم المعتدي، أما ترقّ و لا ترحم و لا تستحي؟ عريب هائمة تحلم بك في النوم ثلاث مرات في كلّ ليلة، قال علوية: فقلت: أمّ الخلافة زانية (6). و مضيت معه، فحين/دخلت قلت: استوثق من الباب، فإني أعرف خلق الله بفضول البوابين و الحجاب، و إذا عريب جالسة على كرسيّ تطبخ،

- 2- الوخش: الردىء من كل شيء.
- 3- الزلة: ما يحمل إلى الصديق من مائدة صديقه.
- 4- الطلع: ثمر النخل أول ظهوره. وفي ف: «و طلع» و الطلح: الموز.
- 5- تشير هذه القصة و الرسالة التي بعثت بها عريب إلى أن هذا الطعام إنما يقدم للطعام، أما ما يقدم لمثلها فشيء فوق ذلك يعتمد على الكيف لا على الكم، وقد شفعت رأبها هذا بالنموذج الذي بعثت به إليه.
- 6- أم الخلافة زانية، يريد بهذه العبارة تنبيه عريب، و الاستخفاف بموعد الخليفة كائنة ما تكون النتيجة.

و بين يديها ثلاث قدور من دجاج، فلما رأته قامت تعانقني و تقبلني، ثم قالت: أيما أحب إليك أن تأكل من هذه القدور، أو تشتهي شيئاً يطبخ لك، فقلت: بل قدر من هذه تكفيننا، فغرفت قدرا منها، و جعلتها بيني و بينها، فأكلنا و دعونا(1) بالنيذ، فجلسنا نشرب حتى سكرنا، ثم قالت: يا أبا الحسن، صنعت البارحة صوتا في شعر لأبي العتاهية، فقلت: و ما هو؟ فقالت هو:

عذيري من الإنسان لا إن جفوته *** صفا لي و لا إن كنت طوع يديه(2)

و قالت لي: قد بقي فيه شيء، فلم نزل نرده أنا و هي حتى استوى، ثم جاء الحجاب/فكسروا باب المراكبي و استخرجوني، فدخلت على المأمون، فلما رأيته أقبلت أمشي إليه برقص و تصفيق، و أنا أغني الصوت، فسمع و سمع من عنده ما لم يعرفه و استظرفوه، و سألتني المأمون عن خبره، فشرحته له. فقال لي: ادن و رده، فردده عليه سبع مرات. فقال في آخر مرة: يا علوية. خذ الخلافة و اعطني هذا الصاحب.

نسبة هذا الصوت

صوت

عذيري من الإنسان لا إن جفوته *** صفا لي و لا إن كنت طوع يديه

و إنني لمشتاق إلى قرب صاحب *** يروق و يصفو إن كدرت عليه(3)

الشعر من الطويل و هو لأبي العتاهية، و الغناء لعريب، خفيف ثقيل أول بالوسطى، و نسبه عمرو بن بانه في هذه الطريقة و الأصبغ إلى علوية.

لما ذا غضب الواصل و المعتصم عليها:

قال ابن المعتز: و حدثني القاسم بن زرور: قال: حدثني عريب قالت: كنت في أيام محمد(4) ابنة أربع عشرة سنة، و أنا حينئذ أصوغ الغناء.

قال القاسم: و كانت عريب تكايد الواصل فيما يصوغه من الألحان و تصوغ في ذلك الشعر بعينه لحننا أجود من لحنه، فمن ذلك:

لم آت عامدة ذنبا إليك بلى *** أقر بالذنب فاعف اليوم عن زللي

لحنها فيه خفيف ثقيل، و لحن الواصل رمل، و لحنها أجود من لحنه، و منها:

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد *** حسبي بربي و لا أشكو إلى أحد

لحنها و لحن الواصل جميعا من الثقيل الأول، و لحنها أجود من لحنه.

ص: 54

2- ف: «ولا إن صرت» بدل: «ولا إن كنت».

3- ف: «وإني لمشتاق إلى ظل صاحب يرق و يصفو أن كدرت عليه

4- تقصد محمدا الأمين.

صوت

لم آت عامدة ذنبا إليك بلى *** أقر بالذنب فاعف اليوم عن زلي

فالصّبح من سيّد أولى لمعتذر *** وراك ربك يوم الخوف والوجل

الغناء للوائح رمل، و لعريب خفيف ثقيل و ذكر ذكاء وجه الرزة أن لطالب بن يزداد فيه هزجا/مطلقا.

صوت

أشكو إلى الله ما ألقى من الكمد *** حسبي بربي و لا أشكو إلى أحد

أين الزمان الذي قد كنت ناعمة *** في ظلّه بدتوي منك يا سندي

و أسأل الله يوما منك يفرحني *** فقد كحلت جفون العين بالسّهد

شوقا إليك و ما تدري بما لقيت *** نفسي عليك و ما بالقلب من كمد(1)

الغناء لعريب ثقيل أول بالوسطى، و للوائح ثقيل أول بالبنصر.

قال ابن المعتز: و كان سبب انحراف اللوائح عنها. و كياها إياه، و انحراف(2) المعتصم عنها أنه وجد لها كتابا إلى العباس بن المأمون ببلد الرّوم: اقتل أنت العليج ثم، حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا. تعنى اللوائح، و كان يسهر بالليل، و كان المعتصم استخلفه ببغداد.

نغضب على جارية مبتدلة:

قال: و حدثني أبو العبيس بن حمدون قال:

غضبت عريب على بعض جواربها المذكورات - و سمّاها لي - فجنّت إليها يوما. و سألتها أن تعفو عنها.

فقالت في بعض ما تقوله، مما تعتد به عليها من ذنوبها: يا أبا العبيس/إن كنت تشتهي أن ترى زناي و صفاقة وجهي و جراتي على كل عزيمة(3) أيام شبابي(4) فانظر إليها و اعرف أخبارها.

كانت تجيد ركوب الخيل:

قال ابن المعتز: و حدثني القاسم بن زرور قال: حدثني المعتمد، قال:

حدثني عريب أنها كانت في شبابها يقدّم إليها برذون. فتطفر عليه بلا ركاب.

تندمج في الصوت فلا تحس لدغ العقرب:

قال: وحدثني الأسدي: قال: حدثني صالح بن علي بن الرشيد المعروف بزعرانة: قال:

تمارى خالي أبو علي مع المأمون في صوت، فقال المأمون: أين عريب؟ فجاءت و هي محمومة، فسألها عن

ص: 55

-
- 1- البيت ساقط من ب. و التكملة من ف. مم.
 - 2- انحراف. بالكسر عطفًا على انحراف الأولى، أي و كان سبب انحراف المعتصم أنه... إلخ.
 - 3- التكملة من ف، مم.
 - 4- التكملة من ف، مم.

الصوت فقالت فيه بعلمها، فقال لها: غنيّة، فولّت لتجيء بعود، فقال لها: غنية بغير عود، فاعتمدت على الحائط للحمي و غنت، فأقبلت عقرب، فرأيتها قد لسعت يدها مرتين أو ثلاثا، فما نحت يدها، ولا سكتت. حتى فرغت من الصوت، ثم سقطت وقد غشي عليها.

غسالة رأسها تنقسمها جوارياها:

قال ابن المعتز: وحدثني أبو العباس بن الفرات: قال:

قالت لي تحفة جارية عريب: كانت عريب تجد في رأسها بردا، فكانت تغلّف شعرها مكان العلة (1) بستين مثقالا مسكا و عنبرا، و تغسله من جمعة إلى جمعة، فإذا غسلته أعادته، و تنقسم الجواريا غسالة رأسها بالقوارير و ما تسرحه منه بالميزان.

ترجل معارضة لصوت:

إشارة

حدثني أحمد بن جعفر جحظة، عن علي بن يحيى المنجم: قال:

دخلت يوما على عريب مسلّما عليها، فلما اطمانت جالسا هطلت السماء بمطر عظيم، فقالت: أقم عندي اليوم حتى أغتنيك أنا و جواريا، و ابعث إلي من أحببت من إخوانك، فأمرت بدواي فردت، و جلسنا نتحدّث، فسألتنني عن خبرنا بالأمس في مجلس الخليفة، و من كان يغنيها، و أي شيء استحسنا من الغناء، فأخبرتها أنّ صوت الخليفة كان لحنا صنعه بنان من الماخوري، فقالت: و ما هو؟ فأخبرتها أنه:

صوت

تجافي ثم تنطبق *** جفون حشوها الأرق

و ذى كلف بكى جزعا *** و سفر القوم منطلق

به قلق يململه *** و كان و ما به قلق

جوانحه على خطر *** بنار الشوق تحترق

فوجّهت رسولا إلى بنان، فحضر من وقته، و قد بلّته السماء، فأمرت بخلع فاخرة، فخلعت عليه، و قدّم له طعام فاخر، فأكل و جلس يشرب معنا، و سألته عن الصوت، فغناها إيّاه فأخذت دواة و رقعة و كتبت فيها:

أجاب الوابل الغدق *** و صاح التّرجس الغرق

و قد غنى بنان لنا: *** جفون حشوها الأرق

فهات الكأس مترعة *** كأنّ حبابها حدق

قال عليّ بن يحيى: فما شربنا بقيّة يومنا إلا على هذه الأبيات.

رموز برموز:

حدّثني محمد بن خلف بن المرزبان، عن عبد الله بن محمد المروزيّ: قال:

ص: 56

1- مم، ب: «الغسلة».

قال لي الفضل بن العباس بن المأمون: زارتنى عريب يوماً ومعها عدّة من جواربيها، فوافتننا ونحن على شرابنا، فتحدثنا ساعة. وسألته أن تقيم عندي، فأبت وقالت: دعاني جماعة من إخواني من أهل الأدب والطرف، وهم مجتمعون في جزيرة المؤيد، فيهم إبراهيم بن المدبر وسعيد بن حميد ويحيى بن عيسى بن منارة، وقد عزمت على المسير إليهم، فحلفت عليها. فأقامت عندنا، ودعت بدواة وقرطاس فكتبت:

بسم الله الرحمن الرحيم و كتبت بعد ذلك في سطر واحد ثلاثة أحرف متفرقة لم تزد عليها، وهي:

أردت، ولولا، ولعلي(1).

/ووجهت به إليهم، فلما وصلت الرقعة عيوا بجوابها، فأخذ إبراهيم بن المدبر الرقعة، فكتب تحت أردت:

ليت، وتحت لولا: ما ذا، وتحت لعللي: أرجو. ووجهوا بالرقعة فصفقت و نعت(2) وشربت رطلا وقالت لنا:

أترك هؤلاء وأعد عندكم؟ إذا تركني الله من يديه، و لكتي أخلف عندكم من جواربي من يكفيكم، وأقوم إليهم، ففعلت ذلك وخلفت عندنا بعض جواربيها، وأخذت معها بعضهن، وانصرفت.

لها حكم النظام:

أخبرنا محمد بن خلف، عن سعيد بن عثمان بن أبي العلاء، عن أبيه قال:

عتب المأمون على عريب، فهجرها أياما، ثم اعتلت فعادها، فقال لها: كيف وجدت طعم الهجر؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، لولا مرارة الهجر ما عرفت حلاوة الوصل، ومن ذم بدء الغضب أحمد عاقبة الرضا، قال: فخرج المأمون إلى جلسائه، فحدثهم بالقصة، ثم قال: أترى هذا لو كان من كلام النظام ألم يكن كبيرا(3)؟.

لا تريد دخيلا بينها، وبين المأمون:

حدثني محمد بن خلف، عن أبي العيناء، عن أحمد بن أبي داود: قال:

جرى بين عريب وبين المأمون كلام، فكلما المأمون بشيء غضبت منه، فهجرته. أياما، قال أحمد بن أبي داود: فدخلت على المأمون. فقال لي: يا أحمد، اقض بيننا، فقالت عريب: لا حاجة لي في قضائه ودخوله فيما بيننا، وأنشأت تقول:

وتخلط الهجر بالوصال لا *** يدخل في الصلح بيننا أحد

ما ذا كانت تفعل في خلوتها مع محمد بن حامد:

حدثني محمد بن خلف قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن، عن أحمد بن حمدون، عن أبيه، قال:

كنت حاضرا مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق، فقال لي المأمون: اركب الساعة فرس التوبة وسر إلى عسكر أبي إسحاق - يعني المعتصم - فأد إليه رسالتي في كيت وكيت، قال: فركبت/ولم تثبت مع شمعة، وسمعت وقع حافر دابة، فرهبت ذلك، وجعلت أتوقاه، حتى صك ركابي

-
- 1- لعل المراد برموزها: أردت الحضور إليكم، و لو لا أنهم منعوني ما تخلفت، و لعلني أستطيع الإفلات، و لعل المراد برموز بن المدبر: ليت ما أردته نفذ، و ما ذا عساهم يفعلون لو تركتهم، و أرجو تنفيذ ما رجوته.
 - 2- نعت نعيرا و نعارا: صاحت: و صوتت بخيشومها.
 - 3- ف: «كثيرا». و يريد بالنظام الفيلسوف المعروف عند علماء الكلام.

ركاب تلك الدّابة، و برقت بارقة فأضاءت وجه الراكب، فإذا عريب، فقلت: عريب؟ قالت: نعم، حمدون، قلت:

نعم. ثم قتل: من أين أقبلت (1) في هذا الوقت؟ قالت: من عند محمد بن حامد، قلت: و ما صنعت عنده؟ قالت عريب: (2) يا تكش، عريب (3) تجيء من عند محمد بن حامد في هذا الوقت خارجة من مضرب الخليفة و راجعة إليه، تقول لها: أي شيء عملت عنده؟ صلّيت معه التراويح؟! أو قرأت عليه أجزاء من القرآن، أو دارسته شيئا من الفقه، يا أحمق تعاتبنا، و تحادثنا، و اصطلحنا، و لعبنا، و شربنا، و غنينا، و تنايكننا، و انصرفنا، فأجبتني و غاظتني، و افترقنا، و مضيت فأديت الرسالة، ثم عدت إلى المأمون و أخذنا في الحديث و تناشد الأشعار، و هممت و الله أن أحدثه حديثها، ثم هبته فقلت: أقدم قبل ذلك تعريضا بشيء من الشعر، فأنشدته:

ألا حيّ أطلالا لواسعة الجبل (4) *** ألوف تسوى صالح القوم بالرّذل

فلو أن من أمسى بجانب تلعة *** إلى جبلي طي فساقتة الجبل

جلوس إلى أن يقصر الظلّ عندها *** لراحوا و كلّ القوم منها على وصل

فقال لي المأمون: اخفض صوتك لا تسمعك عريب فتغضب، و تظنّ أنّا في حديثها، فأمسكت عما أردت أن أخبره، و خار الله لي في ذلك.

تعشق و لا تعشق:

حدثني محمد بن أحمد الحكيمي: قال: أخبرني ميمون بن هارون، قال: قال لي/ابن اليزيدي:

حدثني أبي قال: خرجنا مع المأمون في خروجه إلى بلد الرّوم، فرأيت عريب في هودج، فلما رأته قالت لي: يا يزيد، أنشدني شعرا قلته حتى أصنع فيه لحنًا (5) فأنشدتها:

ما ذا بقلبي من دوام الخفق (6) *** إذا رأيت لمعان البرق

من قبل الأردنّ أو دمشق *** لأنّ من أهوى بذاك الأفق

فإن فيه و هو أعزّ الخلق *** عليّ و الزّور خلاف الحق (7)

ذاك الذي يملك منّي رقيّ *** و لست أبغي ما حييت عتقي

قال: فتنفّست تنفّسا ظننت أن ضلوعها قد تقصّفت منه، فقلت: هذا و الله تنفس عاشق، فقالت: اسكت يا عاجز (8) أنا أعشق، و الله لقد نظرت نظرة مربية في مجلس، فأدعاها من أهل المجلس عشرون رئيسا طريقا.

ص: 58

1- لفظ «أقبلت» من ف.

2- تكملة من ف، و لم نجد لتكش أصلا في العربية.

3- تكملة من ف، و لم نجد لتكش أصلا في العربية.

- 4- واسعة الحبل: كناية عن أنها لا ترد يد لاس، و الأبيات الثلاثة في وصف امرأة متهتكة غاية التهتك. و في «المختار»: «... لقاطعة الحبل... تساوي صالح القوم بالنذل».
- 5- ب: «أنشدني شعرا قلت حتى أسمع فيه لحنًا».
- 6- في «المختار»: «من أليم الخفق».
- 7- هذا البيت من «المختار».
- 8- ف: «يا عاضل» و المعضوض محذوف لمعرفته.

بيتا عباس بن الأحنف يصلحان بينها وبين حبيبها:

حدثني محمد بن خلف: قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر: قال: حدثني أحمد بن حمدون: قال:

وقع بين عريب وبين محمد بن حامد شرًّا، وكان يجد بها الوجد كلّهُ، فكادا يخرجان من شرّهما إلى القطيعة، وكان في قلبها منه أكثر مما في قلبه منها، فلقيته يوما، فقالت له: كيف قلبك يا محمد؟ قال: أشقى والله ما كان(1) وأقرحه، /فقالت له: استبدل تسلي(2)، فقال لها: لو كانت البلوى باختيار لفعلت: فقالت: لقد طال إذا تعبك، فقال: وما يكون؟ أصبر مكرها، أ ما سمعت قول العباس بن الأحنف.

تعب يطول(3) مع الرجاء بذي الهوى *** خير له من راحة في اليأس

لولا كرامتكم لما عاتبتمكم *** ولكنتم عندي كبعض الناس

/قال: فذرفت عيناها، واعتذرت إليه وأعتبته، واصطالحا، وعادا إلى أفضل ما كانا عليه.

اختلاف في فن عريب:

حدثني أحمد بن جعفر جحظة: قال: قال لي أبو العباس بن حمدون - وقد تجاذبنا(4) غناء عريب - ليس غناؤها مما يعتدّ بكثرتة، لأن سقطه كثير، وصنعتها ساذجة، فقلت له: ومن يعرف في الناس كلّهم من مغني الدولة العباسية سلمت صنعته كلّها حتى تكون مثله! ثم جعلت أعدّ ما أعرفه من جيّد صنعتها ومتقدّمها وهو يعترف بذلك، حتى عددت نحوًا من مائة صوت مثل لحنها في:

يا عزّ هل لك في شيخ فتى أبدا

و

سيسليك عما فات دولة مفضل

و

صاح قد لمت ظالما

و

ضحك الزمان وأشرقت

ونحو هذا، ثم قال لي: ما خلّفت عريب بعدها امرأة مثلها في الغناء والرّواية والصّناعة، فقلت له: لا، ولا كثيرا من الرجال أيضا.

قصة لحن في بيت يتيم:

ولعريب في صنعتها:

يا عزّ هل لك في شيخ فتى أبدا

/خبر أخبرني ببعضه أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن ميمون بن هارون.

وذكر ابن المعتز أن عبد الواحد بن إبراهيم بن الخصيب حدّثه عمّن يثق به، عن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل المراكبيّ: قال:

ص: 59

1- أشقى: مضافة إلى «ما»، والقسم فاصل بين المتضايقين، يريد أن يقول: قلبي أشقى ما كان وأفرحه والله.

2- ب: «استبدل بديلا».

3- ب: «يكون». وفي «المختار»: «لذي الهوى».

4- ب: «تجارينا».

قالت لي عريب: حج بي أبوك و كان مضعوفاً، فكان عديلي، و كنت في طريقي أطلب الأعراب فأستشدهم الأشعار، و أكتب عنهم النوادر و سائر ما أسمعه منهم، فوقف شيخ من الأعراب علينا يسأل، فاستشدته، فأشدني:

يا عزّ هل لك في شيخ فتى أبدا *** و قد يكون شباب غير فتیان

فاستحسنته، و لم أكن سمعته قبل ذلك، قلت: فأشدني باقي الشعر، فقال لي: هو يتيّم، فاستحسننت قوله و برّته، و حفظت البيت و غنّيت فيه صوتاً من الثقليل الأول، و مولاي لا يعلم بذلك لضعفه، فلمّا كان في ذلك اليوم عشياً قال لي: ما كان أحسن ذلك البيت الذي أنشدك إياه الأعرابي، و قال لك: إنه يتيّم. أنشدني إن كنت حفظته، فأشدته، إياه، و أعلمته أنني قد غنّيت فيه، ثم غنّيته له، فوهب لي ألف درهم بهذا السبب، و فرح بالصوت فرحاً شديداً.

قال ابن المعتز: قال ابن الخصيب:

فحدثني هذا المحدث أنه قد حضر بعد ذلك بمجلس أبي عيسى بن المتوكل - و من هاهنا تتصل رواية ابن عمّار، عن ميمون، و قد جمعت الرّوايتين إلا أن ميمون بن هارون ذكر أنهم كانوا عند جعفر بن المأمون، و عندهم أبو عيسى، و كان عندهم عليّ بن يحيى، و بدعة جارية عريب تغنيهم - فذكر عليّ بن يحيى أن الصّنعفة فيه لغير عريب، و ذكر أنها لا تدعى هذا و كابر فيه، فقام جعفر بن المأمون، فكتب رقعة إلى عريب - و نحن لا نعلم - يسألها عن أمر الصوت و أن تكتب إليه بالقصة، ففعلت، فكتبت إليه بخطها:

بسم الله الرحمن الرحيم.

هنيئاً لأرباب البيوت بيوتهم *** و للعزب المسكين ما يتلّمس

أنا المسكينة، و حيدة فريدة بغير مؤنس، و أنتم فيما أنتم فيه، و قد أخذتم أنسى و من كان يلهيني، تعني جاريتها: بدعة و تحفة - فأنتم في القصف و العزف، و أنا في خلاف ذلك، هناكم الله و أبقاكم (1)، و سألت - مدّ الله في عمرك - عما اعترض فيه فلان، و القصّة في هذا الصوت/كذا و كذا، و قصّت قصّتها مع الأعرابيّ كما حدّثت به، و لم تخرم حرفاً منها، فجاء الجواب إلى جعفر بن المأمون فقراه و ضحك. ثم رمى به إلى أبي عيسى، و رمى به أبو عيسى إليّ، و قال: اقرأه، و كان عليّ بن يحيى جالسا إلى جنبي، فأراد أن يستلب الرقعة، فمنعته، و قمت ناحية، فقراءتها: فأنكر ذلك، و قال: ما هذا؟ فورّينا الأمر عنه لئلا تقع عريضة، و كان - عفا الله عنا و عنه - مبغضاً لها.

تروي قصة غرامية عن أبي محلم:

قال ابن المعتز: و حدثني أبو الخطّاب العباس بن أحمد بن الفرات، قال: حدّثني أبي، قال:

كنا يوماً عند جعفر بن المأمون نشرب و عريب حاضرة إذا غنّى بعض من كان هناك:

يا بدر إنك قد كسيت مشابها *** من وجه ذلك المستنير اللّاتح

و أراك تمصّح (2) بالمحاق، و حسنها *** باق على الأيام ليس ببارح

فضحكت عريب و صبّقت و قالت: ما على وجه الأرض أحد يعرف خبر هذا الصّوت غيري، فلم يقدم أحد منا

1- ف: «وأمراكم».

2- مصحح يمصح مصوحا: ذهب وانقطع، والمراد هنا ذهاب الضوء، وفي ف: «تمسح»، وفي «المختار»: «تسمح بالمحاق».

على مسألتها عنه غيري، فسألتها، فقالت: أنا أخبركم بقصته، و لو لا أن صاحب القصّة قد مات لما أخبرتكم، إن أبا محمّلّم قدم بغداد، فنزل بقرب دار صالح المسكين في خان هناك، فأطلعت أمّ محمد(1) ابنة صالح يوماً، فرأته /يبول، فأعجبها متاعه(2). وأحبّت مواصلته، فجعلت لذلك علّة بأن وجّهت إليه تقترض منه مالا، وتعلمه أنّها في ضيقة وأنها تردّه إليه بعد جمعة، فبعث إليها عشرة آلاف درهم، وحلف أنّه لو ملك غيرها لبعث به، فاستحسنت ذلك وواصلته، وجعلت القرض سبباً للوصلة، فكانت تدخله إليها ليلاً، وكنت أنا أغتّي لهم، فشرنا ليلة في القمر، وجعل أبو محمّلّم ينظر إليه، ثم دعا بدواة ورقعة، وكتب فيها قوله:

يا بدر إنك قد كسيت مشابها *** من وجه أمّ محمد ابنة صالح

و البيت الآخر، وقال لي: غتّي فيه، ففعلت واستحسّناه وشرنا عليه، فقالت لي أمّ محمد في آخر المجلس:

يا أختي، قد تتبّلت(3) في هذا الشعر إلا أنّه سيبقى عليّ فضيحة آخر الدهر، فقال أبو محمّلّم: وأنا أغيّره، فجعل مكان أمّ محمد ابنة صالح، «ذاك المستنير اللائح». وغتّيته كما غيّره، وأخذته الناس عني، ولو كانت أمّ محمد حيّة لما أخبرتكم بالخبر.

فأما نسبة هذا الصوت

فإنّ الشعر لأبي محمّلّم التّسابة، والغناء لعريب ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى من رواية الهشاميّ وغيره، وأبو محمّلّم اسمه عوف بن محمّلّم.

تستزير حبيبها فيخشي على نفسه:

إشارة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، عن ميمون بن هارون: قال:

كُتبت عريب إلى محمد بن حامد - الذي كانت تهواه - تستزيره، فكتب إليها: إني أخاف على نفسي، فكتبت إليه.

صوت

إذا كنت تحذر ما تحذر *** وتزعم أنك لا تجسر

فما لي أقيم على صبوتي *** ويوم لقائك لا يقدر

فصار إليها من وقته.

لعريب في هذين البيتين وآخرين بعدهما لم يذكر في الخبر رمل، /ولشافية خفيف رمل، جمعا من رواية ابن المعتز، والبيتان الآخرا:

تبيّنت عذري وما تعذر *** وأبليت جسمي وما تشعر

1- ف: «أم صاخ» وهو تحريف بدليل ما جاء في النص الوارد في البيت الثاني.

2- متاعة: قبله.

3- ف: «يا بنتي إنك قد غنيت». وتنبلت: أظهرت مهارة وحقًا.

ألفت السّرور و خلّيتني(1) *** ودمعي من العين ما يفتر

و ذكر ميمون في هذا الخبر أن محمد بن حامد كتب إليها يعاتبها في شيء كرهه، فكتبت إليه تعتذر، فلم يقبل، فكتبت إليه بهذين البيتين الآخرين اللذين ذكرتهما بعد نسبة هذا الصوت.

صوت

أحببت من شعر بشار لحبكم *** بيتا، كلفت به من شعر بشار

يا رحمة الله حلّي في منازلنا(2) *** و جاورينا فدتك التّفس من جار

إذا ابتهلت سألت الله رحمته *** كنييت عنك و ما يعدوك إضماري

الشعر لأبي نواس منه البيت الأول، و الثاني لبشار ضمنه أبو نواس، و الغناء لعريب ثقييل أول بالبنصر، و لعمر و بن بانه في الثاني و الثالث رمل.

و هذا الشعر يقوله أبو نواس في رحمة بن نجاح عمّ نجاح بن سلمة الكاتب.

رحمة حبيبة بشار و رحمة حبيب أبي نواس:

أخبرني بخبره عليّ بن سليمان الأخفش، عن محمد بن يزيد النحويّ: قال:

كان بشار يشبب بامرأة يقال لها رحمة، و كان أبو نواس يتعشق غلاما اسمه رحمة بن نجاح، عمّ نجاح بن سلمة الكاتب، و كانت متقدما في جماله، و كان أبوه قد ألزمه و أخاه(3) رجلا مدنيا، و كان معهم كأحدهم، و أكثر أبو نواس التّشبيب برحمة في إقامته ببغداد و شخوصه عنها، و كان بشار قد قال في رحمة المرأة التي يهواها.

يا رحمة الله حلّي في منازلنا *** حسبي برائحة الفردوس من فيك

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر *** إلا شهادة أطراف المساويك

فقال أبو نواس، و ضمّن بيت بشار.

أحببت من شعر بشار لحبكم *** بيتا كلفت به من شعر بشار

الأبيات الثلاثة...

و قال فيه:

يا من تأهّب مزمعا لرواح *** متيمّما ببغداد غير ملاح

في بطن جارية كفتك بسيرها*** رملا وكلّ سباحة السّباح(4)

بنيت على قدر ولاءم بينها*** صنفان من قار و من ألواح

ص: 62

1- ف، م: «و خلفتني».

2- يريد بشار رحمة محبوبته كما يشير إلى ذلك البيت الثالث، وكما ورد في القصة، و المضمن - كما يدل سياق القصة أيضا - هو المصراع الأول من البيت الثاني، لا البيت كله.

3- أخاه معطوف على الهاء في ألزمه.

4- جارية: يقصد سفينة جارية، والرّمل: ضرب من السّير، وهو الهرولة، ويريد أن السفينة كفته مئونة السير على القدم واجتياز النهر سباحة.

و كأنها - و الماء ينضح صدرها *** و الخيزرانة(1) في يد الملاح -

جون(2) من الغربان يتندر الدّجى *** يهوي بصوت و اصطفاق جناح

سَلّم على شاطئ الصّراة(3) و أهلها *** و اخصص هناك مدينة الوضاح

او اقصد - هديت(4) - و لا تكن متحيراً *** في مقصد عن ظبي آل نجاح

عن رحمة الرحمن و اسأل من ترى *** سيماه سيما شارب للراح

فإذا دفعت إلى أغنّ و ألثغ *** و منعم و مكحل و رداح(5)

و كشمسنا و كبدرنا حاشى التي *** سميتها منه بنور أقاحي

افا قصد لوقت لقائه في خلوة *** لتبوح عني ثم كلّ مباح

و اخبر(6) بما أحببت عن حالي التي *** ممساي فيها واحد و صباحي

قال: فافتدى أبو رحمة من أبي نواس ذكر ابنه بأن عقد بينه و بينه حرمة، و دعاه إلى منزله، فجاءه أبو نواس و المديني لا يعرفه، فمأزحه مزاحاً أسرف عليه فيه، فقام إليه رحمة، فعرفه أنه أبو نواس، فأشفق المديني من ذلك، و خاف أن يهجوّه و يشهر اسمه، فسأل رحمة أن يكلمه في الصّفح له و الإغضاء عن الانتقام، فأجابّه أبو نواس و قال:

اذهب سلمت من الهجاء و لذعه *** و أما و لثغة رحمة بن نجاح

لو لا فتور في كلامك يشتهي *** و ترققي لك بعد و استملاحي

و تكسر في مقلتيك هو الذي *** عطف الفؤاد عليك بعد جماح

لعلمت أنك لا تمازح شاعرا *** في ساعة ليست بحين مزاح

مدخل إلى ترجمة معقل بن عيسى:

صوت

أ أبكاك بالعرف المنزل *** و ما أنت و الطلل المحول؟

و ما أنت و بك و رسم الديار *** و سنك قد قاربت تكمل؟

اعروضه من المتقارب، و الشعر للكميّ بن زيد الأسديّ، و الغناء لمعقل بن عيسى أخي أبي دلف العجليّ، و لحنه من الثقليل الأول بالنصر، و هذان البيتان من قصيدة مدح الكميّ بهما عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أمية.

- 1- الخيزرانة: مجداف السفينة.
- 2- جون: خير كآن، و الجون: الأبيض والأسود، والمراد به هنا الأسود.
- 3- الصّراة: نهر بالعراق، وفي ب، مم: «السّراة».
- 4- ف: «واقصد هناك».
- 5- الرداح: الثقل الأوراك.
- 6- وصلت همزة (أخبر) لضرورة الشعر.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني الحسن بن عليل العنزّي، عن عليّ بن هشام(1)، عن محمد بن عبد الأعلى بن كناسة: قال:

كان بين بني أسد وبين طيء بالحصّ - وهي قريبة من قادسيّة الكوفة - حرب، فاصطلحوا وبقي لطبيّ دماء رجلين، فاحتمل ذلك رجل من بني أسد، فمات قبل أن يؤدّيه، فاحتمله الكميت بن زيد، فأعانه فيه عبد الرحمن بن عنبسة، فمدحه بقوله:

أبكاك بالعرف المنزل *** وما أنت و الطلل المحول

فأعانه الحكم بن الصلت الثقفيّ، فمدحه بقصيدته التي أولها:

رأيت الغواني وحشا نفورا

وأعانه زياد بن المغفل الأسديّ، فمدحه بقصيدته التي أولها:

هل للشباب الذي قد فات من طلب؟

ثم جلس الكميت وقد خرج العطاء، فأقبل الرجل يعطي الكميت المائتين، والثلاث المائة، وأكثر وأقل، قال: وكانت دية الأعرابي حينئذ ألف بغير ودية الحضريّ عشرة آلاف درهم، وكانت قيمة الجمل عشرة دراهم، فأدى الكميت عشرين ألفاً عن قيمة ألفي بغير.

نسبة ما في أشعار الكميت هذه من الأغاني

صوت

منها:

هل للشباب الذي قد فات من طلب *** أم ليس غابره الماضي بمنقلب

ادع البكاء على ما فات من طلب *** فالدهر يأتي بألوان من العجب

غناه إبراهيم الموصليّ خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية إسحاق.

ص: 64

1- ف: «حدثنا أبو مسلم علي بن مسلم» بدل «عن علي بن هشام».

شاعر مغن:

إشارة

كان معقل بن عيسى فارسا شاعرا جوادا، مغنيا فهما بالتغمم والوتر، وذكره الجاحظ مع ذكر أخيه أبي دلف وتكريظه في المعرفة بالنغم، و قال: إنه من أحسن أهل زمانه وأجود طبقته صنعة؛ إذ سلم ذلك له أخوه معقل، وإنما أخمل ذكره ارتفاع شأن أخيه، وهو القائل لأبي دلف في عتب عتبه عليه:

أخي مالك ترميني فتقصدني *** وإن رميتك سهما لم يجز كبدي

أخي مالك مجبولا على ترتي *** كأن أجسادنا لم تغد(1) من جسد

وهو القائل لمخارق، وقد كان زار أبا دلف إلى الجبل، ثم رجع إلى العراق، أخبرني بذلك علي بن سليمان الأ-خفش عن أبي سعيد السكري:

صوت

لعمري لئن قرّت بقربك أعين *** لقد سخنت بالبين منك عيون

فسر أو أقم وقف عليك محبتي(2) *** مكانك من قلبي عليك مصون

فما أوحش(3) الدنيا إذا كنت نازحا *** وما أحسن الدنيا بحيث تكون

عروضه من الطويل، والشعر لمعقل بن عيسى، والغناء لمخارق، ولحنه من التثليل الأول بالوسطى، وفيه لحن لمعقل بن عيسى خفيف رمل، وفيه ثاني ثقيل يقال: إنه لمخارق، ويقال: إنه لمعقل.

أو من شعر معقل قوله يمتدح المعتصم، وفيه غناء للزبير بن دحمان من التثليل الأول بالبنصر:

صوت

الدار هاجك رسمها و طولها *** أم بين سعدى يوم جد رحيلها

كلّ شجاك فقل لعينك أعولي *** إن كان يغني في الديار عويلها

و محمد زين الخلائف والذي *** سنّ المكارم فاستبان سبيلها

1- ف: «لم تغد».

2- ف: «مودتي».

3- ف: «فما أفيح».

صوت

أليس إلى أجدال شمش إلى اللوى *** لوى الرمل يوما للنفوس معاد؟

بلاد بها كئا، و كنا من اهلها *** إذ الناس ناس و البلاد بلاد

الشعر لرجل من عاد فيما ذكروا، و الغناء لابن محرز، و لحنه من الثقل الأول بالبنصر عن ابن المكي، و قيل:

إنه من منحوله إليه:

خبر رجل من عاد:

إشارة

أخبرني ابن عمار (1) عن أبي سعد، عن محمد بن الصَّبَّاح: قال: حدثنا يحيى بن سلمة بن أبي الأشهب التيمي (2) عن الهيثم بن عدي: قال: أخبرني حماد الرواية: قال:

حدثني ابن أخت لنا من مراد: قال: و ليت صدقات قوم من العرب، فبينا أنا أقسمها في أهلها إذ قال لي رجل منهم: ألا أريك عجبا؟ قلت: بلى، فأدخلني في /شعب من جبل، فإذا أنا بسهم من سهام عاد، فتى قد نشب في ذروة الشعب و إذا على الجبل تجاهي مكتوب:

/ألا هل إلى آيات شمش إلى اللوى *** لوى الرمل يوما للنفوس معاد؟

بلاد بها كئا و كنا من أهلها *** إذ الناس ناس و البلاد بلاد

ثم أخرجني إلى ساحل البحر، و إذا أنا بحجر يعلوه الماء طورا، و يظهر تارة، و إذا عليه مكتوب: يا ابن آدم يا ابن عبد ربه، اتق الله، و لا تعجل في أمرك، فإنك لن تسبق رزقك، و لن ترزق ما ليس لك، و من البصرة إلى الدليل ستمائة فرسخ، فمن لم يصدق بذلك فليمش الطريق على الساحل حتى يتحققه، فإن لم يقدر على ذلك فلينطح برأسه هذا الحجر.

صوت

يا بيت عاتكة الذي أتعزل *** جذر العدا و به الفؤاد موكل

إني لأمنحك الصدود و إنني *** قسما إليك مع الصدود لأميل

أتعزله: أتجنبه و أكون بمعزل عنه. العدا: جمع عدو، و يقال عدا بالضم و عدا بالكسر، و أمنحك: أعطيك.

و المنيحة: العطية. و في الحديث أن رجلا منح بعض ولده شيئا من ماله، فقال له النبي صلى الله عليه و سلم: أكلّ ولدك منحت مثل هذا؟ قال: لا، قال: فارجه.

الشعر للأحوص بن محمد الأنصاري، من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز الغناء لمعبد ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر، عن إسحاق ويونس وغيرهما، وفيه لابن سريج خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن الهشامي وابن المكي وعلي بن يحيى.

ص: 66

1- ف: «أحمد بن عبيد الله بن عمّار».

2- ف: «التميمي».

الأحوص يعارض ابن أبي دبال أو يسرقه:

أخبرني بخبر الأحوص في هذا الشعر الحرمي عن الزبير (1) قال: حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي، وأخبرنا به الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن مصعب الزبيري، عن المؤملي، عن عمر بن أبي بكر الموصلي، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر: قال:

خرجت أنا و الأحوص بن محمد مع عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى الحج، فلما كنا بقديد قلنا لعبد الله بن الحسن: لو أرسلت إلى سليمان بن أبي دبال، فأنشدنا شيئاً من شعره، فأرسل إليه فأتانا، فاستشدها، فأنشدنا قصيدته التي يقول فيها:

يا بيت خنساء الذي أتجنّب *** ذهب الشباب وحبّها لا يذهب

أصبحت أمتحك الصدود (2) و إنني *** قسماً إليك مع الصدود لأجنب

ما لي أحنّ إلى جمالك قرّبت *** وأصدّ عنك و أنت منّي أقرب

لله درّك هل لديك معول *** لمتيمّ أم هل لودّك مطلب؟

فلقد رأيتك قبل ذلك و إنني *** لموكل بهواك أو متقرّب

إذ نحن في الزمن الرخيّ و أنتم *** متجاورون كلامكم لا يرقب

تبكي الحمامة شجوها فتهيجني *** و يروح عازب همّي المتأوب

و تهبّ جارية الرياح من ارضكم (3) *** فأرى البلاد لها تطلّ و تخصب

أو أرى السّمية باسمكم فيزيديني *** شوقاً إليك رجاؤك المتنسّب (4)

أو أرى العدو يودّكم فأودّه *** إن كان ينسب منك أو لا ينسب

و أخالف الواشين فيك تجملاً *** و هم عليّ ذو و ضغائن دؤب

ثم اتخذتهم عليّ وليجة (5) *** حتى غضبت و مثل ذلك يغضب

ص: 67

1- ف: «الحرمي بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكار».

2- ف: «إني لأمتحك الصدود»، و كاف الخطاب مكسورة على اعتبار أن المخاطب محبوبته الخنساء، أو مفتوحة على أن المخاطب بيتها و الأول أنسب.

3- وصل همزة أرض لضرورة الشعر.

4- هذا البيت تكملة من ف، وهو ساقط من باقي النسخ.

5- وليجة: أصدقاء وأعوان.

قال: فلما كان من قابل حجّ أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان، فقدم المدينة، فدخل عليه الأحوص، واستصحبه، فأصحبه، فلما خرج الأحوص قال له بعض من عنده: ما ذا تريد بنفسك؟ تقدم بالأحوص الشام، وبها من ينافسك من بني أبيك، وهو من الأفن والسّفه على ما قد علمت فيعيونك به. فلما رجع أبو بكر من الحج دخل عليه الأحوص متنجزاً لما وعده من الصحابة(1) فدعا له بمائة دينار و أثواب وقال: يا خال، إني نظرت فيما سألتني من الصحابة فكرهت(2) أن أهجم بك على أمير المؤمنين من غير إذنه، فيجبهك فيشمت بك عدوّي من أهل بيتي، ولكن خذ هذه الثياب والدنانير، وأنا مستأذن لك أمير المؤمنين، فإذا أذن لك كتبت إليك، فقدمت عليّ، فقال له الأحوص: لا ولكن قد سبعت(3) عندك، ولا حاجة لي بعطيتك، ثم خرج من عنده، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فأرسل إلى الأحوص وهو يومئذ أمير المدينة، فلما دخل عليه أعطاه مائة دينار، وكساه ثياباً فأخذ ذلك، ثم قال له:

يا أخي هب لي عرض أبي بكر، قال: هو لك، ثم خرج الأحوص، فقال في عروض قصيدة سليمان بن أبي دباكل قصيدة مدح بها عمر بن عبد العزيز.

/وقال حماد: قال أبي: سرق أبيات سليمان بأعيانها، فأدخلها في شعره، وغير قوافيها فقط، فقال:

يا بيت عاتكة الذي أتعرّّل *** حذر العدا وبه الفؤاد موكل

أصبحت أمنحك الصدود وإني *** قسما إليك مع الصدود لأميل

فصدت عنك و ما صدت لبغضة *** أخشى مقالة كاشح لا يعقل

هل عيشنا بك في زمانك راجع *** فلقد تفاحش(4) بعدك المتعلّل؟

إني إذا قلت استقام يحطّه *** حلف كما نظر الخلاف الأقبل(5)

لوالذي عالجت لين فؤاده *** فأبى يلان به للان الجندل(6)

وتجّبي بيت الحبيب أودّه *** أرضني البغيض به، حديث معضل

ولئن صدت لأنت لو لا رقبتني *** أهوى من اللائي أزور وأدخل

إنّ الشّباب وعيشنا اللذّ(7) الذي *** كتّأ به زما نسرّ ونجدل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره *** حزنا يعلّ به الفؤاد وينهل

إلاّ تذكّر ما مضى و صباية *** منيت لقلب متيمّ لا يذهل

أودى الشّباب وأخلقت لذّاته *** وأنا الحزين على الشّباب المعول

/يبكي لما قلب الزمان جديده *** خلّقا وليس على الزّمان معول(8)

- 1- التكملة من ف، مم. و جاء مكانها: «فقال له كرهت... إلخ» في النسخ الأخرى.
- 2- التكملة من ف، مم. و جاء مكانها: «فقال له كرهت... إلخ» في النسخ الأخرى.
- 3- سبع فلان فلانا: شتمه و وقع فيه، يريد: أنك تغيرت علي بسبب الوشاية.
- 4- ف: «تقاعس».
- 5- ب، س، مم: «بأبي إذا قلت... الأحول». القبل: الحول، أو إقبال نظر كل من العينين على الأخرى.
- 6- معنى البيت: لو أنني عالجت الجندل بما عالجت به فؤاده فلم يلن للآن الجندل، فهنا محذوف يفهم من سياق الكلام.
- 7- اللذ: اللذيد، و في ف: «كنا به زمنا نعل و نهل» و هي رواية مرجوحة لما جاء في البيت التالي.
- 8- قلب: بمعنى صبر، و خلقا مفعول ثان له.

و الرأس شامله البياض كأنه *** بعد السّواد به الثّغام المحجل (1)

و سفيهة هبّت عليّ بسحرة *** جهلا تلوم على الثّواء و تعذل (2)

فأجبتها أن قلت لست مطاعة *** فذري تنصّحك الذي لا يقبل

/إني كفاني أن أعالج رحلة *** عمر و نبوة من يضنّ و يينخل

بنوال ذي فجر تكون سجاله *** عمما إذا نزل الرّمان الممحل

ماض على حدث الأمور كأنه *** ذورونق (3) غضب جلاه الصّيقل

تبدي الرجال إذا بدا إعظامه *** حذر البغاث هوى لهنّ الأجدل (4)

فيرون أنّ له عليهم سورة *** و فضيلة سبقت له لا تجهل

متحمّل ثقل الأمور حوى له *** سبق المكارم سابق متمهّل

و له إذا نسبت قريش منهم *** مجد الأرومة و الفعال الأفضل

و له بمكة إذ أمية أهلها *** إرث إذا عدّ القديم مؤنّث

/أعيت قرابته و كان لزومه *** أمرا أبان رشاده من يعقل (5)

و سموت عن أخلاقهم فتركتهم *** لنداك إنّ الحازم المتحوّل

و لقد بدأت أريد ودّ معاشر *** و عدوا مواعد أخلفت إن حصّلوا

حتى إذا رجع اليقين مطامعي *** بأسا و أخلفني الذين أوّمل

زايلت ما صنعوا إليك برحلة *** عجلي و عندك عنهم متحوّل

و وعدتني في حاجة فصدقتني *** و وفيت إذ كذبوا الحديث و بدّلوا

و شكوت غرما فادحا فحملته *** عني و أنت لمثله متحمّل

فلاشكرنّ لك الذي أوليتني *** شكرا تحلّ به المطيّي و ترحل

مدحا تكون لكم غرائب شعرها *** مبدولة و لغيركم لا تبذل

فإذا تنحّلت القريض فإنّه *** لكم يكون خيار ما أنتحلّ

- 1- الثغام: نبت أبيض، ويقال: أنعم الرأس: صار كالثغام بياضا، والمحجل من الحجل، وهو البياض في رجل الفرس ونحوه، فهو صفة مؤكدة: وفي ب، مم: «المحول» بدل «المحجل» أي الثغام الذي مضى عليه الحول، والرواية الأولى أرجح، وفي ب «شاملة البياض» و قد رجحنا رواية ف، مم؛ لأن الرأس مذكر.
- 2- بسحرة إنها تعذلني وقت السحر، وفي ب «الثراء» بدل «الثواء» والمثبت من ف وهو أوفق لما في الأبيات التالية.
- 3- ذورونق: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: كأنه سيف ذورونق.
- 4- ف «الحمام» بدل «البغاث» والأجدل: الصقر. يريد أن الرجال يهابون عمر كما يهاب البغاث أو الحمام الصقر.
- 5- مو، ب، مم: «أعيت قرائنه وكان لزومه أثرا أبان وشاده من يعقل» والصواب ما أثبتناه، والمعنى عليه: أن الالتجاء إلى الممدوح أمر أشار به ذوو التجربة والخبرة.

إنّ امرأ قد نال منك قرابة *** يبغي منافع غيرها لمضلل

تعفوا إذا جهلوا بحلمك عنهم *** و تنيل إن طلبوا التّوال فتجزل

و تكون معقلهم إذا لم ينجهم *** من شرّ ما يخشون إلاّ المعقل (1)

حتى كأنك يتقى بك دونهم *** من أسد بيشة خادر متبسّل (2)

و أراك تفعل ما تقول و بعضهم *** مذاق (3) الحديث يقول ما لا يفعل

و أرى المدينة حين صرت أميرها *** أمن البريء بها و نام الأعزل

فقال عمر: ما أراك أعفيتني مما استعفيت منه، قال: لأنه مدح عمر و عرض بأخيه أبي بكر.

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

مالي (4) أحنّ إذا جمالك قرّبت *** و أصدّ عنك و أنت مّي أقرب؟

و أرى البلاد إذا حللت بغيرها *** و حشا و إن كانت تظّلّ و تخصب

يا بيت خنساء الذي أتجنّب *** ذهب الشباب و حبّها لا يذهب

تبكي الحمامة شجوها فتهيجني *** و يروح عازب همّي المتأوب

الشعر لسليمان بن أبي دباكل، و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو.

و قال ابن المكي: فيه خفيف ثقيل آخر لابن محرز، و أوله:

تبكي الحمامة شجوها فتهيجني

من هي عاتكة؟

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حماد: قرأت على أبي، و قال محمد بن كناسة: حدثني أبو دكين بن زكريا بن محمد بن عمار بن ياسر:

قال: رأيت عاتكة التي يقول فيها الأحوص:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

و هي عجوز كبيرة و قد جعلت بين عينيها هلالا من نيلج (5) تتملّح به.

أخبرني الحرمي عن الزبير، عن محمد بن محمد العمري: قال:

عاتكة التي يشبب بها الأحوص عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية.

ص: 70

1- مو: «من شر ما يخشى ونعم المعقل».

2- بيثة: مكان اشتهر بأسده، الخادر: الذي لزم عرينه، متبسل: عابس غضبا، أو شجاعة.

3- مذاق الحديث: مخلوطة غير خالصة، وأصله من مذاق اللبن: خلطه بالماء.

4- ف: «إني أحن».

5- النيلج: «دخان الشحم يعالج به الوشم ليخضر».

أخبرني الحرمي، عن الزبير، عن إسحاق بن عبد الملك:

إن الأحوص كان ليّنا، وأن عاتكة التي ينسب بها ليست عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية، وإنما هو رجل كان ينزل قري كانت بين الأشراف كنى عنه بعاتكة.

أخبرني الحرمي عن الزبير عن يعقوب بن حكيم: قال:

كان الأحوص ليّنا، وكان يلزم نازلا بالأشراف، فنهاه أخوه عن ذلك، فتركه فرقا من أخيه، وكان يمرّ قريبا من خيمة النازل بالأشراف ويقول:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل *** حذر العدا وبه الفؤاد موكل

يكنى عنه بعاتكة ولا يقدر أن يدخل عليه.

الفرزدق وكثير يزوران الأحوص:

أخبرني الحرمي، عن الزبير، عن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم: قال: حدثني عبد العزيز بن عمران: قال:

قدم الفرزدق المدينة، فقال لكثير؟ هل لك بنا في الأحوص نأتيه ونتحدث عنده؟ فقال له: وما نصنع به؟ إذا والله نجد عنده عبدا حالكا أسود حلوكا يؤثره علينا، وبيت مضاجعه ليلته حتى يصبح، قال الفرزدق: فقلت: إن هذا من عداوة الشعراء بعضهم لبعض، قال: فانهض بنا إليه إذا - لا - أب لغيرك - قال الفرزدق: فأردفت كثيرا ورائي على بغلتي، وقلت: تلقّف (1) يا أبا صخر، فمثلك لا يكون رديفا، فخمر رأسه و ألصق في وجهه، فجعلت لا - أجتاز بمجلس قوم إلا قالوا: من هذا وراءك يا أبا فراس؟ فأقول: جارية وهبها لي الأمير، فلما أكثرت عليه من ذلك، و اجتاز على بني زريق، وكان يبغضهم، فقلت لهم ما كنت أقول قبل ذلك، كشف عن رأسه وأومض (2) وقال:

كذب، ولكني كرهت أن أكون له رديفا (3) وكان حديثه لي معجبا (4)، فركبت وراه، ولم تكن لي دابة أركبها إلا دابته، فقالوا: لا تعجل يا أبا صخر، هاهنا دواب كثيرة تركب/منها ما أردت، فقال: دوابكم والله أبغض إلى من ردفه، فسكتوا عنه. وجعل يتغشّم (5) عليهم، حتى جاوز أبصارهم، فقلت: والله ما قالوا لك بأسا، فما الذي أغضبك عليهم؟ فقال: والله ما أعلم نفرا أشدّ تعصبا للقرشيين من نفر اجتزت بهم، قال: فقلت له: وما أنت - لا أم (6) لك ولقريش - قال: أنا والله أحدهم، قلت: إن كنت أحدهم فأنت والله دعيهم، قال: دعيتهم خير من صحيح نسب العرب، وإلا فأنا والله من أكرم بيوتهم، أنا أحد بني الصّلت بن النضر، قلت: إنما قریش ولد فهر بن مالك، فقال: كذبت. فقال: ما علمك يا بن الجعراء بقریش؟ هم بنو النضر بن كنانة، ألم تر إلى النبي صلى الله عليه وسلم انتسب إلى النضر بن كنانة، ولم يكن ليجاوز أكرم نسبه، قال: فخرجنا حتى أتينا الأحوص، فوجدناه في مشربة له، فقلنا له:

أنرقى إليك أم تنزل إلينا؟ قال: لا أقدر على ذلك، عندي أم جعفر، ولم أرها منذ أيام، ولي فيها شغل، فقال كثير:

ص: 71

1- يريد بتلفه أن يتنكر، حتى لا يعرفه الناس.

2- أومض: أشار إشارة خفيفة رمزا أو غمزا.

3- التكملة من مو، ف.

4- التكملة من مو، ف.

5- يتغثم: يتجنى.

6- ب، مو: مم: «لا أرض لك».

أم جعفر و الله بعض عبید الزّرائق(1) فقلنا له: فأنشدنا بعض ما أحدثت به، فأنشدنا قوله:

يا بيت عاتكة الذي أتعرّّل *** حذر العدا وبه الفؤاد موكل

حتى أتى على آخرها، فقلت لكثير: قاتله الله، ما أشعره، لو لا- ما أفسد به نفسه، قال: ليس هذا إفسادا، هذا خسف إلى التّخوم، فقلت: صدقت، وانصرفنا من عنده، فقال: أين تريد؟ فقلت: إن شئت فمنزلي، وأحملك على البغلة، وأهب لك المطرف، وإن شئت فمنزلك ولا أرزؤك شيئا، فقال: بل منزلي، وأبذل لك ما قدرت عليه، وانصرفنا إلى منزله، فجعل يحدثني وينشدني حتى جاءت الظّهر، فدعا لي بعشرين/دينارا وقال: استعن بهذه يا أبا فرس على مقدمك، قلت: هذا أشد من حملان بني زريق، قال: والله إنك ما تأنف من أخذ هذا من أحد، غير الخليفة، قال الفرزدق: فجعلت أقول في نفسي: تالله إنه لمن قريش، وهممت ألا أقبل منه. فدعتني نفسي - وهي طمعة - إلى أخذها منه، فأخذتها.

من هي الجعراء؟

معنى قول كثير للفرزدق: يا بن الجعراء: يعيره بدغة، وهي أم عمرو بن تميم، وبها يضرب المثل في حماقة، فيقال: هي أحرق من دغة، و كانت حاملا، فدخلت الخلاء، فولدت، وهي لا تعلم ما الولد، و خرجت و سلاها(2) بين رجلها، وقد استهل ولدها، فقالت: يا جارتا، أ يفتح الجعر فاه(3) فقالت جارتها: نعم يا حمقاء، و يدعو أباه، فبنو تميم يعيرون بذلك، و يقال للمنسوب منهم: يا بن الجعراء.

ملاحظة بينه و بين السري:

أخبرني الحرمي، عن الزبير قال: حدّثني سليمان بن داود المجمعّي: قال:

اجتاز السريّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويمر بن ساعدة الأنصاريّ بالأحوص و هو ينشد قوله:

يا بيت عاتكة الذي أتعرّّل

فقال السريّ:

يا بيت عاتكة المنوة باسمه *** اقعد على من تحت سقفك و اعجل

فوائبه الأحوص، و قال في ذلك:

فأنت و شتمي في أكاريس(4) مالك *** و سبّي به كالكلب إذ ينيح التّجما

/تداعى(5) إلى زيد و ما أنت منهم *** تحقّ أبا إلا الولاء و لا أما

و إنك لو عدّدت أحساب مالك *** و أيامها فيها و لم تنطق الرّجما

أعادتك عبدا أو تنقلت كاذبا(6) *** تلمس في حيّ سوى مالك جذما

- 1- الزرنوق: النهر الصغير، و تزرنق: استقى على الزرنوق بالأجرة، فالمراد بعبيد الزرانق الذين يكرون للسقي.
- 2- السلا: جلدة يكون فيها الولد من الناس والمواشي.
- 3- الجعر: ما يبس من العذرة.
- 4- الأكاريس: جمع أكراس، و أكراس جمع كرس بمعنى الجماعة، وفي مو: «وسبي له».
- 5- تداعى: مضارع حذف منه إحدى التاءين، وفي ف: «تدعى»، والمعنى على كليهما: تنسب إلى زيد ولست منهم.
- 6- ب: «أعادتك عبدا وانتقلت مكذبا».

و ما أنا بالمحسوس في جذم مالك *** ولا بالمسمّى ثم يلتزم الاسما
ولكن أبي لو قد سألت وجدته *** توسّط منها العزّ والحسب الضخما
فأجابه السريّ فقال:

سألت جميع هذا الخلق طرّاً *** متى كان الأحيوص من رجالي
وهي أبيات ليست بجيدة ولا مختارة، فألغيت ذكرها.

شعره يسعف دليل المنصور:

أخبرني محمد بن أحمد بن الطّلاس/أبو الطّيب، عن أحمد بن الحارث الخرزّ، عن المدائني، وأخبرني به الحرّميّ، عن الزبير: قال: حدثني
عمي - وقد جمعت روايتهما -.

أنّ المنصور أمر الربيع لما حجّ أن يسايره برجل (1) يعرف المدينة وأهلها وطرقها ودورها وحيطانها، فكان رجل من أهلها قد انقطع إلى
الربيع زمانا، وهو رجل من الأنصار، فقال له: تهياً فإني أظن جدك قد تحرّك، إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أسايره برجل يعرف المدينة و
أهلها وطرقها وحيطانها ودورها فتحسّس (2) موافقته ولا تبدئه بشيء حتى يسألك، ولا تكتمه شيئاً، ولا تسأله حاجة، فغدا عليه بالرجل،
وصلّى المنصور، فقال: يا ربيع، الرجل، فقال: ها هو ذا، فسار معه يخبره عما سأل حتى ندر (3) من أبيات المدينة، فأقبل عليه المنصور،
فقال:

من أنت أولاً؟ فقال: من لا- تبلغه/معرفتك - هكذا ذكر الخرزّ وليس في رواية الزبير - فقال: ما لك من الأهل والولد؟ فقال: والله ما
تزوجت، ولا- لي خادم، قال: فأين منزلك؟ قال: ليس لي منزل، قال: فإن أمير المؤمنين قد أمر لك بأربعة آلاف درهم، فرمى بنفسه فقبّل
رجله، فقال له: اركب، فركب، فلما أراد الانصراف قال للربيع: يا أبا الفضل، قد أمر لي أمير المؤمنين بصلة، قال: إيه، قال: إن رأيت أن
تنجّزها لي، قال: هيهات، قال: فأصنع ما ذا؟ قال: لا أدري والله - وفي رواية الخرزّ أنه قال: ما أمر لك بشيء، ولو أمر به لدعاني، فقال:
أعطه أو وقع إليّ - فقال الفتى: هذا همّ لم يكن في الحساب، فلبثت أياما، ثم قال المنصور للربيع: ما فعل الرجل؟ قال:

حاضر، قال: سايرنا به الغداة، ففعل، وقال له الربيع: إنه خارج بعد غد، فاحتل لنفسك، فإنه والله إن فاتك فإنه آخر العهد به، فسار معه،
فجعل لا- يمكنه شيء حتى انتهى إلى مسيره، ثم رجع وهو كالمعرض عنه، فلما خاف فوته أقبل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، هذا بيت
عاتكة، قال: وما بيت عاتكة؟ قال: الذي يقول فيه الأحوص.

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

قال: فمه، قال: إنه يقول فيها:

إنّ امرأ قد نال منك وسيلة *** يرجو منافع غيرها لمضللّ

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم *** مذاق الحديث يقول ما لا يفعل

فقال الزبير في خبره: فقال له: لقد رأيتك أذكرت بنفسك، يا سليمان بن مخلد، أعطه أربعة آلاف درهم، فأعطاه إياها، وقال الخراز في خبره: فضحك المنصور، وقال: قاتلك الله، ما أظرفك، يا ربيع أعطه ألف درهم،

ص: 73

1- مم، مو، ف: «أن يبغيه رجلا».

2- ف، م: «فتحر» بدل «فتحسس»، وفي ب: «فتحسن».

3- ندر: خرج.

فقال: يا أمير المؤمنين إنها كانت أربعة آلاف درهم، فقال: ألف يحصل خير من أربعة آلاف لا تحصل.

ابن المقفع يتمثل بمطلع لامبته:

وقال الخراز في خبره: حدثني المدائني: قال:

أخذ قوم من الزنادقة، وفيهم ابن لابن المقفع، فمرّ بهم على أصحاب المدائن، فلما رآهم ابن المقفع خشي أن يسلم عليهم فيؤخذ، فتمثّل:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل *** حذر العدا وبه الفؤاد موكل

الأيّات، ففطنوا لما أراد، فلم يسلموا عليه، و مضى.

هو و معبد يردان اعتبار جارية:

إشارة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن ابن شبة: قال:

بلغني أنّ يزيد بن عبد الملك كتب إلى عامله أن يجهز إليه الأحوص الشاعر و معبدا المغنيّ.

فأخبرنا محمد بن خلف وكيع: قال: حدثنا عبد الله بن شبيب: قال: /حدثني إسماعيل بن أبي أويس: قال:

حدثني أبي: قال: حدثنا سلمة بن صفوان الزرقى، عن الأحوص الشاعر - و ذكر إسماعيل بن سعيد(1) الدمشقي -:

أنّ الزبير بن بكار حدثه عن ابن أبي أويس، عن أبيه، عن مسلمة بن صفوان، عن الأحوص، و أخبرني به الحرمي، عن الزبير، عن عمه، عن جرير المدينيّ المغني، و أبو مسكين: قالوا جميعا:

كتب يزيد بن عبد الملك في خلافته إلى أمير المدينة - و هو عبد الواحد بن عبد الله النصريّ - أن يحمل إليه الأحوص الشاعر و معبدا المغني مولى ابن قطن قال: فجهّزنا و حملنا إليه، فلما نزلنا عمان أبصرنا غديرا و قصورا، فقعدنا على الغدير و تحدثنا و ذكرنا المدينة، فخرجت جارية من بعض تلك القصور، و معها جرة تريد أن تستقي فيها ماء، قال الأحوص: فتغنّت بمدحي في عمر بن عبد العزيز:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

فتغنّت بأحسن صوت ما سمعته قط، ثم طرّبت، فألقت الجرة فكسرتها، فقال معبد: غنائي و الله، و قلت:

شعري و الله، فوثبنا إليها، و قلنا لها: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لآل سعيد بن العاص - و في خبر جرير المغني: لآل الوليد بن عقبة - ثم اشتراني /رجل من آل الوحيد بخمسين ألف درهم، و شغف بي، فغلبته بنت عم له طرأت عليه، فتزوّجها على أمري، فعاقبت منزلتها منزلتي، ثم علا مكانها مكاني، فلم تردها الأيام إلا ارتفاعا، و لم تردني إلا اتضاعا، فلم ترض منه إلا بأن أخدمها، فوكلتني باستقاء الماء، فأنا على ما تريان، أخرج أستقي الماء، فإذا رأيت هذه القصور و الغدران ذكرت المدينة، فطربت إليها، فكسرت جرتي، فيعدلني أهلي، و يلوموني، قال:

فقلت لها: أنا الأحوص، والشعر لي، وهذا معبد، والغناء له، ونحن ماضيان إلى أمير المؤمنين، وسندكرك له أحسن ذكر. وقال جرير في خبره وواقفه وكيع، ورواية عمر بن شبة: قالوا: فأنشأت الجارية تقول:

إن تروني الغداة أسعى بجرّ *** أستقي الماء(2) نحو هذا الغدير

ص: 74

1- ف: «أحمد بن سعيد».

2- ف: أستقي فيه ماء».

فلقد كنت في رخاء من ال *** عيش وفي كل نعمة و سرور
ثم قد تبصران ما فيه أمس *** يت و ما ذا إليه صار مصيري
فإلى الله أشتكى ما ألقى *** من هوان و ما يجنّ ضميري
أبلغا عني الإمام و ما يع *** رف صدق الحديث غير الخبير(1)
أنني أضرب الخلائق بالعو *** د و أحكاهم بيمّ وزير(2)
فلعلّ الإله ينقذ مما *** أنا فيه فإنني كالأسير
ليتني متّ يوم فارقت أهلي *** و بلادي فزرت أهل القبور
فاسمعا ما أقول لقاكما *** الله نجاحا في أحسن التيسير
فقال الأحوص من وقته:

صوت

إنّ زين الغدير من كسر الجر *** و غنى غناء فحل مجيد
أقلت: من أنت يا ظعين فقالت: *** كنت فيما مضى لآل الوليد
و في رواية الدمشقي:
قلت: من أين يا خلوب فقالت: *** كنت فيما مضى لآل سعيد
ثم أصبحت بعد حيّ قريش *** في بني خالد لآل الوحيد
فغنائي لمعبد و نشيدي *** لفتى الناس الأحوص الصنديد
فتباكيت ثم قلت: أنا الأح *** وص و الشيخ معبد فأعيدي
فأعادت لنا بصوت شجيّ *** يترك الشيخ في الصبا كالوليد
و في رواية أبي زيد:
فأعادت فأحسنت ثم ولت *** تتهادى فقلت قول عميد

يعجز المال عن شركاء و لكن *** أنت في ذمّة الهمام يزيد(3)

و لك اليوم ذمتي بوفاء *** و على ذاك من عظام العهود

أن سيجري لك الحديث بصوت *** معبدي يردّ جبل الوريد(4)

يفعل الله ما يشاء فظنّي *** كلّ خير بنا هناك و زيدي

ص: 75

1- ف: «مثل الخبير».

2- مو: «بالعود وقد كنت في سرير الوزير» و البسم و الزير من آلات للطرب.

3- ف: «الإمام».

4- ب، مو: «يدر» بدل «يرد».

قالت القينة الكعاب:

إلى الله أموري *** وأرتجي تسديدي

غناه معبد ثاني ثقيل بالبصر من رواية حبش والهشامي وغيرهما، وهي طريقة هذا الصوت، وأهل العلم بالغناء لا يصححونه لمعبد.

قال الأحوص: وضع فيه معبد لحنا فأجاده، فلما قدمنا على يزيد قال: يا معبد أسمعني أحدث غناء غنيت وأطراه، فغناه معبد:

إن زين الغدير من كسر الجرّ *** وغنى غناء فحل مجيد

فقال يزيد: إن لهذا القصة فأخبرني بها، فأخبراه، فكتب لعامله بتلك الناحية: إن لآل فلان جارية، من حالها «ذيت وذيت»، فاشترها بما بلغت، فاشترها بمائة ألف درهم، وبعث بها هديّة، وبعث معها بألطف كثيرة، فلما قدمت على يزيد رأى فضلا بارعا فأعجب بها، و أجازها، وأخدمها، وأقطعها، وأفرد لها قصرا، قال: فوالله ما برحنا حتى جاءتنا منها جوائز وكسا وطرف.

يزيد بن عمر بن هبيرة يتمثل بشعره عند النكسة:

وقال الزبير في خبره عن عمّه: قال:

أظن القصة كلّها مصنوعة، وليس يشبه الشعر الأحوص، ولا هو من طرازه، وكذلك ذكر عمر بن شبة في خبره.

أخبرني الحرمي، عن الزبير قال:

سمعت هشام بن عبد الله بن عكرمة يحدث (1) عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: قال:

كنت مع يزيد بن عمر بن (2) هبيرة ليلة الفرات، فلما انهزم الناس التفت إليّ فقال: يا أبا الحارث، أمسينا والله وهم كما قال الأحوص:

أبكي لما قلب الزمان جديده *** خلقا وليس على الزمان معول

بيتان من شعره يؤذنان بزوال الدولة الأموية:

إشارة

أخبرني الحرمي عن الزبير عن محمد بن محمد العمري:

أن عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية رثيت في النوم قبل ظهور دولة بني العباس على بني أمية كأنها عريانة ناشرة شعرها تقول:

أين الشباب وعيشنا اللذ الذي *** كنا به زمنا نسرّ ونجدل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره *** حزنا يعلّ به الفؤاد وينهل

فتأول الناس ذلك بزوال دنيا بني أمية، فكان كما قالوا:

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الجمحي، عن شيخ من قريش:

ص: 76

1- التكملة من ف، مم، مو.

2- التكملة من ف، مم، مو.

أنه رأى في النوم امرأة من ولد عثمان بن عفان على منائم على دار عثمان المقبلة على المسجد، وهي حاسرة في يديها عود وهي تضرب به وتغني:

أين الشباب وعيشنا اللد الذي *** كنا به يوماً نسرّ ونجدل

ذهبت بشاشته وأصبح ذكره *** حزنا يعلّ به الفؤاد وبنهل [1]

قال: فما لبثنا إلا يسيرا حتى خرج الأمر عن أيديهم، وقتل مروان. [2] قال إسحاق: المنامة: الدكان وجمعها منائم [3].

صوت

يا هند إنك لو عل *** مت بعاذلين تتابعا

قالا فلم أسمع لما [4] *** قالوا وقلت بل اسمعا

هند أحب إلي من *** مالي وروحي فارجعا

ولقد عصيت عواذلي *** وأطعت قلبا موجعا

الشعر لعبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، والغناء لابن سريح، ولحنه فيه لحنان أحدهما من القدر الأوسط من الثقيل، الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والآخر رمل بالوسطى عن عمرو، وفيه خفيف ثقيل، ذكر أبو العبيس أنه لابن سريح وذكر الهشامي وابن المكي أنه للغريص، وذكر حبش أن لإبراهيم فيه رملا آخر بالبنصر، وقال أحمد بن عبيد: الذي صح فيه ثقيل الأول وخفيفه ورملة، وذكر إبراهيم أن فيه لحننا لابن عبّاد.

ص: 77

1- التكملة من هد، هج.

2- التكملة من ف.

3- التكملة من ف.

4- في «المختار»: «قالا فلم يسمع لما...».

9 - ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام و نسبه و أخباره و خبر هذا الشعر

نسبه:

عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - وقد مضى نسبه في أخباره عمّه الحسين صلوات الله عليه في شعره الذي يقول فيه:

لعمرك إنني لأحبّ داراً *** تحلّ بها سكينه و الرّباب

ويكنى عبد الله بن الحسن أبا محمد، وأمّ عبد الله بن الحسن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمّها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله، وأمّها الجرباء بنت قسامة بن رومان عن طيّء.

سميت جدته الجرباء لحسنها:

أخبرني أحمد بن سعيد: قال: حدثنا يحيى بن الحسن: قال:

إنما سمّيت الجرباء لحسنها، كانت لا تقف إلى جنبها امرأة، وإن كانت جميلة إلا استقيح منظرها لجمالها، وكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها، فشبهت بالتآفة الجرباء التي تتوقّأها الإبل مخافة أن تعديها.

وكانت أم إسحاق من أجمل نساء قريش وأسوئهن خلقاً، ويقال: إن نساء بني تيم كانت لهنّ حظوة عند أزواجهنّ على سوء أخلاقهنّ، و يروى أن أمّ إسحاق كانت ربّما حملت وولدت وهي لا تكلم زوجها.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن عمّه بذلك: قال:

وقد كانت أم إسحاق عند الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه قبل أخيه الحسين عليه السلام، فلما حضرته الوفاة دعا بالحسين صلوات الله عليه فقال له: يا أخي إني أرضى هذه المرأة لك، فلا تخرجنّ من بيوتكم، فإذا انقضت عدتها فتزوّجها. فلما توفّي الحسن عنها تزوجها الحسين عليه السلام، وقد كانت ولدت من الحسن عليه/السلام(1) ابنه طلحة بن الحسن، فهو أخو فاطمة لأمها(2) وابن عمها، و قد درج طلحة و لا عقب له.

جمال و سوء خلق:

و من طرائف أخبار التّيميّات من نساء قريش في حظوتهن و سوء أخلاقهن ما أخبرنا به الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله. قال:

كانت أمّ سلمة بنت محمد بن طلحة عند عبد الله بن الحسن(3) و كانت تقسو عليه قسوة عظيمة و تغلظ، له، و يفرق منها و لا يخالفها، فرأى يوماً منها طيب نفس، فأراد أن يشكو إليها قسوتها، فقال لها: يا بنت محمد، قد أحرق و الله قلبي... فحدّدت/له النّظر، و جمعت وجهها و قالت له: أحرق قلبك ما ذا؟ فخافها فلم يقدر على أن

1- التكملة من ف.

2- التكملة من ف.

3- ف: «موسى بن عبد الله بن الحسن».

يقول لها: سوء خلقك، فقال لها: حبّ أبي بكر الصّدّيق، فأمسكت عنه.

و تزوّج الحسن بن الحسن فاطمة بنت الحسين في حياة عمّه، وهو - عليه السلام - زوّجه إيّاها.

زواجه فاطمة بنت الحسين:

أخبرني الطّوسيّ و الحرّميّ، عن الزبير، عن عمه بذلك، و حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن إسماعيل بن يعقوب قال: حدثني جدّي عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن، قال:

خطب الحسن بن الحسن إلى عمه الحسين - صلوات الله عليه - و سأله أن يزوّجه إحدى ابنتيه، فقال له الحسين عليه السلام: اختر يا بنيّ أحبّهما إليك، فاستحيا الحسن، و لم يحر جوابا، فقال له الحسين عليه السلام:

فإني اخترت منهما لك ابنتي فاطمة، فهي أكثر شبها بأبي فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم.

أخبرني الطّوسيّ و الحرّميّ عن الزبير عن عمه مصعب:

إنّ الحسن لمّا خيّر عمّه اختار فاطمة، و كانوا يقولون: إنّ امرأة، سكينه مردودتها، لمنقطة القرين في الجمال.

أخبرني الطّوسيّ و الحرّميّ بن أبي العلاء، عن الزبير بن بكار، و أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، عن أحمد بن يحيى و أحمد بن زهير، عن الزبير، و أخبرني أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن الزبير بن بكار و اللفظ للحسن بن علي، و خبره أتمّ: قال: قال الزبير: حدثني عمي مصعب و لم يذكر أحدا.

ليس لمخضوب البنان يمين:

و أخبرني محمد بن يحيى عن أيوب، عن عمر بن أبي الموالي قال الزبير: و حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن يوسف بن الماجشون، و قد دخل حديث بعضهم في بعض حديث الآخرين:

أنّ الحسن بن الحسن لما حضرته الوفاة جزع، و جعل يقول: إني لأجد كربا ليس إلا هو كرب الموت، و أعاد ذلك دفعات، فقال له بعض أهله: ما هذا الجزع، تقدم على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و هو جدّك و على عليّ و الحسن و الحسين - صلوات الله عليهم - و هم أبأوك؟ فقال: لعمري إنّ الأمر لكذلك، و لكن كآني بعبد الله بن عمرو بن عثمان حين أموت و قد جاء في مضرّجتين (1) أو ممصّرتين و هو يرجّل جمّته يقول: أنا من بني عبد مناف جئت لأشهد ابن عمّي، و ما به إلا أن يخطب فاطمة بنت الحسين، فإذا جاء فلا يدخل عليّ، فصاحت فاطمة: أسمع؟ قال: نعم، قالت:

أعتقت كل مملوك لي، و تصدقت بكل ملك لي إن أنا تزوجت بعدك أحدا أبدا، قال: فسكن الحسن و ما تنفّس و لا تحرّك حتى قضى، فلما ارتفع الصّدّياح أقبل عبد الله على الصّفة التي ذكرها الحسن، فقال بعض القوم: ندخله. و قال بعضهم: لا يدخل، و قال قوم: لا يضّرّ دخوله، فدخل و فاطمة تصكّ و جھها، فأرسل إليها وصيفا كان معه، فجاء يتخطى التّاس حتى دنا منها فقال لها: يقول لك مولاي أبقى على وجهك فإن لنا فيه أربا، قال: /فأرسلت يدها في كمّها و اختمرت و عرف ذلك منها، فما لطمت وجهها حتى دفن صلوات الله عليه. فلما انقضت عدّتها خطبها فقالت: فكيف لي بنذري و يميني؟ فقال: نخلف عليك بكل عبد عبيد، و بكل شيء شيتين، ففعل و تزوجته، و قد قيل في

تزويجه إياها غير هذا.

ص: 79

1- ضرج الثوب: صبغه باللون الأحمر.

أخبرني به أحمد بن محمد بن إسماعيل الهمداني، عن يحيى بن الحسن العلوي، عن أخيه أبي جعفر، عن إسماعيل بن يعقوب، عن محمد بن عبد الله البكري:

أن فاطمة لما خطبها عبد الله أبت أن تتزوج، فحلفت عليها أمها لتتزوجته، وقامت في الشمس، وآلت لا تبرح حتى تتزوج، فكرهت فاطمة أن تخرج، فتزوجته.

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ أهله وسيدا من ساداتهم ومقدما فيهم فضلا وعلما وكرما، وحسه أبو جعفر المنصور في الهاشمية بالكوفة لما خرج عليه ابنه محمد وإبراهيم فمات في الحبس، وقيل: إنه سقط عليه، وقيل غير ذلك.

كان من أجمل الناس وأفضلهم:

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن بن علي بن أحمد الباهلي: قال: سمعت مصعبا الزبيري يقول:

انتهى كل حسن إلى عبد الله بن حسن، وكان يقال: من أحسن الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن، ويقال: من أفضل الناس؟ فيقال: عبد الله بن الحسن.

حدثني محمد بن الحسن الخثعمي الأشناني (1) والحسن بن علي السلولي قالا: حدثنا عبّاد بن يعقوب قال:

حدثنا تلميذ بن سليمان، قال: رأيت عبد الله بن الحسن، وسمعتة يقول: أنا أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدتني بنت (2) رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين.

/حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن، عن إسماعيل بن يعقوب، عن عبد الله بن موسى، قال:

أول من اجتمعت له ولادة الحسن عليه السلام والحسين - صلوات الله عليهما - عبد الله بن الحسن عليه السلام:

حدثني محمد بن الحسن الأشناني، عن عبد الله بن يعقوب، عن بندقة بن محمد بن جحادة الدهان قال:

رأيت عبد الله بن الحسن، فقلت: هذا والله سيد الناس، كان مكسوا نورا من قرنه إلى قدمه.

قال علي بن الحسين: وقد روي ذلك في أخبار أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، وأمّه أم عبد الله بنت الحسن بن علي عليه السلام.

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن، عن القاسم بن عبد الرزاق: قال:

جاء منظور بن زيّان الفزاري إلى حسن بن حسن - وهو جدّه أبو أمّه - فقال له: لعلك أحدثت بعدي أهلا، قال: نعم، تزوجت بنت عمّي الحسين بن علي - عليهما السلام - قال: بسما صنعت، أ ما علمت أن الأرحام إذا التقت أضوت (3)، كان ينبغي أن تتزوج في الغرب، قال: فإن الله جلّ وعزّ قد رزقني منها ولدا، قال: أرنيه، فأخرج

1-ب: «الأشناداني».

2-ف، مو، مم: «ولدني رسول الله»، أي أنه ينتسب إلى الرسول من جهتين.

3-مو: «إذا تشابكت أضوت». و أضوت: دقت و ضعفت.

إليه عبد الله بن الحسن فسّر به، وقال: أنجبت، هذا والله ليث غاب ومعدوّ عليه، قال: فإن الله تعالى قد رزقني منها ولدا ثانيا، قال: فأرنيه(1)، فأخرج إليه حسن بن حسن بن حسن، فسّر به، وقال: أنجبت، وهذا دون الأول، قال: فإن الله قد رزقني منها ولدا ثالثا، قال: فأرنيه(2). فأراه إبراهيم بن الحسن.

غمزة ترحى بها شفاعه:

حدثني أبو عبيد محمد بن أحمد الصيرفيّ: قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف قال:

حدثنا عمر بن عبد الغفار قال: حدثنا سعيد بن أبان القرشيّ قال:

كنت عند عمر بن عبد العزيز، فدخل عبد الله بن الحسن عليه، وهو يومئذ شاب في إزار ورداء، فرحّب به وأدناه وحيّاه، وأجلسه إلى جنبه وضاحكه، ثم غمز عكنة من بطنه، وليس في البيت حينئذ إلا أمويّ، فقبل له: ما حملك على غمز بطن هذا الفتى؟ قال: إني لأرجو بها(3) شفاعه محمد صلّى الله عليه وسلّم.

يعطي جائزة:

حدثني عمر بن عبد الله بن جميل العتكيّ، عن عمر بن شبة، عن إسماعيل بن جعفر الجعفريّ: قال:

حدثني سعيد بن عقبة الجهنيّ: قال: إني لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاني آت، فقال: هذا رجل يدعوك، فخرجت، فإذا أنا بأبي عديّ الشاعر الأمويّ، فقال: أعلم أبا محمد، فخرج إليه عبد الله، وهم خائفون، فأمر له بأربعمائة دينار، و هند(4) بمائتي دينار، فخرج بستمائة دينار. وقد روى مالك بن أنس عن عبد الله بن الحسن الحديث.

كان يسدل شعره:

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن قال:

حدثنا عليّ بن أحمد الباهليّ عن مصعب بن عبد الله قال: سئل مالك عن السّدل(5) قال: رأيت من يرضى بفعله؛ عبد الله بن الحسن يفعله، والسبب في حبس عبد الله بن الحسن و خروج ابنه و قتلها يطول ذكره. وقد أتى عمر بن شبة منه بما لا يزيد عليه أحد إلا اليسير، ولكن من أخباره ما يحسن ذكره ها هنا فنذكره.

السبب في حبسه و قتل ابنه:

أخبرني عمر بن عبد الله العتكيّ عن عمر بن شبة، قال: حدثني موسى بن سعيد بن عبد الرحمن وأيوب بن عمر عن إسماعيل بن أبي عمرو قالوا:

لمّا بنى أبو العباس بناء بالأنبار الذي يدعى الرّصافة: رصافة أبي العباس قال لعبد الله بن الحسن: ادخل فانظر و دخل معه، فلما رآه تمثل:

ألم تر حوشبا أمسى يبنيّ *** بناء نفعه لبني نفيلة(6)

- 1- التكملة من مم، ف.
- 2- التكملة من مم، ف.
- 3- «إني لأرجو بها» أي بالغمزة المفهومة من المقام، لا بالبطن.
- 4- الهند: المائة من الإبل، وفي ف: «بمد بمائتي دينار و آنية بأربعمائة دينار».
- 5- سدل الشعر سدلا: أرخاه.
- 6- مو: «قصورا نفعها» بدل «بناء نفعه». و حوشب: اسم رجل. وفي «المختار»: ألم تر حوشبا يبني قصورا ليبقى نفعها لبني نفييلة

يؤمّل أن يعمر عمر نوح *** وأمر الله يحدث كل ليلة (1)

فاحتمله أبو العباس (2) ولم يبكته بها.

أخبرني عمّي عن ابن شبة عن يعقوب بن القاسم عن عمرو بن شهاب، وحدثني أحمد بن محمد بن سعيد عن يحيى بن الحسن عن الزبير عن محمد بن الضحّاك عن أبيه قالوا:

إن أبا العباس كتب إلى عبد الله بن الحسن في تغيب ابنه:

أريد حياته ويريد قتلي *** عذرك من خليلك من مراد (3)

قال عمر بن شبة: وإنما كتب بها إلى محمد، قال عمر بن شبة: فبعثوا إلى عبد الرحمن بن مسعود مولى أبي حنين (4)، فأجابه (5):

و كيف يريد ذاك وأنت منه *** بمنزلة النياط من الفؤاد

/و كيف يريد ذاك وأنت منه *** وزندك حين تقدح من زناد (6)

و كيف يريد ذاك وأنت منه *** وأنت لهاشم رأس و هاد

أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الحسن بن زيد عن عبد الله بن الحسن قال:

بينما أنا في سمر أبي العباس، وكان إذا تئأب أو ألقى المروحة من يده قمنا، فألقاها ليلة فقمنا، فأمسكني فلم يبق غيري، فأدخل يده تحت فراشه، وأخرج إضبارة كتب وقال: اقرأ يا أبا محمد، فقرأت فإذا كتاب من محمد بن هشام بن عمرو التّغليبيّ يدعوه (7) إلى نفسه، فلما قرأته قلت له: يا أمير المؤمنين، لك عهد الله وميثاقه ألا ترى منهما شيئاً تكرهه ما كانا في الدنيا.

أخبرنا العتكيّ عن ابن شبة عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمر، عن عبد الله بن عبدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال:

لما استخلف أبو جعفر ألحّ في طلب محمد و المسألة عنه، وعمّن يؤويه، فدعا بني هاشم رجلا رجلا، فسألهم عنه، فكلهم يقول: قد علم أمير المؤمنين أنك قد عرفته بطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه، ولا يريد لك خلافاً، ولا يحب لك معصية، إلا الحسن/بن زيد فإنه أخبره خبره (8)، فقال: والله ما آمن

ص: 82

1- ف: «و أمر الله يطرق كل ليلة».

2- يريد بقوله: «فاحتمله أبو العباس» أي لم يؤاخذه بالتمثل بهذين البيتين اللذين يتطير منهما.

3- يشير أبو العباس بهذا البيت إلى أن ابني عبد الله بن الحسن يضمران له السوء مع إحسانه إليه وإيهما.

4- كذا في ف، وفي مو: «مولى أبي منصور».

5- ف: «فأجاب عنها. وقال الزبير: أجابه عبد الله بن الحسن فقال».

6- في «المختار»: «... حين يقدح في زناد».

7- أي يدعو عبد الله بن الحسن ليخرج معه على الخليفة.

8- فإنه أخبره خبره، أي أخبر الحسن بن زيد الخليفة خبر محمد.

و ثوبه عليك، و أنه لا ينام فيه فر(1) رأيك فيه قال ابن أبي عبيدة: فأيقظ من(2) لا ينام.

/أخبرني عمر بن عبد الله بن شبة عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن محمد بن عمران عن عقبة بن سلم:

إنّ أبا جعفر دعاه، فسأله عن اسمه و نسبه، فقال: أنا عقبة بن سلم بن نافع بن الأزدهانيّ، قال: إني أرى لك هيئة و موضعا، و إني لأريدك لأمر أنا به معنيّ، قال: أرجو أن أصدق ظنّ أمير المؤمنين، قال: فأخف شخصك، و انتني في يوم كذا و كذا، فأتيته، فقال: إن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيدا بملكنا، و لهم شيعة بخراسان بقرية كذا و كذا، يكاتبونهم، و يرسلون إليهم بصدقات و أطاف، فاذهب(3) حتى تأتيهم متكررا بكتاب تكتبه عن أهل تلك القرية، ثم تسير ناحيتهم، فإن كانوا نزعوا عن رأيهم علمت ذلك، و كنت على حذر منهم حتى تلقى عبد الله بن الحسن متخشعا، و إن جبهك - و هو فاعل - فاصبر و عاوده أبدا حتى يأنس بك، فإذا ظهر لك ما في قلبه فاعجل إليّ، ففعل ذلك، و فعل به حتى أنس عبد الله بناحيته، فقال له عقبة: الجواب، فقال له: أمّا الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد، و لكن أنت كتابي إليهم، فأقرئهم السلام، و أخبرهم أنّ ابني خارج لوقت كذا و كذا، فشخص عقبة حتى قدم على أبي جعفر، فأخبره الخبر.

أخبرني العتكيّ عن عمر بن محمد بن يحيى بن الحارث بن إسحاق، قال:

سأل أبو جعفر عبد الله بن الحسن عن ابنه لما حجّ، فقال: لا أعلم بهما حتى تغالطا، فأمصّه(4)، أبو جعفر، فقال له: يا أبا جعفر، بأيّ أمهاتي تمصّني؟ أبخديجة بنت خويلد أم بفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، أم بفاطمة بنت الحسين - عليهم السلام - أم بأم إسحاق بنت طلحة؟ قال: لا و لا بواحدة منهم، و لكن بالجرباء بنت قسامة/فوثب المسيّب بن زهير، فقال: يا أمير المؤمنين، دعني أضرب عنق ابن الفاعلة، فقام زياد بن عبد الله، فألقى عليه رداءه، و قال: يا أمير المؤمنين، هبه لي، فأنا المستخرج لك ابنه، فتخلّصه منه.

قال ابن شبة: و حدثني بكر بن عبد الله مولى أبي بكر، عن علي بن رباح أخى إبراهيم بن رباح، عن صاحب المصلّى: قال:

إني لواقف على رأس أبي جعفر و هو يتغذى بأوطاس(5)، و هو متوجّه إلى مكة، و معه على مائدته عبد الله بن الحسن و أبو الكرام الجعفريّ و جماعة من بني العباس، فأقبل على عبد الله بن الحسن، فقال: يا أبا محمد؛ محمد و إبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي، و إني لأحب أن يأنسا بي و يأتياني فأصلهما و أزوجهما، و أخلطهما بنفسي، قال: و عبد الله يطرق طويلا، ثم يرفع رأسه و يقول: و حقك يا أمير المؤمنين مالي بهما و لا بموضعهما من البلاد علم، و لقد خرجا عن يدي، فيقول: لا تفعل يا أبا محمد، اكتب إليهما و إلى من يوصل كتابك إليهما، قال: و امتنع أبو جعفر عن عامة غدائه ذلك اليوم إقبالا على عبد الله، و عبد الله يحلف أنه لا يعرف موضعهما، و أبو جعفر يكرر عليه: لا تفعل يا أبا محمد.

ص: 83

1- أمر من الفعل «رأى»، و في ب: «فما رأيك فيه».

2- فأيقظ من لا ينام، أي سلط عليه الخليفة العيون و الأرصاد.

3- ف: «فأخرج بكسا و الطاف».

4- أمضه: أحزنه و أحفظه.

5- أوطاس: اسم واد.

قال ابن شبة: فحدّثني محمد بن عباد عن السندي بن شاهك:

أن أبا جعفر قال لعقبة بن سلم: إذا فرغنا من الطعام فلحظتك فامثل بين يدي عبد الله، فإنه سيصرف بصره عنك، فدر حتى تغمز/ظهره بإبهام رجلك، حتى يملأ عينيه منك، ثم حسبك وإياك أن يراك ما دام يأكل، ففعل ذلك عقبة، فلما رآه عبد الله وثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر، وقال: يا أمير المؤمنين أقالني أقالك الله، قال: لا أقالني الله إن أقلتك، ثم أمر بحبسها.

قال ابن شبة، فحدّثني أيوب بن عمر، عن محمد بن خلف المخزومي قال: أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال:

لما حجّ أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن، فإنهما وإياي لعنده، وهو مشغول بكتاب ينظر فيه إذ تكلم المهديّ فلحن، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه، فإنه يفعل فعل الأمة، فلم يفهم، وغمزت عبد الله فلم ينتبه، وعاد لأبي جعفر فأحفظ من ذلك، وقال له: أين ابنك؟ قال: لا أدري، قال: لتأتيني به، قال: لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، قال: يا ربيع فمر به إلى الحبس.

زوجته هند بنت أبي عبيدة:

إشارة

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسن قال:

توفي عبد الله في محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين سنة في سنة خمس وأربعين ومائة وهدت التي عنها عبد الله في شعره الذي فيه الغناء زوجته هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأمها قرينة بنت يزيد بن عبد الله بن وهب بن زمعة بن الأسود بن المطلب.

وكان أبو عبيدة جوادا وممدحا، وكانت هند قبل عبد الله بن الحسن تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان، فمات عنها.

فأخبرني الحرمي عن الزبير عن سليمان بن عياش السعديّ قال:

لما توفي أبو عبيدة وجدت ابنته هند وجدا شديدا، فكلم عبد الله بن الحسن محمد بن بشير الخارجي أن يدخل على هند بنت أبي عبيدة، فيعزيها ويؤسبها عن أبيها، فدخل معه عليها، فلما نظر إليها صاح بأبعد صوته.

قومي اضربي عينيك يا هند لن ترى *** أبا مثله تسمو إليه المفاجر(1)

و كنت إذا أسبلت فوقك والدا *** تزيني(2) كما زان اليدين الأساور

لفصكت وجهها، وصاحت بحربها وجهها، فقال له عبد الله بن الحسن: ألهذا دخلت؟ فقال الخارجي:

و كيف أعزّي عن أبي عبيدة وأنا أعزّي به!

أخبرني العتكي، عن شبة: قال: حدثني عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان، عن علي بن صالح، قال:

زوّج عبد الملك بن مروان ابنه عبد الله هند بنت أبي عبيدة وريطة بنت عبد الله بن عبد المدان لما كان يقال إنه

ص: 84

1- البيت من الطويل، ودخله الخرم.

2- كان الأوفق أن يقال: ترانى بدل تزيني، فلعل الشاعر أراد تزيني نفسك: و حذف المفعول.

كائن في أولادهما، فمات عنهما عبد الله أو طلقهما، فتزوج هنداً عبد الله بن الحسن، وتزوج ربيعة محمد بن علي، فجاءت بأبي العباس السفاح.

أخبرني العتكي عن عمر بن شبة عن ابن داجة (1) عن أبيه قال:

لما مات عبد الله بن عبد الملك رجعت هند بميراثها منه، فقال عبد الله بن حسن لأمه فاطمة: اخطبي عليّ هنداً، فقالت: إذا تردّك، أطمع في هند وقد ورثت ما ورثته، وأنت ترب لا مال لك؟ فتركها ومضى إلى أبي عبيدة أبي هند، فخطبها إليه، فقال: في الرّحّب والسّعة، أمّا منّي فقد زوّجتك، مكانك لا تبرح، ودخل على هند، فقال:

يا بنية، هذا عبد الله بن حسن، أتاك خاطباً، قالت: فما قلت له؟ قال: /زوجته. قالت: أحسنت. قد أجزت ما صنعت، وأرسلت إلى عبد الله: لا تبرح حتى تدخل على أهلك. قال: فتزيتت له فبات بها معرّساً من ليلته، ولا تشعر أمّه، فأقام سبعا، ثم أصبح يوم سابعه غاديا على أمّه و عليه ردع (2) الطيب، وفي غير ثيابه التي تعرف، فقالت له: يا بني، من أين لك هذا؟ قال: من عند التي زعمت أنها لا تريدني.

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي وعمّي عبد العزيز بن أحمد بن بكّار: قالوا: حدثنا الزبير: قال: حدثني ظبية مولاة فاطمة: قالت:

كان جدّك عبد الله بن مصعب يستشذني كثيرا أبيات عبد الله بن حسن ويعجب بها:

إنّ عيني تعودت كحل هند *** جمعت كفّها مع الرّفق لنا

صوت

يا عيد مالك من شوق وإبراق *** و مرّ طيف على الأهوال طراق (3)

يسرى على الأين و الحيات محتفيا *** نفسي فداؤك من سار على ساق

عروضه من البسيط: العيد: ما اعتاد الإنسان من همّ أو شوق أو مرض أو ذكر. والأين والأيم: ضرب من الحيات. والأين: الإعياء أيضاً، و روى أبو عمرو:

يا عيد قلبك من شوق وإبراق

الشعر لتأبط شراً، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالوسطى من رواية يحيى المكي وحش و ذكر الهشامي أنه من منحول يحيى إلى ابن محرز.

ص: 85

1- ف: عن أبي داجة.

2- الردع: أثر الطيب في الجسد.

3- هد: «براق» بدل «طراق».

نسبه و لقبه:

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل(1) بن عدي بن كعب بن حزن. وقيل: حرب بن تميم(2) بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار.

و أمه امرأة يقال لها: أميمة، يقال: إنها من بني القين بطن من، فهم ولدت خمسة نفر: تأبط شرا، و ريش بلغب(3)، و ريش نسر، و كعب جدر، و لا بواكي له(4)، و قيل: إنها ولدت سادسا اسمه عمرو.

و تأبط شرا لقب لقب به، ذكر الرواة أنه كان رأى كبشا في الصحراء، فاحتمله تحت إبطه، فجعل يبول عليه طول طريقه، فلما قرب من الحي ثقل عليه الكبش، فلم يقله فرمى به فإذا هو الغول، فقال له قومه: ما تأبطت يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شرا فسمي بذلك.

وقيل: بل قالت له أمه: كل إخوتك يأتيني بشيء إذا راح غيرك، فقال لها: سأتيك الليلة بشيء، و مضى فصاد أفاعي كثيرة من أكبر ما قدر عليه، فلما راح أتى بهن في جراب متأبطا له، فألقاه بين يديها، ففتحتة، فتساعين في بيتها، فوثبت، و خرجت، فقال لها نساء الحي: ما ذا أتاك به ثابت؟ فقالت: أتاني بأفاع في جراب، قلن: و كيف حملها؟ قالت: تأبطها، قلن: لقد تأبط شرا، فلزمه تأبط شرا.

/حدثني عمي قال حدثني علي بن الحسن بن عبد الأعلى عن أبي محلم بمثل هذه الحكاية و زاد فيها:

أن أمه قالت له في زمن الكمأة: ألا- ترى غلمان الحي يجتنون لأهلهم الكمأة، فيروحون بها؟ فقال اعطيني جرابك، حتى أجتني لك فيه، فأعطته، فملاها لها أفاعي، و ذكر باقي الخبر مثل ما تقدم.

و من ذكر أنه إنما جاءها بالغول يحتج بكثرة أشعاره في هذا المعنى، /فإنه يصف لقاء إياها في شعره كثيرا، فمن ذلك قوله:

فأصبحت الغول لي جارة *** فيا جارتا لك ما أهولا(5)

فطالبتها بضعها فالتوت *** علي و حاولت أن أفعلا(6)

فمن كان يسأل عن جارتي *** فإن لها باللوى منزلا

ص: 86

1- ف، هد: ((عسل)).

2- ف، هد: ((تيم)).

3- ب: ((ريش لقب)) تحريف. و المثبت من ف، مو. و قد ورد في ((القاموس)): ريش بلغب، لقب كتأبط شرا و حرك عينه الكميت، و وهم الجوهري في قوله: ((ريش لقب)) و قد وردت رواية الجوهري في هامش مو، و أردفها بقوله: و هو الفاسد أخو تأبط شرا.

4- و لا بواكي له، هو الاسم الخامس لأولاد أم تأبط شرا، و هو من قبيل التسمية بالمركب الإسنادي، كتأبط شرا، و برق نحره.

5- مو: ((ما أغولا)). و لعل لك متعلق بجار و مجرور متعلق بمحذوف تقديره، يقال لك.

6- ف، موز: «و حاولت أن تفعلها». والمثبت من ب: هد، والبضع: الفرج.

كان أحد العدائين المعدودين:

أخبرني عمي عن الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال: نزلت على حي من فهم إخوة بني عدوان من قيس، فسألتهم عن خبر تأبط شرا، فقال لي بعضهم: و ما سؤالك عنه، أ تريد أن تكون لصا؟ قلت: لا، و لكن أريد أن أعرف أخبار هؤلاء العدائين، فأحدث بها، فقالوا: نحدثك بخبره: إن تأبط شرا كان أعدى ذي رجلين(1) و ذي ساقين و ذي عينين، و كان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الطباء فينتقي على نظره أسمنها، ثم يجري خلفه فلا يفوته، حتى يأخذه، فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله.

يصف غولا افترسها:

و إنما سمّي تأبط شرا لأنه - فيما حكى لنا - لقي الغول في ليلة ظلماء في موضع يقال له رحي بطسان(2) في بلاد هذيل، فأخذت عليه الطريق فلم يزل بها، حتى/قتلها، و بات عليها فلما أصبح حملها تحت إبطه و جاء بها إلى أصحابه، فقالوا له: لقد تأبطت شرا، فقال في ذلك:

تأبط شرا ثم راح أو اغتدى *** يوائم غنما أو يشيف على ذحل

- يوائم: يوافق، و يشيف: يقتدر. و قال أيضا في ذلك:

ألا من مبلغ فتیان فهم *** بما لا لاقیت عند رحي(3)

و أنّي قد لقيت الغول تهوي *** بسهب كالصحيفة صحصحان(4)

فقلت لها: كلانا نضو أين(5) *** أخو سفر فخلّي لي مكاني

فشدت شدة نحوي فأهوى *** لها كفي بمصقول يمانى

فأضربها بلا دهش فخرت *** صريعا لليدين و للجران(6)

فقلت: عد، فقلت لها: رويدا *** مكانك إنني ثبت الجنان

فلم أنفك متكنا عليها *** لأنظر مصبحا ما ذا أتاني(7)

إذا عينان في رأس قبيح *** كرأس الهرّ مشقوق اللسان

و ساقا مخدج و شواة كلب *** و ثوب من عباء أو شانان(8)

لم لا تنهشه الحيات؟

أخبرنا الحسين بن يحيى: قال: قرأت على حمّاد: و حدثك أبوك عن حمزة بن عتبة اللّهي: قال:

/قيل لتأبط شرا: هذه الرجال غلبتها، فكيف لا تنهشك الحيات في سراك؟ فقال: إني لأسرى البردين. يعني أول الليل، لأنها تمر خارجة من حجرتها، و آخر الليل تمر مقبلة إليها.

- 1- ف، هد: «ذى كعبين».
- 2- ف، هد: «رحى بطان».
- 3- فهم: قبيلة الشاعر، وحي بطان: اسم موضع. وفي «المختار»: «... فتبان قومي».
- 4- السهب: الفلاة. و الصحصحان: ما استوى من الأرض.
- 5- «المختار»: «نصورهن».
- 6- ف: «بلا جزع». و الدهش: التحير. و الجران: مقدم العنق.
- 7- مو: «ما ذا دهاني».
- 8- أخذجت الناقة: أَلقت ولدها لغير تمام، و الشواء: قحف الرأس، و الشنان. جمع شن، و هو القرية البالية.

بيع ثقيفا أحق اسمه بطيلسانة:

قال حمزة: ولقي تأبط شرًا ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وهب، كان جباناً (1) أهوج، و عليه حلّة جيّدة، فقال أبو وهب لتأبط شرًا: بم تغلب الرجال يا ثابت، وأنت كما أرى دميم ضئيل؟ قال: باسمي، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل: أنا تأبط شرًا، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت، فقال له الثقيفي: أقط (2) قال: قط، قال:

فهل لك أن تبيعني اسمك؟ قال: نعم، فبم تبتاعه؟ قال: بهذه/الحلّة و بكنيتك قال له: أفعّل، ففعل، وقال له تأبط شرًا: لك اسمي ولي كنيّتك (3)؟، وأخذ حلّته وأعطاه طمرية، ثم انصرف، وقال في ذلك يخاطب زوجة الثقيفي:

ألا هل أتى الحسناء أنّ حليلها *** تأبط شرًا و اكتنيت أبا وهب

فهبه تسمّى اسمي و سمّيت باسمه (4) *** فأين له صبري على معظم الخطب؟

و أين له بأس كبأسي و سورتي *** و أين له في كل فادحة قلبي؟

بخونه نشاطه أمام الحسان:

قال حمزة: و أحبّ تأبط شرًا جارية من قومه، فطلبها زمانا لا يقدر عليها، ثم لقيته ذات ليلة فأجابته و أرادها، فعجز عنها، فلما رأته جزعه من ذلك تناومت عليه فأنسته و هدأ، ثم جعل يقول:

/ما لك من أير سلبت الخلّة *** عجزت عن جارية رفله (5)

تمشي إليك مشية خوزله (6) *** كمشية الأرخ تريد العله

الأرخ: الأنتى من البقر التي لم تنتج. العلة تريد أن تعل بعد النهل، أي أنها قد رويت فمشيتها ثقيلة. و العل:

الشرب الثاني.

لو أنها راعية في ثلّه *** تحمل قلعين لها قبله

لصرت كالهراوة العتله (7)

قصته مع بجيلة:

أخبرني الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعي قال:

أغار تأبط شرًا - و هو ثابت بن العميثل الفهمي، و معه ابن براق الفهمي على بجيلة - فأطردا لهم نعمًا، و نذرت بهما بجيلة، فخرجت في آثارهما و مضيا هارين في جبال السّراة، و ركبا الحزن، و عارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوهط - و هو ماء لعمر و بن العاص بالطائف - فدخلوا لهما في قصبّة العين، و جاء، و قد بلغ العطش

- 1- ف، هد: «كان حسانا أهوج» وهو تحريف.
- 2- أقط: أتغلب بهذا فقط، وقط هنا بمعنى فحسب.
- 3- ف، هد، مو: «لك اسمي ولي اسمك».
- 4- ف، هد، مو: «وسماني اسمه» بدل «وسميت باسمه» وكذا في «المختار» أيضا.
- 5- جارية رفلة: سمينة، وفي «المختار»: «... سلبت الحلة».
- 6- ف، هد، مو: «والمختار»: «هرولة». والخيزلي والهرولة: نوعان من المشي.
- 7- الثلة: جماعة الغنم، وقبله، كذا في الأصول، وهي مأخوذة من القبل بمعنى الحول، وفي «القاموس»: اقبالت المرأة، أي أصيبت بالقبل، والعتل: الجافي الغليظ، والرمح الغليظ، وفي ب، ف: «العبل» ولعلها مأخوذة من العبل، بمعنى السمن وامتلاء الجسم.

منهما، إلى العين، فلما وقفا عليها قال تأبط شراً لابن براق: أقلّ من الشّراب فإنها ليلة طرد، قال: وما يدريك؟ قال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمي. وكان من أسمع العرب وأكيدهم. فقال له ابن براق: ذلك وجيب قلبك. فقال له تأبط شراً: واللّه ما وجب قطّ، ولا كان وجّاباً، وضرب بيده عليه، وأصاخ نحو الأرض يستمع/فقال: والذي أعدو بطيره، إني لأسمع وجيب قلوب الرّجال، فقال له ابن براق: فأنا أنزل قبلك، فنزل فبرك وشرب وكان أكلّ القوم عند بجيلة شوكة(1)، فتركوه وهم في الظّلمة، ونزل ثابت، فلما توسط الماء وثبوا عليه، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً، وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه، فقال لهم ثابت: إنه من أصلف الناس وأشدّهم عجباً بعدوه، وسأقول له: استأسر معي، فسيدعوه عجباً بعدوه إلى أن يعدو من بين أيديكم، وله ثلاثة أطلاق: أولها كالريح الهابّة، والثاني كالفرس الجواد، والثالث يكبو فيه ويعثر، فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه فإني أحب أن يصير في أيديكم كما صرت إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونصحي له، قالوا:

فاعل، فصاح به تأبط شراً: أنت أخي في الشدّة والرّخاء، وقد وعدني القوم أن يمّنوا عليك وعليّ، فاستأسر، واسني بنفسك في الشدّة، كما كنت أخي في الرّخاء، فضحك ابن براق، وعلم أنه قد كادهم، وقال: مهلاً يا ثابت، أيستأسر من عنده/هذا العدو؟ ثم عدا فعدا أول طلق مثل الريح الهابّة كما وصف لهم، والثاني كالفرس الجواد، والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه. فقال ثابت: خذوه، فعدوا بأجمعهم، فلما أن نفسهم عنه شيئاً عدا تأبط شراً في كتافه، وعارضه ابن براق، فقطع كتافه، وأفلتا جميعاً(2)، فقال تأبط شراً قصيدته القافية في ذلك(3):

يا عيد مالك من شوق وإبراق *** ومرّ طيف على الأهوال طراق

يسري على الأين والحيّات محتفياً *** نفسي فداؤك من سار على ساق(4)

طيف ابنة الحرّ إذ كتنا نواصلها *** ثم اجتنبت بها من بعد تفرّاق(5)

للتقرعنّ عليّ السنّ من ندم *** إذا تذكّرت يوماً بعض أخلاقي(6)

تالله آمن أنثى بعد ما حلفت *** أسماء بالله من عهد وميثاق(7)

ممزوجة الودّ بينا واصلت صرمت *** الأوّل اللذّ مضى والآخِر الباقي

فالأوّل اللذّ مضى قال مودّتها *** واللذّ منها هذاء غير إحقاق(8)

تعطيك وعد أمانيّ تغرّ به *** كالقطر مرّ على صخبان براق(9)

إني إذا خلّة صنّت بنائلها *** وأمسكت بضعيف الحبل أحذاق(10)

ص: 89

1- أكل القوم عند بجيلة شوكة، يريد صغر شأنه عند بجيلة، لذلك تركته واتجهت إلى تأبط شرا وفي «المختار»: «وكان ألد القوم»...
2- تكملة من «المختار».

3- تكملة من «المختار».

4- الأين: الحية أو الذكر من الحيات، و الأين أيضا: التعب والإعياء. و محتفيا: حافيا.

5- هذا البيت ليس في «الأغاني» و هو في «المختار».

6- جاء هذا البيت في «المفضليات» آخر القصيدة.

7- لم يرد هذا البيت في «الأغاني» أو «المفضليات» و جاء في «المختار».

8- اللذ: بمعنى الذي، و الهذاء: الهديان، و لم يرد هذا البيت أيضا في «المفضليات» أو «الأغاني» و لكنه في «مختار الأغاني».

9- الصخبان: الشديد الصخب، و لم يرد البيت في «الأغاني» أو «المفضليات» و لكنه في «مختار الأغاني».

10- جبل أحذاق: قطع، و جاء البيت في قصيدة «المفضليات» الثالث في الترتيب.

نجوت منها نجائي في بجيلة إذ *** ألقيت للقوم يوم الزوع أرواقي (1)

و ذكرها ابن أبي سعيد في الخبر إلى آخرها.

وأما المفضل الضبي فذكر أن تأبط شرًا وعمرو بن براق والشنفري - وغيره يجعل مكان الشنفري السليك بن السلكة - غزوا بجيلة فلم يظفروا منهم بعرّة، وثاروا إليهم فأسروا عمرا، وكتفوه، وأفلتهم الآخران عدوا، فلم يقدرُوا عليهما، فلما علما أن ابن براق قد أسر قال تأبط شرًا لصاحبه: امض فكن قريبا من عمرو، فإني سأترأى لهم وأطمعهم في نفسي حتى يتباعدوا عنه، فإذا فعلوا ذلك فحلّ كتافه، وانجوا، ففعل ما أمره به، وأقبل تأبط شرًا، حتى ترأى لبجيلة، فلما رأوه طمعوا فيه، فطلبوه، وجعل يطمعهم في نفسه، و يعدو عدوا خفيفا يقرب فيه، ويسألهم تخفيف الفدية وإعطاء الأمان، حتى يستأسر لهم، وهم يجيبونه إلى ذلك، و يطلبونه وهو يحضر إحضارا خفيفا، ولا يتباعد، حتى علا تلعة/أشرف منها على صاحبيه، فإذا هما قد نجوا، ففطنت لهما بجيلة، فألحقتهما طلبا ففاتاهم، فقال: يا معشر بجيلة أ أعجبكم عدو ابن براق اليوم، والله لأعدونّ لكم عدوا أنسيكم به عدوه، ثم عدا عدوا شديدا، ومضى وذلك قوله:

يا عيد ما لك من شوق وإبراق

و أما الأصمعيّ فإنه ذكر فيما أخبرني به ابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن عمه:

أنّ بجيلة أمهلتهم حتى وردوا الماء و شربوا و ناموا، ثم شدّوا عليهم، فأخذوا تأبط شرًا، فقال لهم: إن ابن براق دلّاني في هذا، وإنه لا يقدر على العدو لعقر في رجله، فإن تبعتموه أخذتموه، فكثّفوا تأبط شرًا، و مضوا في أثر ابن براق، فلما بعدوا عنه عدا في كتافه ففاتاهم، و رجعوا.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا أبو سعيد السكريّ قال: حدثنا ابن الأثرم، عن أبيه. و حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو، قال:

كان تأبط شرًا يعدو على رجله، و كان فاتكا شديدا، فبات ليلة ذات ظلمة و برق و رعد في قاع يقال له رحي بطن، فلقيته الغول فما زال يقاتلها ليلته إلى أن أصبح و هي تطلبه، قال: و الغول: سبع من سباع الجنّ، و جعل يراوغها، و هي تطلبه، و تلتمس غرّة منه، فلا تقدر عليه، إلى أن أصبح، فقال تأبط شرًا:

ألا من مبلغ فتیان فهم *** بما لا قيت عند رحي بطن

بأني قد لقيت الغول تهوي *** بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها: كلالنا نضو أين *** أخوه سفر فخلّي لي مكاني

فشدّت شدّة نحوي فأهوى *** لها كفيّ بمصقول يماني

فأضربها بلا دهش فخرت *** صريعا لليدين و للجران

/فقلت عد، فقلت لها: رويدا *** مكانك إنني ثبت الجنان

فلم أنفك متكئا عليها *** لأنظر مصبحا ما ذا أتاني

1- ألقى أرواقه: أسرع في عدوه، و جاء البيت في قصيدة «المفضليات» الرابع في الترتيب.

إذا عينان في رأس قبيح *** كراس الهَرّ مشقوق اللسان

و ساقا مخدج و شواة كلب *** و ثوب من عباء أو شنان(1)

بفر و يدع من معه:

قالوا: و كان من حديثه أنه خرج غازيا يريد بجيلة هو و رجل معه، و هو يريد أن يغترّهم، فيصيب حاجته، فأتى ناحية منهم، فقتل رجلا، ثم استاق غنما كثيرة، فنذروا به، فتبعه بعضهم على خيل، و بعضهم رجالة، و هم كثير، فلما رأهم، و كان من أبصر الناس عرف وجوههم، فقال لصاحبه: هؤلاء قوم قد عرفتهم، و لن يفارقونا اليوم حتى يقاتلونا أو يظفروا بحاجتهم، فجعل صاحبه ينظر، فيقول: ما أتيت أحدا، حتى إذا دهموهما قال لصاحبه: اشتدّ فإني سأمنعك ما دام في يدي سهم، فاشتد الرجل، و لقيهم تأبط شرّا، و جعل يرميهم حتى نفذت نبله، ثم إنه اشتدّ فمرّ بصاحبه فلم يطق شدّه، فقتل صاحبه، و هو ابن عمّ لزوجته، فلما رجع تأبط شرّا و ليس صاحبه معه عرفوا أنه قد قتل، فقالت له امرأته: تركت صاحبك و جئت متباطئا، فقال تأبط شرّا في ذلك:

ألا تلکما عرسي منيعة ضمّنت *** من الله إثما مستسرّا و عالنا(2)

تقول: تركت صاحبك ضائعا *** و جئت إلينا فارقا متباطئا(3)

إذا ما تركت صاحبي لثلاثة *** أو اثنين مثلينا فلا أبت آمنا(4)

أو ما كنت أباه على الخلّ إذ دعا *** و لا المرء يدعوني ممراّ مداهنا(5)

و كزّي إذا أكرهت رهطا و أهله *** و أرضا يكون العوص فيها عجانا(6)

و لّما سمعت العوص تدعو تنفّرت *** عصفير رأسي من غواة فراتنا(7)

و لم أنتظر أن يدهموني كأنهم *** ورائي نحل في الخليّة واکنا(8)

ص: 91

1- آثرنا إثبات هذه الأبيات مع سبق إيرادها تمشيا مع النسخ: ب، ف، مو، أما هـ فقد اجتزأت بذكر المصراع الأول من البيت الأول، و أردفته بقولها: «و قد تقدمت».

2- عرسه: زوجته، يريد أنه ألحق بها إثما أسره في نفسه فظهر، و ذلك بقتل ابن عمها.

3- في هـ، ف تقول: «تركت صاحبي بمضيعة». و فارقا متباطئا: فارقته و جئت متخفيا، و قد يكونان من الفرقة و البطنة بمعنى جئتنا خائفا ممتلي البطن.

4- يدعو على نفسه إن كان ترك صاحبه لعدد قليل، و إنما هو جمع لا قبل لهما به، و في بعض النسخ: «إذا ما تركت صاحبي خوف واحد أو اثنين» إلخ.

5- الممر من إمرار الحبل بمعنى إحكام فتله، أو من المرارة، و المداهن: من دهنه بمعنى ضربه، يريد أنه لا يتخلى عن خله إذا كان ذا بأس و

قوة، وفي مو «و ما كنت أباء على الخيل..... ضيرا مداها» ولعل المعنى عليه أنني ما كنت أضن بالنجدة حتى على من لا يخلص لي، متى كان فيه غناء.

6- كري معطوف على الخل في البيت السابق أي ما كنت أباه على الكر، ورهط: اسم موضع؛ وهو مفعول كر، والعوص: اسم قبيلة، و العجائن: من معانيه القنفذ، والمعنى - فيما يبدو لنا - ما كنت أمتنع عند ما أكره عن غزو رهط وأهله وأرض العوص، وهم فيها مسلحون شائكون كالقنفاذ والعوص بفتح فسكون كما في ف، وفي هد، مو: بضم فسكون.

7- تدعو أي إلى الحرب، تنفرت عصفير رأسي: كناية عن الغضب والثورة، والعصافير: جمع عصفور، والمراد به هنا قطعة من الدماغ تفصلها عنه جليدة رقيقة، والفراتن: جمع فرتنى، وهي المرأة الزانية، أو الأمة.

8- واكنا: حال من نحل، وسوغ مجيء الحال من النكرة هنا وصفها يشبه الجملة بعدها، ويقال: وكن الطائر: دخل عشه. ومعنى البيت و ما قبله: لما همت بي رجال العوص لم أتقاعس، بل حملت عليهم، ولم أنتظر أن يحيطوا بي إحاطة النحل بالخلية.

و لا أن تصيب النَّافذات مقاتلي *** ولم أك بالشَّد الذليق مداينا(1)

فأرسلت مثنياً عن الشَّد واهنا *** وقلت تزحزح لا تكوننَّ حائنا(2)

و حثحث مشعوف التَّجاء كأنه *** هجف رأى قصرا سمالا و داجنا(3)

من الحصّ هزروف يطير عفاؤه *** إذا استدرج الفيفا و مدّ المغابنا(4)

أزج زلوج هزرفي زفازف *** هزف يبذ الناجيات الصّوافنا(5)

فزحزحت عنهم أو تجتني منيبي *** بغبراء أو عرفاء تفري الدّفاننا(6)

كأني أراها الموت لا درّ درّها *** إذا أمكنت أنيابها و البرائنا(7)

وقالت لأخرى خلفها و بناتها *** حتوف تنقي مخّ من كان واهنا(8)

أخاليج و زاد على ذي محافل *** إذا نزعوا مدّوا الدّلا و الشّواطنا(9)

وقال غيره: بل خرج تأبطّ شرا هو و صاحبان له، حتى أغاروا على العوص من بجيلة، فأخذوا نعما لهم، و اتبعتهم العوص، فأدركوهم، و قد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة، فلما رأى تأبطّ شرا أنّ طاقة لهم بهم شمّر و تركهما، فقتل صاحبا، و أخذت النعم، و أفلت، حتى أتى بني القين من فهم، فبات عند امرأة منهم يتحدث إليها، فلما أراد أن يأتي قومه دهنته و رجّلتها، /فجاء إليهم و هم يبكون، فقالت له امرأته: لعنك الله تركت صاحبيك و جئت مدّهنا، و إنه إنما قال هذه القصيدة في هذا الشأن، و قال تأبطّ شرا يرثيها و كان اسم أحدهما عمرا:

أبعد قتيل العوص آسى على فتى *** و صاحبه أو يأمل الرّاد طارق؟

أطرد فهما آخر الليل أبغي *** علالة يوم أن تعوق العوائق(10)

ص: 92

1- الشد الذليق: الحديد الماضي أي لم أكن مسوقا للهجوم.

2- حائن: هالك، و في بعض الأصول «منبت» بمعنى متقطع بدل «مثنى» يريد أنه نحى صاحبه حين أنس منه الضعف و عدم القدرة على الشد.

3- حثحث: حث و حض، و المشعوف: المجنون أو المذعور، و النجاء: السير السريع، و الهجف: الظليم، و قصرا هنا: وقت اختلاط النهار بالظلمة، و الشمال: الماء في الحوض، و داجنا: غيثا ممطرا. يريد: أنني انبريت و حثت جوادي على الحرب فحمل و هو مجنون السرعة كأنه ذكر نعام ظمآن رأى عند الغروب حوض ماء أو ماء مطر فعدا إليه ليشرب.

4- الحص: جمع أحص، و طائر أحص: قليل الريش. هزروف: سريع. العفاء: الشعر و الوبر. المغابن: بواطن الأفخاذ: يشبه جواده بطائر قليل الريش، و يقول: إنه سريع العدو يطير شعره إذا استدرج الفلوات و مد أفخذه في عدوه.

5- أزج: بعيد الخطو. زلوج: سريع العدو. هزرفي: كثير الحركة. زفازف: جمع زفرف بمعنى الريح. الهزف: السريع أو النافر. الناجيات:

الجياد السريعة. الصوافن: جمع صافن و هو الحصان يقف على ثلاث قوائم. يصف فرسه بما تقدم من الأوصاف، و يردفها بأنه يفوق غيره من الخيول الصافنات.

6- فزححت: تزححت: تجئني: مضارع مجزوم للضرورة، و لعله محرف عن «تجيء». غبراء: اسم أنثى الذئب، و عرفاء: اسم الضبع. يقول: فأفلت منهم، و لو لم أفعل للاقيت منيتي بناب ذئبة أو ضبع تنبش القبور.

7- لا در درها: يدعو على الضبع. و البرائن: المخالب.

8- مقول القول محذوف تقديره هلم و نحوه. يريد أنه إن مات تمكنت الضبع منه، و أنشبت مخالبتها في جسمه، و لم تكتف بنفسها، بل دعت صواحبها و بناتها، و هن مسعورات ينقن المخ من عظام الجسم الواهن الذي لا حراك به.

9- أخاليج: جمع أخلج و هو الحبل. و يراد بذئ المحافل البئر، و الشواطن: الحبال. يقول: إن الضباع تتوافد عليه إذا مات كما تتوافد الحبال على البئر مرة بعد أخرى. و قد اختلفت الأصول في رواية هذا البيت اختلافا بينا، و أغلب الروايات لا يستقيم معه المعنى.

10- طرد القوم: أتاها، يريد: أتعجل العودة إلى فهم آخر الليل خشية أن تعوقني العوائق، و قد خلفت صاحبي صريعين؟ و قد اختلفت الأصول في رواية البيت، و كلها مما لا يستقيم معه المعنى، و المثبت من ف.

لعمر فتى نلتم كأن رداءه *** على سرحة من سرح دومة سامق(1)

لأطرد نهبا أو نرود بفتية *** بأيمانهم سمر القنا والعقائق(2)

مساعرة شعث كأن عيونهم *** حريق الغضا تلفى عليها الشقائق(3)

فعدّوا شهور الحرم ثم تعرّفوا *** قتيل أناس أو فتاة تعانق(4)

محاولة قتله هو وأصحابه بالسم:

قال الأثرم: قال أبو عمرو في هذه الرواية: وخرج تأبط شراً يريد أن يغزو هذيلاً في رهط، فنزل على الأحلّ بن قنصل - رجل من بجيلة - و كان بينهما حلف، فأنزلهم ورحّب بهم، ثم إنه ابتغى لهم الذّراريح(5) ليسقيهم فيستريح منهم، ففطن له تأبط شرا، /فقام إلى أصحابه، فقال: إني أحب ألا- يعلم أنا قد فطنتاً له، ولكن سابّوه حتى نحلف ألا نأكل من طعامه، ثم أغتّره فأقتله لأنه إن علم حذرني - وقد كان مالاً ابن قنصل رجل منهم يقال له لكيز قتلت فهم أخاه - فاعتلّ(6) عليه وعلى أصحابه فسبّوه وحلفوا ألا يذوقوا من طعامه ولا من شرابه، ثم خرج في وجهه، وأخذ في بطن واد فيه التّمور، وهي لا يكاد يسلم منها أحد، والعرب تسمي النمر ذا اللونين، وبعضهم يسميه السّبنتى، فنزل في بطنه وقال لأصحابه: انطلقوا جميعاً فتصيّدوا، فهذا الوادي كثير الأروى، فخرجوا وصادوا، وتركوه في بطن الوادي فجاءوا فوجدوه قد قتل نمرا وحده، وغزا هذيلاً فغنم وأصاب، فقال تأبط شراً في ذلك:

أقسمت لا أنسى وإن طال عيشنا *** صنيع لكيز والأحلّ بن قنصل(7)

نزلنا به يوماً فساء صباحنا *** فإنك عمري قد ترى أيّ منزل(8)

بكى إذ رأنا نازلين ببابه *** وكيف بكاء ذى القليل المعيل(9)

فلا وأبيك ما نزلنا بعامر *** ولا عامر ولا الرئيس ابن قوقل(10)

ص: 93

1- السرحة: الشجرة، دومة: مكان، سامق: طويل: صفة لفتى.

2- العقائق: جمع عقيقه بمعنى السيف الشبيه بالبرق، يقسم بصاحبه الذي قتله بعد أن وصفه بالطول حتى كأن ثيابه على شجرة عالية يغزو قاتليه بفتية يحملون القنا والسيوف الماضية. وفي رواية «شائق» بدل «سامق» بمعنى عظيم الرأس. وفي رواية: «الفتائق» بدل العقائق بمعنى السيوف الحديدية الشفرتين.

3- مساعرة: جمع مسعر بمعنى موقد لنار الحرب، وشعث: جمع أشعث بمعنى أغبر، والغضا: شجر يتخذ منه الوقود، والشقائق: نبات أحمر. يصف هؤلاء الفتية بالمران على الحرب، وبأن حدق عيونهم تحمر احمرار الجمر في ميادين القتال.

4- يتهددهم بالحرب بعد انقضاء الأشهر الحرم، فيقول: إذا انقضت هذه الأشهر فعدوا قتلاكم، وعدوا فتياتكم السبايا.

5- الذّراريح: جمع ذراح كزناز و سكين و قدوس: دوية حمراء منقطة بسواد تطير، وهي من السموم.

6- فاعل اعتل ضمير تأبط شرا، عليه أي على ابن قنصل، وما بين الشرطتين اعتراض.

7- البيت من الطويل دخله الخرم.

8- في هد: فشاب صبوحنا، و الصبوح: شراب الصباح. و المصراع الثاني تعجب من هذا المنزل.

9- المعيل: ذو العيال، و المراد أن من نزلوا به كان فقيرا معيلا، فكان بكأؤه حارا.

10- في مو: «ما نزلنا بحاتم»، و المثبت من ب، ف، هد. و قوقل: أبو بطن من الأنصار، كان إذ أتاه مستجيرا قال له: قوقل في هذا الجبل - أي اصعد - فقد أمنت.

- عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأستة، و عامر بن الطّفيّل، و ابن قوقل: مالك بن ثعلبة أحد بني عوف بن الخزرج -.

و لا بالسّليل (1) ربّ مروان قاعدا *** بأحسن عيش و التّفائيّ نوفل

/ - ربّ مروان: جرير بن عبد الله البجلي. و نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر أحد بني الدّيل بن بكر -.

و لا ابن وهيب كاسب الحمد و العلا *** و لا ابن ضبيع وسط آل المنخبل

و لا ابن حليس قاعدا في لقاحه (2) *** و لا ابن جريّ وسط آل المغفل

و لا ابن رياح بالزّليفات داره *** رياح بن سعد لا رياح بن معقل

أولئك أعطى للولائد خلفه *** و أدعى إلى شحم السّديف المرعبل (3)

يتخذ من العسل مزقا على الجبل فينجو من موت محقق:

/ و قال أيضا في هذه الرواية: كان تأبط شرّا يشتار عسلا في غار من بلاد هذيل، يأتيه كل عام، و أنّ هذيلًا ذكرته، فرصدوه لأبان ذلك، حتى إذا جاء هو و أصحابه تدلّى، فدخل الغار، و قد أغاروا عليهم فأنفروهم، فسبقوهم و وقفوا على الغار، فحركوا الجبل، فأطلع تأبط شرّا رأسه، فقالوا: أصعد، فقال: ألا أراكم، قالوا: بلى قد رأيتنا.

فقال: فعلام أصعد، أعلى الطّلاقة أم الفداء؟ قالوا: لا شرط لك، قال: فأراكم قاتليّ و آكلي جنائي، لا و الله لا أفعل، قال: و كان قبل ذلك تقب في الغار تقبا أعدّه للهرب، فجعل يسيل العسل من الغار و يهريقه، ثم عمد إلى الرّزق فشده على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليما وفاتهم، و بين موضعه الذي وقع فيه و بين القوم مسيرة ثلاث، فقال تأبط شرّا في ذلك:

أقول للحيان و قد صفرت لهم *** و طابي و يومي ضيق الحجر معور (4)

هما خطّتا إما إيسار و مئة *** و إما دم و القتل بالحرّ أجدر (5)

/ و أخرى أصادي التّفس عنها و إنها *** لمورد حزم إن ظفرت و مصدر (6)

فرشت لها صدري فزلّ عن الصّفا *** به جؤجؤ صلب و متن مختصر (7)

ص: 94

1- ف، هد: و لا «بالسليك». و في مو: «بالسليل».

2- اللقاح: النوق الحوامل، يكنى بذلك عن غناه و ميسرته.

3- أعطى، أدعى: أفعلا تفضيل. و السديف: لحم السنّام. و المرعبل: المقطع.

4- صفرت: خلت. و الوطاب جمع وطب؛ و هو سقاء يتخذ من الجلد. و معور أي بين العور و المراد أنه يوم عصيب. و الحجر: الناحية، و لعلها تصحيف الحجر.

- 5- خطتا مضاف و الجملة بعده مضاف إليه، وقد اختلفت الأصول في رواية هذا البيت و أنسبها ما أثبتناه نقلا عن هد، مو. وفي «المختار»
«إما إصار وفدية».
- 6- «أصادي النفس عنها» أي أحدثها بها، والمراد بالخطة الأخرى، خطة الانزلاق التي نجا بها، وفي «المختار»: «إن فعلت» بدل «إن ظفرت».
- 7- ف، هد: «عبل» بدل «صلب»، وزل: انزلق، و الصفا: الصخر، والجؤجؤ: عظام الصدر. و متن مختصر: ظهر نحيل الخصر. وفي «المختار»: «به جؤجؤ عبل».

فخالط سهل الأرض لم يكدح الصّفا *** به كدحة و الموت خزيان ينظر

فأبت إلى فهم و ما كنت أنبا *** و كم مثلها فارقتها و هي تصفر (1)

إذا المرء لم يحتل و قد جدّ جدّه *** أضاع و قاسى أمره و هو مدبر

و لكن أخو الحزم الذي ليس نازلا *** به الأمر إلا و هو للحزم مبصر (2)

فذاك قريع الدّهر ما كان حولا *** إذا سدّ منه منخر جاش منخر

فإنّك لو قايست باللّصب حيلتي *** بلقمان لم يقصر بي الدهر مقصر (3)

غارة ينتصر فيها على العوص:

وقال أيضا في حديث تأبط شرا: إنه خرج من عدّة من فهم، فيهم عامر بن الأخنس، و الشّنفري، و المسيّب، و عمرو بن براق، و مرّة بن خليف، حتى بيتوا العوص و هم حيّ من بجيلة، فقتلوا منهم نفرا، و أخذوا لهم إبلان فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم و ليلة، فاعترضت لهم خثعم و فيهم ابن حاجز، و هو رئيس القوم، و هم يومئذ نحو من أربعين رجلا، فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس: ما ذا ترى؟ قال: لا أرى لكم إلا صدق الصّراب، فإن ظفرتم فذاك، و إن قتلتم كنتم/قد أخذتم ثأركم، قال تأبط شرا: بأبي أنت و أمي، فنعم رئيس القوم أنت إذا جدّ الجدّ، و إذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإنني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل و القوم كثير، و متى افترقتم كثركم القوم، فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم، فحملوا ثانية فانهمزمت خثعم و تفرقت، و أقبل ابن حاجز فأسند في الجبل فأعجز، فقال تأبط شرا في ذلك:

جزى الله فتيانا على العوص أمطرت *** سماؤهم تحت العجاجة بالدّم

و قد لاح ضوء الفجر عرضا كأنه *** بلمحّته إقراب أبلق أدهم (4)

فإنّ شفاء الداء إدراك ذحلة *** صباحا على آثار حوم عمرم (5)

أو ضاربتهم بالسفح إذ عارضتهم *** قبائل من أبناء قسر و خثعم (6)

ضرابا عدا منه ابن حاجز هاربا *** ذرا الصّخر في جوف الوجين المديّم (7)

وقال الشّنفري في ذلك:

دعيني و قولي بعد ما شئت إنني *** سيغدى بنعشي مرة فأغيّب

ص: 95

2- ف: «به الخطب إلا وهو للقصء مبصر».

3- اللصب: الشعب في الجبل، ولقمان: صاحب قصة النسور المشهورة في إطالة العمر. يريد أن هذه الحيلة لوقيست بحيلة لقمان، ما قصر عمره مقصر. وفي ب «قاسيت» بدل «قاسيت»، «لحيان» بدل «لقمان».

4- أقرب المهر: دنا، والأبلىق: ما فيه بياض و سواد، والأدهم: الأسود، يريد أن ضوء الفجر دنا في الليل دنو فرس اختلط سواده ببياضه.

5- الحوم: الجماعة، والعمرم: الكثير، والذحلة: الثأر.

6- قسر أونسر - كما في بعض الأصول - و خثعم: قبيلتان.

7- الوجين: شط الوادي، المديم: الممطور، وابن حاجز: اسم رجل، ومنعه من الصرف للضرورة.

خرجنا فلم نعهد وقلت وصاتنا *** ثمانية ما بعدها متعتب(1)

سراحين فتيان كأن وجوههم *** مصايح أو لون من الماء مذهب(2)

انمر برهو الماء صفحا وقد طوت *** ثمانلنا و الزاد ظن مغيب(3)

ثلاثا على الأقدام حتى سما بنا *** على العوص شعشاع من القوم محرب(4)

فثاروا إلينا في السواد فهجهجوا *** وصوت فينا بالصباح المثوب(5)

فشن عليهم هزة السيف ثابت *** وصمم فيهم بالحسام المسيب

وظلت بفتيان معي أتقيهم *** بهن قليلا ساعة ثم جنبوا(6)

وقد خر منهم راجلان و فارس *** كمي صرعناه و حوم مسلب(7)

يشق إليه كل ربع و قلعة *** ثمانية و القوم رجل و مقنب(8)

فلما رأنا قومنا قيل أفلحوا *** فقلنا: اسألوا عن قائل لا يكذب

وقال تأبط شرًا في ذلك:

أرى قدمي وقعهما خفيف *** كتحلليل الظليم حدا رثاله(9)

أرى بهما عذابا كل يوم *** بخثعم أو بجيلة أو ثماله(10)

(11) ففرق تأبط شرًا أصحابه، و لم يزالوا يقاتلونهم حتى انهزمت خثعم، و ساق تأبط شرًا و أصحابه الإبل حتى قدم بها عليا مكة(12).

عود إلى سبب تسميته:

وقال غيره: إنما سمي تأبط شرًا ببيت قاله: و هو:

تأبط شرًا ثم راح أو اغتدى *** يوائم غنما أو يشيف على ذحل(13)

ص: 96

- 1- يريد لم نعهد إلى أحد بمن يخلفنا من قومنا، و قلت وصايانا، و كنا قلة، لا يعتب عاتب علينا إذا ظفر بنا، و كل هذا كناية عن الاستماتة.
- 2- السراحين: جمع سرحان: و هو الذئب، و مذهب: في لون الذهب.
- 3- رهوا: يسير سيرًا هينا، و التماثل: جمع ثميلة، و هي الحب أو السويق أو التمر، يريد أننا خرجنا و لم نهتم بادخار الماء، و قد نفذ زادنا، و لا أمل لنا في زاد جديد، و هذا كله كناية عن المغامرة.

- 4- الشعشاع: الطويل، و المحرب: المدرب على الحرب. يصف قائد الركب الذي هو فيه.
- 5- الهجهجة: صياح الجيش عند القتال، و ثوب - بالتشديد -: رجع. أي ثاروا عليهم في الليل، و أعادوا الكرة عليهم في الصباح.
- 6- بهن أي بالسيوف المفهومة من سياق البيت السابق، و جنبوا: انكشفوا و مالوا: يريد الأعداء.
- 7- الكمي: الشجاع، و حوم: جمع، و في رواية «و قرم» بمعنى بطل، و مسلب: عليه سلب كثير أي مدجج بالسلاح.
- 8- رجل: جمع راجل، و المقنب: الخيل يبلغ عددها أربعين. و ضمير إليه يعود إلى الحوم المسلب في البيت السابق، و ثمانية فاعل يشق، و يريد بالقوم الأعداء.
- 9- التحليل: ضرب من المشي، و من المحلل: ثالث الجياد في السباق، و الظليم: ذكر النعام، و الرأل: ولد النعام، و جمعه رئال.
- 10- خثعم: و بجيلة، و ثمالة: قبائل.
- 11- تكملة من هج، هد.
- 12- تكملة من هج، هد.
- 13- يريد بالشر الذي تأبطه سلاحه و نحوه. الذحل: الثأر.

قال: و خرج تأبط شراً يوماً يريد الغارة، فلقي لمراد فأطرده، ونذرت به مراد، فخرجوا في طلبه، فسبقهم إلى قومه، وقال في ذلك:

إذا لا لاقيت الصّدق فاربِع *** عليه و لا يهَمّك يوم سَوّ

على أتّي بسرح بني مراد *** شجوتهم سباقاً أيّ شجو

و آخر مثله لا عيب فيه *** بصرت به ليوم غير زو(1)

خفضت بساحة تجري علينا *** أباريق الكرامة يوم لهو(2)

مع غلام من خثعم:

أغار تأبط شراً وحده على خثعم، فبينما هو يطوف إذ مرّ بغلام يتصيّد الأرناب، معه قوسه و نبله، فلما رآه تأبط شراً أهوى ليأخذه، فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى، و ضربه تأبط شراً فقتله، و قال(3) في ذلك:

و كادت و بيت الله أطناب ثابت *** تقوّض عن ليلي و تبكي التّوائح

تمنّى فتى منّا يلاقي و لم يكد *** غلام نمته المحصنات الصّرائح(4)

/اغلام نمتى فوق الخماسيّ قدره *** و دون الذي قد ترتجيه التّوايح(5)

فإن تك نالتة خطاطيف كفه *** بأبيض قصّال نمتى و هو فادح(6)

فقد شد في إحدى يديه كنانه *** يداوى لها في أسود القلب قادح(7)

- هذه الأبيات أن تكون لقوم المقتول أشبه منها بتأبط شراً -.

قالوا لها لا تنكحيه:

/قال: و خطب تأبط شراً امرأة من هذيل من بني سهم فقال لها قائل: لا تنكحيه، فإنه لأول نصل غدا يفقد(8) فقال تأبط شراً:

وقالوا لها: لا تنكحيه فإنه *** لأول نصل أن يلاقي مجمعا(9)

ص: 97

1- الزو: القرينان: يريد أنه يوم لا مثيل له.

2- ف، هد: «خفضت بجأشه» و خفض: من الخفض بمعنى الدعة، و ضمير ساحة يعود على السرح الآخر في البيت قبله. و الكرامة: غطاء رأس الحب، و كأنه استعار الحب لدنّ الخمر و نحوه.

3- عقب في بعض الأصول على هذه الأبيات بأنها لشاعر من قوم الغلام، وهو الصواب.

4- ف: «تمنى فتى منافلقى و مل يكد غلاما... إلخ». و الصرائح: الخالصات النسب.

5- الخماسي: الغلام طوله خمسة أشبار، و دون الذي قد ترتجيه النوايح: لم يبلغ مبلغ الزواج.

6- الخطاطيف: جمع خطاف، و هو الحديدة الحجناء، و ضمير كفه يعود على تأبط شرا، و القصال، السيف القاطع، و هذا البيت من هد، و هج.

7- ف، هد: «فقد شد في إحدى يديه حرابه» بدل «كنانة» و في هد: «يداوى لها» بدل «تداوى». و الكنانة: جعبة السهام، و قادح: صفة

جرح محذوف، يريد أن أسهم الغلام تحدث جراحا عميقة في سويداء القلوب.

8- لأول نصل غدا يفقد: معرض للموت في كل لحظة.

9- لأول نصل، أي يموت لأول ضربة سيف، و المصدر المؤول بدل من نصل أي يموت لأول لقائه جمعا من المغبرين.

فلم تر من رأي فتيتا و حاذرت *** تأيمها من لابس الليل أروعا(1)

قليل غرار النوم أكبر همّه *** دم الثّار أو يلقي كميّا مقنّعا(2)

قليل ادّخار الزّاد إلّا تعلّة *** وقد نشز الشّر سوف و التّصق المعى(3)

/تناضله كلّ يشجّع نفسه *** و ما طبّه في طرّقه أن يشجّع(4)

بييت بمغنى الوحش حتى ألفنه *** و يصبح لا يحمي لها الدهر مرتعا(5)

رأين فتى لا صيد وحش يهّمّه *** فلو صافحت إنسا لصافحه معا(6)

و لكنّ أرباب المخاض يشقّهم *** إذا افتقدوه أو رأوه مشيّا(7)

و إني - و لا علم - لأعلم أنني *** سألقى سنان الموت يرشق أضلعا(8)

على غرّة أو جهرّة من مكائر *** أطال نزال الموت حتى تسعسا(9)

- تسعس: فني و ذهب. يقال: قد تسعس الشّهر، و منه حديث عمر رضي الله عنه حين ذكر شهر رمضان فقال: «إن هذا الشهر قد تسعس» -

و كنت أظن الموت في الحي أو أرى *** ألدّ و أكرى أو أموت مقنّعا(10)

و لست أبيت الدّهر إلّا على فتى *** أسلّبه أو أذعر السرب أجمعا(11)

و من يضرب الأبطال لا بدّ أنه *** سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا(12)

ص: 98

1- الفتيل: الخيط في شق النواة، و لابس الليل: كثير الغارات ليلا، و أروع: ذكي الفؤاد، أو يعجب بشجاعته، يريد أنها لم تعر عرض الزواج منها التفاتا خشية أن تصبح أيما منه.

2- غرار النوم: النوم الخفيف، و كميّا مقنّعا: شجاعا ملثما.

3- الشرسوف: الطرف اللين من الضلع مما يلي البطن، و المعى: واحد الأمعاء، يريد أنه دائم الطوى، حتى لتبرز أضلاعه، و تلتصق أمعاؤه بعضها ببعض، لخلوها من الطعام.

4- ف: «تنازله» بدل «تناضله»، و لعل المراد: تناضله نفسه، و طرق: جمع طريق أي أنه لا يحتاج إلى مشجع حين يسلك الطرق المخوفة، بخلاف الناس.

5- المغنى: المقام: يريد أنه ألف الوحوش و ألفته، فهو بييت معها آمنا، فإذا أصبح أغار عليها.

6- ضمير «رأين» للوحوش، أي أنها تحبسه لا يهّمه صيد الوحوش، فتكاد تصافحه.

- 7- ف: «مسمعا» بدل «مشيعا». ويشقهم: يؤرقهم، يريد أن الوحوش تأنس به، ولكن أرباب الإبل يخشونه على إبلهم، فهم يفزعون حين يفتقدونه فلا يجدونه، أو حين يروونه مشيعا إلى رحلة.
- 8- ولا علم أي لي، والجملة اعتراضية، يرشق أضلعا يرى أضلعه، كناية عن الموت. وفي هد «يبرق أضلعا» وفي ف: «وإني إن عمرت».
- 9- غرة: غفلة، مكاثر: كثير الغارات: يعني نفسه.
- 10- كنت أظن الموت في الحي: كنت أعدني ميتا ما لبثت في الحي. أكرى: أزيد. المقنع: من يلبس البيضة على رأسه. يقول: إنني في عداد الأموات ما أقمت في موطن، حتى أخرج للغزو. فأتلذذ به، وأزيد متعة، أو أموت وعلى رأسي بيضة.
- 11- يقول: لا يقر قراري إلا إذا أصبت فردا أفوز بسلبه، أو أغرت على سرب من الحيوان لأصيده فيذعر عند رؤيتي، أي أنني أقضي حياتي بين صيد وقتص.
- 12- من في البيت: موصولة لا شرطية.

قال: و خرج تأبط شراً و معه صاحبان له: عمرو بن كلاب أخو المسيب، و سعد بن الأشرس و هم يريدون العارة على بجيلة فنذروا بهم، و هم في جبل ليس لهم طريق عليهم فأحاطوا بهم و أخذوا عليهم الطريق، فقاتلوهم فقتل صاحباً تأبط شراً و نجا، و لم يكد حتى أتى قومه. فقالت له امرأته و هي أخت عمرو بن كلاب إحدى نساء كعب بن علي بن إبراهيم بن رياح: هربت عن أخي و تركته و غررتة، أما و الله لو كنت كريماً لما أسلمتته، فقال تأبط شراً في ذلك:

ألا تلکما عرسي منیعة ضمّنت *** من الله خزياً مستسراً و عاهناً(1)

و ذکر باقي الأبيات.

و إنما دعا امرأته إلى أن عيّرتة أنه لَمَّا رجع بعد مقتل صاحبيه انطلق إلى امرأة كان يتحدث عندها، و هي من بني القين بن فهم، فبات عندها، فلما أصبح غدا إلى امرأته و هو مدّهن مترجّل، فلما رأته في تلك الحال علمت أين بات، فغارت عليه فعيّرتة.

يغير على خثعم:

و ذكروا أن تأبط شراً أغار على خثعم، فقال كاهن لهم: أروني أثره حتى آخذه لكم فلا يبرح حتى تأخذه، فكفّفنوا على أثره جفنة، ثم أرسلوا إلى الكاهن فلما رأى أثره قال: هذا ما لا يجوز في صاحبه الأخذ، فقال تأبط شراً:

ألا أبلغ بني فهم بن عمرو *** على طول التّنائي و المقالة(2)

مقال الكاهن الجاميّ لَمَّا *** رأى أثري و قد أنهبت ماله(3)

أرأى قدميّ وقعهما حيث *** كتّحليل الظليم دعا رثاله(4)

أرى بهما عذاباً كلّ عام *** لخثعم أو بجيلة أو ثماله(5)

أو شرّ كان صبّ على هذيل *** إذا علقت حبالهم حباله(6)

و يوم الأزد منهم شرّ يوم *** إذا بعدوا فقد صدّقت قاله(7)

فزعّموا أن ناساً من الأزد ربّثوا لتأبط شراً ربيّنة(8) و قالوا: هذا مضيق ليس له سبيل إليكم من غيره، فأقيموا فيه حتى يأتيكم، فلما دنا من القوم توجس، ثم انصرف، ثم عاد فنهضوا في أثره حين رأوه لا يجوز، و مرّ قريبا فطمعوا فيه، و فيهم رجل يقال له حاجز؛ ليث من ليوثهم سريع، فأغروه به فلم يلحقه، فقال تأبط شراً في ذلك:

ص: 99

1- تقدم شرح هذا البيت.

2- يريد على طول التّنائي و طول طريق الرسالة التي يريد إبلاغها إليهم.

- 3- أنهبت «بالبناء للمجهول»، و ما له مفعول ثان.
- 4- تقدم هذان البيتان و شرحهما.
- 5- تقدم هذان البيتان و شرحهما.
- 6- ضمير حباله يعود على الكاهن، يريد أن هذيلا لو استعانت بالكاهن أيضا ما أجداها ذلك.
- 7- القال هنا بمعنى القول، و الضمير في قاله يعود على الكاهن.
- 8- ربثوا له ريثة: أقاموا عليه جاسوسا.

تتعنت حَضَنِي حَاجِزٌ وَصَحَابَهُ *** وَ قَدْ نَبَذُوا خَلْقَانَهُمْ وَ تَشَنَعُوا(1)

أَظُنُّ وَأَنْ صَادَفْتُ وَعِثَا وَأَنْ جَرَى *** بِي السَّهْلُ أَوْ مَتْنٌ مِنَ الْأَرْضِ مَهِيْعٌ(2)

أَجَارِي ظِلَالَ الطَّيْرِ لَوْ فَاتَ وَاحِدٌ *** وَ لَوْ صَدَقُوا قَالُوا لَهُ هُوَ أَسْرَعُ(3)

فَلَوْ كَانَ مِنْ فَتْيَانِ قَيْسٍ وَ خَنْدَفٍ *** أَطَافَ بِهِ الْقَنَاصُ مِنْ حَيْثُ أَفْزَعُوا(4)

وَ جَابَ بِلَادَا نِصْفِ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ *** لَأَبَّ إِلَيْهِمْ وَ هُوَ أَشْوَسُ أُرْوَعُ(5)

فَلَوْ كَانَ مِنْكُمْ وَاحِدٌ لِكَفَيْتِهِ *** وَ مَا ارْتَجَعُوا لَوْ كَانَ فِي الْقَوْمِ مَطْمَعٌ(6)

/فأجابه حاجز:

فإن تك جاريت الظلال فربما *** سبقت و يوم القرن عريان أسنع(7)

و خلّيت إخوان الصفاء كأنهم *** ذبائح عنز أو فحيل مصرع(8)

تبكيهم شجو الحمامة بعد ما *** أرحت و لم ترفع لهم منك إصبع(9)

فهذي ثلاث قد حويت نجاتها *** وإن تنج أخرى فهي عندك أربع

خير أيامه:

أخبرني(10) عمّي قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال ذكر عليّ بن محمد المدائنيّ، عن ابن دأب قال:

سئل تأبط شرّاً: أيّ يوم مرّ بك خير؟ قال: خرجت حتى كنت في بلاد بجيلة، أضاءت لي النار رجلاً جالساً إلى امرأة. فعمدت إلى سيفي فدفنته قريباً، ثم أقبلت حتى استأنست، فنبحني الكلب، فقال: ما هذا؟ فقلت:

بئس. فقال: ادنه، فدنوت، فإذا رجل جلحاح آدم(11)، وإذا أضوى(12) الناس إلى جانبه، فشكوت إليه الجوع

ص: 100

1- الحَضَنُ: ما دون الإبط إلى الكشح، يريد أنه كد أحضان حاجز ورفاقه من الجري خلفه، والخلقان: ما بلي من الثياب، وشنع الخرقه: شعثها، أي أنهم تخففوا من بعض ثيابهم، وشعثوا ما بقي لها من طول الجري.

2- الوعشاء: الطريق يصعب سلوكه، والمهيع عكسه، يصف نفسه بسرعة العدو، فيقول: إنه حين يعدو يظن أن الأرض تجري به، وإن كانت طرقها ملتوية على السالك.

3- في ف «و لو صدقوا قالوا بلى أنت أسرع» يريد أنه يسبق الطير.

4- ضمير كان يعود على حاجز، و أفزعوا «بالبناء للمجهول»، و جملة أطاف... إلخ حال من اسم كان، لأب جواب لو، أشوس هنا بمعنى

ينظر بمؤخر عينه غيظا، و أروع هنا من الروع بمعنى الفرع أي لو كان حاجز من بجيلة، و خندف، و معه لفيف من القناصة الفرعين، و جروا وراه مدة طويلة لآب إلى قبيلته بالفشل.

5- ضمير كان يعود على حاجز، و أفزعوا «بالبناء للمجهول»، و جملة أطاف... إلخ حال من اسم كان، لآب جواب لو، أشوس هنا بمعنى ينظر بمؤخر عينه غيظا، و أروع هنا من الروع بمعنى الفرع أي لو كان حاجز من بجيلة، و خندف، و معه لفيف من القناصة الفرعين، و جروا وراه مدة طويلة لآب إلى قبيلته بالفشل.

6- يريد لو كان من يطلبنى واحدا لظفرت به، و لو كان لمن تبعوه مطمع فيه ما رجعوا بالخيبة.

7- القرن: القرين المنافس، عريان: صحو لا غيم فيه، أسنع: أفضل، يقول: إن تك عداء تسبق الظلال فربما سبقك القرن في يوم جميل موات.

8- الفحيل: فحل الإبل إذا كان كريما.

9- شجو مفعول مطلق لفعل محذوف، أي و أنت تشججو شجو الحمامة، أرحت: عدت إلى حيك، و لم ترفع لهم منك إصبع: لم تحاول الدفاع عنهم.

10- من أول هذا الخبر إلى آخر الترجمة ساقط من نسخة ب و لكنه مثبت في ف و بعض الأصول.

11- جلهاب: ضخم، آدم: أسمر.

12- أضوى: من الضوى، بمعنى دقة العظم و قلة اللحم، كأنه يصفها بالرشاقة و عدم الترهل. و ربما كانت محرفة عن أضوا من الضوء.

و الحاجة، فقال: اكشف تلك القصة، فأتيت قصعة إلى جنب إبله، فإذا فيها تمر و لبن، فأكلت منه حتى شبع، ثم خررت متناوماً، فوالله ما شئت أن أضطجع حتى اضطجع هو ورفع رجله على رجله، ثم اندفع يغني وهو يقول:

/خير الليالي إن سألت بليلة *** ليل بخيمة بين بيش و عثر(1)

لضجيع أنسة كأن حديثها *** شهد يشاب بمزجة من عنبر

و ضجيع لاهية الأعب مثلها *** بيضاء واضحة كظيظ المنزر(2)

و لأنت مثلهما و خير منهما *** بعد الرقاد و قبل أن لم تسحري(3)

قال: ثم انحرف فنام، و مالت فنامت: فقلت: ما رأيت كالليلة في العرة، فإذا عشر عشراوات(4) بين أثلاث(5) فيها عبد واحد و أمة، فوثبت فانتضيت سيفي، و انتحيت للعبد فقتلته و هو نائم، ثم انحرفت إلى الرجل فوضعت سيفي على كبده حتى أخرجه من صلبه، ثم ضربت فخذ المرأة فجلست، فلما رأته مقتولا جزعت، فقلت: لا تخافي، أنا خير لك منه. قال: و قمت إلى جلّ متاعها فرحلته على بعض الإبل أنا و الأمة فما حللت عقده حتى نزلت بصعدة بني عوف بن فهر. و أعروست بالمرأة هناك و حين اضطجعت فتحت عقيرتي و غنيت:

بحليلة البجليّ بت من ليلها *** بين الإزار و كشحها ثم الصق(6)

بأنيسة طويت على مطويها *** طيّ الحماله أو كطيّ المنطق(7)

/إذا تقوم فصعدة في رملة *** لبدت بریق ديمة لم تغدق(8)

و إذا تجيء تجيء شحب خلفها *** كالأيم أصعد في كثيب يرتقي(9)

كذب الكواهن و السواحر و الهنا *** أن لا وفاء لعاجز لا يتقي(10)

قال: فهذا خير يوم لقيته.

ص: 101

1- خيمة، بيش، عثر: أماكن، و في «المختار»: «... أن أبيت بليلة» بدل «أن سألت بليلة».

2- كظيظ: من الكظة، و هي امتلاء البطن، يصفها بضخامة العجز، و هي غير صاحبتة الضاوية.

3- الإسحار: الدخول في السحر، يفضل صاحبتة الضاوية على من ذكرهما في البيتين السابقين. عند المضاجعة بعد الرقاد، و قبل السحر.

4- عشراوات: جمع عشراء، و هي من مضى على حملها عشرة أشهر من النوق.

5- الأثلاث: جمع أثلة: شجر معروف.

6- في «المختار»: «... بت بليلة» بدل «بت من ليلها».

7- الحماله: حمالة السيف التي تتصل بجرايه، و المنطق: ما يتمنطق به، يريد أنها مجدولة جلد هاتين. و في «المختار»: «طويت على

أقربها» بدل «على مطويها».

- 8- الصعدة: الفناة المستوية، كناية عن حسن القوام. لبدت: تلبدت. الديمة: السحابة لم تغدق: لم يكن مطرها غزيراً، يصفها بالترنح في مشيتها، كأنها تمشي على أرض تلبدت بمطر خفيف.
- 9- الشحب: العمود، كأنه يريد خيالها. وفي هج: «وإذا تجيء أنت بنجد خلفها» كأنه يصفها بضخامة العجز، والأيم: الحية الأبيض اللطيف النظر، وفي «المختار»: «... تجيء بجيد خلفها».
- 10- كذا في معظم الأصول. وفي هج: «أن لا وقاء» بدل «أن لا وفاء». ونرجح أن «الهنا» محرف «النهى» والمعنى على ذلك أن العاجز الذي لا يحتاط قد تكتب له السلامة... والمقصود بالبيت تحبيذ المغامرات التي يخوضها. وفي «المختار» «زعم الكواهن و السواحر و الرقا».

وشرّ يوم لقيت أنّي خرجت، حتى إذا كنت في بلاد شماله أطوف، حتى إذا كنت من القفير(1) عشياً إذا أنا بسبع خلفات(2) فيهن عبد، فأقبلت نحوه، وكأني لا أريده و حذرني فجعل يلوذ بناقة فيها حمراء، فقلت في نفسي: والله إنه ليتق بها. فأفوق له، ووضع رجله في أرجلها وجعل يدور معها، فإذا هو على عجزها. وأرميه حين أشرف فوضعت سهمي في قلبه فخرّ، وندت الناقة شيئاً وأتبعها فرجعت فسقتهنّ شيئاً ثم قلت: والله لو ركبت الناقة و طردتهنّ، وأخذت بعثنون(3) الحمراء فوثبت، فساعة استويت عليها كرت نحو الحيّ تريع و تبعتها الخلفات، وجعلت أسكنها و ذهبت، فلما خشيت أن تطرحني في أيدي القوم رميت بنفسي عنها، فانكسرت رجلي، وانطلقت و الذود(4) معها. فخرجت أعرج، حتى انخنست(5) في طرف كتيب و جازني الطلب، /فمكثت مكاني حتى أظلمت، و شبت لي ثلاثة أنوار فإذا نار عظيمة ظننت أن لها أهلاً كثيراً، و نار دونها، و نوية صغيرة، فهويت للصّ غرى، و أنا أجمر(6)، فلما نبهني الكلب نادى رجل فقال: من هذا؟ فقلت: بانس، فقال: ادنه، فدنوت و جلست و جعل يسألني، إلى أن قال: والله إني لأجد منك ريح دم. فقلت: لا والله، ما بي دم. فوثب إليّ فنفضني، ثم نظر في جعبي فإذا السهم، فقلت: رميت العشيّة أرنبا فقال كذبت، هذا ريح دم إنسان، ثم وثب إليّ و لا أدفع الشّرّ عن نفسي فأوثقني كتافاً، ثم علّق جعبي و قوسي، و طرحني في كسر البيت و نام، فلما أسحرت حرّكت رجلي، فإذا هي سالحة و انفتل الرّباط فحللته، ثم وثبت إلى قوسي و جعبي فأخذتهما ثم هممت بقتله فقلت: أنا(7) ضمن الرّجل، و أنا أخشى أن أطلب فأدرك و لم أقتل أحداً أحب إليّ، فولّيت و مضيت. فوالله إني لفي الصّحراء أحدث نفسي إذا أنا به على ناقة يتبعني، فلما رأيته قد دنا مني جلست على قوسي و جعبي و أمنته، و أقبل فأناخ راحلته ثم عقلها، ثم أقبل إليّ، و عهده بي عهده، فقلت له: ويك، ما تريد منّي؟ فأقبل يشتمني، حتى إذا أمكنني، وثبت عليه فما ألثته أن ضربت به الأرض، و بركت عليه أربطه، فجعل يصيح: يا لثمالة، لم أر كالسيوم. فجنبته إلى ناقته و ركبتها، فما نزعته حتّى أحللتها في الحيّ، و قلت:

أغرّك منّي يا بن فعلة علّتي *** عشية أن رابت عليّ روائي(8)

و موقد نيران ثلاث فشرّها *** و ألماها إذ قدتها غير عازب(9)

سلبت سلاحي بانسا و شتمتني *** فيا خير مسلوب و يا شرّ سالب(10)

ص: 102

1- القفير: علم على الماء.

2- الخلفات: جمع خلفه، و هي الناقة الحامل.

3- العثنون: شعيرات طوال تحت حنك الناقة أو البعير.

4- الذود: جماعة الإبل.

5- انخنس: تأخر، أي التجأ إلى طرف الكتيب.

6- يجمر: يشب كالجواد في القيد لأنه كان مصاباً في رجله.

7- ضمن الرّجل، يقال: جواد ضمن: متلكئ لا يسير إلا بالضرب.

8- فعلة: كناية عن اسم أم من يسبه. الروائب: جمع رابطة أي الحادثة المؤذية.

9- غير عازب: غير منصرف عنها، و في «المختار»: «و ألماها أو قدتها غير عازب». بدل «إذ قدتها...».

10- في «المختار»: «سللت سلاحي...» بدل «سلبت...».

إفان أك لم أخضبك فيها فإنها *** نيوب أساويد و شول عقارب(1)

و ياركة الحمراء شرة ركة *** و كادت تكون شر ركة راكب(2)

مخاتلة يظفر فيها:

قال: و خرج تأبط غازيا يريد الغارة على الأزدي في بعض ما كان يغير عليهم وحده، فنذرت به الأزدي، فأهملوا له إبلا، وأمروا ثلاثة من ذوي بأسهم: حاجز بن أبيي، و سواد بن عمرو بن مالك، و عوف بن عبد الله، أن يتبعوه حتى ينام فيأخذوه أخذا، فكمنوا له مكمننا، و أقبل تأبط شرا فبصر بالإبل، فطردها بعض يومه. ثم تركها و نهض في شعب لينظر: هل يطلبه أحد؟ فكمن القوم حين رأوه و لم يرههم، فلمّا لم ير أحدا في أثره عاود الإبل فشلتها(3) يومه و ليلته و الغد حتى أمسى، ثم عقلها، و صنع طعاما فأكله، و القوم ينظرون إليه في ظله، ثم هيا مضطجعا على التار، ثم أحمدها و زحف على بطنه و معه قوسه، حتى دخل بين الإبل، و خشي أن يكون رآه أحد و هو لا يعلم، و يابى إلا الحذر و الأخذ بالحزم، فمكث ساعة و قد هيا سهما على كبد قوسه، فلما أحسوا نومه أقبلوا ثلاثتهم يؤمون المهاد الذي رآه هيا، فإذا هو يرمي أحدهم فيقتله، و جال الآخران، و رمى آخر فقتله، و أفلت حاجز هاربا، و أخذ سلب الرّجلين، و أطلق عقل الإبل و شلتها حتى جاء بها قومه، و قال تأبط في ذلك:

ترجي نساء الأزدي طلعة ثابت *** أسيرا و لم يدرين كيف حويلي(4)

إفان الألى أوصيتهم بين هارب *** طريد و مسفوح الدماء قتيل(5)

وخذت بهم حتى إذا طال و خدهم *** و راب عليهم مضجعي و مقيلي(6)

مهدت لهم حتى إذا طاب روعهم *** إلى المهدي خاتلت الصيا بنختيل(7)

فلما أحسوا النوم جاءوا كأنهم *** سباع أصابت هجمة بسليل(8)

فقلدت سوار بن عمرو بن مالك *** بأسمر جسر القذتين طميل(9)

فخر كأن الفيل ألقى جرانه *** عليه بريان القواء أسيل(10)

ص: 103

1- فيها: الضمير يعود على السلاح، و هو يذكر و يؤنث. و الأساويد: الجيات. و شول العقارب: العقارب رافعة أذناها.

2- يريد بالحمراء، الناقة التي كانت سببا في إصابة رجله. و في «المختار»: «لقد كدت ألقى بعدها غير راكب».

3- شل الإبل: طردها.

4- الحويل: الاحتيال و المهارة.

5- في «المختار»: «إفان الألى أوصيتهم بين هارب».

6- الوخد: ضرب من السير، و راب عليهم: التبس عليهم. و مقيلي: موضع راحتي عند القيلولة. و في «المختار»: «و طال عليهم مضجعي

و مقيلي». بدل «وراب عليهم».

7- في بعض النسخ: «طال روعهم» و نرجح أنها «طاب» لا «طال». و الروع: القلب، كناية عن الاطمئنان، و خاتلت: خادعت، و في بعض النسخ أيضا: «الصبا» بدل «الضياء» و لعل المراد: أنه خدعهم نهارا، و المعنى الإجمالي للبيت غير خاف.

8- السليل: وسط الوادي، أو جرى الماء فيه.

9- الأسمر: يريد السهم، و الجسر: الضخم، و القذة: ريش السهم، و الطميل: العريض النصل، يريد أنه أضحى سوارا بسهم هذه صفته، و في «المختار»: «... جسر القذتين طويل».

10- الجران: مقدم العنق، و القواء: الأرض القفر، و الأسيل: المستوى الأملس أي خر لا حراك به كأن الفيل أنحى عليه بعنقه فوق أرض قفراء ملساء مخصلة بالماء، و كل هذه الصفات مما يزيد التصاقه بالأرض، بل غوصه فيها، و في «المختار»: «عليه بثرثار القواء... إلخ» و في هد، هج: «عليه بريان الفؤاد أسيل».

و ظل رعاع المتن من وقع حاجز *** يختر و لو نهنت غير قليل(1)

لأبت كما آبا و لو كنت قارنا *** لجئت و ما مالكت طول ذميلي(2)

إفسرك ندماناك لما تتابعا *** و أنك لم ترجع بعوص قتيل(3)

ستأتي إلى فهم غنيمة خلسة *** و في الأزد نوح ويلة بعويل

فقال حاجز بن أبي الأزدي يجيبه:

سألت فلم تكلمني الرسوم

و هي في أشعار الأزد.

فأجابه تأبط شراً:

لقد قال الخليلي و قال خلصا *** بظهر الليل شدّ به العكوم(4)

لطيف من سعاد عناك منها *** مراعاة النجوم و من يهيم(5)

و تلك لئن عنيت بها رداح *** من السوان منطقتها رخيم(6)

نياق القرط غزاء الثنايا *** وريداء الشباب و نعم خيم(7)

و لكن فات صاحب بطن رهو *** و صاحبه فانت به زعيم(8)

أواخذ خطة فيها سواء *** أبيت و ليل و اترها نؤوم(9)

أثارت به و ما اقترفت يده *** فظل لها بنا يوم غشوم(10)

نحز رقابهم حتى نزعنا *** و أنف الموت منخره رميم(11)

ص: 104

1- الرعاع: من لا فؤاد له، و حاجز اسم رجل: نهنت: زجرت نفسك عن الفرار. القارن: حامل النيل أو السيف، و الذميل: نوع من السير: يقول: و ظل الجبان بعد أن خر حاجز يقع من الخوف، و لو أنك نهنت نفسك عن الفرار للحقت بزميلك، و لو كنت ذا سيف أو نبل لثبت، و لم تلجأ إلى الجري. و في «المختار»: «و لو نهنت سوق قليل» و كذا في هج.

2- الرعاع: من لا فؤاد له، و حاجز اسم رجل: نهنت: زجرت نفسك عن الفرار. القارن: حامل النيل أو السيف، و الذميل: نوع من السير: يقول: و ظل الجبان بعد أن خر حاجز يقع من الخوف، و لو أنك نهنت نفسك عن الفرار للحقت بزميلك، و لو كنت ذا سيف أو نبل لثبت،

ولم تلجأ إلى الجري. وفي «المختار»: «ولو نهنت سوق قليل» وكذا في هج.

3- العوص: الشدة أو الداهية ونحوها. يقول: سرك صاحبك حينما صرعا، ولم تصرع مثلهما. وفي «المختار»: «وأنت لم ترجع بعرض قتيل».

4- خلسا: خلسة و خفية، العكوم: ما تشد به الرحال، أي قال الخلي خفية لطيف سعاد في ليل شدت به الرحال: قال عنك: إنك من هواها تراقب النجوم سهرا و تتفكر في العشق و العاشقين.

5- خلسا: خلسة و خفية، العكوم: ما تشد به الرحال، أي قال الخلي خفية لطيف سعاد في ليل شدت به الرحال: قال عنك: إنك من هواها تراقب النجوم سهرا و تتفكر في العشق و العاشقين.

6- الرдах: الممتلئة الجسم، المنطق الرخيم: اللين.

7- النياق: جمع ناقة، و المراد هنا بها كواكب مصطفة على هيئة الناقة؛ يشبه قرطها بالكواكب، غراء الثنايا: بيضاء الأسنان، وريداء الشباب: كذا في الأصول، و هو مصغر وريداء، و لم نجد وريداء في اللغة، فلعلها وريداء من قولهم: وريداء، بمعنى ترفق، أي رقيقة الشباب، الخيم: الصفات، أي نعمت صفاتها، و فاعل نعم هنا غير جار على الأصول النحوية المعروفة.

8- انتقال من الغزل إلى الملاحاة، و لعله يريد بصاحبي بطن رهط من صرعهما، و يقول لمن يلاحيه: أنت بهما زعيم أي كفيل.

9- يريد أنه يأخذ بخطة مستوية في الأخذ بالثأر، يبيت من أجلها يقظان، و يبيت الواتر عنها نائما.

10- ضمير به يعود على قتيل يقصده، و ما اقترفت يداه أي لم يدفع عن نفسه، و ضمير لها يعود على الخطة، و اليوم الغشوم: الظلوم لكثرة من مات فيه.

11- رميم: بال، و هو كناية عن أن الموت كان طوع أيديهم، لا يستعصى عليهم.

وإن تقع النّسور عليّ يوما *** فلحم المعتفي لحم كريم(1)

وذي رحم أحال الدّهر عنه *** فليس له لذي رحم حريم(2)

أصاب الدّهر آمن مروتيه *** فألقاه المصاحب و الحميم(3)

مددت له يمينا من جناحي *** لها وفر و كافية رحوم(4)

أواسيه على الأيّام إني *** إذا قعدت به اللّؤما ألوم(5)

موت أخيه عمرو:

ذكروا أنه لما انصرف الناس عن المستغلّ (6)؛ و هي سوق كانت العرب تجتمع بها، قال عمرو بن جابر بن سفيان أخو تأبط شراً لمن حضر من قومه: لا- و اللات و العزى لا- أرجع حتى أغير على بني عتير من هذيل، و معه رجلان من قومه هو ثالثهما، فأطردوا إبلا- لبني عتير فأتبعهم أرباب الإبل، فقال عمرو: أنا كآر على القوم و منهنهم(7) عنكما، فامضيا بالإبل. فكّر عليهم فنههم طويلا، فجرح في القوم رئيسا، و رماه رجل من بني عتير بسهم فقتله، فقالت بنو عتير: هذا عمرو بن جابر، ما تصنعون/أن(8) تلحقوا بأصحابه؟ أبعدها الله من إبل، فأنا نخشى أن نلحقهم فيقتل القوم منا، فيكونوا قد أخذوا الثأر، فرجعوا و لم يجاوزوه. و كانوا يظنون أن معه أناسا كثيرا، فقال تأبط لّمّا بلغه قتل أخيه:

و حرّمت النساء و إن أحلت *** بشور أو بمزج أو لصاب(9)

حياتي أو أزور بني عتير *** و كاهلها بجمع ذي ضباب(10)

إذا وقعت لكعب أو خثيم *** و سيار يسوغ لها شرابي(11)

أظني ميّنا كمدا و لّمّا *** أطلع طلعة أهل الكراب(12)

و دمت مسيرا أهدي رعيلًا *** أوم سواد طود ذي نقاب(13)

ص: 105

1- المعتفي: الرائد، أو طالب الفضل.

2- أحال الدهر عنه: تحول عنه، أي أحنى عليه، فليس له لذي رحم حريم، أي لم تعد له حرمة عند أقاربه.

3- المروة: جبل بمكة. يريد بآمن مروتيه آمن حصنيه.

4- رحوم: كثير الرحمة، مثل رحيم، يريد أنه لم يقصر في مواساته.

5- يريد: إذا تنكر له اللؤما - مقصور اللؤماء - و في هج «اللؤمي».

6- هج: «المسقل» بدل «المستغل».

7- نههم: زجرهم و ردهم.

8- ما تصنعون أن تلحقوا: بأن تلحقوا، يريد، لا فائدة باللحاق بهم.

9- الشور: العسل، والمزج: نوع منه أيضا. والصاب: شجر مر، ولعل المعنى: حرمت على نفسي النساء الحلال، سواء كانت عسلا أو صابا.

10- الكاهل: مقدم الظهر مما يلي العنق، يريد: أبذل حياتي، أو أغزو عتيرا التي قتلت أخاه، و يتوغل في غزوها حتى يقف على كاهلها بجمع كثيف كأنه الغبار الذي يكتنفه ضباب.

11- فاعل وقعت محذوف، تقديره المنية، أي إذا أوقعت بهؤلاء يحل لها شرابي، و ضمير لها يعود على حياتي.

12- الكراب: مجاري الماء في الوادي.

13- رعيلا، أي جماعة من الفرسان، يقول: أظنني ميتا إن لم أغزهم، و أظل أسوق إليهم الفرسان تخترق كل جبل تغطيه السحب.

فأجابه أنس بن حذيفة الهذلي:

لعلك أن تجيء بك المنايا *** تساق لفتية منا غضاب

فتنزل في مكرهم صريعا *** و تنزل طرقة الضبع السّغاب(1)

تأبّط سواة و حملت شرًا *** لعلك أن تكون من المصاب(2)

أخوه السمع يثأر لأخيه عمرو:

ثم أن السمع بن جابر أخوا تأبّط شرًا خرج في صعاليك من قومه يريد الغارة على بني عتير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر، حتى إذا كان ببلاد هذيل لقي راعيا لهم، فسأله عنهم، فأخبره بأهل بيت من عتير كثير مالهم، فبيّتهم، فلم يفلت منهم مخبر، واستاقوا أموالهم، فقال في ذلك السمع بن جابر:

بأعلى ذى جماجم أهل دار *** إذا ظعنت عشيرتهم أقاموا(3)

طرقتهم بفتيان كرام *** مساعير إذا حمي المقام

متى ما أدع من فهم تجبني *** و عدوان الحماة لهم نظام(4)

إصابته في غارة على الأزدي:

ذكروا أن تأبّط شرًا خرج و معه مروة بن خليف يريدان الغارة على الأزدي، و قد جعل الهداية بينهما، فلما كانت هداية مروة نعس، فجار عن الطريق، و مضيا حتى وقعا بين جبال ليس فيها جبل متقارب، و إذا فيها مياه يصيح الطير عليها؛ و إذا البيض و الفراخ بظهور الأكم، فقال تأبّط شرًا: هلكننا و اللات يا مروة، ما وطئ هذا المكان انس قبلنا، و لو وطنته انس ما باضت الطير بالأرض، فاختر أية هاتين القنيتين شئت، و هما أطول شيء يريان من الجبال، فأصعد إحدهما و تصعد أنت الأخرى، فإن رأيت الحياة فألح بالثوب، و إن رأيت و الموت فألح بالسيف، فإني فاعل مثل ذلك، فأقاما يومين. ثم إن تأبّط شرًا ألح بالثوب، و انحدرتا حتى التقيا في سفح الجبل، فقال مروة: ما رأيت يا ثابت؟ قال: دخانا أو جرادا. قال مروة: إنك إن جزعت منه هلكننا، فقال تأبّط شرًا: أما أنا فإنني سأخرم بك من حيث تهتدي الريح، فمكثا بذلك يومين و ليلتين، ثم تبعوا الصوّت، فقال تأبّط شرًا: النعم و الناس. أما و الله لئن عرفنا لنقتلنّ، و لئن أغرنا/لندركنّ، فأت الحيّ من طرف و أنا من الآخر، ثم كن ضيفا ثلاثا، فإن لم يرجع إليك قلبك فلا رجوع، ثم أغر على ما قبلك إذا تدلّت الشمس فكانت قدر قامة، و موعذك الطريق. ففعلا، حتى إذا كان اليوم الثالث(5) أغار كل واحد منهما على ما يليه، فاستاقا النعم و الغنم، و طردا يوما و ليلة طردا عنيفا حتى أمسيا الليلة الثانية(6) دخلا شعبا، فحرا قلوفا، فبينما هما يشويان إذا سمعا حسا على باب الشعب، فقال تأبّط: الطلّب يا مروة،

ص: 106

1- مكرهم: موضع الكر، أي الميدان. السغاب: الجياح.

2- السواة: العورة، و في البيت التفاف من الغيبة إلى الخطاب، و قوله من المصاب أي من نفر المصاب، و قد وردت كذلك في الأصول، و لعلها مع المصاب، و يعني بالمصاب أخاه، أي لعلك تلحق به.

3- بأعلى ذى جماجم: يريد الجبل الذي ينزلون به.

4- متى ما أذع: متى ما أذعهم، وعدوان الحماية لهم نظام: جملة حالية، أي عداوة الأبطال نظامهم، و نرجح أن الحماية تحريف الحياة، أي يجيبونني وهم يكرهون الحياة ويحبون الموت. وفي «المختار»: متى ما أذع في فهم بدل «من فهم» وفيه: «وعدوان الكرام لهم نظام» بدل «وعدوان الحماية».

5- ساقط من نسخ «الأغاني» و الزيادة عن «المختار».

6- ساقط من نسخ «الأغاني» و الزيادة عن «المختار».

إن ثبت فلم يدخل فهم مجيزون، وإن دخل فهو الطلب، فلم يلبث أن سمع الحسّ يدخل، فقال مرّة: هلكننا، ووضع تأبط شرّاً يده على عضد مرّة، فإذا هي ترعد، فقال: ما أرعدت عضدك إلا من قبل أمك الوابشية(1) من هذيل، خذ بظهري، فإن نجوت نجوت، وإن قتلت وقتك. فلما دنا القوم أخذ مرّة بظهر تأبط، وحمل تأبط فقتل رجلاً، ورموه بسهم فأعلقوه فيه؛ وأفلتا جميعاً بأنفسهما، فلما أمنا وكان من آخر الليل، قال مرّة: ما رأيت كالسيوم غنيمة أخذت على حين أشرفنا على أهلنا، وعض(2) مرّة عضده، وكان الحي الذين أغاروا عليهم بجيلة، وأتى تأبط امرأته، فلما رأيت جراحته ولولت، فقال تأبط في ذلك:

و بالسّعب إذ سدّت بجيلة فجّه *** و من خلفه هضب صغار و جامل(3)

شددت لنفس المرء مرّة حزمه *** و قد نصبت دون التّجاء الحبائل(4)

و قلت له: كن خلف ظهري فإنني *** سأفديك و انظر بعد ما أنت فاعل(5)

أفعاذ بحدّ السيف صاحب أمرهم *** و خلّوا عن الشيء الذي لم يحاولوا(6)

و أخطأهم قتلي و رفّعت صاحبي *** على الليل لم تؤخذ عليه المخاتل(7)

و اخطأ غنم الحيّ مرّة بعد ما *** حوته إليه كفّه و الأنامل

يعض على أطرافه كيف زوله *** و دون الملا سهل من الأرض مائل(8)

فقلت له: هذي بتلك و قد يرى *** لها ثمننا من نفسه ما يزاول(9)

تولول سعدى أن أتيت مجرّحاً *** إليها و قد منّت عليّ المقاتل(10)

و كائن أتاها هاربا قبل هذه *** و من غانم فأين منك الولاول(11)

يثبت مع قلة من أصحابه فيظفرون:

فلما انقضت الأشهر الحرم خرج تأبط و المسيّب بن كلاب في ستة نفر يريدون الغارة على بجيلة، و الأخذ بثأر صاحبيهم عمرو بن كلاب و سعد بن الأشرس. فخرج تأبط و المسيّب بن كلاب و عامر بن الأخنس و عمرو بن براق

ص: 107

1- في هج: «الوالبية» بدل «الوابشية»، و في هد «الوانسية». و في «المختار»: «الوانلية».

2- في هد: «و عصر عضده».

3- الجامل: الجمال، و في «المختار» «هضب طوال و جامل».

4- في «المختار»: «شددت لأنجي المرء مرّة عزمة».

5- في «المختار»: «ما أنا فاعل».

6- يريد أنهم استنقذوا السلب، و جرحوه، و اكتفوا بذلك، و لم يطلبوا ما لا سبيل إليه.

7- المختار: المخادعات، يعني لم يحيطوا بصاحبه، و لم يؤذوه، و في بعض الأصول: على بدل عليه. و في «المختار»: «... و نجيت صاحبي» بدل «ورفعت صاحبي».

8- الزول: مصدر زال بمعنى ذهب، و الملا: السير الشديد، أي كيف يذهب الغنم منه، و قد كان هناك مجال للفرار؟ و الضمير في زوله يعود على الغنم. و في «المختار»: «كيف فاته».

9- هذي بتلك: نجاتك بخسران الغنيمه، فاعل يرى ضمير صاحبه، و الضمير في لها يعود على الغنيمه أي و قد يرى صاحبي للغنيمه من نفسه غنا، لا يزال بمعنى لا يحاول، و لا يقدر.

10- منت على المقاتل: أخطأنتي المقاتل، و منت على بالحياة.

11- يريد: كم عاد إليها قبل اليوم هاربا من الموت، أو ظافرا فابعدي عنك الولولة و النواح.

و مرة بن خليف و الشّنفري بن مالك، و السّمع و كعب حدا رابنا جابر أخوا تأبّط. فمضوا حتى أغاروا على العوص، فقتلوا منهم ثلاثة نفر: فارسين و راجلا، و أطرّدوا لهم إبلًا، و أخذوا منهم (1) امرأتين، فمضوا بما غنموا، حتى إذا كانوا على يوم و ليلة من قومهم عرضت لهم خثعم في نحو من أربعين رجلا، فيهم أبيّ بن جابر الخثعميّ، و هو رئيس القوم، فقال تأبّط: يا قوم، لا تسلموا لهم ما في أيديكم حتى تبلوا عذرا، و قال عمر بن الأخنس: عليكم بصدق الصّدراب و قد أدركتم بثأركم، و قال المسيّب: اصدقوا القوم الحملة، و إياكم و الفشل، و قال عمرو بن براق:

ابدلوا مهجكم ساعة، فإن التّصر عند الصّبر. و قال الشّنفري:

نحن الصّعاليك الحماة البزل *** إذا لقينا لا نرى نهّل (2)

و قال مرة بن خليف:

يا ثابت الخير و يا بن الأخنس *** و يا بن براق الكريم الأشوس (3)

و الشّنفري عند حيود الأنفس *** أنا ابن حامي السّرب في المغمّس (4)

نحن مساعير الحروب الضّرس (5)

و قال كعب حدار أخو تأبّط:

يا قوم أمّا إذ لقيتم فاصبروا *** و لا تخيموا جزعا فتدبروا (6)

و قال السمع أخو تأبّط:

يا قوم كونوا عندها أحرارا *** لا تسلموا العون و لا البكارا (7)

و لا القناعيس و لا العشارا *** لخثعم و قد دعوا غرارا (8)

ساقوهم الموت معا أحرارا *** و افتخروا الدّهر بها افتخارا

/فلما سمع تأبّط مقالتهم قال: بأبي أنتم و أمي، نعم الحماة إذا جدّ الجدّ، أما إذا أجمع رأيكم على قتال القوم فاحملوا و لا تتفرّقوا، فإن القوم أكثر منكم، فحملوا عليهم فقتلوا منهم، ثم كرّوا الثانية فقتلوا، ثم كرّوا الثالثة فقتلوا فانهمزمت خثعم و تفرقت في رءوس الجبال، و مضى تأبّط و أصحابه بما غنموا و أسلاب من قتلوا، فقال تأبّط من ذلك:

جزى الله فتيانا على العوص أشرفت *** سيوفهم تحت العجاجة بالدّم

ص: 108

- 2- البزل: جمع بازل، وهو البعير طلع نابه، وذلك بعد ثمان سنين أو تسع. وفي هج، هد، ف «البسل».
- 3- منع براق من الصرف للضرورة، والأشوس: من ينظر بمؤخر عينه تكبرا.
- 4- المغمس: الأمر الشديد البالغ الشدة، ولعلها تحريف المخمس بمعنى الجيش الخميس.
- 5- الحروب الضرس: التي تطحن الأبطال بضرسها، وفي هد، ف: «نحن مساعير الزبون المضرس».
- 6- خام يخيم: نكص و جبن.
- 7- العون: جمع عوان، وهي من البقر والخيل التي نتجت بعد بطنها البكر.
- 8- القنعاس من الإبل: العظيم و جمعه قناعيس، والعشار جمع عشراء وهي الناقة الحامل في نحو ثمانية أو عشرة أشهر، وقد دعوا غرارا أي دعوا شفار سيوفهم.

الآيات...

وقال الشنفرى في ذلك:

دعيني وقولي بعد ما شئت إنني *** سيفدي بنفسى مرّة فأغيّب

الآيات...

وقال الشنفرى أيضا:

ألا هل أتى عتّا سعاد و دونها *** مهامه بيد تعتلي بالصعالك(1)

بأنا صبحنا القوم في حرّ دارهم *** حمام المنايا بالسّيوف البواتك(2)

قتلنا بعمر و منهم خير فارس *** يزيد و سعاد، و ابن عوف بمالك(3)

ظللنا نفرّي بالسّيوف رءوسهم *** و نرشقهم بالتبيل بين الدكادك(4)

ينهزم أمام النساء:

قال: و خرج تأبط في سرية من قومه، فيهم عمرو بن براق، و مرّة بن خليف، و المسيّب بن كلاب، و عامر بن الأخنس، و هو رأس القوم، و كعب حدار، و ريش كعب، و السّمع و شريس بنو جابر إخوة تأبط شرّاً، و سعد و مالك ابنا الأقرع، حتى مروا ببني نفاثة بن الدّيل و هم يريدون الغارة عليهم، فباتوا في جبل مطلّ عليهم، فلما كان في وجه السحر أخذ عامر بن الأخنس قوسه، فوجد و ترها مسترخيا، فجعل يوترها و يقول له تأبط: بعض حطيظ و ترك(5) يا عامر، و سمعه شيخ من بني نفاثة، فقال لبنات له: أنصتن فهذه و الله غارة لبني ليث - و كان الذي بينهم يومئذ متفاقما في قتل حميصة بن قيس أخي بلعاء، و كانوا أصابوه خطأ - و كانت بنو نفاثة في غزوة و الحيّ خلوف و ليس عندهم غير أشياخ و غلمان لا طباخ(6) بهم، فقالت امرأة منهم: اجهروا الكلام، و البسوا السّلاح، فإن لنا عدّة، فواللات ما هم إلا تأبط و أصحابه. فبرزن مع نوفل و أصحابه، فلما بصر بهم قال: انصرفوا فإن القوم قد نذروا بكم، فأبوا عليه إلا الغارة فسلّ تأبط سيفه و قال: لئن أغرتم عليهم لأتكنن على سيفي حتى أنفذه من ظهري، فانصرفوا و لا يحسبون إلا أن النساء رجال، حتى مروا بإبل البلعاء بن قيس بقرب المنازل فأطردوها، فلحقهم غلام من بني جندع بن ليث؟ فقال: يا عامر بن الأخنس، أتهاب نساء بني نفاثة و تغير على رجال بني ليث؟ هذه و الله إبل لبلعاء بن قيس. فقال له عامر: أو كان رجالهم خلوفا؟ قال: نعم، قال: أقرئ بلعاء منّي السّلام، و أخبره برديّ إبله، و أعلمه أنني قد حبست منها بكرا لأصحابي، فإننا قد أرملنا(7)، فقال الغلام: لئن حبست منها هلبة(8) لأعلمته، و لا أطرّد منها بعيرا أبدا. فحمل عليه تأبط فقتله، و مضوا بالإبل إلى قومهم؛ فقال في ذلك تأبط:

ص: 109

1- مهامه: جمع مهمة، و هو المفازة البعيدة، أو البلد القفر.

2- في هد: «في وسط دارهم»، و في ف: «في عقر دارهم»، و البواتك: القواطع.

- 3- أي قتلوا يزيد بعمر و وسعدا وابن عوف بمالك.
- 4- الدكادك: جمع دكدك، وهو ما غلظ من الأرض.
- 5- بعض حطيط و ترك: خفض من صوت إيتار القوس خشية أن يسمعه.
- 6- الطباخ: الإحكام والقوة.
- 7- أرمل القوم: نفذ زادهم.
- 8- الهلبة: شعرة من شعر الذئب.

/ألا عجب الفتيان من أم مالك *** تقول: أراك اليوم أشعث أغبراً

تبوعاً لآثار السريّة بعد ما *** رأيتك براق المفارق أسيراً(1)

فقلت لها: يومان يوم إقامة *** أهزّ به غصنا من البان أخضراً

و يوم أهزّ السيف في جيد أعيد *** له نسوة لم تلق مثلي أنكرأ(2)

يخفن عليه و هو ينزع نفسه *** لقد كنت أباء الظلامه قسوراً(3)

وقد صحت في آثار حوم كأنها *** عذارى عقيل أو بكارة حميراً(4)

أبعد التفاتين أمل طرقة *** و آسى على شيء إذا هو أدبرأ(5)

أكفكف عنهم صحبتي وإخالهم *** من الذلّ يعرا بالتلاعة أعفراً(6)

فلو نالت الكفّان أصحاب نوفل *** بمهمهة من بطن ظرء فعرعراً(7)

ولمّا أبى الليثي إلا تهكّمًا *** بعرضي و كان العرض عرضي أو فرأ(8)

فقلت له: حقّ الثناء فإنني *** سأذهب حتى لم أجد متأخراً(9)

ولما رأيت الجهل زاد لجاجة *** يقول فلا يألوك أن تشوّراً(10)

ادنوت له حتى كأنّ قميصه *** تشرب من نضح الأخادع عصفراً(11)

فمن مبلغ ليث بن بكر بأننا *** تركنا أخاهم يوم قرن معفراً(12)

قال: غزا تأبط بني نفاثة بن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم خلوف، ليس في دارهم رجل، وكان الخبر قد أتى تأبط، فأشرف فوق جبل ينظر إلى الحيّ وهم أسفل منه، فرأته امرأة فطرح نفسه، فعلمت المرأة أنه تأبط، وكانت عاقلة، فأمرت النساء فلبسن لبسة الرجال، ثم خرجن كأنهن يطلبن الضالّة، وكان أصحابه يتفلتون ويقولون: أغز، وإنما كان في سرية من بين السدّة إلى السبعة، فأبى أن يدعهم، و خرج يريد هذيلًا، وانصرف عن التفاتين، فبينما هو يتردد في تلك الجبال إذ لقي حليفا له من هذيل، فقال له: العجب لك يا تأبط، قال: وما هو؟

ص: 110

1- الأيسر: اللين السهل.

2- في ف: «في جيد شادن».

3- القسور: الليث.

4- الحوم: القطيع من الإبل، يشبهه بالعداري والأبكار لجمال إبله.

5- آمل طرقة: اتجه إلى طريق، يقرع نفسه على خوفه من نساء النفاثيين.

6- اليعر: الجددي، و التلاعة: ماء لبني كنانة، و الأعفر: ما خالط بياضه حمرة، يقول: خفتهم، و لا أخالهم بعد معرفة خديعتهم إلا في ذلة الجددي الأعفر.

7- لو للتمني. و ظء، و عرعر: مكانان.

8- الليثي، يريد به الغلام الليثي الذي منعه شعرة من الإبل.

9- حق الثناء: لعل ذلك من باب التهكم بالغلام، أو المراد بالثناء الذم، لأن الثناء يطلق على الذم كما يطلق على المدح.

10- تشور الرجل: فعل فعلا قبيحا أي أن الغلام لم يقصر في فعل القبيح.

11- الأخدع: عرق متصل بالوريد، و العصفر: نبت أحمر، كناية عن سيلان دمه على قميصه.

12- قرن: مكان.

قال: إن رجال بني نفاثة كانوا خلوفاً فمكرت بك امرأة، وأنهم قد رجعوا.

ففي ذلك يقول:

ألا عجب الفتیان من أمّ مالك *** تقول: لقد أصبحت أشعث أغبرا

وذكر باقي الأبيات المتقدمة.

وقال غيره: لا بل قال هذه القصيدة في عامر بن الأخنس الفهمي، وكان من حديث عامر بن الأخنس أنه غزا في نفر، بضعة وعشرين رجلاً، فيهم عامر بن الأخنس، وكان سيّداً فيهم، وكان إذا خرج في غزو رأسهم، وكان يقال له سيّد الصعاليك، فخرج بهم حتى باتوا على بني نفاثة بن عدي بن الدليل ممسين، ينتظرون أن ينام الحي، حتى إذا كان في سواد الليل مر بهم راع من الحي قد أغدر، فمعه غدירתه (1) يسوقها/فبصر بهم وبمكانهم، فخلى الغديرة وتبع الضراء ضراء (2) الوادي، حتى جاء الحي فأخبرهم بمكان القوم وحيث رأهم، فقاموا فاخترأوا: فتیان الحي فسلحوهم، وأقبلوا نحوهم، حتى إذا دنوا منهم قال رجل من النفاثيين: والله ما قوسي بموترة (3). فقالوا:

فأوتر قوسك، فوضع قوسه فأوترها، فقال تأبط لأصحابه:

اسكتوا، واستمع فقال: أتيتم والله، قالوا: وما ذلك؟ قال: أنا والله أسمع حطيط وتر قوس. قالوا: والله ما نسمع شيئاً، قال: بلى والله إني لأسمعه، يا قوم النجاء، قالوا: لا والله ما سمعت شيئاً، فوثب فانطلق وتركهم، ووثب معه نفر، وبيّتهم (4) بنو نفاثة فلم يفلت منهم إنسان، وخرج هو وأصحابه الذين انطلقوا معه، وقتل تلك الليلة عامر بن الأخنس.

قال ابن عمير: وسألت أهل الحجاز عن عامر بن الأخنس، فزعموا أنه مات على فراشه.

فلما رجع تأبط قالت له امرأته: تركت أصحابك، فقال حينئذ:

ألا عجب الفتیان من أمّ مالك *** تقول: لقد أصبحت أشعث أغبرا

مصرعه على يد غلام دون المحتمل:

فلما رجع تأبط وبلغه ما لقي أصحابه قال: والله ما يمّس رأسي غسل ولا دهن حتى أثار بهم. فخرج في نفر من قومه، حتى عرض لهم بيت من هذيل بين صوى (5) جبل، فقال: اغنموا هذا البيت أولاً، قالوا: لا والله، ما لنا فيه أرب، ولئن كانت فيه غنيمة ما نستطيع أن نسوقها. فقال: إني أتفاءل أن أنزل، ووقف، وأتت به ضبع من يساره، فكرهها، وعاف (6) على غير الذي رأى، فقال: أبشري أشبعك من القوم غدا. فقال له أصحابه: ويحك، انطلق، فوالله ما نرى أن نقيم عليها. قال: لا والله لا أريم حتى أصبح. وأتت به ضبع عن يساره فقال: أشبعك من القوم غدا. فقال أحد القوم: والله إني أرى هاتين (7) غدا بك، فقال: لا والله

ص: 111

1- الغديرة: الناقة يتركها الراعي.

2- الضراء: الشجر الملتف في الوادي، أو أرض مستوية تأويها السباع، وبها نبذ من الشجر.

3- أي يسمع صوت وضع الوتر في القوس.

4- بيتوهم: دهموهم ليلا.

5- الصوى: جمع صوة، وهي علامة يهتدى بها في الطريق، أو ما غلظ وارتفع من الأرض.

6- يقال: عاف الطير: زجرها بمعنى اعتبر بأسمائها و مساقطها و أنوائها فسعد أو تشاءم، و المراد أنه تطير من مرور الضبيح عن يساره.

7- لعل المراد: إني أرى هاتين ذاهبتين غدا بك، أو تكون كلمة «غدا» تحريف «غدرتا».

لا أريم(1) حتى أصبح. فبات، حتى إذا كان في وجه الصبح، وقد رأى أهل البيت وعدّهم على النار، وأبصر سواد غلام من القوم دون المحتمل، وغدوا على القوم، فقتلوا شيخا وعجوزا، وهازوا جاريتين وإبلا. ثم قال تأبط: إني قد رأيت معهم غلاما؛ فأين الغلام الذي كان معهم؟ فأبصر أثره فأتبعه، فقال له أصحابه: ويلك دعه فإنك لا تريد منه شيئا، فأتبعه، واستتر الغلام بقتادة(2) إلى جنب صخرة، وأقبل تأبط يقصّه(3) وفوق الغلام سهما حين رأى أنه لا ينجيه شيء، وأمهلته حتى إذا دنا منه قفز قفزة، فوثب على الصخرة، وأرسل السهم، فلم يسمع تأبط إلا الحبضة(4) فرفع رأسه، فانتظم السهم قلبه، وأقبل نحوه وهو يقول: لا بأس، فقال الغلام: لا بأس، والله لقد وضعتك حيث تكره، و غشية تأبط بالسيف وجعل الغلام يلوذ بالقتادة، ويضربها تأبط بحشاشته(5)، فيأخذ ما أصابت الضربة منها، حتى خلص إليه، فقتله، ثم نزل إلى/أصحابه يجزرجله، فلما رأوه وثبوا، ولم يدروا ما أصابه، فقالوا: مالك؟ فلم ينطق، ومات في أيديهم، فانطلقوا وتركوه، فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات، فاحتملته هذيل، فألقته في غار يقال له غار رخمان، فقالت ريطة أخته وهي يومئذ متزوجة في بني الدليل:

نعم الفتى غادرتم برخمان *** ثابت بن جابر بن سفيان(6)

وقال مرة بن خليف يرثيه:

إن العزيمة والعزاء قد ثويا *** أكفان ميت غدا في غار رخمان(7)

إلا يكن كرسف كفتت جيده *** ولا يكن كفن من ثوب كتان(8)

فإن حرًا من الأنساب ألبسه *** ريش الندى، والتدى من خير أكفان(9)

وليلة رأس أفعائها إلى حجر *** ويوم أور من الجوزاء رتان(10)

أمضيت أول رهط عند آخره *** في إثر عادية أو إثر فتیان(11)

وقالت أم تأبط ترثيه:

وإبناه وابن الليل(12)

ص: 112

- 1- لا أريم: لا أنتقل.
- 2- القتاد: شجر معروف.
- 3- يقصه: يقتفي أثره.
- 4- الحبضة: نبضة السهم عند انطلاقه.
- 5- الحشاشة: بقية الروح في الجريح أو المريض.
- 6- رخمان، بضم الراء كما في «القاموس»، فقد ذكرها، وأشار إلى أن تأبط شراقتل فيها، وفي ف: «رجمان». والبيت من السريع، وثابت بدل من الفتى، ونون للضرورة.
- 7- العزاء: السنة الشديدة، ولا مكان لها هنا، فلعله يعني الغراء مؤنث الأغر، أي إن العزيمة والنفس الغراء قد ثويا... إلخ.

- 8- الكرسف: القطن: يقول: إن لم تكفن في قطن أو كتان فقد كفنت في ثياب المجد و الكرم.
- 9- الكرسف: القطن: يقول: إن لم تكفن في قطن أو كتان فقد كفنت في ثياب المجد و الكرم.
- 10- رأس أفاعها إلى حجر: لعله كناية عن عدم انزوائها في حجرها، فهي متهيئة للدغ، وأور: جمع أوار بمعنى الحر الشديد، و الجوزاء: برج في السماء، و لعلها كانت رمزا لاشتداد الحرارة عند العرب.
- 11- الرهط: يراد به هنا اللقم أي تناول الطعام: يقول: رب ليلة لا تنام أفاعيها، و يوم شديد الحرارة قضيته قانصا في إثر وحوش عادية أو غازيا في إثر فتیان، و أنت طاوي البطن.
- 12- انظر تعليقنا على هذا الكلام عند ما يكرره المؤلف بعد قليل ص 171.

قال أبو عمر الشَّيباني: لا- بل كان من شأن تَأْبَط و هو ثابت بن جابر بن سفيان، و كان جريئاً شاعراً فاتكاً أنه خرج من أهله بغارة من قومه، يريدون بني صاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعيد بن هذيل، و ذلك في عقب شهر حرام ممّا كان يحرم أهل الجاهلية، حتى هبط صدر آدم(1)، و خفض عن جماعة بني صاهلة، فاستقبل التّلاعة، فوجد بها داراً من بني نفاثة بن عدي، ليس فيها إلا النساء، غير رحل واحد، فبصر الرجل بتأبط و خشية، و ذلك في الصّحى، فقام الرجل إلى النساء، فأمرهنّ فجعلن رءوسهن جمماً و جعلن دروعهن أردية، و أخذن من بيوتهن عمداً كهيئة السيوف فجعلن لها حمائل، ثم تَأْبَطُهَا ثم نهض و نهضن معه يغريهن كما يغري القوم، و أمرهن أن لا يبرزن خدّاً، و جعل هو يبرز للقوم ليروه، و طفق يغري و يصيح على القوم، حتى أفرغ تَأْبَطُ شراً و أصحابه و هو على ذلك يغري(2). في بقية ليلة أو ليلتين من الشَّهر الحرام، فنهضوا في شعب يقال له شعب وشل(3)، و تَأْبَطُ ينهض في الشعب مع أصحابه، ثم يقف في آخرهم، ثم يقول: يا قوم لكأنما يطردكم النساء، فيصبح عليه أصحابه فيقولون: انج أدركك القوم، و تأبى نفسه، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم فقال تَأْبَطُ في ذلك:

أبعد التّفائين أزجر طائراً *** و آسى على شيء إذا هو أدبراً(4)

إنه نرجلي عنهم و إخالهم *** من الدّل يعرا بالتّلاعة أعفرا

و لو نالت الكفّان أصحاب نوفل *** بهمهمة من بين ظرء و عرعرا

قال: ثم طلّوا الصدر حين أصبحوا فوجدوا أهل بيت شاذّ من بني قريم ذنب نمار(5) فظل يراقبهم حتى أمسوا، و ذلك البيت لساعدة بن سفيان أحد بني حارثة بن قريم، فحصرهم تَأْبَطُ و أصحابه حتى أمسوا. قال: و قد كانت قالت وليدة لساعدة: إني قد رأيت اليوم القوم أو النفر بهذا الجبل، فبات الشيخ حذراً قائماً بسيفه بساحة أهله. و انتظر تَأْبَطُ و أصحابه أن يغفل الشيخ، و ذلك آخر ليلة من الشهر الحرام فلما خشوا أن يفضحهم الصبح، و لم يقدرُوا على غرّة مشوا إليه و غرّوه ببقية الشهر الحرام، و أعطوه من موثيقهم ما أقنعه، و شكوا إليه الجوع، فلما اطمأن إليهم و ثبوا عليه فقتلوه و ابنا له صغيراً حين مشى. قال: و مضى تَأْبَطُ شراً إلى ابن له ذي ذؤابة، كان أبوه قد أمره فارتبأ(6) من وراء ماله، يقال له: سفيان بن ساعدة. فأقبل إليه تَأْبَطُ شراً مستتراً بمجنته، فلما خشى الغلام أن يناله تَأْبَطُ بسيفه و ليس مع الغلام سيف، و هو مفوّق سهماً، رمى مجنّ تَأْبَطُ بحجر، فظن تَأْبَطُ أنه قد أرسل سهمه، فرمى مجنّة عن يده، و مشى إليه فأرسل الغلام سهمه فلم يخط لبته حتى خرج منه السهم، و وقع في البطحاء حذو القوم، و أبوه ممسك، فقال أبو الغلام(7) حين وقع السهم: أ خائطة سفيان؟

- 1- آدم: اسم موضع.
- 2- أي و هو مع توجسه يغري أصحابه بالاقتحام.
- 3- وشل: اسم جبل، و اسم أيضاً لموضعين.
- 4- تقدمت أيضاً هذه الأبيات في الترجمة نفسها.
- 5- نمار ككتاب: اسم جبل، و كغراب: اسم واد، و ذنب ظرف مكان بمعنى أسفل، أو لعلها محرفة عن جنب.

6- ارتبأ: اأربأ وراء ربيئة؛ هضبة مرتفعة.

7- تقدم أن أبا الغلام قد قتل، فلعل المراد أنه قال و هو يأأأأ، أأأأة سفبان؟: اسأفهام عن الرمية.

فحرد(1) القوم، فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير، ومات تأبط.

فقال أمّه - وكانت امرأة من بني القين بن جسر بن قضاة - ترثيه:

أقتيل ما قتيل بني قريم *** إذا ضنت جمادى بالقطار(2)

فتى فهم جميعا غادروه *** مقيما بالحريضة من نمار(3)

وقالت أمّه ترثيه [أيضا]:

ويل أم طرف غادروا برخمان *** بثابت بن جابر بن سفيان(4)

يجدل القرن ويروي الندمان *** ذو مأقط يحمي وراء الإخوان(5)

وقالت ترثيه أيضا:

وابناه وابن الليل، ليس بزميل، شروب للقليل، رقود بالليل، وواد(6) ذي هول، أجزت بالليل، تضرب بالذيل، برجل(7) كالثول.

قال: وكان تأبط شرا يقول قبل ذلك:

ولقد علمت لتعدون *** م علي شتم كالحساكل(8)

ياكلن أوصالا ولح *** ما كالشكاعي غير جاذل(9)

يا طير كلن فإني *** سم لكتن و ذو دغاول(10)

وقال قبل موته:

لعلي ميّت كمدا ولما *** أطالع أهل ضميم فالكراب(11)

وإن لم آت جمع بني خثيم *** وكاهلها برجل كالصّباب

ص: 114

1- حرد القوم: اعتزلوا.

2- قتيل ما: هذا قتيل عظيم، كريم حين تضنّ جمادى بالمطر، ويبدو أن شهر جمادى في ذلك الوقت كان شهر محل.

3- الحريضة: موضع في بلاد هذيل، نمار ككتاب: اسم جبل، وكغراب: اسم واد.

4- تقدم هذا البيت برواية أخرى، وويل أم فلان: عبارة يقصد بها التعجب أو الترحم.

5- المأقط: مكان الحرب، تريد أنه فارس ميدان، ومفعول يحمي محذوف، أي يحمي الظهور، وهذه رواية هد، وهج، وفي بعض الأصول

«الأضوان».

- 6- اختلفت الأصول في رواية هذه الفقرات كل الاختلاف، وقد حاولنا إخضاعها لبعض ضروب الرجز فلم يمكن، فلنعتبرها مجرد كلام مسجوع، الزميل: الجبان، القيل: شراب اللبن في القيلولة، تريد أنه لا يهدأ نهاراً أو ليلاً.
- 7- الرجل: جمع راجل، و الثول: جماعة النَّحل: تقول له: كم واد مخوف، جزته ليلاً، تضرب بذيلك، كما يضرب الجواد، و معك أصحابك في عدد النحل.
- 8- تضاربت الأصول كل تضارب في اللفظين الأخيرين من هذا البيت، و الذي نختاره «شتم كالحساكل». الشتم: جمع شتيم، و هو الأسد الكريه المنظر، و الحساكل: جمع حسكل كزبرج؛ و هو ما تطاير من شرر الحديد المحمى.
- 9- الشكاعي: جمع شكاعة كثمامة: شوكة تملأ فم البعير، غير الجاذل، من الجذل، و هو ما عظم من أصول الشجر، كناية عن عدم السمن.
- 10- الدغاول: الدواهي، و هذا البيت و ما قبله كناية عن أن لحمه مر.
- 11- تقدم هذا البيت و ما بعده في الترجمة نفسها.

إذا وقعت بكعب أو قرّيم *** و سيار فيا سوغ الشّراب(1)

فأجابه شاعر من بني قرّيم:

تأبط سواة و حملت شرًا *** لعلك أن تكون من المصاب(2)

لعلك أن تجيء بك المنيا *** تساق لفتية منا غضاب

فتصبح في مكرهم صريعا *** و تصبح طرفة الصّبع السّغاب

فزلتهم تهربون لو كرهتم *** تسوقون الحرائم بالنقاب(3)

/وزال بأرضكم منّا غلام *** طليعة فتية غلب الرقاب(4)

و نذكرها هنا بعد أخبار تأبط شرًا أخبار صاحبيه عمرو بن برّاق و الشنفرى و نبدأ بما يغنى فيه من شعريهما، و نتبعه بالأخبار.

فأما عمرو بن برّاق فمما يغنى فيه من شعره قوله:

صوت

متى تجمع القلب الذكيّ و صار ما *** و أنفا حمياّ تجتنبك المظالم(5)

و كنت إذا قوم غزوني غزوتهم *** فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم!

كذبتهم و بيت الله لا تأخذونها *** مراغمة ما دام للسيف قائم(6)

و لا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا *** و تضرب بالبيض الرّفاق الجماجم

عروضه من الطويل، الشعر لابن برّاق و قيل ابن برّاقة. و الغناء لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بزيع ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي.

ص: 115

1- فاعل وقعت محذوف تقديره الواقعة و نحوها، أي إذا ثار من هذين الحيين ساغ له الشراب الذي حرمه على نفسه.

2- تقدمت الأبيات الثلاثة الأولى في الترجمة نفسها.

3- وزلتهم: من زال التامة بمعنى ذهبتم، و في س «الجرائم»، و هو تصحيف و المثبت من ف وهج، أي ذهبتم مجدين في الهرب تسوقون حريمكم متنقبا.

4- زال: نهض، من زالت الخيل بركبانها بمعنى نهضت، و غلب الرقاب: غلاظ الأعناق جمع أغلب.

5- القلب الذكي: المتوقد حماسة، و الأنف الحمي: كناية عن الأنفة و إباء الضيم.

6- ضمير تأخذونها يعود على الإبل ونحوها.

إشارة

يسلبه حريم ماله فيسترده منه: (1)

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا السّكريّ عن ابن حبيب قال: وأخبرنا الهمدانيّ ثعلب، عن ابن الأعرابي، عن المفصّل، قالاً: أغار رجل من همدان (2) يقال له حريم على إبل لعمر بن براق وخيل، فذهب بها، فأتى عمرو امرأة (3) كان يتحدث إليها ويزورها فأخبرها أن حريماً أغار على إبله وخيله فذهب بها، وأنه يريد الغارة عليه، فقالت له المرأة: ويحك لا تعرض لتلفات حريم فإني أخافه عليك، قال: فخالفها، وأغار عليه، فاستاق كلّ شيء كان له، فأتاه حريم بعد ذلك يطلب إليه أن يردّ عليه ما أخذه منه، فقال: لا أفعل، وأبي عليه، فانصرف، فقال عمرو في ذلك:

تقول سليمي لا تعرض لتلفة *** و ليك عن ليل الصعاليك نائم (4)

و كيف ينام الليل من جلّ ماله *** حسام كلون الملح أبيض صارم

صموت إذا عضّ الكريهة لم يدع *** لها طمعا طوع اليمين ملازم (5)

انقدت به ألفا و سامحت دونه *** على النقد إذ لا تستطاع الدراهم (6)

ألم تعلمي أنّ الصعاليك نومهم *** قليل إذا نام الدثور المسالم (7)

إذا الليل أدجى و اكفهرت نجومه *** و صاح من الإفراط هام جوائم (8)

و مال بأصحاب الكرى غالباته *** فإني على أمر الغواية حازم (9)

كذبتهم و بيت الله لا تأخذونها *** مراغمة ما دام للسيف قائم

ص: 116

1- هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

2- في «الأمالى» 121/2: من مراد.

3- عبارة «الأمالى»: «فأتى عمرو امرأة، اسمها سلمى، و كانت بنت سيدهم، و عن رأيها كانوا يصدرون.

4- جملة: «و ليك... إلخ» حالية، أي و اقض ليك نائماً، و خلّ الصعاليك ساهرين. و إسناد النوم إلى الليل مجاز.

5- صموت - كما في ف، هج - صفة للسيف المتقدم في البيت السابق، أي كثير الصمت، و في س «و صوت» بدل صموت، و هو

تحريف، وقوله: «إذا عض الكريهة... إلخ» يعني أنه إذا خاض الحرب لم يدع لها طمعا في صاحبه، وهو طيع، لا يفارق يمينه، وفي س «مكارم» بدل «ملازم» و المثبت من «الأمالى».

6- ألفا: ألف درهم، يريد أنه دفع فيه ألف درهم عن سماحة نفس في وقت قلت فيه الدراهم.

7- الدثور: الرجل البطن الخامل النوم، وفي ف: «الخلي» بدل «الدثور».

8- أذجت نجومه: غابت، أو غطاها السحاب، و الإفراط: من معانيه تباشير الصباح، وقد يكون المراد الإفراط في الطعام، وصاحت هام جواثم: غطت - من الغطيط - رءوس نائمة، و جواب الشرط «فإني على أمر الغواية حازم» أي حازم أمرى، وفي هج: «غالبا لهم» بدل «غالباته»، و عليه يكون فاعل «مال» ضمير الليل.

9- أذجت نجومه: غابت، أو غطاها السحاب، و الإفراط: من معانيه تباشير الصباح، وقد يكون المراد الإفراط في الطعام، وصاحت هام جواثم: غطت - من الغطيط - رءوس نائمة، و جواب الشرط «فإني على أمر الغواية حازم» أي حازم أمرى، وفي هج: «غالبا لهم» بدل «غالباته»، و عليه يكون فاعل «مال» ضمير الليل.

تحالف أقوام عليّ ليسمنوا *** و جروا عليّ الحرب إذا أنا سالم(1)
أفلاّن أدعى للهوادة بعد ما *** أجيل على الحيّ المذاكي الصّلام(2)
كأنّ حريما إذ رجا أن يضمّها *** ويذهب مالي يا ابنة القوم حالم(3)
متى تجمع القلب الذكيّ و صار ما *** و أنفا حميّا تجتنبك المظالم
و من يطلب المال الممنّع بالقنا *** يعيش ذا غنيّ أو تخترمه المخارم(4)
أو كنت إذا قوم غزوني غزوتهم *** فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم
فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا *** و تضرب بالبيض الرّقاق الجماجم
و أما الشنفرى فإنه رجل من الأزد ثم من الأواس بن الحجر بن الهنوبن الأزد(5). و مما يغنىّ فيه من شعره قوله:

صوت

ألا أمّ عمرو أزمعت فاستقلّت *** و ما ودّعت جيرانها إذ تولّت(6)

فوا ندما بانّت أمامة بعد ما *** طمعت فهبها نعمة قد تولّت(7)

و قد أعجبتني لا سقوطا خمارها *** إذا ما مشت و لا بذات تلفّت(8)

غنىّ في هذه الأبيات إبراهيم ثاني ثقبيل بالبنصر عن عمرو بن بانه.

ص: 117

1- في ف: «ليسلموا» بدل «ليسمنوا» و سالم: بمعنى سالم.

2- الفاء عاطفة على معطوف محذوف، أي أسالم فأدعى، و نحو ذلك، و الهوادة: الملاينة و المسالمة، المذاكي الصّلام: الجياد الشديدة الصلبة، و ذلك كناية عن الحرب التي انتصر فيها، يريد أنهم جاءوه مسالمين طالبين مهادنته بعد أن رجحت كفته في حربهم.

3- الضمير في يضمها عائد على الإبل و نحوها.

4- تخترمه المخارم: تهلكه المهالك، و في ف «طلب» بدل «يطلب» و «ماجدا» بدل «ذا غنىّ» و المعنى: لا يتغير.

5- في هد، هج: «الأوس بن حجر بن الهن».

6- أزمعت: عزمت على الرحيل.

7- يلاحظ تكرار كلمة «تولت» في بيتين متتالين، و هو من عيوب القافية.

8- لا سقوطا خمارها: يصفها بالتصون و التحشم، أي لا تعتمد إسقاط خمارها، كي يرى الناس جمالها، و يبدو أن هذه العادة كانت مألوفة في النساء، و لذلك ينفي النابغة عن المتجردة تعمد إسقاط النضيف في قوله: سقط النضيف و لم ترد إسقاطه فتناولته و اتقتنا باليد

12 - أخبار الشنفرى و نسبه

نسبه و نشأته في غير قومه:

12 - أخبار الشنفرى و نسبه(1)

و أخبرني بخبره الحرميّ بن أبي العلاء قال: حدثنا أبو يحيى المؤدب و أحمد بن أبي المنهال المهلبى، عن مؤرّج عن أبي هشام محمد بن هشام التّميرى:

أن الشنفرى كان من الأواس بن الحجر بن الهنوب الأزدي(2) بن الغوث، أسرته بنو شبابة بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان، فلم يزل فيهم حتى أسرت بنو سلامان بن مفرّج بن عوف بن ميدعان بن مالك بن الأزدي رجلا من فهم، أحد بني شبابة ففدته بنو شبابة بالشنفرى قال: فكان الشنفرى في بني سلامان بن مفرّج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره، و كان السّلامى اتخذه ولدا و أحسن إليه و أعطاه، فقال لها الشنفرى:

اغسلي رأسي يا أختي و هو لا يشك في أنها أخته، فأنكرت أن يكون أخاها و لطمته، فذهب مغاضبا حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له الشنفرى: اصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منكم مائة بما استعبدتموني، ثم إنه ما زال يقتلهم حتى قتل تسعة و تسعين رجلا، و قال الشنفرى للجارية السّلامية التي لطمته و قالت: لست بأخي:

ألا ليت شعري و التّلهّف ضلّة *** بما ضربت كفّ الفتاة هجينها؟(3)

و لو علمت قعسوس أنساب والدي *** و والدها ظلّت تقاصر دونها(4)

أنا ابن خيار الحجر بيتا و منصبا *** و أمي ابنة الأحرار لو تعرفينها

غارته على من نشأ فم:

قال: ثم لزم الشّنفري دار فهم فكان يغير على الأزدي على رجله فيمن تبعه من فهم، و كان يغير وحده أكثر من ذلك، و قال الشنفرى لبني سلامان:

وإني لأهوى أن ألف عجاجتي *** على ذي كساء من سلامان أو برد(5)

و أصبح بالعضدء أبغي سراتهم *** و أسلك خلا بين أرباع و السرد(6)

فكان يقتل بني سلامان بن مفرّج حتى قعد له رهط من الغامديين من بني الرّمداء فأعجزهم

ص: 118

1- هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

2- في «الأسد» بدل «الأزد».

- 3- «و التلهف ضلة»: جملة معترضة، أي و التلهف على الشيء ضلال، و ما من بما ضربت استفهامية، وإنما مدت لضرورة الشعر، و الهجين: اللئيم، أو العربي الذي أمه أمة، يقول: ليتني أعلم لم تضرب هذه الفتاة الفتى الحقير في نظرها؟.
- 4- قعسوس: اسم الفتاة، كما يبدو من السياق، أي لو علمت حسبي و حسب أبيها لتقاصر عنقها أمامي.
- 5- يعني على كل لابس كساء أو برد، و ذلك كناية عن الشمول، و لف العجاجة: كناية عن الغارة، و العجاجة: و العجاجة: غبار الحرب و نحوها.
- 6- سراتهم: أشرفهم، و الخل: الطريق ينفذ في الرمل، و العضدء و أرباع و السرد: أسماء أماكن، و في ف، هج، هد: «أمسى» بدل «أصبح».

فأشلوا(1) عليه كلبا لهم يقال له حبيش و لم يضعوا له شيئا، و مرّ و هو هارب بقريّة يقال لها دحيس برجلين من بني سلامان بن مفرج فأرادهما ثم خشى الطلب فقال:

قتيلي فجار أنتما إن قتلتما *** بجوف دحيس أو تبالة يا اسمعا(2)

يريد: يا هذان اسمعا، و قال فيما كان يطالب به بني سلامان:

فإلا تزرني حتفتي أو تلاقني *** أمشْ بدهر أو عذاف فنورا(3)

/أمشي بأطراف الحماط و تارة *** تنفض رجلي بسبطا فعصنصرا(4)

و أبغى بني صعّب بن مرّ بلادهم *** و سوف ألاقيهم إن الله يسرا(5)

و يوما بذات الرّأس أو بطن منجل *** هنالك تلقى القاصي المتغورا(6)

يقتلونه بعد أن يسملوا عينه:

قال: ثم قعد له بعد ذلك أسيد بن جابر السلامي و خازم الفهمي بالناصف من أبيدة و مع أسيد ابن أخيه، فمر عليهم الشنفرى، فأبصر السواد بالليل فرماه، و كان لا يرى سوادا إلا رماه كاتنا ما كان، فشك(7) ذراع ابن أخي أسيد إلى عضده، فلم يتكلم، فقال الشنفرى: إن كنت شيئا فقد أصبتك و إن لم تكن شيئا فقد أمنتك، و كان خازم باطحا: يعني منبطحا بالطريق يرصده، فنادى أسيد: يا خازم أصلت، يعني اسلل سيفك. فقال الشنفرى: لكلّ أصلت(8)، فأصلت الشنفرى. فقطع إصبعين من أصابع خازم الخنصر و البنصر، و ضبطه(9) خازم حتى لحقه أسيد و ابن أخيه نجدة، فأخذ أسيد سلاح الشنفرى و قد صرع الشنفرى خازما و ابن أخي أسيد، فضبطاه و هما تحته، و أخذ أسيد برجل ابن أخيه، فقال أسيد: رجل من هذه؟ فقال الشنفرى: رجلي، فقال ابن أخي أسيد: بل هي رجلي يا عم فأسروا الشنفرى، و أدوه إلى أهلهم، و قالوا له: أنشدنا، /فقال: إنما الشيد على المسرة، فذهبت مثلا، ثم ضربوا يده فتعرضت، أي اضطربت فقال الشنفرى في ذلك:

لا تبعدي إما ذهبت شامه *** فربّ واد نفرت حمامه(10)

ص: 119

1- أشلوا عليه كلبا: أغروه به، من أشلى الدابة: أراها المخلاة لتأتيه، و قوله: و لم يضعوا له شيئا، لعله يريد أنهم لم يضعوا للكلب طعاما مبالغة في الإغراء.

2- دحيس، و تبالة: مكانان، و خبر أنتما ناقص، فلعله في أبيات تالية.

3- حتفتي: موتتي، تلاقني: معطوف على تزرني، أمشْ: جواب الشرط، من مشى المضعف، و دهر، و عذاف و نور: أماكن، يريد أنه إن مد في أجله فسيزور هذه الأماكن ليغزو بني صعّب.

4- الحباط: جمع حبطة، و هي بقية الماء في الحوض. و بسبط، و عصنصر: مكانان.

5- بلادهم: بدل من بني صعّب، أي أطلب بلاد بني صعّب و يحتمل أن تكون بلادهم مفعولا ثانيا لأبغى، فهو متعد لاثنين، و منه قوله تعالى: يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ و المعنى لا يتغير.

6- ذات الرأس و منجل: مكانان، القاصي: البعيد، المتغور: الموغل في الأرض، أو الموغل في الغارة، ويعني بالقاصي المتغور نفسه.

7- في ف: «فشل» بدل «فشك».

8- قوله: «لكل أصلت» أي، إنك لا تقول كلمة «أصلت» لصاحبك فقط، بل تقولها لكل منّا، يريد أنك نبهتني إلى الاستعداد.

9- ضبطه: سيطر عليه و منعه الحركة.

10- يريد بالشامة شامة سوداء كانت في يده، كما سيأتي بعد، يخاطب يده، ويحدث عنها قائلاً: كم نفرت من حمام الأودية، كناية عن

الصيد.

ثم قال له السّلامي: أ طرفك(1)؟ ثم رماه في عينه فقال الشنفرى له: كأنّ كُنّا نفعّل أي كذلك كُنّا نفعّل، و كان الشنفرى إذا رمى رجلا منهم قال له: أ طرفك؟ ثم يرمى عينه. ثم قالوا له حين أرادوا قتله: أين تقبرك؟ فقال:

لا تقبروني إنّ قبرى محرّم *** عليكم و لكن أبشري أمّ عامر(2)

إذا احتملت رأسي و في الرأس أكثرى *** و غودر عند الملتقى ثمّ سائري(3)

هنالك لا أرجو حياة تسرّني *** سمير الليالي مبسلا بالجرائر(4)

تأبط شرا يرثيه:

و قال تأبط شرا يرثي الشنفرى:

على الشنفرى سارى الغمام و رائح *** غزير الكلى، و صيّب الماء باكر(5)

اعليك جزاء مثل يومك بالجبا *** و قد أرعفت منك السيوف البواتر(5)

و يومك يوم العيكتين و عطفة *** عطفت و قد مسّ القلوب الحناجر(6)

تجول ببزّ الموت فيهم كأنهم *** بشوكتك الحدى ضئين نوافر(7)

فإنك لو لاقيتني بعد ما ترى - *** و هل يلقين من غيبتة المقابر - (8)

لألفيتني في غارة أنتمي بها *** إليك و إمّا راجعا أنا ثائر(9)

و إن تك مأسورا و ظلت مخيما *** و أبلت حتى ما يكيدك و اتر(10)

و حتى رماك الشيب في الرأس عانسا *** و خيرك مبسوط و زادك حاضر(11)

ص: 120

1- طرف عينه: أدخل فيها ما جعلها تدمع.

2- البيت من الطويل دخله الخرم، أم عامر: كنية الضبع، يريد ألا يقبروه، بل يتركوه للضبع تأكل لحمه.

3- سائري: ما بقي مني، سمير الليالي: طول الليالي، مبسلا بالجرائر: مرهونا بأثامي و جرائمى، يقول: إذا قتلت، فقطع رأسى، و غودر جسمي فما حاجتي إلى قبر أحيا فيه حياة أخرى مثقلا بجرائمى إلى الأبد؟ و قوله: و في الرأس أكثرى، يريد به أن الرأس وحده يرجح باقي جسمه لكبره، أو لما يحتويه من الحواس، و فاعل احتملت ضمير أم عامر، أو القبيلة التي قتلتها، و قد ضبط هذا الفعل مبنيا للمجهول في بعض الأصول، و يلزم عليه تأنيث الرأس، مع أنه مذكر.

4- سائري: ما بقي مني، سمير الليالي: طول الليالي، ميسلا بالجرائر: مرهونا بآثامي وجرائمي، يقول: إذا قتلت، فقطع رأسي، وغودر جسمي فما حاجتي إلى قبر أحيا فيه حياة أخرى مثقلا بجرائمي إلى الأبد؟ وقوله: وفي الرأس أكثر، يريد به أن الرأس وحده يرجح باقي جسمه لكبره، أو لما يحتويه من الحواس، وفاعل احتملت ضمير أم عامر، أو القبيلة التي قتلتها، وقد ضبط هذا الفعل مبنيا للمجهول في بعض الأصول، ويلزم عليه تأنيث الرأس، مع أنه مذكر.

5- الجبا: مكان كانت فيه - على ما يبدو - موقعة للشنفرى، أرعفت منك السيوف البواتر: قطرت دما منك السيوف القواطع، يقول: عليك جزاء من الغيث بمقدار ما أسالته سيوفك من الدم في هذا اليوم.

6- العيكتين: جبلين، ويومك: معطوف على يومك في البيت قبله، و عطفة: معطوف أيضا، بعدد أيامه التي أبلى فيها، وقوله: «وقد مس القلوب الحناجر»، يريد به أن الأصوات في الحرب كانت تمس شغاف القلوب من وقع تأثيرها.

7- البز - بفتح الباء وكسرهما -: السلاح، والحدى: مؤنث الأحد بمعنى المرهف الحد، والضئين: جمع ضائن، وهو ما عدا الماعز من الغنم، يقول: كأن الأعداء ينفرون من سلاحك نفور النعاج والخراف.

8- جملة: «و هل يلقيين من غيبته المقابر؟» اعتراض بين الشرط وجوابه، أنتمي: أنتسب، ثائر: آخذ بالثار، يقول: إنني بعد موتك إما مقدم على غارة، أو راجع من ثار، كما كنت تفعل في حياتك.

9- جملة: «و هل يلقيين من غيبته المقابر؟» اعتراض بين الشرط وجوابه، أنتمي: أنتسب، ثائر: آخذ بالثار، يقول: إنني بعد موتك إما مقدم على غارة، أو راجع من ثار، كما كنت تفعل في حياتك.

10- هذان البيتان متعلقان بما قبلهما، أي أنا أفعل كذا وكذا وإن كنت أنت أسير قبرك، مخيما فيه، بعد أن أبلت في الحروب، حتى لم يكن ينال منك واطر، وحتى رماك الشيب، وأنت عانس - والعانس: الجمل السمين - وكان خيرك فياضا، وزادك مبدولا للضيفان، وقد يكون المراد بقوله: «عانسا» لم تتزوج، فإن هذا الوصف يطلق على الذكر والأنثى على السواء.

11- هذان البيتان متعلقان بما قبلهما، أي أنا أفعل كذا وكذا وإن كنت أنت أسير قبرك، مخيما فيه، بعد أن أبلت في الحروب، حتى لم يكن ينال منك واطر، وحتى رماك الشيب، وأنت عانس - والعانس: الجمل السمين - وكان خيرك فياضا، وزادك مبدولا للضيفان، وقد يكون المراد بقوله: «عانسا» لم تتزوج، فإن هذا الوصف يطلق على الذكر والأنثى على السواء.

و أجمل موت المرء إذ كان ميتا *** - ولا بد يوما - موته و هو صابر

فلا يبعدن الشنفرى و سلاحه ال *** حديد و شدّ خطوه متواتر (1)

إذا راع روع الموت راع و إن حمى *** حمى معه حرّ كريم مصابر (2)

رواية أخرى في مقتله:

قال: وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفرى و سبب أسره و مقتله أنّ الأزد قتلت الحارث بن السائب الفهميّ، فأبوا أن يبوءوا (3) بقتله، فباء بقتله رجل منهم يقال له حزام بن جابر قبل ذلك، فمات أخو الشنفرى، فأنشأت أمه تبكيه، فقال الشنفرى، و كان أول ما قاله من الشعر:

ليس لوالدة هوؤها *** و لا قولها لابنها ددع (4)

تطيف و تحدث أحواله *** و غيرك أملك بالمصرع (5)

قال: فلما ترعرع الشنفرى جعل يغير على الأزد مع فهم: فيقتل من أدرك منهم، ثم قدم منى و بها حزام بن جابر، فقيل له: هذا قاتل أبيك (6)، فشدّ عليه فقتله، ثم سبق الناس على رجله فقال:

قتلت حزاما مهديا بملبد *** ببطن منى وسط الحجيج المصوّت (7)

قال: ثم إن رجلا من الأزد أتى أسيد بن جابر، و هو أخو حزام المقتول فقال: تركت الشنفرى بسوق (8) حباشة، فقال أسيد بن جابر: و الله لئن كنت صادقا لا نرجع/حتى نأكل من جنى أليف أبيدة (9)، فقعد له على الطريق هو و ابنا حزام، فأحسّوه في جوف الليل و قد نزع نعلا و لبس نعلا ليخفى وطأه، فلما سمع الغلامان وطأه قالا: هذه الصّبع، فقال أسيد: ليست الصّبع، و لكنه الشنفرى، ليضع كل واحد منكما نعله على مقتله، حتى إذا رأى سوادهم نكص مليّا لينظر هل يتبعه أحد، ثم رجع حتى دنا منهم، فقال الغلامان: أبصرنا، فقال عمهما: لا و الله ما أبصركما، و لكنه أطرّد؛ لكيما تتبعاه، فليضع كلّ واحد منكما نعله على مقتله. فرماهم الشنفرى فحسق (10) في النعل و لم يتحرك المرمي، ثم رمى فانتظم ساقى أسيد، فلما رأى ذلك أقبل حتى كان بينهم، فوثبوا عليه، فأخذوه

ص: 121

1- و شدّ معطوف على سلاحه، و المراد بالشد الحملة على الأعداء، متواتر: يتلو بعضه بعضا.

2- فاعل «راع» الثانية يعود على الشد أو السلاح، و المعنى إذا أفزع فزع الموت الناس أفزعهم سلاحك أو شدك، و إن حمى هذا أو ذلك حريما حمى معه كريم صابر، يعني الشنفرى نفسه.

3- يقال: باء بقتله: أقره.

4- البيت من المتقارب دخله الخرم، و الهوى: الهمة و الرأي، ددع: أمر من ددع بمعنى جرى، أي، ليس للأم أن تفكر في ثأر ابنها، أو أن تأمر أخاه بالسعي في ذلك.

5- «تطيف و تحدث أحواله»: لعل المراد أنها لا تقتأ تطيف بابنها، و تجدد أحوال إثارتة على قتل أخيه، و قوله: «و غيرك أملك بالمصرع» التفات، أي، كفي عن هذا، فغيرك أدري بمصارع الرجال.

- 6- تقدم أن الميت أخوه لا أبوه، وقد يكون المراد بهذا الأب الحارث بن السائب الفهمي، وعلى كل فالعبارة لا تخلو من التواء.
- 7- مهديا: مقدا الهدي في الحج، الملبد: مكان التلبيد، و كان من عاداتهم في الحج أن يدهنوا شعورهم بشيء من الصمغ لتلبد، المصوت: الذي يجهر بالدعاء ونحوه، وفي ف، هد: «المحصب»، و المحصب: الذي يرمي الجمار، و بالفتح: مكان رميها.
- 8- سوق حباشة: سوق كانت معروفة عند العرب.
- 9- أييدة: اسم مكان كان قريبا - على ما يبدو - من سوق حباشة، وفي هامش هد: «من صغارير أييدة». و الصغارير: حمل شجرة يكون مثل الأبهل و الفلفل و غيره مما فيه صلابة.
- 10- خسق في النعل: أصاب السهم النعل، و أخطأ الهدف.

فشدّوه وثاقا، ثم إنهم انطلقوا به إلى قومهم، فطرحوه وسطهم، فتماروا بينهم في قتله، فبعضهم يقول: أخوكم وابنكم، فلما رأى ذلك أحد بني حزام ضربة ضربة فقطع يده من الكوع، وكانت بها شامة سوداء، فقال الشنفرى حين قطعت يده:

لا تبعدى إِمّا هلكت شامه *** فربّ خرق قطعت قتامه(1)

وربّ قرن فصلت عظامه

وقال تباطئ شراً يرثيه:

لا يبعدنّ الشنفرى وسلاحه ال *** حديد وشدّ خطوه متواتر

إذا راع روع الموت راع وإن حمى *** حمى معه حرّ كريم مصابر(2)

قال: وذرع(3) خطو الشنفرى ليلة قتل فوجد أول نزوة نزاها إحدى وعشرين/خطوة، ثم الثانية سبع عشرة خطوة.

قال: وقال ظالم العامريّ في الشنفرى وغاراته على الأزد وعجزهم عنه، ويحمد أسيد بن جابر في قتله الشنفرى:

فما لكم لم تدركوا رجل شنفرى *** وأنتم خفاف مثل أجنحة الغرب(4)

تعاديتم حتى إذا ما لحقتم *** تباطأ عنكم طالب وأبو سقّب(5)

لعمرك للساعي أسيد بن جابر *** أحقّ بها منكم بني عقب الكلب(6)

قال: ولما قتل الشنفرى وطرح رأسه مرّ به رجل منهم فضرب جمجمة الشنفرى بقدمه، فعقرت قدمه فمات منها، فتّمّت به المائة.

من شعر الشنفرى:

وكان مما قاله الشنفرى فيهم من الشعر وفي لطمه المرأة التي أنكرته الذي(7) ذكرته واستغنى عن إعادته مما تقدم ذكره من شعر الشنفرى،

وقال الشنفرى في قتله حزاما قاتل أبيه:

أرى أمّ عمرو أجمعت فاستقلّت *** وما ودّعت جيرانها إذ تولّت(8)

فقد سبقتنا أمّ عمرو بأمرها *** وقد كان أعناق المطيّ أظلت(9)

ص: 122

1- سبقت هذه الأبيات برواية أخرى.

2- تقدم هذان البيتان.

3- ذرع: قيس بالذراع.

- 4- الغرب: جمع غراب.
- 5- طالب و أبو سقب: رجلان - كما يبدو - كانا يعارضان في قتل الشنفرى.
- 6- اللام من للساعى لام الابتداء، بنى عقب الكلب: منادى.
- 7- الذى اسم كان من قوله: «وكان مما قاله الشنفرى».
- 8- تقدم هذا البيت، وفيه هد: «أزمت» بدل «أجمعت» والمعنى لا يتغير.
- 9- أظلت: إظلال أعناق المطى كناية عن الرحيل.

فوا ندما على أميمة بعد ما *** طمعت فهبها نعمة العيش ولّت (1)

أميمة لا يخزي نشاها حليلها *** إذا ذكر النسوان عفت و جلّت (2)

يحلّ بمنجاة من اللوم بيتها *** إذا ما بيوت بالملامة حلّت

فقد أعجبني، لا سقوط قناعها *** إذا ما مشت ولا بذات تلقّت (3)

كانّ لها في الأرض نسيا تقصّه *** إذا ما مشت وإن تحدّثك تبت (4)

- النسي: الذي يسقط من الإنسان وهو لا يدري أين هو؛ يصفها بالحياء، وأنها لا تلتفت يمينا ولا شمالا ولا تبرج. ويروى:

تقصه على أمها وإن تكلمك

فدقت و جلّت و اسبكرت و أكملت

فلو جنّ إنسان من الحسن جتّ (5)

تبيت بعيد النوم تهدي غبوبها

لجاراتها إذا الهدية قلت

- الغبوب: ما غبّ عندها من الطعام أي بات ويروى: غبوبها -

فبتنا كأن البيت حجر حولنا *** بريحانة راحت عشاء و طلّت (6)

بريحانة من بطن حلية أمرعت *** لها أرج من حولها غير مسنت (7)

غدوت من الوادي الذي بين مشعل *** وبين الجبا هيهات أنسأت سربتني (8)

أمسّي على الأرض التي لن تضيرني *** لأكسب مالا أو ألاقي حمّتي (9)

إذا ما أتتني حتفتي لم أبالها *** ولم تذر خالاتي الدموع وعمّتي

أو هنيء بي قوم و ما إن هنأتهم *** و أصبحت في قوم و ليسوا بمنبتي (10)

و أمّ عيال قد شهدت تقوتهم *** إذا أطعمتهم أو تحت و أقلّت (11)

تخاف علينا الجوع إن هي أكثرت *** ونحن جياع، أيّ ألي تألّت (12)

- 1- تقدم هذا البيت برواية أخرى، وهما متقاربتا المعنى.
- 2- الثنا: الحديث، يريد أن حديثها عن زوجها دائما ذكر بالخير، وفي س «ثناها» بدل «ثناها».
- 3- تقدم ذكر هذا البيت في الترجمة نفسها.
- 4- أي تبتل الكلام و تقطعه بما يعتريها من البهر، وانظر «اللسان» (بلت).
- 5- اسبكرت الجارية: اعتدلت واستقامت.
- 6- حجر البيت ونحوه: وضع حوله حجارة و سوره. طلت: أصابها الطل، فهي مخضلة.
- 7- حلية: مكان، أمرعت: خصبت، أرج: عبير، غير مسنت: غير مجذب.
- 8- مشعل و الجبا: مكانان، أنشأت سربتي: أبعدت سربتي أي ما أبعد الموضوع الذي منه ابتدأت مسيري وانظر «اللسان» (سرب).
- 9- الحمة: المنية.
- 10- وفي ف: «وليسوا قبيلتي» والمعنى لا يتغير.
- 11- الواو من «وأم عيال» واورب، أو تحت: «قللت طعامهم، يصفها بالتدبير.
- 12- الألة: المجاعة، فلعله يعني أية مجاعة أجاعتنا: أجاعتنا مجاعة عظيمة.

- عفاهية لا يقصر الستر دونها *** و لا ترتجى للبيت إن لم تبيت (1)
- لها وفضة فيها ثلاثون سلجما *** إذا ما رأت أولى العديّ اقشعرت (2)
- و تأتي العديّ بارزا نصف ساقها *** كعدو حمار العانة المتفلت (3)
- إذا فزعت طارت بأبيض صارم *** وراحت بما في جفرها ثم سلّت (4)
- حسام كلون الملح صاف حديده *** جراز من أقطار الحديد المنعت (5)
- تراها كأذنب المطي صوادرا *** وقد نهلت من الدماء وعلّت (6)
- اسنجزي سلامان بن مفرج قرضهم *** بما قدّمت أيديهم وأزلّت (7)
- شفينا بعبد الله بعض غليلنا *** وعوف لدى المعدي أوان استهلّت (8)
- قتلنا حزاما مهديا بملبد *** محلّهما بين الحجيج المصوّت (9)
- فإن تقبلوا تقبل بمن نيل منهم *** وإن تدبروا فأّم من نيل قتّت (10)
- ألا لا تزرنى إن تشكيت خلّتي *** كفاني بأعلى ذى الحميرة عدوتي (11)
- وإني لحلو إن أريدت حلّوتي *** و مرّ إذا النفس الصّدوف استمرت (12)
- أيّ لما آبى وشيك مفيتي *** إلى كلّ نفس تنتحي بمودّتي (13)

ص: 124

- 1- عفاهية: ضخمة. لا يقصر الستر دونها: كناية عن أنها مقصورة بمعنى محجبة، البيت من معانيه: فرش البيت، والمراد أنها مخدومة لا تقوم بإعداد فرش البيت، بل يقوم به خدمها.
- 2- الوفضة: الجعبة توضع فيها السهام ونحوها، السلجم: النصل، اقشعرت: اضطرت وارتعدت، والمراد بأولى العدي أولى سرايا العادين عليها، أو أولى خطواتهم أو نحو ذلك، يصفها بأنها مستعدة متنبهة لمن يسطو عليها
- 3- العدي: جماعة العادين، والمراد بالحمار الوحشي، والعانة: القطيع منه، يريد أنها تسرع إلى «العدو» شبه منكشفة كالحمار الوحشي الذي أفلت من القطيع، وفي ف: «العدو» بدل «العدى».
- 4- الجفر: تخفيف جفر - بضم الفاء -: جمع جفير بمعنى جعبة السهام والبيت كله كناية عن خوضها المعركة وفي س: «وراقت بما في جوفها» وهو تحريف، والمثبت عن هد، هج.
- 5- الجراز: القاطع، أقطار: جمع قطر - بكسر القاف - وهو ذوب الحديد، المنعت: الموصوف، يصف السيف بأنه من ذوب الحديد الصلب، وفي ف «حزاز» بدل «جراز».

- 6- لعله يعني أن شعرها بعد المعركة تخضب بالدم، فأشبهه أذنان المطي حين تصدر عن الحروب، وقد نهلت وعلت من الدماء، أي شربت مرة بعد أخرى منهما.
- 7- سلامان بن مفرج: قبيلة تقدم ذكرها، أزلت: من الزلل وهو الخطأ يهدد هذه القبيلة بقوله: سنرد إليهم دينهم، أي العدوان الذي اعتدوه علينا، و خفف «مفرج» للضرورة.
- 8- عبد الله وعوف: قبيلتان، المعدي: مكان، استهلت: برزت للقتال.
- 9- تقدم هذا البيت في الترجمة نفسها.
- 10- بمن نيل منهم: بدماء من نيل منهم، وأم من نيل، يعني أم رأسهم، يقول: إن تحاربوا نحاربكم ونحن حاملون دماء من قتلناه منكم، و إن نكصتم فقد فتتنا رءوس من أصبنا منكم بلا قود.
- 11- الخلة: الحاجة و الفقر، ذو الحميرة: مكان، العدو - بضم العين و كسرهما: المكان المرتفع، يقول لصاحبه: لا تزرنني إذا احتجت، فإني عند الحاجة أكتفي بالاعتكاف في عدوتي، و كني بالزيارة عن المساعدة.
- 12- الصدوف: من صدف بمعنى مال و انصرف، يعني أنه نافع لمن يبغي نفعه، ضار لمن ينحرف عنه.
- 13- مفيئتي: من فاء يفىء بمعنى رجع.

وقال الشَّنْفري أيضا:

- (1) و مرقبة عنقاء يقصر دونها *** أخو الضروة الرجل الخفي المخفف
- (2) نमित إلى أعلى ذراها وقد دنا *** من الليل ملتف الحديقة أسدف
- (3) افتت على حدّ الذراعين أحدا *** كما يتطوى الأرقم المتعطف
- (4) قليل جهازى غير نعلين أسحقت *** صدورهما مخصورة لا تخصف
- (5) و ملحفة درس و جرد ملاءة *** إذا أنهجت من جانب لا تكفف
- (6) و أبيض من ماء الحديد مهند *** مجدّ لأطراف السواعد مقطف
- (7) و صفراء من نبع أبيّ ظهيرة *** ترنّ كإرنان الشجّي و تهتف
- (8) إذا طال فيها النزع تأتي بعجسها *** و ترمي بذروها بهنّ فتقذف
- (9) كأنّ حفيف التبل من فوق عجسها *** عواذب نحل أخطأ الغار مطنف
- (10) نأت أمّ قيس المربعين كليهما *** و تحذر أن ينأى بها المتصيّف
- (11) /وإنك لو تدرين أن ربّ مشرب *** مخوف كداء البطن أو هو أخوف
- (12) وردت بمأثور و نبل و ضالة *** تخيّرتها مما أريش و أرفف

ص: 125

1- مرقبة: مرتفع من الهضاب ونحوها، عنقاء: طويلة العنق، الضرورة: من ضرا يضرو بمعنى استخفى، الرجل: الساعي على رجله، الحديقة: الشجر الكثيف، يقول: رب هضبة مرتفعة محدودة لا يستطيع أن يتسلقها برجليه الخفيف الحركة الذي يريد الاختفاء عن العيون - رب هضبة شأنها هذا تسلقت أنا أعلى ذراها، وقد أقبل الليل بظلمته كأنه أشجار ملتفة كثيفة لا تنفذ أشعة الشمس من خلالها، وقد يكون مراده بأخي الضروة... إلخ الكلب ونحوه.

2- مرقبة: مرتفع من الهضاب ونحوها، عنقاء: طويلة العنق، الضرورة: من ضرا يضرو بمعنى استخفى، الرجل: الساعي على رجله، الحديقة: الشجر الكثيف، يقول: رب هضبة مرتفعة محدودة لا يستطيع أن يتسلقها برجليه الخفيف الحركة الذي يريد الاختفاء عن العيون - رب هضبة شأنها هذا تسلقت أنا أعلى ذراها، وقد أقبل الليل بظلمته كأنه أشجار ملتفة كثيفة لا تنفذ أشعة الشمس من خلالها، وقد يكون مراده بأخي الضروة... إلخ الكلب ونحوه.

3- يتطوى: ينطوى، الأرقم: الثعبان، المتعطف: الملتف بعضه حول بعض، يقول: فبت على حد ذراعي هذه الهضبة محدودب الظهر منطويا بعضني على بعض انطواء الثعبان.

4- أسحقت: بليت، مخصورة: دقيقة الوسط، لا تخصف: لا تقبل الخرز، يقول: إنه خفيف الحمل عند السفر لا يلبس إلا نعلين باليتين، لا تقبلان الإصلاح.

5- درس: دراسة بالية، الجرد: البالي. أنهجت: بليت، البيت متعلق بما قبله، يقول: لا ألبس سوى ملحفة بالية، فوقها ملاءة بالية أيضا، تستعصي على الإصلاح حين تتفتق، وفي س: «وصبية جرد وأخلاق ريطرة»، والمثبت من هد، والمعنى لا يتغير.

6- وأبيض من ماء الحديد، يعني سيفه، ورفع على تقدير «و معي أبيض» مجذ: قطاع، مقطف: قطاع أيضا، يصف سيفه بأنه قطاع للأطراف.

7- صفراء: قوس صفراء، النبع: شجر صلب تتخذ منه القسي، ظهيرة: معينة، ترن: تصوت عند إطلاقها صوتا كأنين العاشق المهجور.

8- العجس - بتثليث العين - مقبض القوس، ذروا القوس: طرفها، والضمير من بهن يعود على السهام المفهومة من المقام.

9- عواذب نحل: ذواهب نحل، مطنف: من الطنف، وهو رأس الجبل، يشبه خفيف النبل بسرب النحل، وفي مطنف إقواء إن جعلناها صفة لنحل، وقد تكون خبرا ثانيا لكان، فيسلم البيت من الإقواء.

10- يعني بالمربعين الشتاء و الربيع من باب التغليب، المتصيف: اسم زمان من تصيف، و منع قيس الصرف للضرورة.

11- جواب لو محذوف تقديره «لرأيت شيئا عجبا» ونحو ذلك، المأثور: السيف المؤثر، الضالة: السلاح عامة، أو السهام خاصة، راش السهم: وضع عليه ريشا، رصف السهم: شد على مدخل سنخ نصله العقبة، يقول لأم قيس: آه لو تعرفين كم مشرب مخوف الورد وردته أنا و معي سيفي وقوسي... إلخ.

12- جواب لو محذوف تقديره «لرأيت شيئا عجبا» ونحو ذلك، المأثور: السيف المؤثر، الضالة: السلاح عامة، أو السهام خاصة، راش السهم: وضع عليه ريشا، رصف السهم: شد على مدخل سنخ نصله العقبة، يقول لأم قيس: آه لو تعرفين كم مشرب مخوف الورد وردته أنا و معي سيفي وقوسي... إلخ.

أركبها في كل أحمر عاتر *** و أفذف منهن الذي هو مقرف(1)

و تابعت فيه البري حتى تركته *** يزف إذا أفذته و يزرف(2)

بكفي منها للبغيض عراضة *** إذا بعث خلا ما له متخوف(3)

و واد بعيد العمق ضنك جماعة *** بواطنه للجن و الأسد مالف(4)

تعسفت منه بعد ما سقط الندى *** غماليل يخشى غيلها المتعسّف(5)

وإني إذا خام الجبان عن الردى *** فلي حيث يخشى أن يجاوز مخسف(6)

وإن امرأ أجار سعد بن مالك *** عليّ و أثواب الأقيصر يعنف(7)

او قال الشنفرى أيضا:

و مستبسل ضافى القميص ضغته *** بأزرق لا نكس و لا متعوج(8)

عليه نساريّ على خوط نبعة *** و فوق كعقوب القطة محدرج(9)

و قاربت من كفيّ ثم فرجتها *** بنزع إذا ما استكره النزع مخلج(10)

فصاحت بكفي صيحة ثم رجعت *** أنين الأميم ذي الجراح المشجج(11)

وقد روى: فناحت بكفي نوحه.

رواية نالته في مقتله:

إشارة

وقال غيره: لا بل كان من أمر الشنفرى أنه سبب بنو سلامان بن مفرج بن مالك بن هوازن(12) بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد الشنفرى(13) - وهو أحد بني ربيعة بن الحجر بن عمران بن عمرو بن حارثة بن

ص: 126

1- العاتر: الشديد، المقرف: غير الحسن، يريد أنه لا يستعمل في قوسه إلا السهام الصلبة، و لوقال: «أركب فيها كل أحمر عاتر» لكان أوضح.

2- يزف: يفعل فعل الطائر إذا رمى بنفسه، و بسط جناحيه، و الزفزة: شدة الجري، أو تحريك الريح للحشيش و صوتها فيه.

3- العراضة: الهدية، و المراد هنا التهكم، و المراد بقوله: «ما له متخوف» تفاهة الخل و حقارة شأنه.

- 4- جماع الشيء: مجتمع أصله، تعسف: مشى على غير هدى، الغمائل: الدوايب، الغيل: الأشجار الكثيفة. يقول: رب واد ضيق الأصل تألفه الآساد و الجن صعدت عند سقوط الندى روايه التي لا يجرؤ على صعودها إنسان.
- 5- جماع الشيء: مجتمع أصله، تعسف: مشى على غير هدى، الغمائل: الدوايب، الغيل: الأشجار الكثيفة. يقول: رب واد ضيق الأصل تألفه الآساد و الجن صعدت عند سقوط الندى روايه التي لا يجرؤ على صعودها إنسان.
- 6- خام: جبن وضعف، مخسف: من خسف الطريق بمعنى ذلله وقطعه.
- 7- سعد بن مالك - على ما يبدو - من أعداء الشاعر، الواو من و أثواب للقسم، الأفيصر: صنم مقدس عندهم، وفي هد، و هج، ف: «و أبواب» بدل «و أثواب».
- 8- الواو واو رب، صافى القميص: كناية عن طوله، ضغت الشيء: لأكه بالأنياب و التواجذ، و يريد بالأزرق... إلخ السهم، يقول: رب شجاع باسل فارع الجسم أصميته بسهم نافذ جرى معتدل.
- 9- ضمير عليه يعود على «أزرق» في البيت السابق، نساري: ريش نسر الخوط، النبعة: شجرة صلبة تتخذ منها السهام، الفوق من السهم: حيث يثبت الوتر منه، و المحدرج: الأملس.
- 10- مخرج: من أخرج الشيء بمعنى انتزعه.
- 11- الأميم: المضروب على أم رأسه، المشجج: من شج رأسه. الأبيات الثلاثة في وصف السهم و كيف يرميه، و كيف يئن عند الرمي أنين من ضرب على أم رأسه.
- 12- في ف، هج، هد: «زهرا» بدل «هوازن».
- 13- مفعول سبت في السطر السابق.

ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد - وهو غلام، فجعله الذي سباه في بهمة يرعاها مع ابنة له، فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليقبلها، فصكّت وجهه، ثم سعت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليه ليقته، فوجده وهو يقول:

/ألا هل أتى فتیان قومي جماعة *** بما لطمت كفّ الفتاة هجينها؟(1)

و لو علمت تلك الفتاة مناسبي *** ونسبتها ظلّت تقاصر دونها

أليس أبي خير الأواس وغيرها *** وأمّي ابنة الخيرين لو تعلمينها(2)

إذا ما أروم الودّ بيني وبينها *** يؤمّ بياض الوجه مّي يمينها(3)

قال: فلما سمع قوله سأله: ممّن هو، فقال: أنا الشنفرى، أخو بني الحارث بن ربيعة، وكان من أقبح الناس وجهها، فقال له: لو لا أنني أخاف أن يقتلني بنو سلامان لأنكحتك ابنتي. فقال: عليّ إن قتلوك أن أقتل بك مائة رجل منهم، فأنكحه ابنته، و خلى سبيله، فسار بها إلى قومه، فشدت بنو سلامان خلافه(4) على الرجل فقتلوه، فلما بلغه ذلك سكت ولم يظهر جزعا عليه، و طفق يصنع النبل، و يجعل أفواقها من القرون و العظام، ثم إن امرأته بنت السلامانيّ قالت له ذات يوم: لقد خسرت(5) بميثاق أبي عليك، فقال:

كأن قد - فلا يغررك مني تمكّثي - *** سلكت طريقا بين يريغ فالسرد(6)

وإي زعيم أن تثور عجاجتي *** على ذي كساء من سلامان أو برد

هم عرفوني ناشئا ذا مخيلة *** أمشي خلال الدار كالفرس الورد(7)

كأنني إذا لم يمس في الحي مالك *** بتيهاء لا أهدى السبيل و لا أهدي(8)

/قال: ثم غزاهم فجعل يقتلهم، و يعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعة و تسعين رجلا، ثم غزاهم غزوة، فنذروا به، فخرج هاربا، و خرجوا في إثره، فمر بامرأة منهم يلتمس الماء فعرفته، فأطعمته أقطا ليزيد عطشا، ثم استسقى فسقته رائبا، ثم غيّبت عنه الماء، ثم خرج من عندها، و جاءها القوم فأخبرتهم خبره، و وصفت صفته و صفة نبله، فعرفوه، فرصدوه على ركيّ لهم، و هو ركيّ ليس لهم ماء غيره، فلما جنّ عليه الليل أقبل إلى الماء، فلما دنا منه قال: إني أراكم، و ليس يرى أحدا إنما يريد بذلك أن يخرج رصدا إن كان ثمّ، فأصاخ القوم و سكتوا. و رأى سوادا، و قد كانوا أجمعوا قبل إن قتل منهم قتيل أن يمسكه الذي إلى جنبه لئلا تكون حركة، قال:

فرمى لّمّا أبصر السواد، فأصاب رجلا فقتله، فلم يتحرك أحد، فلما رأى ذلك أمن في نفسه و أقبل إلى الركيّ،

ص: 127

1- تقدم هذا البيت و ما بعده في الترجمة نفسها برواية تختلف قليلا عن هذه و المعنى لا يتغير.

2- الخيرين: جمع خير بعد تخفيف الياء.

3- يريد أنه حين يريد تقبيلها لا يضع وجهه إلا على يدها التي تتلقى بها القبلة، ثم تصفعه بها، و قد ضبطت بعض الأصول يمينها بالرفع على أنه إقواء.

4- خلافة: بعده، أي بعد رحيل الشنفرى.

5- خست بالميثاق: لم تف به.

6- جملة «فلا يغرك منى تمكثي» معترضة أي، كأنني قد سلكت... إلخ، ويربع و السرد: مكانان يمر بهما عند ما يؤم بني سلامان.

7- مخيلة: خيلاء، الفرس الورد: الأحمر.

8- لعل مالكا هذا صهره الذي يثار له، التيهاء: الصحراء يضل فيها السالك و يروى: «بتيماء».

فوضع سلاحه، ثم انحدر فيه، فلم يره (1) إلا بهم على رأسه قد أخذوا سلاحه فنزا ليخرج. فضرب بعضهم شماله فسقطت، فأخذها فرمى بها كبد الرجل، فخر عنده في القليب (2)، فوطئ على رقبته فدقها. وقال في قطع شماله:

لا تبعدني إِمَّا ذهبَت شامه *** فربَّ واد نفرت حمامه (3)

وربَّ قرن فصلت عظامه *** وربَّ حيِّ فرقت سوامه

قال: ثم خرج إليهم، فقتلوه وصلبوه، فلبث علما أو عامين مصلوبا وعليه من نذره رجل، قال: فجاء رجل منهم كان غائبا، فمر به وقد سقط فركض رأسه برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فعّلت عليه فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمام المائة (4).

صوت

ألا طرقت في الدّجى زينب *** وأحب بزینب إذ تطرق

عجبت لزينب أتى سرت *** وزينب من ظلّها تفرق (5)

عروضه من المتقارب، الشعر لابن رهيمة، والغناء لخليل المعلم رمل بالبنصر، عن الهشامي وأبي أيوب المدني.

ص: 128

1- المراد: فلم يره إلا بصره بهم.

2- القليب: البئر.

3- تقدمت هذه الأبيات.

4- لا شك أن حكاية المائة من - وكيف تمت - بادية الافتعال.

5- تفرق: تخاف، يعجب كيف زارته ليلا، ولم تعباً بظلام الليل، أو تخف أهلها، مع أنها تخاف خيالها.

نسبه:

13 - أخبار الخليل و نسبه(1)

هو الخليل بن عمرو، مكّي، مولى بني عامر بن لؤي، مقلّ لا تعرف له صنعة غير هذا الصوت.

يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني القطرانيّ المغني، عن محمد بن حسين(2)، قال:

كان خليل المعلم يلقب خليلان، وكان يؤدب الصبيان و يلقنهم القرآن و الخط، و يعلم الجوّاري الغناء في موضع واحد، فحدثني من حضره قال: كنت يوما عنده و هو يرّدّ على صبي يقرأ بين يديه و من الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم(3) ثم يلتفت إلى صببية بين يديه فيردّد عليها:

اعتاد هذا القلب بلباله *** أن قرّبت للبين أجماله(4)

فضحكت ضحكا مفرطا لما فعله، فالتفت إليّ فقال: ويلك مالك؟ فقلت: أتتكر ضحكي مما تفعل؟ و الله ما سبقك إلى هذا أحد! ثم قلت: انظر أيّ شيء أخذت على الصبيّ من القرآن، و أيّ شيء هو ذا تلقي على الصبية، و الله إني لأظنك ممّن يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله، فقال: أرجو ألا أكون كذلك إن شاء الله.

يسيء الأزدي فهم غناؤه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد قال: حدثني عبد الصمد بن المعدّل قال:

كان خليلان المعلم أحسن الناس غناء، و أفثاهم و أفصحهم، فدخل يوما على عقبة بن سلم الأزديّ الهنائيّ فاحتبسه عنده، فأكل معه ثم شرب، و حانت منه التفاتة، فرأى عودا معلقا، فعلم أنه عرض له به، فدعا به و أخذه فغناهم:

بأبنة الأزديّ قلبي كئيب *** مستهام عندها ما ينيب(5)

و حانت منه التفاتة فرأى وجه عقبة بن سلم متغيرا(6)، و قد ظن أنه عرض به، ففطن لما أراد فغتنى:

ألا هزئت بنا قرش *** ية يهترّ موكبها(7)

ص: 129

- 2- في هد، هج «حبر» بدل «حسين».
- 3- سورة لقمان، آية: 6.
- 4- البيت من السريع.
- 5- ما ينيب: ما يرجع.
- 6- يبدو أن تغير وجه عقبة سببه أنه ظن خليلان يشبب بابنته.
- 7- في ف: «منكبها» بدل «موكبها».

فسرّي عن عقبة و شرب، فلما فرغ وضع العود من حجره، و حلف بالطلاق ثلاثا أنه لا يغني بعد يومه ذلك إلا لمن يجوز حكمه عليه.

نسبة هذين الصوتين

إشارة

يا ابنة الأزديّ قلبي كئيب *** مستهام عندها ما ينب

و لقد لا موافقت: دعوني *** إنّ من تنهون عنه حبيب

إنما أبلى عظامي و جسمي *** حبّها و الحبّ شيء عجيب

أيها العائب عندي هواها *** أنت تفدي من أراك تعيب(1)

عروضه من المديد(2)، و الشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - و الغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، و فيه لمالك خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عنه، و فيه خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى/الم ينسبه إسحاق إلى أحد، و وجدته في روايات لا أثق بها منسوباً إلى حنين، و قد ذكر يونس أن فيه لحنين و لمالك كلاهما، و لعل هذا أحدهما، و ذكر حبش أن خفيف الرمل لابن سريج، و ذكر الهشاميّ و عليّ بن يحيى أن لحن مالك الآخر ثاني ثقيل، و ذكر الهشامي أن فيه لطويس هزجا مطلقاً في مجرى البنصر، و ذكر عمرو بن بانه أنّ لمالك فيه ثقيلاً أول و خفيفه، و لمعبد خفيف ثقيل آخر:

صوت

ألا هزئت بنا قرشيّة *** م يهترّ موكبها

رأت بي شبيبة في الرأ *** س مّني ما أغيبها

فقلت لي: ابن قيس ذا؟ *** و بعض الشيب يعجبها

لها بعل خبيث النّفس *** يحصرها و يحجبها

يراني هكذا أمشي *** فيوعدها و يضربها

عروضه من الوافر(3)، الشعر لابن قيس الرقيات، و الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، و فيه ليونس ثقيل أول عن إسحاق بن إبراهيم و الهشاميّ.

صوت

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم *** أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

-
- 1- يريد: « جعلت فداها» فجملة «أنت تقدي من أراك تعيب» دعائية.
 - 2- في ف، هد: عروضه من الرمل، و هو خطأ، و الصواب ما أثبتناه.
 - 3- صوابه مجزوء الوافر.
 - 4- مشكوم: من شكم الفرس بمعنى وضع الشكيمة في فمه، كناية عن أنه لا يستطيع اللحاق بالأحبة.

يحملن أترجة، نضح العبير بها *** كأنّ تطايبها في الأنف مشموم(1)

كأنّ فأرة مسك في مفارقها *** للباسط المتعاطي وهو مزكوم(2)

كأنّ إبريقهم ظبي على شرف *** مفدّم بسبا الكتّان ملثوم(3)

قد أشهد الشرب فيهم مزهر صدح *** والقوم تصرعهم صهباء خرطوم(4)

الشعر لعلقمة بن عبدة، والغناء لابن سريج، وله فيه لحنان أحدهما في الأول والثاني خفيف ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، و الآخر رمل بالخنصر في مجرى البنصر في الخامس والسادس من الأبيات، وذكر عمرو بن بانه أن في الأربعة الأبيات الأول المتوالية لمالك خفيف ثقيل بالوسطى، وفيها ثقيل أول نسبه الهشامي إلى الغريض، وذكر حبش أن لحن الغريض ثاني ثقيل بالبنصر، و ذكر حبش أن في الخامس والسادس خفيف رمل بالبنصر لابن سريج.

ص: 131

1- الأترجة: يكنى بها عن محبوبته، نضح: بلل: يريد أن رحالها تنفح ريحا طيبة.

2- فأرة المسك: وعاءه، للباسط المتعاطي: لمن يبسط يده بطلب العطاء، و لعلها للناشق.

3- يعني إبريق الخمر، يشبهه بالظبي الواقف على مكان مرتفع، مفدّم: مسدود بالفدام، وهو الخرق ونحوها، و سبا الكتّان: خرقة، ملثوم: لابس اللثام: وذلك كله كناية عن أن خمرهم مهياً للشراب، و يبدو أن بين هذا البيت و ما قبله أبيات لم تذكر.

4- الشرب: جماعة الشاربين، المزهر: آلة من آلات الغناء، صدح: صيغة مبالغة من صدح الصهباء: الخمر، الخرطوم: السريعة الإسكار.

14 - أخبار علقمة و نسبه(1)

هو علقمة بن عبدة بن التَّعمان بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

واش يلقى جزاءه:

و كان زيد مناة بن تميم وفد هو و بكر بن وائل - و كانا لدة عصر واحد - على بعض الملوك، و كان زيد مناة حسودا شرها طعّانا(2)، و كان بكر بن وائل خبيثا منكرا داهيا فخاف زيد مناة أن يحظى(3) من الملك بفائدة، و يقلّ معها حظّه، فقال له: يا بكر لا تلق الملك بثياب سفرك، و لكن تأهّب للقاءه و ادخل عليه في أحسن زينة، ففعل بكر ذلك، و سبقه زيد مناة إلى الملك، فسأله عن بكر، فقال: ذلك مشغول بمغازلة النساء و التصدّي لهن، و قد حدّث نفسه بالتعرض لبنت الملك، فغاضه ذلك، و أمسك عنه، و نمى الخبر إلى بكر بن وائل، فدخل إلى الملك فأخبره بما دار بينه و بين زيد مناة، و صدقه عن، و اعتذر إليه مما قاله فيه عذرا قبله، فلما كان من غد اجتمعا عند الملك، فقال الملك لزيد مناة: ما تحب أن أفعل بك، فقال: لا تفعل ببكر شيئا إلا فعلت بي مثليه، و كان بكر أعور العين اليمنى، قد أصابها ماء فذهب بها، فكان لا يعلم من رآه أنه أعور، فأقبل الملك على بكر بن وائل فقال له: ما تحب أن أفعل بك يا بكر، قال: تفقأ عيني اليمنى، و تضعف لزيد مناة، فأمر بعينه العوراء ففقتت، و أمر بعيني زيد مناة ففقتت، فخرج بكر و هو أعور بحاله، و خرج زيد مناة و هو أعمى.

سبب تسميته بعلقمة الفحل:

و أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة.

و يقال لعلقمة بن عبدة علقمة الفحل، سمّي بذلك لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له على امرئ القيس بأنه أشعر منه في صفة فرسة، فطلّقها، فخالفه عليها، و ما زالت العرب تسمية بذلك، و قال الفرزدق:

و الفحل علقمة الذي كانت له *** حلل الملوك كلامه يتنحل(4)

قصيدته سمطا الدهر:

أخبرني عمي قال: حدّثني النضر بن عمرو قال: حدّثني أبو السّوّار، عن أبي عبيد الله مولى إسحاق بن عيسى، عن حمّاد الرواية قال:

كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولا، و ما ردوه منها كان مردودا، فقدم

2- في ف، هج، هد: «طعاما» بدل «طعانا».

3- فاعل يحظى ضمير بكر.

4- يتنحل: يدعيه الشعراء لأنفسهم من بلاغته.

عليهم علقمة بن عبدة، فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم *** أم جبلها أن نأتك اليوم مصروم

فقالوا: هذه سمط(1) الدهر، ثم عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم:

طحا بك قلب في الحسان طروب *** بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا: هاتان سمطا الدهر.

يسرقون شعره:

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثني هارون بن محمد بن عبد الملك، عن حماد بن إسحاق قال: سمعت أبي يقول:

سرق ذو الرّمة قوله:

يطفو إذا ما تلّفته الجرائم(2)

من قول العجاج:

إذا تلّفته العقاقيل طفا(3)

أو سرقه العجاج من علقمة بن عبدة في قوله:

يطفو إذا ما تلّفته العقاقيل

أيهما أوصف للفرس هو أم امرئ القيس:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكرانيّ قال: حدثنا العمريّ عن لقيط، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثني أبو عبيدة قال:

كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عبدة التميمي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله:

خليليّ مرّابي على أم جندب

حتى مرّ بقوله:

فللسوط ألهوب و للساقي درّة *** و للزجر منه وقع أخرج مهذب(4)

- 1- السمط: القلادة.
- 2- الجراثيم: جمع جرثومة، وهي التراب المتجمع في أصول الشجر تسفيهه الريح، و يبدو أن هذا شطر بيت في وصف غزال أو فرس، يريد أنه يشتد عدوه عند ما تسفي الريح عليه التراب.
- 3- العقاقيل: جمع عقال، و هو داء يصيب رجل الدابة، يريد أن الداء لا يعطل عدوه، بل يسرع به.
- 4- الألهوب: اجتهاد الفرس في عدوه حتى يثير الغبار، الدرة: حث الفرس على العدو، الأخرج من الخيل: ما خالط بياضه سواد، مهذب: مسرع. يريد أن يستحث جواده تارة بسوط، و أخرى بساقية، و مرة ثالثة بالزجر. و في «المختار»: «و للسوط منه وقع...» بدل «و للزجر...».
- 5- المنعب كمنبر: الجواد يمد عنقه عند عدوه كالغراب.

فأنشدها علقمة قوله:

ذهبت من الهجران في غير مذهب

حتى انتهى إلى قوله:

فأدركه حتى ثنى من عنانه *** يمرّ كغيث رائح متحلّب (1)

فقال له: علقمة أشعر منك، قال: وكيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك، / أو حرّكته بساقلك، و ضربته بسوطك. وأنه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانيا من عنانه، فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلت، و لكنك هويته، فطلّقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك، و بهذا لقب علقمة الفحل.

ربيعة بن حذار يحكم له:

أخبرني عمي قال: حدثنا الكرايّي قال: حدثنا العمري، عن لقيط قال:

تحاكم علقمة بن عبدة التميمي. و الزبرقان بن بدر السعدي، و المخبّل، و عمرو بن الأهم، إلى ربيعة بن حذار الأسدي، فقال: أما أنت يا زبرقان فإن شعرك كلحم لا أنضج فيؤكل، و لا ترك نبيّنا فينتفع به، و أما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتلألأ في البصر، فكلما أعدّته (2) فيه نقص، و أما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرد حبرة يتلألأ في البصر، فكلما أعدّته (2) فيه نقص، و أما أنت يا مخبّل فإنك قصّرت عن الجاهلية و لم تدرك الإسلام، و أما أنت يا علقمة فإن شعرك كمزادة (3) قد أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء.

بيت من أبياته يضرب الممثل به عشرين سوطا:

إشارة

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثني عمي، عن العباس بن هشام، عن أبيه قال:

مرّ رجل من مزينة على باب رجل من الأنصار، و كان يتّهم بامرأته، فلما حاذى بابه تنفّس ثم تمثّل:

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم *** أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم؟

قال: فتعلّق به الرجل: فرفعه إلى عمر رضوان الله عليه، فاستعداه عليه، فقال له الممثل: و ما عليّ في أن أنشدت بيت شعر، فقال له عمر رضي الله عنه: مالك لم تشده قبل أن تبلغ بابه؟ و لكنك عرّضت به مع ما تعلم من القالة فيه، ثم أمر به فضرب عشرين سوطا.

صوت

فو الله لا أنسى قتيلا رزيتته *** بجانب قوسى ما حييت على الأرض (4)

- 1- الهاء من أدركه تعود على غزال أو نحوه، و في «المختار»: فأدرك منه ثانيا من عنانه بمر كمرّ الرائح المتحلب
- 2- الهاء من أعدته تعود على البصر.
- 3- المزادة: إناء صغير من الجلد يحمل فيه الماء.
- 4- قوسى - كسكري - بلدة بالسراة و بها قتل عروة أخو أبي خراش.

بلى إنها تعفو الكلوم وإنما *** نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي(1)

ولم أدر من ألقى عليه رداءه *** ولكنه قد بز عن ماجد محض(2)

الشعر لأبي خراش الهذلي، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى من رواية عمرو بن بانه و ذكر يحيى بن المكي أنه لابن مسجح و ذكر الهشامي أنه ليحيى المكي، نحله ابن مسجح، وفي أخبار معبد أن له فيه لحنًا.

ص: 135

1- تعفو الكلوم: تندمل الجراح، يريد أن المصائب ينسي بعضها بعضًا، وأن الأثر الشديد يكون للمصيبة القريبة، وإن كانت القديمة فادحة.

2- الهاء من عليه تعود على ابنه خراش، وألقى عليه رداءه: كناية عن إجارتة وإنقاذه من الموت، المحض: الخالص من كل شيء، يقول: لا أدري من الذي أجار ابني بالقاء رداءه عليه، على أن هذا الرداء ما خلعه إلا ذو مجد صميم، و عبارة «الحماسة» و «الديوان»: «قد سل» بدل «قد بز».

15 - ذكر أبي خراش الهذلي وأخباره (1)

أبو خراش اسمه خويلد بن مرة، أحد بني قرد، واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

شاعر فحل من شعراء المذكورين الفصحاء، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وعاش بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدة، ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، نهشته أفعى فمات، وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم.

يتربصون به فيقلت منهم:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبى وعمي والحسن بن عليّ قالوا:

حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثنا أحمد بن عمير بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال: حدّثني أبو بركة الأشجعيّ من أنفسهم قال:

خرج أبو خراش الهذليّ من أرض هذيل يريد مكّة، فقال لزوجته أمّ خراش: ويحك إني أريد مكّة لبعض الحاجة، وإنك من أفك (2) النساء، وإنّ بني الدّيل يطلبونني بتراث فأياك وأن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها! قالت: معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب.

قال: فخرج بأمر خراش وكمن لحاجته وخرجت إلى السوق لتشتري عطرا أو بعض ما تشتريه النساء من حوائجهن، فجلست إلى عطار فمر بها فتیان من بني الدّيل، فقال أحدهما لصاحبه: أمّ خراش وربّ الكعبة وإنّها لمن أفكّ النساء وإن كان أبو خراش معها فستدلّنا عليه، قال: فوقفا عليها فسلما وأحفيا (3) المسألة والسلام، فقالت: من أتما/بأبي أتما؟ فقالا: رجلان من أهلك من هذيل، قالت: بأبي أتما. فإن أبا خراش معي ولا تذكره لأحد، ونحن رائحون العشيّة، فخرج الرجلان فجمعا جماعة من فتیانهم وأخذوا مولى لهم يقال له مخلد وكان من أجود الرجال عدوا، فكمنا في عقبه على طريقه، فلما رأهم قد لاقوه في عين الشمس قال لها: قتلتي وربّ الكعبة لمن ذكرتي؟ فقالت: والله ما ذكرتك لأحد إلا لفتيين من هذيل، فقال لها: والله ما هما من هذيل ولكنهما من بني الدّيل وقد جلسا لي وجمعا عليّ جماعة من قومهم فاذهبي أنت فإذا جزت عليهم فإنهم لن يعرضوا لك لئلا أستوحش فأفوتهم، فاركضني بعيرك، وضعي عليه العصا، والنجاء النجاء.

قال: [فانطلقت] (4) وهي على قعود عقيلي يسابق الريح، فلما دنا منهم وقد تلّثموا ووضعوا تمرًا على طريقه

ص: 136

1- هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق و موضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

2- أفكّ النساء: أكذبهن.

3- أحفيا: أبدأ الحفاوة والتلطف.

4- زيادة يقتضيها المقام.

على كساء، فوقف قليلا كأنه يصلح شيئا، و جازت بهم أم خراش فلم يعرضوا لها لئلا ينفر منهم، و وضعت العصاء على قعودها، و توثبوا إليه و وثب يعدو.

قال: فزاحمه على المحجبة (1) التي يسلك فيها على العقبة ظبي، فسبقه أبو خراش، و تصايح القوم: يا مخلد أخذا أخذا.

قال: ففات الأخذ. فقالوا: ضربا ضربا، فسبق الضرب، فصاحوا: رميا رميا فسبق الرمي، و سبقت أم خراش إلى الحي فنادت: ألا إن أبا خراش قد قتل، فقام أهل الحي إليها، و قام أبوه و قال: ويحك ما كانت قصته، فقالت:

إن بني الدليل عرضوا له الساعة في العقبة، قال: فما رأيت، أ و ما سمعت،؟ قالت: سمعتهم يقولون: يا مخلد أخذا أخذا، قال: ثم سمعت ما ذا؟ قالت: ثم سمعتهم يقولون: ضربا ضربا، قال: ثم سمعت ما ذا؟ قالت: سمعتهم يقولون: رميا رميا، قال: فإن كنت سمعت رميا رميا/فقد أفلت، و هو منا قريب، ثم صاح: يا أبا خراش، فقال أبو خراش: يا لبيك، و إذا هو قد وافاهم على أثرها. و قال أبو خراش في ذلك:

رفوني و قالوا يا خويلد لم ترع *** فقلت و أنكرت الوجوه هم هم

رفوني بالفاء: سكتوني و قالوا: لا بأس عليك.

فغاررت شيئا و الدريس كأنما *** يزعزه و عك من الموم مردم (2)

غاررت: تلبثت. و الدريس: الخلق من الثياب، و مثله الجرد و السحق و الحشيف. و مردم: لازم.

تذكرت ما أين المفرّ و إنني *** بحبل الذي ينجي من الموت معصم (3)

فو الله ما ربداء أو عالج عانة *** أقب و ما إن تيس رمل مصمّم (4)

بأسرع منّي إذ عرفت عديهم *** كاني لأولاهم من القرب توأم (5)

و أجود منّي حين وافيت ساعيا *** و أخطأني خلف الشية أسهم (6)

أوائل بالشّدّ الذليق و حثني *** لدى المتن مشبوح الذراعين خلعجم (7)

/تذكرّ ذحلا عندنا و هو فاتك *** من القوم يعرفه اجترأ و مأثم (8)

ص: 137

1- المحجبة: الطريق.

2- غاررت شيئا: تلبثت قليلا - و الوعك: أذى الحمى، و الموم: الحمى الشديدة، كأنه يقول: تلبثت قليلا و جسمي ينتفض، فتنفض معه ثيابي الخلقة، كأن بجسمي حمى ملازمة.

3- «ما» زائدة، معصم: من أعصم به، أي استمسك، يريد أنه معتمد على الله.

4- ربداء: صفة موصوف محذوف، أي غزالة ربداء، و الربداء: المغبرة اللون، و العلج: حمار الوحش، العانة: القطيع من حمر الوحش، أقب:

دقيق الخصر ضامر البطن، مصمم: جاد في سيره، العدى: جماعة القوم يعدون، لأولاهم: لأولى سراياهم. يقول: أقسم أنني حين أبصرتهم يعدون خلفي كنت أسرع من الغزالة و حمار الوحش الضامر و التيس المصمم، وقد كادوا يدركونني، فقد كنت لأولى سراياهم من القرب كأنني توأم لها.

5- ربداء: صفة موصوف محذوف، أي غزالة ربداء، و الربداء: المغبرة اللون، و العليج: حمار الوحش، العانة: القطيع من حمر الوحش، أقب: دقيق الخصر ضامر البطن، مصمم: جاد في سيره، العدى: جماعة القوم يعدون، لأولاهم: لأولى سراياهم. يقول: أقسم أنني حين أبصرتهم يعدون خلفي كنت أسرع من الغزالة و حمار الوحش الضامر و التيس المصمم، وقد كادوا يدركونني، فقد كنت لأولى سراياهم من القرب كأنني توأم لها.

6- الثنية: الطريق في الجبل، وقوله: «أجود» معطوف على «أسرع» أي ما كانت هذه الحيوانات أسرع مني، و لا أجود جريا حين وصلت سالما، و أخطأني أسهمهم.

7- وائل: طلب النجاة، الشد الذليق: الجري السريع. وفي س «السيف الذليق» و لا معنى له، و المثبت من هد: هج. حثني لدى المتن: أسرع بي على الجري، و المتن، الذهاب في الأرض، و مشبوح الذراعين: عظيمهما، الخلجم - كجعفر: الجسم العظيم، أو الطويل المنجذب الخلق. يقول: طلبت النجاة بسرعة الجري، و ساعدني على ذلك جسمي القوي البنيان.

8- تذكر ذحلا... إلخ: يتحدث عن خصمه، و يصفه بالفتك و الجرأة و ارتكاب المآثم.

تقول ابنتي لما رأته عشيّة: *** سلمت و ما إن كدت بالأمس تسلم

فقلت وقد جاوزت صارى عشيّة: *** أ جاوزت أولى القوم أم أنا أحلم(1)

فلولا دراك الشدّ أصت حليلتي *** تخيّر في خطابها وهي أيم(2)

فتسخط أو ترضى مكاني خليفة *** و كاد خراش عند ذلك ييتم(3)

يسابق الخيل فيسبقها:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ و محمد بن الحسين الكنديّ خطيب المسجد الجامع بالقادسية قالا: حدثنا الرياشيّ قال: حدثنا الأصمعيّ قال: حدثني رجل من هذيل قال:

دخل أبو خراش الهذليّ مكّة و للوليد بن المغيرة المخزوميّ فرسان يريد أن يرسلهما في الحلبة، فقال للوليد:

ما تجعل لي إن سبقتهما؟ قال: إن فعلت، فهما لك، فأرسلا، وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما.

قال الأصمعيّ: إذا فاتك الهذليّ أن يكون شاعرا أو ساعيا أو راميا فلا خير فيه.

و أخبرني بما أذكره من مجموع أخبار أبي خراش عليّ بن سليمان الأ-خفش، عن أبي سعيد السكريّ، و أخبرني بما أذكره من مجموع أشعارهم و أخبارهم فذكره أبو سعيد، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، و عن ابن حبيب عن أبي عمرو.

يمدح دبية حيا و يرثيه ميتا:

و أخبرني ببعضه محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا الرياشيّ، عن الأصمعيّ، /وقد ذكرت ما رواه في أشعار هذيل و أخبارها كل واحد منهم عن أصحابه في مواضعه، قال السكريّ: فيما رواه عن ابن حبيب عن أبي عمرو قال:

نزل أبو خراش الهذليّ على دبيّة السّ لمي - و كان صاحب العزّي التي في غطفان و كان يسدنها، وهي التي هدمها خالد بن الوليد لما بعثه رسول الله صلّى الله عليه و سلّم إليها فهدمها و كسرها و قتل دبيّة السّ لمي - قال: فلما نزل عليه أبو خراش أحسن ضيافته. و رأى في رجله نعلين قد أخلقتا، فأعطاه نعلين من حذاء السّبب(4) فقال أبو خراش يمدحه:

حذاني بعد ما خدمت نعالِي *** دبيّة إنّه نعم الخليل(5)

مقابلتين من صلوي مشبّ *** من الثيران وصلهما جميل(6)

بمثلهما يروح المرء لهوا *** و يقضي الهمّ ذو الأرب الرّجيل(7)

- 1- صارى: جبل قبلي المدينة: وأولى القوم: أولى سراياه، يعني أنه نجا، ولم يصدق بالنجاة.
- 2- آصت: رجعت، يعني لولا سرعة جريه لرجعت حليلته - وهي أيم - تتخير خطيبا لها لها بعد موته، وفي بعض الأصول «آظت»، وفي بعضها «قاظت»، وفي «المختار»: «أمست».
- 3- خليفة مفعول لتسخط وترضى، و خراش هو ابنه، و البيت كله: كناية عن هلاكه.
- 4- السبت: الجلد المدبوغ.
- 5- خذم الحذاء - كسمع -: انقطع.
- 6- صلوى: تثنية صلا، و الصلا: الظهر، يريد أنه أعطاه نعلا من جلد ظهر فتى من الثيران، و قوله: مقابلتين، يعني نعلين إحداهما تقابل الأخرى، ما أجمل وصلهما.
- 7- الرجيل: الراجل، أو المشاء، أي يمثل هاتين النعلين بلهو المرء، و يقضي ما هم به من المآرب إذا كان راجلا أو كثير المشي.

فنعلم معرّس الأضياف تذحي *** رحالهم شامية بليل (1)

يقاتل جوعهم بمكّلات *** من القرنيّ يربها الجميل (2)

قال أبو عمرو: الجميل: إلا هالة، ولا يقال لها جميل حتى تذاب إهالة كانت أو شحما، / وقال أبو عمرو:

ولما بعث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم خالد بن الوليد فهدم عزي غطفان، و كانت بطن نخلة، نصبها ظالم بن أسعد بن عامر بن مرة و قتل ديبّة فقال أبو خراش الهذلي يرثيه:

ما لديّة منذ اليوم لم أره *** وسط الشروب و لم يلّم و لم يطف (3)

لو كان حيا لغاداهم بمترعة *** فيها الرواويق من شيزى بني الهطف (4)

بنو الهطف: قوم من بني أسد يعملون الجفان.

كابي الرماد عظيم القدر جفنته *** حين الشتاء كحوض المنهل اللقف (5)

- المنهل: الذي إبله عطاش. و اللقف: الذي يضرب الماء أسفله فيتساقط و هو ملآن -

أمسى سقام خلاء لا أنيس به *** إلا السباع و مرّ الريح بالغرف (6)

يرثي زهير بن العجوة:

و قال الأصمعيّ و أبو عمرو في روايتهما جميعا:

أخذ أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم في يوم حنين أسارى، و كان فيهم زهير بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث، فمرّ به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، و هو مربوط في الأسرى، و كانت بينهما إحنة في الجاهلية، فضرب عنقه، فقال أبو خراش يرثيه:

فجّع أصحابي جميل بن معمر *** بذي فجر تأوي إليه الأرامل (7)

/طويل نجاد السيف ليس بحيدر *** إذا قام و استنتت عليه الحمامل (8)

إلى بيته يأوي الغريب إذا شتا *** و مهتلك بالي الدريسين عائل (9)

تروّح مقررورا و راحت عشية *** لها حذب تحثته فيوائل (10)

ص: 139

دبية و تذحي: تسوق و تطرد، وانظر «اللسان» (ذحي).

2- بمكلايات: بجفان مملوءات، الفرنى: نوع مخصوص من الخبز، يربعها: يملؤها، الجميل: الإهالة، وهي الشحم، أو كل ما يؤتدم به، يقول: إن مضيفه كريم يقابل الجوع بجفان مكلفة بالخبز المأدوم بالشحم أو اللحم وغيره من أنواع الإدام.

3- الشروب: القوم يشربون.

4- مترعة: مملوءة، الرواويق: جمع راووق: الخمر، وإنؤها، و ما تروق به، والشيزي: الجفنة.

5- كابي الرماد: عظيمة، كناية عن الكرم.

6- سقام - بفتح السين - اسم واد بالحجاز يبدو أن المرثي كان ينزل به.

7- فجع... إلخ: بيت من الطويل دخله الخرم، والفجر - بفتح الفاء والجيم -: العطاء والكرم.

8- طويل نجاد السيف: كناية عن طول قامته، الحيدر: الغليظ السمين، استنتت: اضطربت، يعني أنه طويل القامة، حين تهتز حمائل سيفه على جانبه لا تجد غلظا ولا سمنا. وفي ف: «تسترخي» بدل: و «استنتت».

9- المهتلك: الذي لا هم له إلا أن يتضيفه الناس، الدريسين: مثني دريس، وهو الثوب الخلق.

10- الحدب: شدة البرد، تحتته: تسرع به، يوانل: يطلب النجاة، البيت وصف لمهتلك في البيت السابق، يريد أنه راح يشكو القر، وراحت عليه عشية باردة تجعله يغذ السير طلبا للنجاة.

تكاد يدها تسلمان رداءه *** من القرّ لما استقبلته الشمال (1)

فما بال أهل الدار لم يتصدّعوا *** وقد خفّ منها المودعيّ الحلال (2)

فأقسم لو لاقيته غير موثق *** لأبك بالجزع الضباع التواهل (3)

لظلّ جميل أسوأ القوم تلة *** ولكنّ ظهر القرن للمرء شاغل (4)

فليس كعهد الدار يا أمّ مالك *** ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل (5)

أو عاد الفتى كالكهل ليس بقائل *** سوى الحقّ شيئا فاستراح العواذل (6)

و لم أنس أياما لنا و لياليا *** بحلية إذ نلقى بها ما نحاول (7)

وقال أيضا يرثيه:

أفي كلّ ممسى ليلة أنا قائل *** من الدهر لا يبعد قتيل جميل (8)

فما كنت أخشى أن تصيب دماءنا *** قريش و لما يقتلوا بقتيل (9)

فأبرح ما أترتم و عمرتم *** مدى الدهر حتى تقتلوا بغليل

يستنقذ أسرى بني ليث:

وقال أبو عمرو في خبره خاصة: أقبل أبو خراش و أخوه عروة و صهيب القرديّ في بضعة عشر رجلا من بني قرد يطلبون الصيد فيينا هم بالمجمعة من نخلة لم يرعهم إلا قوم قريب من عدتهم فظنهم القرديّون قوما من بني ذؤيبة أحد بني سعد بن بكر بن هوازن أو من بني حبيب أحد بني نصر، فعدا الهذليّون إليهم يطلبونهم و طمعوا فيهم حتى خالطوهم و أسروهم جميعا، و إذا هم قوم من بني ليث بن بكر، فيهم ابنا شعوب أسرهما صهيب القردي، فهم بقتلهما، و عرفهم أبو خراش فاستنقذهم جميعا من أصحابه و أطلقهم، فقال أبو خراش في ذلك يمنّ على ابني شعوب أحد بني شجع بن عامر بن ليث فعله بهما:

ص: 140

1- هذا البيت كسابقة في وصف مهتلك، أي تكاد الرياح الباردة تمزق ثوبه، فتنبذه يدها لما خلق منه، و في «ديوان الهذليين» «من الجود» بدل من «القر» كأنه جعل البيت وصفا للمرثي، و السياق يؤيد ما أثبتناه.

2- اللوذعي: الخفيف الذكي، أو الحديد الفؤاد و النفس، أو اللسن الفصيح، الحلال: السيد في قومه، أو الكريم الجواد، يعجب من أهل داره كيف لم تتصدع أكبادهم بعد فراقهم إياه.

3- «لأبك بالجزع الضباع النواهل»: لوردت دمك الضباع العطاش، كناية عن قتل زهير لجميل لو لم يكن موثقا، و الجزع - بفتح الجيم و كسرهما -: منعطف الوادي و وسطه.

4- تلة: صرعة، الظهر: إصابة الظهر، القرن: القرين في الشجاعة و ما إليها، و المعنى أن جميلا أسوأ الناس إصابة، لأنه أهلك سيدا شجاعا موثقا لا يستطيع الدفاع عن نفسه، و لكن القرن ينشغل دائما بإصابة ظهر قرنه، ليتخلص منه، و في س «و لكن قرن المرء للظهر شاغل» و لم نجد لها معنى، و المثبت من ف.

5- اسم ليس ضمير الشأن، و لعله يعني بإحاطة السلاسل بالرقاب، فتح خالد لتلك النواحي.

6- لعله يعني بهذا البيت دخول القوم في الإسلام، و أن الجميع دانوا بالحق، و انشوا عن اللهو و الباطل، فلم يبق مكان للعواذل.

7- حلية: اسم مكان.

8- لا يبعد: لا يهلك، و هو دعاء يقال في مقام الرثاء كثيرا، و يجوز أن يكون من البعد ضد القرب.

9- «و لما يقتلوا» جملة معترضة، أي ما كنت أخاف أن تقتل قريش مناقتيلا دون أن ننال منهم.

اعدونا عدوة لا شكّ فيها *** و خلناهم ذؤيبة أو حيبيا(1)

فغري الثائرين بهم و قلنا *** شفاء النفس أن بعثوا الحروبا(2)

منعنا من عديّ بني حنيف *** صحاب مضرّس و ابني شعوبا(3)

فأثنوا يا بني شجع علينا *** و حقّ ابني شعوب أن يثيبا

و سائل سبرة الشّجعيّ عنا *** غداة نخالهم نجوا جنيبا(4)

بأنّ السّابق الفرديّ ألقى *** عليه الثوب إذ ولىّ دبيبا(5)

و لو لا ذاك أرهقه صهيب *** حسام الحدّ مطرورا خشيبا(6)

يزهد زهد الهنود:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا الرياشي: قال: حدثنا الأصمعيّ قال: أقفر أبو خراش الهذليّ من الرّاد أياما، ثم مرّ بامرأة من هذيل جزلة شريفة، فأمرت له بشاة فذبحت و شويت، فلما وجد بطنه ريح الطعام قرقر(7)، فضرب بيده على بطنه و قال: إنك لتقرقر لرائحة الطعام، و الله لأطعمت منه شيئا ثم قال: يا ربّة البيت، هل عندك شيء من صبر أو مرّ؟ قالت: تصنع به ما ذا؟ قال: أريده، فأتته منه بشيء فاقتمحه، ثم أهوى إلى بعيه فركبه، فناشدته المرأة فأبى، فقالت له: يا هذا، هل رأيت بأسا أو أنكرت شيئا؟ قال: لا و الله، ثم مضى و أنشأ يقول:

أو إني لأثوي الجوع حتى يملّني *** فأحيا و لم تدنس ثيابي و لا جرمي(8)

و أصطبح الماء القراح فأكتفي *** إذا الزاد أضحى للمزّج ذا طعم(9)

أردّ شجاع البطن قد تعلمينه *** و أوثر غيري من عيالك بالطّعم(10)

مخافة أن أحيا برغم و ذلّة *** فللموت خير من حياة على رغم

يفتدي أخاه عروة فيلطمه:

و أخبرني عمّي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن الحارث، عن المدائني بنحو مما رواه الأصمعيّ.

ص: 141

1- خلناهم: خلنا من أغرنا عليهم، ذؤيبة و حبيب: قبيلتان.

2- غري الثائرين بهم: نسلطهم عليهم و نمكنهم منهم.

3- عدي بني حنيف: جماعة العادين منهم، و مضرّس: اسم رجل من بني ليث المعدو عليهم، و شعوب: اسم رجل، و لكنه منع الصرف،

لأنه في الأصل علم على المنية.

- 4- ضمير نخالهم يعود على المأسورين، النجو: ما أهمل من قطع الخشب، أو ما خرج من البطن، و الخبيث: المبعد المنحى: يقول. سائل الشجعي عنا غداة أسرنا قومه، و ظنناهم ممن لا وزن لهم.
- 5- لعل المراد بإلقاء الثوب عليه التعرف عليه، وأنه من ليث بن بكر، لا من ذؤيبة أو حبيب.
- 6- حسام الحد: سيفا قاطع الحد، مطرورا: مسنونا، خشيبا: مسلولا، أي لو لا التعرف عليه لفتك به صهيب.
- 7- قرقر بطنه: أحدث من الجوع صوتا يشبه القرقرة.
- 8- أثوي الجوع - من أثوى - : أسكنه بطني، و الجرم: الجسد.
- 9- الماء القراح: الخالص، و اصطبحه: شربه صباحا، المزليج: الرجل الذي لا قوة له على احتمال المكروه. يقول: أكتفي بالماء القراح إذا حمل الجشع الرجل الدنيء على الزاد اللذيذ الطعام.
- 10- الشجاع: الثعبان: شبه أمعاه بالثعابين لما ترمى إليه من المهالك، و الطعم: الطعام، و الخطاب المرأة التي استضافته.

وقال أبو عمرو:

أسرت فهم عروة بن مرة أخا أبي خراش - وقال غيره: بل بنو كنانة أسرته - فلما دخلت الأشهر الحرم، مضى أبو خراش إليهم ومعه ابنه خراش، فنزل بسيد من ساداتهم ولم يعرّفه نفسه ولكنه استضافه فأنزله وأحسن قراه، فلما تحرّم به انتسب له، وأخبره خبر أخيه، وسأله معاونته حتى يشتريه منهم، فوعده بذلك، وغدا على القوم مع ذلك الرجل، فسألهم في الأسير أن يهبوه له، فما فعلوا، فقال لهم: فيعوني، فقالوا: أما هذا فنعم، فلم يزل يساومهم حتى رضوا بما بذله لهم، فدفعت أبو خراش إليهم ابنه خراشا رهينة، وأطلق أخاه عروة ومضيا، حتى أخذ أبو خراش فكاك أخيه، وعاد به إلى القوم حتى أعطاهم إياه وأخذ ابنه. فبينما أبو خراش ذات يوم في بيته إذ جاءه عبد له فقال:

إن أخاك عروة جاءني وأخذ شاة من غنمك، فذبحها، ولطمني لما منعتة منها، فقال له: دعه، فلما كان بعد أيام عاد، فقال له: قد أخذ أخرى، فذبحها، فقال: دعه، فلما أمسى قال له: إن أخاك اجتمع مع شرب من قومه، فلما انتشى جاء إلينا وأخذ ناقة من إبلك، لينحرها لهم فعاجله، فوثب أبو خراش إليه، فوجده قد أخذ الناقة، لينحرها، فطردها أبو خراش، فوثب أخوه عروة إليه فلطم وجهه، وأخذ الناقة، فعقرها، وانصرف أبو خراش، فلما كان من غد لأمه قومه، وقالوا له: بست لعمر الله المكافأة، كانت منك لأخيك؛ رهن ابنه فيك، وفداك بماله، ففعلت به ما فعلت، فجاء عروة يعتذر إليه، فقال أبو خراش:

لعلك ناعفي يا عمرو يوما *** إذا جاورت من تحت القبور

أخذت خفارتي ولطمت عيني *** وكيف تشيب بالمنّ الكبير (1)

ويوم قد صبرت عليك نفسي *** لدى الأشهاد مرتدي الحرور (2)

إذا ما كان كسّ القوم روقا *** و جالت مقلتنا الرجل البصير (3)

بما يممته وتركت بكري *** وما أطعمت من لحم الجزور (4)

قال معنى قوله بكري أي بكر ولدي أي أولهم.

خبر أخويه الأسود وأبي جندب:

وقال الأصمعيّ وأبو عبيدة وأبو عمرو وابن الأعرابي:

كان بنو مرة عشرة: أبو خراش (5)، وأبو جندب، وعروة، والأبيح، والأسود، وأبو الأسود، وعمرو، وزهير، وجناد، وسفيان، وكانوا جميعا شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عدوا، فأما الأسود بن مرة فإنه كان على ماء من داءة (6) وهو غلام شاب، فوردت عليه إبل رثاب بن ناضرة بن المؤمل من بني لحيان، ورثاب شيخ كبير، فرمى

ص: 142

1- خفارتي: يعني مالي الذي أحرسه، المن: العطاء.

2- ويوم - بالكسر - معطوف على المن في البيت قبله، أي كيف تشيب على هذا وذاك؟ الأشهاد: جمع شهد، وشهد: جمع شاهد، و

مرتدي الحرور: لابساً الحر.

3- الكس: الدق الشديد، روقاً: زانداً، لعله يريد أن يقول: إنني صبرت نفسي عليك إذ كان دق القوم بمعنى ضربهم شديداً زانداً، و جالت العيون في الملقى، وذلك كناية عن أنه خاض الحرب من أجله.

4- بما يممه: بما قصدته من إحساني إليك، ويتعلق الجار والمجرور «كيف نثيب» في البيت الثاني أي كيف نثيبني بإحساني إليك و رهن ولدي من أجلك، و ما أكلته من لحم جزوري بلطمك وجهي؟.

5- كان القياس أن يقول: أبا خراش بالنصب على البدلية من عشرة، ولكن هكذا ورد في الأصول على قدير «هم فلان و فلان».

6- داءة - كما في «القاموس» - موضع لهذيل و في «المختار»: «فإنه كان - على ما مرّ - داهية».

الأسود ضرع ناقة من الإبل فعقرها، فغضب رئاب، فضربه بالسيف، فقتله، و كان أشدهم أبو جندب، فعرف خبر أخيه، فغضب غضبا شديدا، و أسف، فاجتمعت رجال هذيل إليه يكلمونه و قالوا: خذ عقل(1) أخيك، و استبق ابن عمك، فلم يزالوا به حتى قال: نعم، اجمعوا العقل، فجاؤوه به في مرة واحدة، فلما أراحوه عليه صمت فطال صمته فقالوا له: أرحنا: اقضه منا، فقال: إني أريد أن أعتمر فاحبسوه حتى أرجع، فإن هلكت(2) فلائم ما أنتم - هذه لغة هذيل يقولون: إم بالكسر، و لا يستعلمون الضم - و إن عشت فسوف ترون أمري، و ولّي ذاهبا نحو الحرم، فدعا عليه رجال من هذيل، و قالوا: اللهم لا تردّه، فخرج فقدم مكة فواعد كلّ خليع وفاتك في الحرم أن يأتوه يوم كذا و كذا، فيصيب بهم قومه، فخرج صادرا، حتى أخذته الذبحة في جانب الحرم، فمات قبل أن يرجع، فكان ذلك خبره.

خبر أخيه زهير:

قالوا: و أما زهير بن مرة فخرج معتمرا قد جعل على جسده من لحاء(3) الحرم، حتى ورد ذات الأقيز(4) من نعمان، فبينما هو يسقي إبلا له إذ ورد عليه قوم من ثمالة، فقتلوه، فله يقول أبو خراش، و قد انبعث يغزو ثمالة و يغير عليهم، حتى قتل منهم بأخيه أهل دارين، أي حلتين من ثمالة.

خذوا ذلكم بالصّٰلِحِ إني رأيتكم *** قتلتم زهيرا و هو مهد و مهمل

/مهد أي أهدى هديا للكعبة. و مهمل: قد أهمل إبله في مراعيها.

قتلتم فتى لا يفجر الله عامدا *** و لا يجتويه جاره عام يمحل(5)

و لهم يقول أبو خراش:

إني امرؤ أسأل كيما أعلمنا *** من شرّ رهط يشهدون الموسما؟

وجدتهم ثمالة بن أسلما

و كان أبو خراش إذا لقيهم في حروبه أوقع بهم و يقول:

إليك أمّ ذبّان *** ما ذاك من حلب الضّان(6)

لكن مصاع الفتیان *** بكلّ لين حرّان(7)

ص: 143

1- عقل أخيه: دينه.

2- فلائم ما أنتم: فأنتم تنتمون إلى أصل عظيم، و أم كل شيء: أصله و عماده، و المراد بالعبرة: إن هلكنا فافعلوا ما ترون، فأنتم لا تجتمعون على ضلال.

3- اللحاء: قشر الشجر.

4- ذات الأقيز: جبل بنعمان «معجم ياقوت».

5- لا يفجر الله: لا يفجر بالله، على حذف الخافض، لا يجتويه، لا يكرهه. عام يمحل: سنة القحط، يصف أخاه بالاستقامة و العطف على الجار.

6- الأبيات من منهوك المنسرح «مستفعلن مفعولات»، أم ذبان: من الذبنة - بضم الذال - بمعنى ذبول الشفتين من العطش، كأنه يكنى بأم ذبان عن شفتيه العطشيين، يقول لشفته: إليك عن الري، لا تطليه في الحرب، فليس لبن الضأن يسقى فيها.

7- مصاع: من صاع الأقران: أتاها من نواحيهم، بكل لين «بتخفيف الياء» حران: لعله يقصد بكل سنان لدن عطشان إلى الدماء، والمعنى - على ما يبدو لنا - ليس في الحرب ري بماء أو لبن، ولكنها مصارع الفتیان بكل سنان ظامئ إلى الدماء.

خبر أخيه عروة و ابنه خراش:

قال: و أما عروة بن مرة و خراش بن أبي خراش فأخذهما بطنان من ثمالة يقال لهما بنو رزام و بنو بلال، و كانوا متجاورين، فخرج عروة بن مرة و ابن أبي خراش أخيه مغيرين عليهم طمعا في أن يظفروا من أموالهم بشيء، فظفر بهما الشماليون، فأما بنو رزام فنهوا عن قتلها و أبت بنو بلال إلا-قتلها، حتى كاد يكون بينهم شر، فألقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة، ثم قال له: انج، و انحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل، و كانوا أسلموه إليه، فقالوا: أين خراش؟ فقال: أفلت مني، فذهب، فسعى القوم في أثره، فأعجزهم، فقال أبو خراش في ذلك يرثي أخاه عروة، و يذكر خلاص ابنه:

/احمدت إلهي بعد عروة إذ نجا *** خراش و بعض الشر أهون من بعض

فو الله لا أنسى قتيلا رزيتة *** بجانب قوسى ما حييت على الأرض(1)

بلى إنها تعفو الكلوم و إنما *** نوكل بالأدنى و إن جلّ ما يمضي

و لم أدر من ألقى عليه رداءه *** سوى أنه قد سلّ عن ماجد محض

و لم يك مثلوج الفؤاد مهتلا *** أضاع الشباب في الرّيلة و الخفض(2)

و لكنه قد نازعته مجاوع *** على أنه ذو مرة صادق النهض(3)

قال: ثم إن أبا خراش و أخاه عروة(4) استنفرا حيّا من هذيل يقال لهم بنو زليقة بن صبيح ليغزوا ثمالة بهم طالبين بثأر أخيها، فلما دنوا من ثمالة أصاب عروة ورد حمى، و كانت به حمى(5) الرّبع فجعل عروة يقول:

أصبحت مورودا فقربوني *** إلى سواد الحيّ يدفنوني

إنّ زهيرا وسطهم يدعوني *** ربّ المخاض و اللّقاح الجون(6)

/فلبثوا إلى أن سكنت الحمى، ثم بيّتا ثمالة، فوجدوهم خلّوفا ليس فيهم رجال، فقتلوا من وجدوا من الرجال، و ساقوا النساء و الذراريّ و الأموال، و جاء الصائح إلى ثمالة عشاء، فلحقوهم، و انهزم أبو خراش و أصحابه، و انقطعت بنو زليقة، فنظر الأكنع الثماليّ - و كان مقطوع الأصبع - إلى عروة فقال: يا قوم، ذلك و الله عروة، و أنا و الله رام بنفسي عليه، حتى يموت أحدنا، و خرج يجمع(7) نحو عروة، فصاح عروة بأبي خراش أخيه:

أي أبا خراش، هذا و الله الأكنع و هو قاتلي، فقال أبو خراش: أمضه(8)، و قعد له على طريقه، و مر به الأكنع

ص: 144

1- تقدم هذا البيت و البيتان اللذان بعده في الترجمة نفسها.

2- مثلوج الفؤاد: كناية عن الدعة و الخور، و المهبل: من يقال له: هبلتك أمك، بمعنى ثكلتك، يعني أنه لم يكن يجروا أحد على سبه الريلة

و الخفض . معناهما واحد، هو الدعة و النعمة يصف المرثي بأنه كمن يركب الأهوال.

3- ف: مخامص، ذو مرة، ذو قوة، صادق النهض: شجاع إذا نهض إلى الحرب ولي.

4- هنا اضطراب بين في سياق الحديث، ففيما سبق أن عروة قد قتل، و هنا ما يفيد أنه ما زال حيا، فلعل هذا الكلام رواية أخرى تتعلق به، أو

لعل ثمة تحريفا بوضع عروة موضع عمرو، و العجيب أن تتفق الأصول التي بين أيدينا على هذه الرواية.

5- حمى الربيع: هي التي تصيب المريض دوما و تدعه يومين، ثم تعود إليه في اليوم الرابع.

6- الجون: يريد رب الإبل التي في لونها دهمة أي سواد.

7- يمعج: يسرع.

8- أمضه: اجعله يمضي خلفك.

مصمما على عروة، وهو لا- يعلم بموضع أبي خراش، فوثب عليه أبو خراش، فضربه على حبل عاتقه حتى بلغت الصخرة سحره(1)، و انهزمت ثمالة، و نجا أبو خراش و عروة. و قال أبو خراش يرثي أخاه و من قتلته ثمالة و كنانة من أهله، و كان الأصمعي يفضّلها:

فقدت بني لبني فلما فقدتهم *** صبرت فلم أقطع عليهم أباجلي(2)

الأبجل: عرق في الرجل.

رماح من الخطي زرق نصالها *** حداد أعاليها شداد الأسافل

فلهفي على عمرو بن مرة لهفة *** و لهفي على ميت بقوسى المعائل(3)

حسان الوجوه طيب حجاتهم *** كريم نثاهم غير لفّ معازل(4)

/قتلت قتيلا لا يحالف غدرة *** و لا سبة لا زلت أسفل سافل(5)

و قد أمنوني و اطمأنت نفوسهم *** و لم يعلموا كل الذي هو داخلي

فمن كان يرجو الصلح مني فإنه *** كأحمر عاد أو كليب بن وائل(6)

أصبيت هذيل بابن لبني و جدعت *** أنوفهم باللوذعي الحلال(7)

رأيت بني العلات لما تضافروا *** يحوزون سهمي دونهم بالشّمائل(8)

أخبار أخوته:

قالوا: و أما أبو الأسود فقتلته فهم بيانا تحت الليل، و أما الأبح فكان شاعرا، فأمسى بدار بععر من ضميم، فذكر لسارية بن زنيم العبدي أحد بني عبد بن عدي بن الدليل، فخرج بقوم من عشيرته يريدوه و من معه، فوجدوهم قد طعنوا. و كان بين بني عبد بن عدي بن الدليل و بينهم حرب، فقال الأبح في ذلك:

لعمرك ساري بن أبي زنيم *** لأنت بععر الثار المني(9)

تركت بني معاوية بن صخر *** و أنت بمربع و هم بضم(10)

ص: 145

1- السحر: ما اتصل بالحلقوم من رئة و غيرها.

2- بني لبني، يريد إخوته لأن اسم أمهم جميعا لبني ما عدا سفيان.

3- يعني بقتيل قوسى أخاه عروة، كما مر.

4- حجرا جمع حجرة - بضم الحاء - و هي موضع التكة من السراويل، و ذلك كناية عن العفاف، و النثا: الحديث، لف: جمع ألف، و هو

الثقيل البطيء، أو ألفه العبي، المعازل: المجردون من السلاح.

5- قتلت قتيلا: الخطاب لقاتل أحد إخوته، وقوله: «لا زلت أسفل سافل» دعاء عليه.

6- يكنى بقوله: «كأحمر عاد أو كليب بن وائل» عن استبعاد الصلح واستحالة السلام.

7- اللوذعي: الخفيف الذكي، الحلاحل: السيد الشجاع، و جدعت أنوفهم كناية عن ذلهم واستكانتهم بعد موته.

8- بنو العلات: من أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة، ولعله يقصد بهم القبائل التي تضافرت عليه، وقتلت إخوته، يقول: إنهم حين تألبوا

عليه لم تؤثر سهامه فيهم، بل تلقوها بأيديهم. الشمائل: كناية عن عدم الإصابة.

9- ساري: ترخيم سارية، عرعر: مكان، وقوله: «الثأر المنيم» يريد الثأر الذي إذا أدركه أهله ناموا واستراحوا، وفي ف «لأنت بعرعر الثاوي

المقيم» و يبدو من السياق أن بني معاوية المشار إليهم في البيت التالي كانوا وتروا سارية، فخشيهم، و نام عن طلب الثأر.

10- في هد «معاوية بن بكر» بدل «معاوية بن صخر»، و مربع، و ضميم: مكانان متقاربان، يقول: تركتهم دون أن تتأثر منهم، و هم عن كذب

منك.

تساقيهم على رصف و ظرّ *** كدابغة و قد حلم الأديم(1)

ارصف و ظرّ: ماءان، و مربع و ضيم: موضعان.

فلم نتركهم قصدا و لكن *** فرقت من المصالت كالتجوم(2)

رأيتهم فوارس غير عزل *** إذا شرق المقاتل بالكلوم(3)

فأجابه سارية، فقال:

لعلك يا أبجّ حسبت أنّي *** قتلت الأسود الحسن الكريما

أخذتم عقله و تركتموه *** يسوق الظمي وسط بني تميم(4)

عبرهم بأخذ دية الأسود بن مرة أخيه، و أنهم لم يدركوا بثأره، و بنو تميم من هذيل.

قالوا: و أما جنادة و سفيان فماتا، و قتل عمرو، و لم يسمّ قاتله. قالوا: و أمهم جميعا لبني إلا سفيان بن مرة، فإن أمه عمرو القرديّة، و كان أيسر القوم و أكثرهم مالا.

و قال أبو عمرو: و غزا أبو خراش فهما(5)، فأصاب منهم عجوزا، و أتى بها منزل قومه، فدفعها إلى شيخ منهم، و قال: احتفظ بها حتى آتيك، و انطلق لحاجته، فأدخلته بيتا صغيرا، و أغلقت عليه، و انطلقت، فجاء أبو خراش، و قد ذهبت، فقال:

سدّت عليه دولجا يّممت *** بني فالج بالليث أهل الخزائم(6)

الدولج: بيت صغير يكون للبهيم، و الليث: ماء لهم، و الخزائم البقر واحدتها خزومة.

و قالت له: دنّخ مكانك إنني *** سألقاك إن وافيت أهل المواسم

يقال: دنّخ الرجل و دمّخ إذا أكبّ على وجهه و يديه.

و قال أبو عمرو: دخلت أميمة امرأة عروة بن مرة على أبي خراش و هو يلاعب ابنه فقالت له: يا أبا خراش تناسيت عروة، و تركت الطلب بثأره، و لهوت مع ابنك، أما و الله لو كنت المقتول ما غفل عنك، و لطلب قاتلك حتى يقتله، فبكى أبو خراش، و أنشأ يقول:

لعمري لقد راعت أميمة طلعتي *** و إنّ ثوائي عندها لقليل(7)

ص: 146

1- المراد بالمساقاة، المسالمة و المصافاة، الأديم: الجلد، و حلم: أصابته الحلمة، و هي دودة تأكله، فإذا دبغ و هي موضع الأكل، و المراد أنك تصافيهم و تساقيهم على غش خشية بأسهم و البيت في «اللسان» (رصف).

2- فرقت: خفت، المصالت: الشجعان.

3- عزل: جمع أعزل، الكلوم: الجراح، يريد أنك خشيت بأسهم، لأنهم يجيدون استعمال السلاح في الحروب التي يشرق فيها المحارب بالدم.

4- عقله: ديته، الظمي: جمع ظمياء، وهي الناقة القليلة لحم الفخذين، كناية عن الهزال، يقول له على سبيل التهكم: لست أنا قاتل أخيك الأسود ذي الحسب و النسب، ولكن ابحت عن قاتله في بني تميم الذين تركتم لهم دمه، و اكتفيتم منهم بديته من الإبل العجاف.

5- في ف «تميما» بدل «فهما».

6- ضمير عليه يعود على الرجل الذي استودع العجوز، و فاعل سدت ضمير العجوز.

7- طلعتى فاعل راعت، و أميمة مفعول، و جملة المصراع الثاني حالية، يقول: ظنت أنني نائم عن ثأر أخي، و لم تعلم أنني أضمر ذلك، و لن يطول مقامي معها.

وقالت: أراه بعد عروة لا هيا *** وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبي أني تناسيت فقدته *** ولكن صبري يا أميم جميل (1)

ألم تعلمي أن قد تفرّق قبلنا *** نديما صفاء مالك و عقيل (2)

أبي الصبر أني لا يزال يهيجني *** مبيت لنا فيما خلا و مقيل (3)

و أني إذا ما الصّبح أنست ضوءه *** يعادوني قطع عليّ ثقيل (4)

اقال أبو عمرو: فأما أبو جندب أخو أبي خراش فإنه كان جاور بني نفاثة بن عدّي بن الدّيل حينما من الدهر، ثم إنهم هموا بأن يغدروا به، و كانت له إبـل كثيرة فيها أخوه جنادة، فراح عليه أخوه جنادة ذات ليلة، و إذا به كلوم، فقال له أبو جندب: مالك؟ فقال: ضربني رجل من جيرانك، فأقبل أبو جندب، حتى أتى جيرانه من بني نفاثة، فقال لهم: يا قوم، ما هذا الجوار؟ لقد كنت أرجو من جواركم خيرا من هذا، أ يتجاور أهل الأعراض بمثل هذا؟.

فقالوا: أ و لم يكن بنو لحيان (5)، يقتلوننا، فو الله ما قرّت دماؤنا، و ما زالت تغلي، و الله إنك للثّار المنيم (6)، فقال: أما إنه لم يصب أخي إلاّ خير، و لكننا هذه معاتبة لكم، و فطن للذي يريد القوم من الغدر به، و كان بأسفل دفاق (7)، فأصبحوا ظاعنين، و تواعدوا ماء (8) ظرّ، فنفذ الرجال إلى الماء، و أخروا النساء لأن يتبعنهم إذا نزلوا، و اتخذوا الحياض للإبل، فأمر أبو جندب أخاه جنادة و قال له: اسرح مع نعم القوم.

ثم توقّف، و تأخّر، حتى تمرّ عليك النّعم كلّها، و أنت في آخرها سارح بإبلك، و اتركها متفرقة في المرعى، فإذا غابوا عنك فاجمع إبلك، و اطردّها نحو أرضنا، و موعدك نجد ألوذ ثنية (9)، في طريق بلاده، و قال لامرأته أمّ زنباع و هي من بني كلب بن عوف: اطعني و تمكّني، حتى تخرج آخر ظعينة من النساء.

ثم توجهي، فموعدك ثنية يدعان من جانب النخلة، و أخذ أبو جندب دلو، و ورد مع الرجال، فاتخذ القوم الحياض، و اتخذ أبو جندب حوضا، فملاء ماء، ثم قعد عنده، فمرّت به إبل ثم إبل، فكلّما وردت إبل سأل عن إبله فيقولون: قد بلغت، تركناها بالصّبح (10).

ثم قدمت النساء كلما قدمت ظعينة سألهن عن أهلهن، فيقولون: بلغتك، تركناها تظعن، حتى إذا ورد آخر النّعم

ص: 147

1- في «المختار»: «تحسبي أني تناسيت عهدته».

2- مالك و عقيل هما نديما جذيمة الأبرش، و بهما يضرب المثل في التلازم و طول الألفة، و إليهما يشير متمم بن نويرة بقوله بعد أن قتل خالد بن الوليد أخاه مالك بن نويرة. و كنا كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا فلما تفرقنا كاني و مالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

3- الصبر مفعول، و المصدر المؤول فاعل، المبيت: موضع البيت، المقيل: موضع القيلولة، يقول: نفى الصبر عني تذكر عشرته القديمة و طول مدتها، و في «المختار»: «أبي الصير أني لا أزال بمهجتي».

- 4- القَطْع: انقطاع النفس وضيقه.
- 5- يشيرون إلى حادثة سيأتي ذكرها.
- 6- الثأر المنيم: الذي إذا أدرك استراح صاحبه، ونام.
- 7- دفاق: مكان.
- 8- ظر: في «القاموس»: ماء، وفي «معجم البلدان»: ماء ظراء «بالفتح والمد».
- 9- في هد «الودنية» وفي هج «الوثنية»، والمثبت من ف.
- 10- ف «الصحن» تحريف. والضجن: واد في بلاد هذيل بتهامة.

و آخر الظعن قال: والله لقد حبس أهلي حابس، أبصر يا فلان، حتى أستأنس أهلي وإبلي، و طرح دلوه على الحوض.

ثم ولى، حتى أدرك القوم بحيث وعدهم، فقال أبو جندب في ذلك:

أقول لأمّ زنباع أقيمي *** صدور العيس شطر بني تميم(1)

و غربت الدعاء و أين متي *** أناس بين مرّ و ذي يدوم(2)

غربت الدعاء: دعوت من بعيد.

و حيّ بالمناقب قد حموها *** لدى قرآن حتى بطن ضميم(3)

و أحياء لدى سعد بن بكر *** بأملح فظاهرة الأديم(4)

أولئك معشري و هم أرومي *** و بعض القوم ليس بذي أروم(5)

هنالك لو دعوت أتاك منهم *** رجال مثل أرمية الحميم

الأرمية: السحاب الشديد الوقع، واحدها رمي، و الحميم: مطر القيط.

أقلّ الله خيرهم أ لّمّا *** يدعهم بعض شرهم القديم(6)

أ لّمّا يسلم الجيران منهم *** و قد سال الفجاج من الغميم(7)

غداة كأنّ جنّاد بن لبنى *** به نضخ العبير من الكلوم(8)

دعا حولي نفائة ثم قالوا: *** لعلك لست بالثأر المنيم

المنيم: الذي إذا أدرك استراح أهله و ناموا.

نعوا من قتلت لحيان منهم *** و من يغترّ بالحرب القروم(9)

قالوا جميعا: و كان أبو جندب ذا شرّ و بأس، و كان قومه يسمونه المشثوم، فاشتكى شكوى شديدة، و كان له جار من خزاعة يقال له حاطم، فوقعت به بنو لحيان، فقتلوه قبل أن يستبّل (10) أبو جندب من مرضه، و استاقوا أمواله، و قتلوا امرأته، و قد كان أبو جندب كلّم قومه، فجمعوا لجاره غنما، فلما أفاق أبو جندب من مرضه خرج من أهله، حتى قدم مكة، ثم جاء يمشي، حتى استلم الركن، و قد شق ثوبه عن استه، فعرف الناس أنه يريد شرا، فجعل يصيح و يقول:

ص: 148

- 2- «مر» و ذو يدوم: مكانان بهما آله وأنصاره.
- 3- المناقب، قران، بطن ضميم، وأملاح، وظاهرة الأديم: أمكنة أيضا بها آله وأنصاره.
- 4- المناقب، قران، بطن ضميم، وأملاح، وظاهرة الأديم: أمكنة أيضا بها آله وأنصاره.
- 5- الأروم: أصل الشجرة، واستعير لأصل الإنسان و حسبه.
- 6- أقل الله... الخ: دعاء عليهم.
- 7- الغميم: نوع مخصوص من اللبن، أو من النبات، ولعل المراد أ إلى الآن يسيئون جيرانهم وقد كثر خيرهم، و امتلأت فجاجهم بالنبات، أو باللبن.
- 8- العبير: الكثير، يقول: يسلم الجيران منهم غداة اعتدوا على أخيه جنادة، فجاء و الدم يسيل من جراحه الكثيرة.
- 9- نعوا... الخ. يشير الى حادثة ستأتي، القروم: من القرم، و هو شدة شهوة أكل اللحم، يصف الحرب بالسعار، و يحذرهم من ويلاتها و في ف: «العدوم» بدل «القروم».
- 10- يستبل: يتم شفاؤه.

إني امرؤ أبكي على جارية *** أبكي على الكعبي والكعبيّة(1)

ولو هلكت بكيا عليه *** كانا مكان الثوب من حقوبية(2)

فلما فرغ من طوافه، وقضى حاجته من مكة خرج في الخلاء من بكر و خزاعة، فاستجاشهم على بني لحيان، فقتل منهم قتلى، و سبى من نسائهم و ذراريهم سبايا، و قال في ذلك:

لقد أمسى بنو لحيان منّي *** بحمد الله في خزي مبين

تركتهم على الرّكبات صعرا *** يشبون الذّوائب بالأنين(3)

يشكو إلى عمر فراق ابنه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال: حدثني عمي قال:

هاجر خراش بن أبي خراش الهذليّ في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، و غزا مع المسلمين، فأوغل في أرض العدو، فقدم أبو خراش المدينة، فجلس بين يدي عمر، و شكّا إليه شوقه إلى ابنه، و أنه رجل قد انقرض أهله، و قتل إخوته، و لم يبق له ناصر و لا معين غير ابنه خراش، و قد غزا و تركه، و أنشأ يقول:

ألا من مبلغ عني خراشا *** و قد يأتيك بالتّبا البعيد

و قد يأتيك بالأخبار من لا *** تجهّز بالحذاء و لا تزيد

- تزيد و تزوّد واحد، من الزاد -

يناديه ليغبقه كليب *** و لا يأتي، لقد سفه الوليد(4)

إفردّ إناءه لا شيء فيه *** كأنّ دموع عينيه الفريد(5)

و أصبح دون عابقه و أمسى *** جبال من حرار الشام سود(6)

ألا فاعلم خراش بأنّ خبر الم *** هاجر بعد هجرته زهيد(7)

رأيتك و ابتغاء البرّ دوني *** كمحصور اللّبان و لا يصيد(8)

قال: فكتب عمر رضي الله عنه بأن يقبل خراش إلى أبيه، و ألا يغزو من كان له أب شيخ إلا بعد أن يأذن له.

ص: 149

1- الهاء من جارية. هاء السكت، و لعله يعني بالكعبي و الكعبيّة جاره حاطما و امرأته. و تلك هي الحادثة التي أشار إليها في شعره سابقا.

2- الحقو: الخصر، و الهاء من «عليه» و «حقويه» هاء السكت.

3- صعرا: جمع أصعر، و الصعر: داء يصيب الإبل تلوي أعناقها منه استعاره للإنسان، أو هو ميل في أحد شقي الجسم، و المراد أنني أوقعت بهم على الركبات - اسم مكان - فأنوا أيننا يشيب الذوائب.

4- الكليب: من الكلب بمعنى الظمأ، يغبقه: يسقيه مساء، فاعل يناديه كليب، و الهاء من يناديه ضمير خراش، أي ينادي أبو خراش الظامي خراشا ليسقيه اللبن مساء، فلا مجيب، و هذا سفه و عقوق منه.

5- فاعل «رد» ضمير كليب، و الفريد: اللؤلؤ، شبه الدمع باللؤلؤ في الصفاء.

6- الهاء من «غابقة» تعود على كليب: أبي خراش. حرار: جمع حرة، الأرض فيها حجارة سوداء، أي أصبح بين أبي خراش و ساقيه - يعني خراشا - جبال...

7- يقول له: إن جهادك في سبيل الله مع تركي زهيد الأجر.

8- اللبان: موضع اللب من الصدر، و المحصور: المشدود، يقول: إنك حين تبتغي الأجر بجهادك تاركاً أباك كمن يريد الصيد، و هو مكتوف. و يروى: «كمخضوب اللبان».

إشارة

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي، قال: حدثنا عمر بن شبة: قال: حدثنا الأصمعيّ. وأخبرني حبيب بن نصر، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثنا عليّ بن الصّبّاح، عن ابن الكلبيّ، عن أبيه.

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال: حدثنا أبو غسان دماذ: قال أبو عبيدة:

وأخبرني أيضا هاشم، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، وذكره أبو سعيد السكري في رواية الأُخفش عنه عن أصحابه، قالوا جميعا:

أسلم أبو خراش فحسن إسلامه، ثم أتاه نفر من أهل اليمن قدموا حجّاجا، فنزلوا بأبي خراش و الماء منهم غير بعيد، فقال: يا بني عمي، ما أمسى عندنا ماء، ولكن هذه شاة وبرمة وقربة، فردوا الماء، و كلوا شاتكم، ثم دعوا برمتنا وقربتنا على الماء، حتى نأخذها، قالوا: واللّه ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه، و ما نحن ببارحين حيث أمسينا، فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قريته، و سعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى، ثم أقبل/صادر، فنهشته حية قبل أن يصل إليهم، فأقبل مسرعا حتى أعطاهم الماء، وقال: اطيخوا شاتكم و كلوا و لم يعلمهم بما أصابه، فباتوا على شاتهم يأكلون حتى أصبحوا، و أصبح أبو خراش في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه، و قال و هو يعالج الموت:

لعمرك و المنايا غالبات *** على الإنسان تطلع كلّ نجد

لقد أهلكت حيّة بطن أنف *** على الأصحاب ساقا ذات فقد(1)

و قال أيضا:

لقد أهلكت حية بطن أنف *** على الأصحاب ساقا ذات فضل

فما تركت عدوّا بين بصرى *** إلى صنعاء يطلبه بذحل(2)

قال: فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خبره، فغضب غضبا شديدا، و قال: لو لا أن تكون سبّة لأمرت ألا يضاف يمان أبدا، و لكتبت بذلك إلى الآفاق. إن الرجل ليضيف أحدهم، فيبذل مجهوده فيسخره(3) و لا يقبله منه، و يطالبه بما لا يقدر عليه، كأنه يطالبه بدين، أو يتعنته ليفضحه، فهو يكلفه التكاليف، حتى أهلك ذلك من فعلهم رجلا مسلما، و قتله، ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يأخذ نفر الذين نزلوا بأبي خراش فيغرّمهم ديتهم، و يؤدبهم بعد ذلك بعقوبة تمسهم جزاء لأعمالهم.

صوت

تهيم بها لا الدهر فان و لا المنى *** سواها و لا ينسيك نأي و لا شغل(4)

كبيضة أدحيّ بميث خميلة *** يحفّفها جون بجوّه صعل(5)

- 1- أنف: مكان، وحية منادى محذوف منه حرف النداء، و يريد بقوله: «ذات فقد» أن ساقه عداة يترك فقدھا فراغا لا يسد.
- 2- الذحل: الثأر، و ليس المراد أنه لم يتر أحدا بين بصرى و صنعاء، فيطالبه بالثرة، بل المراد أنه قضى على الموتور و الواتر معا، حتى لم يعد هناك من يطالبه بثأر، أو المراد أنه أخذ كل ثأر، فلم يبق من يطالبه أبو خراش بثأر.
- 3- بسخطه من سخط الثلاثي: سخط عليه.
- 4- ولا المنى سواها: لا متمنى لك إلا هي.
- 5- الأدهي: مبيض النعام. و ميث خميلة: خميلة ممطورة، و الجون: الأسود أو الأبيض (ضد). و الجؤجؤ: عظم الصدر، و الصعل: الطويل: يشبه حبيبه بيضة نعامة تحضنها أمها في خميلة مخضلة.

نسبه:

16 - أخبار ابن دارة و نسبه(1)

هو عبد الرحمن بن مسافع بن دارة، وقيل: بل هو عبد الرحمن بن ربيعي بن مسافع بن دارة، وأخوه مسافع بن دارة، وكلاهما شاعر، وفي شعريهما جيعا غناء يذكر هاهنا وأخوهما سالم بن مسافع بن دارة شاعر أيضا وفي بعض شعره غناء يذكر بعد أخبار هذين. فأما سالم فمخضرم قد أدرك الجاهلية والإسلام. وأما هذان فممن شعراء الإسلام، ودارة لقب غلب على جدّهم، و مسافع أبوهم، وهو ابن شريح بن يربوع الملقب بدارة بن كعب بن عدّي بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر. وهذا الشعر يقوله عبد الرحمن في حبس السّمهريّ العكليّ اللص و قتله و كان نديما له و أخوا.

يستعدي قومه عكلا على بني أسد:

اشارة

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبي عبيدة قال: (2) لما أخذ السّمهريّ العكليّ و حبس و قتل، - و كانت بنو أسد أخذته و بعثت به إلى السلطان و كان نديما لعبد الرحمن بن مسافع بن دارة، فقتل بعد طول حبس - فقال(3) عبد الرحمن بن مسافع يهجو بني أسد و يحرض عليهم عكلا.

صوت

إن يمس بالعينين سقم فقد أتى *** لعينيك من طول البكاء على جمل(4)

تهيم بها لا الدهر فان و لا المنى *** سواها و لا تسلى بنأي و لا شغل(5)

/كبيضة أدهي بميث خميلة *** يحفّفها جون بجوّجته الصّعل(6)

و ما الشمس تبدو يوم غيم فأشرقت *** على الشّامة العنقاء فالنّير فالذبل(7)

بدا حاجب منها و ضنت بحاجب *** بأحسن منها يوم زالت على الحمل(8)

ص: 151

1- هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا حسب المخطوطات المعتمدة.

2- كذا بالأصول، و لعل من الخير حذف لما، أو حذف الفاء من قوله: فقال عبد الرحمن.

3- كذا بالأصول، و لعل من الخير حذف لما، أو حذف الفاء من قوله: فقال عبد الرحمن.

4- البيت من الطويل دخله الخرم، و فاعل أتى ضمير سقم.

5- تقدم هذا البيت في «صوت» و العجيب أنه ورد هو و ما بعده مرفوعين، و وردا هنا مجرورين كسائر أبيات القصيدة.

6- انظر شرحه في «صوت».

7- الشامة: أرض بها علامة سوداء، عنقاء: طويلة العنق، أي مرتفعة، النير و الذّبل: من جبال ضريّة، و خبر ما قوله: بأحسن منها، زالت: رحلت، يقول: ما الشمس تطلع يوم غيم بحاجب، و تختفي بحاجب، بأجمل من محبوبته جمل، و قد حملت على محمل ناقتها.

8- الشامة: أرض بها علامة سوداء، عنقاء: طويلة العنق، أي مرتفعة، النير و الذّبل: من جبال ضريّة، و خبر ما قوله: بأحسن منها، زالت: رحلت، يقول: ما الشمس تطلع يوم غيم بحاجب، و تختفي بحاجب، بأجمل من محبوبته جمل، و قد حملت على محمل ناقتها.

- يقولون: ازل حبّ جمل و قربها *** وقد كذبوا ما في المودة من ازل(1)
- إذا شطحت عني وجدت حرارة *** على كبدي كادت بها كمدا تغلي(2)
- ولم أر محزونين أجمل لوعة *** على نائبات الدهر متي و من جمل
كلانا يذود النفس و هي حزينة *** و يضمر وجدا كالنوافذ بالنبل(3)
- وإني لمبلي اليأس من حبّ غيرها *** فأما على جمل فإني لا أبلبي(4)
- وإنّ شفاء النفس لو تسعف المنى *** ذوات الثنايا الغرّ و الحدق النّجل
أولئك إن يمنعن فالمنع شيمة *** لهنّ و إن يعطين يحمدن بالبذل
- سأمسك بالوصل الذي كان بيننا *** و هل ترك الواشون و النأي من وصل(5)
- ألا سقّياني قهوة فارسية *** من الأول المختوم ليست من الفضل(6)
- /تنسّي ذوي الأحكام و اللبّ حلمهم *** إذا أزيدت في دثّها زبد الفحل(7)
- و يا راكبا إمّا عرضت فبلّغن *** على نأيهم مني القبائل من عكل
بأنّ الذي أمست تجمجم فقعس *** إسار بلا أسر و قتل بلا قتل(8)
- و كيف تنام الليل عكل و لم تنل *** رضى قود بالسمهريّ و لا عقل؟(9)
- فلا صلح حتى تنحط الخيل في القنا *** و توقد نار الحرب بالحطب الجزل(10)
- و جرد تعادي بالكمة كأنها *** تلاحظ من غيظ بأعينها القبل(11)
- عليها رجال جالدوا يوم منعج *** ذوي التاج ضربوا الملوك على الوهل(12)
- بضرب يزيل الهام عن مستقرّه *** و طعن كأفواه المفرّجة الهدل(13)

ص: 152

1- ف: «يقولون ازل حب جمل و تربها».

2- ف، هد: «كادت بها كبدي تغلي».

3- كالنوافذ: كالسهام النوافذ.

4- إبلاء اليأس من الحب معناه الرجاء، فكأنه يقول: لا أمل في وصل جمل، أما وصل غيرها فمدرك سهل المنال.

- 5- سأمسك بالوصل: سأذكر أيام الوصل، و أعيش على ذكراها، وإن كان الواشون و النأي عفا على هذه الأيام.
- 6- من الأول المختوم: يعني الدن الأول المعتقد.
- 7- زبد الفحل: يريد ما يخرج من فم الفحل من الإبل من اللغام.
- 8- الجمجمة: إخفاء ما في النفس، أو الإهلاك، يريد أن فعل قبيلة فقعس بالسهمري حليفه إيسار بلا موجب للإسار، و قتل بلا موجب للقتل، أي اعتداء صارخ.
- 9- عكل: قبيلته التي يستصرخها، و العقل: الدية.
- 10- نحطت الخيل: زفرت و صاتت من الإعياء.
- 11- و جرد: و خيل جرد بالعطف على حطب، و الحصان الأجرد: القصير الشعر، تعادى: أصله تتعادى بمعنى تعدو، بأعينها القبل: التي فيها قبل، و القبل - بفتح القاف و الباء - هو الحول.
- 12- يوم منعج: يوم من أيامهم، و في ف: «يوم شفج». الوهل. الفرع، يريد أن ركاب هذه الخيل مجربون خاضوا حرب منعج ضد الملوك فأفزعوهم.
- 13- المفرجة الهدل: القرب المخرقة التي تهدلت شفاهها، أي استرخت، و ذلك كناية عن سعة مواضع الطعن.

علام تمشى فقعس بدمائكم *** و ما هي بالفرع المنيف و لا الأصل؟(1)

و كنا حسبنا فقعسا قبل هذه *** اذل على وقع الهوان من التعل

فقد نظرت نحو السماء و سلمت *** على الناس و اعتاضت بخصب من المحل

ارمى الله في اكبادكم أن نجت بها *** شعاب القنان من ضعيف و مع وغل(2)

و إن أنتم لم تتأروا بأخيكم *** فكونوا نساء للخلوق و للكل(3)

و بيعوا الردينيات بالحلي و اعدوا *** على الذل و ابتاعوا المغازل بالتبل(4)

ألا حبذا من عنده القلب في كبل *** و من حبة داء و خبل من الخبل(5)

و من هو لا ينسى و من كل قوله *** لدينا كطعم الراح أو كجنى التحل

و من إن نأى لم يحدث النأي بغضه *** و من إن دنا في الدار أرصده بالبذل(6)

خبر السمهري مع نديمه و مصرعه:

و أما خبر السمهري و مقتله فإن علي بن سليمان الأخفش أخبرني به قال: حدثنا أبو سعيد السكري قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عمرو و الشيباني قال:

لقي السمهري بن بشر بن أقيش(7) بن مالك بن الحارث بن أقيش العكلي و يكنى أبا الدليل هو و بهدل و مروان بن قرفة الطائيان عون بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب و معه خاله: أحد بني حارثة بن لأم من طيء بالثعلبية، و هو يريد الحج من الكوفة، أو يريد المدينة، و زعم آخرون أنهم لقوه بين نخل و المدينة، فقالوا له: العراضة، أي مر لنا بشيء فقال: يا غلام(8)، جفّن لهم، فقالوا: لا و الله ما الطعام/نريد، فقال: عرضهم(9)، فقالوا: و لا ذلك نريد، فارتاب بهم، فأخذ السيف فشدّ عليهم، و هو صائم، و كان بهدل لا يسقط له سهم، فرمى عوناً فأقصده، فلما قتله ندموا، فهربوا، و لم يأخذوا إبله، ففرقت إبله، و نجا خاله الطائي، إما عرفوه فكفوا عن قتله، و إما هرب و لم يعرف القتلة، فوجد بعض إبله في يدي شافع بن واطر الأسدي.

و بلغ عبد الملك بن مروان الخبر فكتب إلى الحجاج بن يوسف، و هو عامله على العراق، و إلى هشام بن

ص: 153

1- تمشى بدمائكم: تذهب بها بلا قود، المنيف: العالي المرتفع.

2- القنان: جمع قنة، و هي ما ارتفع من الجبل و نحوه، و الوغل: النذل الساقط، يدعو على قومه بأن يصابوا في أكبادهم إن تركوا هؤلاء القوم الضعاف الساقطين يتحصنون منهم في شعاب الجبال.

3- الخلق: نوع من الطيب.

- 4- الرديئات: الرماح المنسوبة إلى ردينة، وهي امرأة كانت صناعا في إعدادها.
- 5- البيت مصرع، و لذلك جاء بعروضة غير مقبوضة، و الكبل: الأسر، و هنا يعود الشاعر إلى الغزل بحبيبتة، فيختم به قصيدته، كما بدأها به.
- 6- أرصد بالبذل: كوفئ يبذل الود و نحوه.
- 7- في ف، هد: بشر بن أويس».
- 8- جفن لهم: املاً الجفنة لهم طعاما.
- 9- عرضهم: من العراضة بمعنى الهدية.

إسماعيل، وهو عامله على المدينة، وإلى عامل اليمامة أن يطلبوا قتلة عون، وبيالغوا في ذلك؛ وأن يأخذوا السّعة به أشد أخذ، ويجعلوا لمن دلّ عليهم جعله(1)، وانشام(2) السمهرّي في بلاد غطفان في بلاد ما شاء الله.

ثم مرّ بنخل، فقالت عجوز من بني فرارة: أظن والله هذا العكليّ الذي قتل عوناً، فوثبوا عليه، فأخذوه، و مرأيوب بن سلمة المخزوميّ بهم، فقالت له بنو فرارة: هذا العكليّ قاتل عون ابن عمك، فأخذته منهم، فأتى به هشام بن إسماعيل المخزومي عامل عبد الملك على المدينة، فوجد وأبى أن يقرّ، فرفعه إلى السجن فحبسه.

وزعم آخرون أن بني عذرة أخذوه فلما عرفت إبل عون في يدي شافع بن واطر اتهموه بقتله، فأخذوه، وقالوا:

أنت قرفتنا(3)، قتلت عوناً، وحبسوه بصلّ: ماء لبني أسد، و جحد، وقد كان عرف من قتله، إما أن يكون كان معهم، فورّي عنهم، وبرأ نفسه، وإما أن يكون أودعوها إياه، أو باعوها منه، فقال شافع:

/فإن سرّكم أن تعلموا أين تارككم *** فسلمى معان و ابن قرفة ظالم(4)

وفي السجن عكليّ شريك لبهدل *** فولّوا ذباب السيف من هو حازم(5)

فو الله ما كنا جناة ولا بنا *** تأوّب عوناً حتفه وهو صائم(6)

فعرفوا من قتله، فألحوا على بهدل في الطلب، و ضيقوا على السمهرّي في القيود و السجن، و جحد، فلما كان ذلك من إلحاحهم على السمهرّي أيقنت نفسه أنه غير ناج، فجعل يلتمس الخروج من السجن، فلما كان يوم الجمعة و الإمام يخطب، و قد شغل الناس بالصلاة فكّ إحدى حلقتي قيده، و رمى بنفسه من فوق السجن، و الناس في صلاتهم، فقصده نحو الحرة، فولج غارا من الحرة، و انصرف الإمام من الصلاة فخاف أهل المدينة عامتهم أتباعه، و غلقوا أبوابهم، و قال لهم الأمير: اتبعوه فقالوا: و كيف تتبعه و حدنا، فقال لهم: أنتم ألفا رجل، فكيف تكونون و حدكم؟ فقالوا: أرسل معنا الأبلّيين؛ و هم حرس و أعوان من أهل الأبلّة، فأعجزهم الطلب، فلما أمسى كسر الحلقة الأخرى، ثم همس(7) ليلته طلقاً، فأصبح و قد قطع أرضاً بعيدة، فبينما هو يمضي إذ نعب غراب عن شماله، فتطير، فإذا الغراب على شجرة بان ينشش(8) ريشه، و يلقيه، فاعتاف(9) شيئاً في نفسه، فمضى، و فيها ما فيها، فإذا هو قد لقي راعياً في وجهه ذلك، فسأله: من أنت؟ قال: رجل من لهب من أزد شنوءة أنتجع أهلي، فقال له:

هل عندك شيء من زجر قومك؟ فقال: إني لآنس من ذلك شيئاً أي/الأبصر، فقص عليه حاله غير أنه ورّي(10) الذّنب على غيره و العيافة، و خبره عن الغراب و الشجرة، فقال اللّهيّ: هذا الذي فعل ما فعل، و رأى الغراب على

ص: 154

1- الجعل: المكافأة و نحوها.

2- انشام في بلاد غطفان: دخل فيها.

3- القرفة: من تتّهمه بشيء.

4- في ف، هد: «فسامى معاد».

5- «حازم» كذا في س، و في ف «حارم» و الذي نرجحه أن هذا و ذلك من قبيل التصحيف، و الصواب «جارم» بمعنى مذنب.

6- تأويه حتفه: أصابته منيته.

7- همس: سار بالليل بلا فتور.

8- نشش الطائر ريشه: نتفه نتفا خفيفا بمنقاره، و طيره في الهواء.

9- اعتاف: من الاعتياف، و هو زجر الطير للتفاؤل أو التطير، و المراد هنا التطير.

10- ورى: يعني أنه كان ينسب أفعاله إلى غيره بقصد التعمية عن المخاطب.

البانة يطرح ريشه سيصلب، فقال السمهريّ: بفيك (1) الحجر، فقال اللهبي: بل بفيك الحجر، استخبرتني فأخبرتك ثم تغضب. ثم مضى حتى اغترز في بلاد قضاة، وترك بلاد غطفان (2) وذكر بعض الرواة أنه توقف يومه وليلته فيما يعمل؛ و هل يعود من حيث جاء ثم سار (3). حتى أتى أرض عذرة بن سعد يستجير القوم فجاء إلى القوم متنكرا، ويستحلب الرعيان اللبن، فيحلبون له، ولقيه عبد الله الأحذب السعديّ: أحد بني مخزوم من بني عبد شمس، وكان أشد منه وألصق، فجنى جناية، فطلب، فترك بلاد تميم، ولحق ببلاد قضاة، وهو على نجية لا تسائر، فبينا السمهري يمشي راعيا لبني عذرة، ويحدثه عن خيار إبلهم، ويسأله السمهريّ عن ذلك - وإنما يسأله عن أنجاهنّ ليركبها. فيهرب بها، لئلا يفارق الأحذب - أشار له إلى ناقة، فقال السمهري: هذه (4) خير من التي تفضلها، هذه لا تجاري، فتحين الغفلة، فلما غفل وثب عليها، ثم صاح بها فخرجت تطير به، وذلك في آخر الليل، فلما أصبحوا فقدوها، وفقدوه، فطلبوه في الأثر. و خرجا (5) حتى إذا كان حجر عن يسارهما، وهو واد في جبل، أو شبه الثقب فيه استقبلتهما سعة هي أوسع من الطريق، فظنا أن الطريق فيها، فسارا مليا فيها، ولا نجم يأتان به، فلما عرفا أنهما حائدان، والتفت عليهما الجبال أمامهما، وجدّ الطلب إثر بعيريهما، ورواه وقد سلك الثقب في غير طريق عرفوا أنه سيرجع، فقعدوا له (6) بقم الثقب ثم كرا راجعين، / وجاءت الناقة، وعلى رأسها مثل الكوكب من لغامها، فلما أبصر القوم همّ أن يعقر ناقتهم، فقال له الأحذب: ما هذا جزاؤها. فنزل، نزل الأحذب، فقالتهما القوم، حتى كادوا (7) يغشون السمهريّ فهتف بالأحذب، فطرد عنه القوم، حتى توقلا في الجبل، وفي ذلك يقول السمهريّ يعتذر من ضلاله:

وما كنت - محيارا ولا فزع السرى *** ولكن حذا حجر بغير دليل (8)

وقال الأحذب في ذلك:

لما دعاني السمهريّ أجبته *** بأبيض من ماء الحديد صقيل

وما كنت ما اشتدّت على السيف قبضتي *** لأسلم من حبّ الحياة زميلي

وقال السمهريّ أيضا:

نجوت ونفسي عند ليلي رهينة *** وقد غمّني داج من الليل دامس (9)

و غامست عن نفسي بأخلق مقصل *** ولا خير في نفس امرئ لا تغامس (10)

ولو أن ليلي أبصرتني غدوة *** و مطوأي والصفّ الذين أمارس (11)

ص: 155

1- بفيك الحجر: جملة دعائية يسب بها مخاطبه.

2- تكملة من هد، هج.

3- تكملة من هد، هج.

4- هذه: إشارة إلى ناقة أخرى غير التي اختارها الراعي.

5- ضمير «خرجاً» يعود على السمهري والأحذب.

6- له: للسمهري، وإنما أفرد الضمير هنا مع أن الحديث عن اثنين - السمهري والأحذب - لأن الأول هو المطلوب للقوم.

7- يغشونه: يريد يغشونه بسيوفهم، أي يضربونه بها.

8- ولكن هذا حجر: ولكن حذوت هذا حجر بغير دليل، أي مشيت بحدائه، فأضلني، و حجر: الوادي الذي لم يستطيعا النفاذ منه، و إسناد الفزع إلى السري مجاز.

9- غمني: غطى علي، دامس: مظلّم.

10- غامست: خضت الحرب، بأخلق مقصل: بسيف قاطع.

11- مطوأي: اسم مكان من طوي، يعني المكان الذي أقطعه، و الصف: الجمع، الذين أمارس: الذين أعاني حربهم.

إذا لبكت ليلى عليّ وأعولت *** و ما نالت الثوب الذي أنا لابس(1)

فرجع إلى صحراء منعج، وهي إلى جنب أضاخ، والحلّة قريب منها، وفيها منازل عكل، فكان يتردد ولا يقرب الحلّة، وقد كان أكثر الجعل فيه، فمرّ بابني فائد/ابن حبيب من بني أسد، ثم من بني فقعس فقال: أجيروا متنكرا، فحلبا له، فشرب ومضى لا يعرفانه، وذهبا، ثم لبث السمهري ساعة، وكرّ راجعا فتحدث إلى أخت ابني فائد، فوجداه منبطحا على بطنه يحدثها، فنظر أحدهما إلى ساقه مكدّحة(2)، إذا كدوح طريّة، فأخبر أخاه بذلك، فنظر، فرأى ما أخبره أخوه، فارتابا به، فقال أحدهما: هذا والله السمهريّ الذي جعل فيه ما جعل، فاتقيا على مضابرتة(3)، فوثبا عليه، فقعد أحدهما على ظهره، وأخذ الآخر برجليه فوثب السمهري، فألقى الذي على ظهره، وقال: أتلعبان؟ وقد ضبط رأس الذي كان على ظهره تحت إبطه، وعالجه الآخر، فجعل(4) رأسه تحت إبطه أيضا، وجعلا يعالجانها، فناديا أختهما أن تعينهما، فقالت: ألي الشّرك في جعلكما؟ قالوا: نعم، فجاءت بجريير(5) فجعلته في عنقه بأنشوطه ثم جذبته، وهو مشغول بالترّجلين يمنعهما، فلما استحكمت العقدة، وراحت من علابيّه(6) خلى عنهما، وشد أحدهما، فجاء بصرار(7)، فألقاه في رجله، وهو يداور الآخر، والأخرى تخنقه؛ فخرّ لوجهه، فربطاه، ثم انطلقا به إلى عثمان بن حيان المرّي، وهو في إمارته على المدينة فأخذا ما جعل لأخذه، فكتب فيه إلى الخليفة، فكتب أن أدفعه إلى ابن أخي عون: عدي، فدفع إليه، فقال السمهريّ: أقتلني وأنت لا تدري أقاتل عمك أم لا؟ ادن أخبرك، فأراد الدنوّ منه، فنودي: إياك والكلب، وإنما أراد أن يقطع أنفه، فقتله بعمه. ولما حبسه ابن حيّان في السجن تذكر زجر اللّهيّ وصدقه، فقال:

ألا أيّها البيت الذي أنا هاجره *** فلا البيت منسىّ ولا أنا زائره

/ألا طرقت ليلى و ساقى رهينة *** بأشهب مشدود عليّ مسامره(8)

فإن أنج يا ليلى فربّ فتى نجا *** وإن تكن الأخرى فشيء أحاذره

و ما أصدق الطير التي برحت لنا *** و ما أعيف اللّهيّ لا عزّ ناصره(9)

رأيت غرابا ساقطا فوق بانه *** ينشش أعلى ريشه و يطايره(10)

فقال غراب باغتراب من النوى *** و بان بين من حبيب تحاذره(11)

ص: 156

1- هذا البيت جواب «لو» في البيت السابق.

2- مكدّحة: ذات خدوش و سحجات.

3- مضابرتة: من ضبر الشيء ضبرا بمعنى جمعه و شده، أي اتفقا على شد وثاقه.

4- فاعل جعل ضمير السمهري، و الهاء من رأسه تعود على ابن فائد الثاني.

5- بجريير: بحبل.

6- العلابي: أعصاب العنق.

7- الصرار: ما يشد به خلف الناقة.

- 8- بأشهب... إلخ: يعني القيد، و مسامره نائب فاعل مشدود، والمراد بليلي هنا طيفها.
- 9- برحت: مرت شمالا، ما أعيف اللهبي: ما أمهره في زجر الطير، لا عز ناصره: جملة دعائية.
- 10- ينشش أعلى ريشه: ينتفه بمنقاره نتفا خفيفا.
- 11- يريد أن الغراب الذي رآه نذير الغربة، وأن البان نذير البين.

فكان اغتراب بالغراب ونية *** وبالبان بين بين لك طائره(1)

وقال السمهري في الحبس يحرض أخاه مالكا على ابني فائد:

فمن مبلغ عتي خليلي مالكا *** رسالة مشدود الوثاق غريب

و من مبلغ حزما و تيما و مالكا *** و أرباب حامي الحفر رهط شبيب

لييكوا التي قالت بصحراء منعج *** لي الشرك يا بني فائد بن حبيب(2)

أ تضرب في لحمي بسهم و لم يكن *** لها في سهام المسلمين نصيب(3)

/وقال السمهري يرقق بني أسد:

تمنت سليمي أن أقبل بأرضها *** و أنني لسلمي وبيها ما تمت(4)

ألا ليت شعري هل أزرر ساجرا *** و قد رويت ماء الغوادي و عدت(5)

بني أسد هل فيكم من هوادة *** فتغفر إن كانت بي النعل زلت(6)

و بنو تميم تزعم أن البيت لمرة بن محكان السعدي.

وقال السمهري في الحبس يذم قومه:

لقد جمع الحداد بين عصابة *** تسائل في الأقياد ما ذا ذنوبها(7)

بمنزلة أما اللئيم فشامت *** بها و كرام القوم باد شحوبها(8)

إذا حرسى قعقع الباب أرعدت *** فرائص أقوام و طارت قلوبها(9)

ألا ليتني من غير عكل قبيلتي *** و لم أدر ما شبان عكل و شبيها؟

قبيلة «من» لا يقرع الباب وفدها *** لخير و لا يهدي الصواب خطيبها(10)

انرى الباب لا نستطيع شيئا وراءه *** كأننا قني أسلمتها كعوبها(11)

ص: 157

1- نية: من نوى بمعنى بعد و انتقل.

2- لبيكوا: من أبكى الرباعي، يريد من أشياعه أن يتكلوا هذه المرأة التي شدت وثاقه، و شاركت أخويها في جعله.

3- يقصد التعجب من أن تسهم هذه المرأة في جعله، مع أن المرأة ليست بذات نصيب في الجهاد وغيره من الحروب.

4- وييها: ويحها.

5- ساجر: مكان باليمامة يحن إليه.

6- فاعل تغفر ضمير الهوادة، أو ضمير القبيلة - بني أسد - على أن في الكلام التفاتا.

7- جمع الحداد... إلخ: يعني القيود التي صنعها لهؤلاء المساجين.

8- كنى بالشحوب البادي عن الشفقة والرثاء لهؤلاء المساجين.

9- الحرسى: من يطلق عليه الآن رجل الشرطة، الفرائص: جمع فريصة، وهي عضلة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع، والبيت في وصف حال السجين.

10- «قبيلة لا يقرع لها الباب... إلخ» كذا بالأصول، وقد زدنا كلمة من بعد قبيلة، وهي زيادة لازمة لإقامة الوزن والمعنى معاً، وربما كانت «قبيلتنا» وعلى تصويننا يكون المعنى: قبيلة رجال لا يأتي وفدها بخير، ولا يهدي خطيبها إلى صواب.

11- نرى الباب... إلخ: نحن سجناء لا نستطيع تجاوز باب السجن، وفي هد: «كأننا قد أسلمتها كعوبها»، والوزن والمعنى على كلا الروايتين سليمان، وقنى: جمع قناة، وقناة الرمح: أعلاه، وكعبه: أسفله.

وإن تك عكل سرّها ما أصابني *** فقد كنت مصبوبا على ما يريها(1)

وقال السمهريّ أيضا في الحبس:

ألا حيّ ليلى إذ ألمّ لمامها *** وكان مع القوم الأعادي كلامها(2)

تعلّل بليلى إنما أنت هامة *** من الغد يدنو كلّ يوم حمامها(3)

وبادر بليلى أوجه الركب إنهم *** متى يرجعوا يحرم عليك كلامها(4)

و كيف ترجّيها وقد حيل دونها *** وأقسم أقوام مخوف قسامها(5)

لأجتنبها أو ليتدرّني *** ببيض عليها الأثر فعم كلامها(6)

لقد طرقت ليلى ورجلي رهينه *** فما راعني في السجن إلا لمامها(7)

فلمّا انتبهت للخيال الذي سرى *** إذا الأرض قفر قد علاها قتامها

/فإلا تكن ليلى طوتك فإنه *** شبيهة بليلى حسنها وقوامها(8)

ألا ليتنا نحيا جميعا بغبطة *** وتبلى عظامي حين تبلى عظامها

وقال أيضا:

ألا طرقت ليلى وساقى رهينة *** بأسمر مشدود عليّ ثقيل(9)

فما البين يا سلمى بأن تشحط التوى *** ولكنّ بينا ما يريد عقيل(10)

فإن أنج منها أنج من ذى عظيمة *** وإن تكن الأخرى فتلك سبيل(11)

وقال أيضا وهو طريد:

فلا تيأسا من رحمة الله و انظرا *** بوادي جبونا أن تهبّ شمال(12)

ص: 158

1- يريها: يؤذيها، يريد أنها جزته على حمايته لها جزء سنّمار.

2- لعله يريد أن طيف محبوبته حين ألم شفع له عند أسريه.

3- يقال: فلان هامة الغد بمعنى قصير العمر.

4- يقول: استقبلها الاستقبال الأخير، وودعها الوداع الأخير، واستقبلها ووداعها كلاهما في عالم الخيال بدليل البيت التالي.

5- قسامها: مصدر قاسمه قساما، والمراد أن هؤلاء الأقسام قاسم بعضهم بعضا على هلاكه.

6- لأجتنبها: جواب القسم في البيت السابق، ليتدرنني: مضارع ابتدر اتصل بواو الجماعة، و أكد بنون التوكيد الثقيلة، البيض: السيوف، الأثر: بريق السيوف ورونقه، فعم: ممتلئ، يقال: فعم الإناء، فهو فعم: امتلأ، الكلام - بكسر الكاف - الجراح، يقول: وكيف أرجي قرب ليلي، ودونها أقوام حلفوا أن يبادروني بسيوف تقيض جراحها دما غزيرا؟.

7- ف، هد: «سلائها» بدل «لمامها».

8- طوتك: يريد طوت الأرض إليك، وضمير إنه يعود على طيف ليلي، حسننها مبتدأ محذوف الخبر، أي له حسننها وقوامها، أو هو بدل من شبيهه، لا فاعل له، يقول: إن لم تكن ليلي زارتك بشخصها فإن خيالها شبيه بها في الحسن والقوام وهذا التخريج خير من أن نجعل حسننها بدلا من ليلي، فيجر، ويدخل القافية الإقواء.

9- يريد بالأسمر، القيد.

10- تشحط: تبعد، عقيل: لعله أحد أسريه، يقول: ليس البين ما بيني وبينك من بعد، ولكن البين هو هلاكي الذي يريده عقيل.

11- من ذي عظيمة: من حادثة ذي مغبة عظيمة، وإن تكن الأخرى: يريد الموت، فتلك سبيل: مسلوكة يسلكها الجميع.

12- بوادي جبونا: مكان، تهب شمال: تهب ريح شمالية مؤذنة بالفرج.

و لا تيأسا أن ترزقا أريحية*** كعين المها أعناقهنّ طوال(1)

من الحارثيين الذين دماؤهم*** حرام وأما مالهم فحلال

وقال أيضا:

ألم تر أنّي وابن أبيض قد جفت*** بنا الأرض إلا أن نؤمّ الفيافيا(2)

اطريدين من حيين شتى أشدنا*** مخافتنا حتى نخلنا التّصافيا(3)

وما لمته في أمر حزم و نجدة*** ولا لامي في مرّتي واحتياليا

وقلت له إذ حلّ يسقي ويستقي*** وقد كان ضوء الصبح لليل حاديا:

لعمري لقد لاقت ركابك مشربا*** لئن هي لم تضبح عليهنّ عاليا(4)

بعض أخباره:

وأخذت طيّب ببهدل و مروان أخيه أشدّ الأخذ، و حبسوا، فقالوا: إن حبسنا لم نقدر عليهما ونحن محبسون، و لكن خلّوا عنا، حتى نتجسّس عنهما، فنأتىكم بهما، و كانا تأبدا مع الوحش يرمان الصّيد فهو رزقهما.

ولما طال ذلك على مروان هبط إلى راع، فتحدث إليه فسقاه، و بسطه، حتى اطمأن إليه، و لم يشعره أنه يعرفه، فجعل يأتيه بين الأيام، فلا ينكره، فانطلق الراعي، فأخبره باختلافه إليه، فجاء معه الطلب، و أكرمهم، حتى إذا جاء مروان إلى الراعي كما كان يفعل سقاه، و حدثه فلم يشعر حتى أطافوا به، فأخذوه، و أتوا به عثمان بن حيان أيضا عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة، فأعطى الذي دلّ عليه جعله، و قتله.

نهاية بهدل:

و أما بهدل فكان يأوي إلى هضبة سلمى، فبلغ ذلك سيّدا من سلمى(5)، من طيء، فقال: قد أخيفت طيء، و شرّدت من السهل من أجل هذا الفاسق الهارب، فجاء حتى حلّ بأهله أسفل تلك الهضبة و معه أهلات(6) من قومه، فقال لهم: إنكم بعيني الخبيث، فإذا كان النهار فليخرج الرجال من البيوت، /و ليخلوا النساء، فإنه إذا رأى ذلك انحدر إلى القباب، و طلب الحاجة و العلل(7) فكانوا يخلون الرجال نهارا فإذا أظلموا تابوا إلى رحالهم أياما، فظنّ بهدل أنهم يفعلون ذلك لشغل يأتيهم، فانحدر إلى قبة السيّد، و قد أمر النساء: إن انحدر إليكن رجل فإنه ابن عمكن، فأطعمته و ادهنّ رأسه.

و في قبة السيد ابنتان له فسألهما: من أنتما؟ فأخبرتا، و أطعمتا، ثم انصرف فلما راح أبوهما أخبرتا، فقال:

ص: 159

1- أريحية: خيلا أريحية، أي كريمة الخلق، كعين المها: كبقر الوحش ذوات الأعين النجلاء، يريد أن هذه الخيل ربما جاءت لنجدته.

2- ابن أبيض: كناية عن زميل له في التشرّد.

- 3- شتى: جمع شتيت بمعنى متفرقة، وأراد بالجمع ما فوق الواحد، نخلنا التصافيا: من نخل الشيء بمعنى خلصه من كل ما يشوبه، أي: أخلص كلانا لأخيه، والمعنى أنني أنا وابن أبيض من حينين مختلفين شتتنا الخوف، وألف بيننا ألفة وثيقة.
- 4- البيت مقول القول في البيت السابق، عليهن: على الآبار المفهومة من المقام، والمعنى: لاقت ركابك مشربا سائغا، إذا لم تضحج، أي تصهل، فيسمع الأعداء صهيلها عاليا.
- 5- في ف: «فبلغ ذلك سند بن سلمى».
- 6- أهلات: جمع أهل، وفي بعض المخطوطات: أهلاب - بالباء - وهو تصحيف.
- 7- العل: الشراب، وفي بعض النسخ «النقل» بدل «العل»، وربما كان ذلك تحريف «الحل» بكسر الحاء.

أحسنهما إلى ابن عمكما، فجعل ينحدر إليهما، حتى اطمأنّ، وغسلتا رأسه، وفلّتا ودهنتاه، فقال الشيخ لابنتيه:

أفلياه، ولا تدهناه إذا أتاكما هذه المرة، واعقدا خصل لمتّه إذا نعس رويدا بخمل القطيفة.

ثم إذا شدنا عليه فأقلبا القطيفة على وجهه، وخذنا أنتما بشعره من ورائه فمدّا به إليكما، ففعلتا، واجتمع له أصحابه، فكروا إلى رحالهم قبل الوقت الذي كانوا يأتونها، وشدّوا عليه، فربطوه، فدفعوه إلى عثمان بن حيّان، فقتله، فقالت بنت بهدل ترثيه:

فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه *** بطن الشرى مثل الفنيق المسدم(1)

دعا دعوة لما أتى أرض مالك *** و من لا يجب عند الحفيظة يسلم(2)

أما ما كان في قيس من ابن حفيظة *** من القوم طلاب الترات غشمشم(3)

فيقتل جبّرا بامرئ لم يكن به *** بواء ولكن لا تكايل بالدم(4)

وكان دعا: يا لمالك لينتزعوه، فلم يجبه أحد.

مساجلة بينه وبين الكميّ:

قال: ولما قال عبد الرحمن بن دارة ابن عم سالم بن دارة هذه القصيدة(5) يحضّ عكلا- على بني فقّس اعترض الكميّ بن معروف الفقعسيّ، فعيّره بقتل سالم حين قتله زميل الفزاريّ، فقال قوله:

فلا تكثرُوا فيه الضّجاج فإنه *** محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

فقال عبد الرحمن بن دارة:

فيا راكبا إمّا عرضت فبلّغن *** مغلغلة عنيّ القبائل من عكل

جلت حمما عنها القصاف و ما جلّت *** قشير وفي الشّدات والحرب ما يجلي(6)

فإن بك باع الفقعسيّ دماءهم *** بوكس فقد كانت دماؤكم تغلي(7)

أو كيف تنام الليل عكل ولم يكن *** لها قود بالسّمهريّ ولا عقل(8)

ص: 160

1- يعتلونه: من عتله يعتله - بمعنى قاده بعنف وغلظة، الفنيق: فحل الإبل، المسدم: الهائج الممتنع ركوبه.

2- الحفيظة: الحرب، ويسلم - بالبناء المجهول - بمعنى يسلم نفسه لأعدائه.

3- الغشمشم: المقدم الذي يقتحم الحروب غير هيب، وفي ف «كريمة» بدل «حفيظة».

4- جبر المشار إليه في البيت هو جبر بن عبيد الذي دفع بهدلا إلى السلطان فقتله، بواء: كفاء، لا تكايل في الدم: لا تقدر الدماء بالكيل، و المعنى: أما كان في قيس رجل شجاع يقتل جبراً قاتل أبي، وإن لم يكن كفؤاً له، ولو كانت الدماء تكال ما أجزأت دماء جبر في دماء أبي، و المراد بتقدير الدم الكيف لا الكم.

5- يعني القصيدة اللامية التي تقدم ذكرها في أول الترجمة، و يلاحظ أنه هنا يقول: «يحض بها عكلا على بني فقعس، و هناك قال: «يحض بها عكلا على بني أسد».

6- في البيت اضطراب و خلاف كبير في رواية ألفاظه، و الذي نرجحه في معناه هو ما يلي: القصاف: فرس مشهورة لبني قشير، الحميم: ما خمد من النيران، يقول: إن القصاف أوقدت النيران بأرضكم، و ما جلا قومها قشير عنكم، و لو أنكم شددتم في الحرب عليهم لأجل يتموهم، و الكلام على سبيل التمثيل، فهو لا يريد «قشيرا» و لكن يريد «فقعسا» أو «أسدا» على الخلاف الذي تقدم ذكره.

7- يقول: إن يكن الفقعسي الذي أسلم ندمائي باع دماءهم رخيصة فقد كانت دماؤكم تغلي حمية لأخذ الثأر، فما بالكم لا تفعلون!

8- ورد هذا البيت هنا و فيه إقواء، مع أنه تقدم سالما من هذا الإقواء، فارجع إليه و إلى بقية الأبيات في القصيدة اللامية التي تقدمت في مبدأ الترجمة.

رمى الله في أكبادهم إن نجت بها *** حروف القنان من ذليل و من وغل

و كنا حسبنا فقعسا قبل هذه *** أذلّ على طول الهوان من التعل

فإن أنتم لم تتأروا بأخيكم *** فكونوا بغايا للخلوق و للكحل

و بيعوا الردينيّات بالحلي و اقعدوا *** على الوتر و ابتاعوا المغازل بالتبل

فإن الذي كانت تجمجم فقعس *** قتيل بلا قتلى و تبل بلا تبل

فلا سلم حتى تنحط الخيل بالقنا *** و توقد نار الحرب بالحطب الجزل

يقتلون ابن سعدة و أمه:

فلما بلغ قوله مالكا أبا السمهرىّ بخراسان، انحطّ من خراسان، حتى قدم بلاد عكل فاستجاش نفرا من قومه، فعلقوا(1) في أرض بني أسد يطلبون الغرّة فوجدوا بثادق(2) رجلا معه امرأة من فقعس، فقتلوه، و حزّوا رأسه، و ذهبوا بالرأس، و تركوا جسده، كما قتلوها أيضا، و ذكر لي: أن الرجل ابن سعدة و المرأة التي كانت معه هي سعدة أمّه، فقال عبد الرحمن في ذلك:

ما لقتيل فقعس لا رأس له *** هلاّ سألت فقعسا من جدّله(3)

لا يتبعنّ فقعسيّ جملة *** فردا إذا ما الفقعسيّ أعمله(4)

لا يلقينّ قاتلا فيقتله *** بسيفه قد سمّه و صقله(5)

او قال عبد الرحمن أيضا:

لما تمالى القوم في راد الصّحى *** نظرا و قد لمع السّراب فجبالا(6)

نظر ابن سعدة نظرة و يلا لها *** كانت لصحبك و المطيّ خبالا(7)

لمحا رأى من فوق طود يافع *** بعض العداة و جنّة و ظلالا(8)

عيرّتي طلب الحمول و قد أرى *** لم آتهنّ مكفّفا بطّالا(9)

فانظر لنفسك يا بن سعدة هل ترى *** ضبعا تجرّ بثادق أوصالا

ص: 161

1- علقوا: طفقوا، أي أخذوا يطلبون الغرّة.

2- ثادق: اسم واد في ديار عقيل.

3- يقصد بقتيل فقعس ابن سعدة، جدّله: صرعه، وفي ف، هج، هد: «هلا سألت بارقا من جدله».

4- أعمل جملة: جعله يعمل، أي سرح به، يريد أن يقول: لا يأمن فقعسى على نفسه منا.

5- في ف، هج: «بصارم» بدل «بسيفه».

6- تمالي القوم، من ملا يملو بمعنى سار سيرا حثيثا. نظرا: مفعول مطلق لفعل محذوف، أي وهم ينظرون نظرا.

7- البيت جواب لما في البيت السابق، وابن سعدة هو القتيل الذي قتلوه، وفي ف، هد «وتلا بها» وفي ب «ويلا بها» ونرجح أن كليهما

تحريف «ويلا لها» أي كانت هذه النظرة ويلا على صاحبها، والخطاب - فيما نرجح - للكमित الذي كانت بينه وبينه ملاحظة.

8- فاعل رأى ابن سعدة، الجنة: السلاح ونحوه.

9- الخطاب للكमित، المحمول: الديات، مكففا: من كف بمعنى ترك، بطالا: من بطل الدم بمعنى ذهب هدرًا، والمعنى: عيرتني بطلب

ديات سالم وعدم الأخذ بثأره، مع أنني لم أطلب هذه الديات متناسيا دمه مبطلا له كافا عن الأخذ بثأره، وقد كثر اضطراب الأصول في

رواية ألفاظ هذا البيت، والمثبت بعضه من ف و هج.

أوصال سعدة و الكميت و إنما *** كان الكميت على الكميت عيالا(1)

وقال عبد الرحمن في ذلك:

أصبحتم ثكلى لنا ما وأصبحت *** شياطين عكل قد عراهنّ فقعس(2)

اقضى مالك ما قد قضى ثم قلّصت *** به في سواد الليل و جناء عر مس(3)

فأضحت بأعلى ثادق و كأنها *** محالة غرب تستمرّ و تمرس(4)

مصرعه:

إشارة

و حدثني علي بن سليمان الأخفش أنّ بني أسد ظفرت بعبد الرحمن بن دارة بالجزيرة بعد ما أكثر من سبهم و هجائهم و تأمروا في قتله، فقال بعضهم: لا تقتلوه، و لتأخذوا عليه أن يمدحنا و نحسن إليه فيمحو بمدحه ما سلف من هجائه، فعزموا على ذلك، ثم إن رجلا منهم كان قد عصّه بهجائه، اغتفله فضربه بسيفه، فقتله و قال في ذلك:

قتل ابن دارة بالجزيرة سبنا *** و زعمت أن سبابنا لا يقتل

قال علي بن سليمان: و قد روي أن البيت المتقدم:

فلا تكثرُوا فيه الضّجاج فإنه *** محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

لهذا الشاعر الذي قتل ابن دارة، و هو من بني أسد، و هكذا ذكر السّكريّ.

صوت

صوت(5)

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذا بدت *** و نجم الثريا و المزار بعيد

فكيف بكم يا جمل أهلا و دونكم *** بحور يقمّصن السفين و بيد

إذ قلت: قد حان القفول يصدّنا *** سليمان عن أهوائنا و سعيد

الشعر لمسعود بن خرشة المازنيّ، و الغناء لبحر، خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشامي(6).

- 1- سعدة هي أم الكميت التي قتلوها مع ابنها، الكميت: يعني من غيره - كما سبق - ولم يرد ذكر لموته، حتى تجر الضبيع أوصاله، كما يشير البيت، فلعله يريد الإنذار بذلك، يعني أنه سيحصل غدا، وقوله: «كان الكميت على الكميت عيالا»، يقصد أن الكميت جبان لا شأن له بالحرب، فهو عائلة على الكميت الذي يركبه، و الكميت لقب من ألقاب الفرس.
- 2- الخطاب لغرمائه من فقعس، عراهن: بدت لهن، أي هؤلاء شياطين فنكلوا بهم.
- 3- مالك: فقعسى هرب - على ما يبدو - من المعركة، الوجناء: الناقة البارزة الوجنتين، العرمس: الصلبة، وقلصت به: نجت به.
- 4- المحالة: البكرة تعلق على البئر يتصل بها الدلو، والغرب: الكبيرة من الدلاء، و تمرس: من أمرس الحبل: أعاده إلى مكانه، والمراد أن ناقة مالك حين هرب كانت تروح وتجيء على غير هدى في أعلى ثادق، كأنها دلو معلقة في حبل تصعد و تهبط.
- 5- هذا الصوت مما سقط من مطبعة بولاق و موضعه هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.
- 6- هذا الصوت مما سقط من مطبعة بولاق و موضعه هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

17 - أخبار مسعود بن خرشة(1)

مسعود بن خرشة(2) أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي بدوي من لصوص بني تميم، قال أبو عمرو: و كان مسعود بن خرشة يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها: جمل بنت شراحيل، أخت تمام بن شراحيل المازني الشاعر، فانتجع قومها و نأوا عن بلادهم، فقال مسعود:

كلانا يرى الجوزاء يا جمل إذ بدت *** ونجم الثريا و المزار بعيد(3)

فكيف بكم يا جمل أهلا و دونكم *** بحور يقمصن السفين و بيد(4)

إذا قلت: قد حان القفول يصدنا *** سليمان عن أهوائنا و سعيد(5)

قال أبو عمرو: ثم خطبها رجل من قومها، و بلغ ذلك مسعودا فقال:

أيا جمل لا تشقي بأقعس حنكل *** قليل الندى يسعى بكير و محلب(6)

له أعنز حو ثمان كأنما *** يراهن غر الخيل أو هن أنجب(7)

يسرق إبلا:

وقال أبو عمرو: و سرق مسعود بن خرشة إبلا من مالك بن سفيان بن عمرو الفقعسي، هو و رفقاء له، و كان معه رجلان من قومه، فأتوا بها اليمامة لبيعوها، فاعترض عليهم أمير كان بها من بني أسد، ثم عزل و ولي مكانه رجل من بني عقيل فقال مسعود في ذلك:

يقول المرجفون: أ جاء عهد *** كفى عهدا بتنفيذ القلاص(8)

أتى عهد الأمارة من عقيل *** أغر الوجه ركب في النواصي(9)

ص: 163

1- هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

2- خرشة: ورد هذا الاسم في «المعاجم» بفتح الخاء و الراء و الشين.

3- يريد أن يقول: كيف تقع عيني و عينك على مراثيات واحدة، و كلانا بعيد عن صاحبه.

4- قمص البحر السفينة: جعلها تضطرب في أمواجه، بيد: جمع يبداء.

5- القفول: الرجوع، سليمان و سعيد: و آليان.

6- الأقعس: من برز صدره و دخل ظهره في جسمه، الحنكل: القصير القامة، أو اللثيم النذل.

- 7- حو: جمع حواء، و هي ما اختلطت خضرة لونها بسواد، أو حمرة بسواد. غر الخيل: مبتدأ بعد استفهام محذوف الأداة، يقول: إنه مغرور بأعزة يعدها في نجابة الخيول الفارحة.
- 8- يستبشر بالعهد الجديد لأنه سينقذ نوقة التي سرقها، وفي ف، هد «بتقييد» بدل تنفيذ.
- 9- أعر، حال من عقيل لا نعت، ويريد بقوله: «ركب في النواصي» أنه من علية القوم.

حصون بني عقيل كلّ غضب *** إذا فزعوا و سابعة دلاص (1)

و ما الجارات عند المحل فيهم *** و لو كثر الرواح بالخماص (2)

قال: و قال مسعود «وقد» (3) طلبه و الي اليمامة، فلجأ إلى موضع فيه ماء و قصب:

ألا ليت شعري هل أبيتّ ليلة *** بوعثاء فيها للظباء مكانس (4)

و هل أنجون من ذي لبيد بن جابر *** كأنّ بنات الماء فيه المجالس (5)

و هل أسمعن صوت القطا تندب القطا *** إلى الماء منه رابع و خوامس (6)

ص: 164

1- العضب: السيف القاطع. و السابعة الدلاص: الدرع الصافية اللينة، يريد أنهم لا يتحصنون بحصون من أحجار، بل تحميهم سيوفهم و دروعهم.

2- الرواح: جمع رازحة، و هي الناقة الهزيلة و نحوها. الخماص: الجياع يريد أن خيرهم يفيض على جاراتهم أيام المحل.

3- زيادة يقتضيها المقام.

4- الوعثاء: الأرض ذات الصخور. المكانس: مأوى الظباء.

5- لعله يعني بذي لبيد ماء لبيد الذي تجالسه فيه بنات الماء، أي الضفادع و نحوها.

6- منه رابع و خوامس، لعله يقصد مجرد التعدد.

هو بحر بن العلاء، مولى بني أمية، حجازي، أدرك دولة بني هاشم(2)، و عمّر إلى أيام الرشيد، وقد هرم، و كان له أخ يقال له عباس، و أخوه بحر أصغر منه، مات في أيام المعتصم، و كان يلقّب حامض الرأس، و له صنعة، و أقدمه الرشيد عليه، ثم كرهه، فصرفه.

حدثني جحظة قال: حدثني ميمون بن هارون قال: حدثني أحمد بن أبي خالد الأحول، عن علي بن صالح صاحب المصلّى:

أن الرشيد سمع من علوية و مخارق و هما يومئذ من صغار المغنّين في الطبقة الثالثة(3) أصواتا استحسناها، و لم يكن سمعها، فقال لهما: ممن أخذتما هذه الأصوات، فقالا: من بحر، فاستعادهما، و شرب عليها، ثم غناه مخارق بعد أيام صوتا لبحر، فأمر بإحضاره، و أمره أن يغني ذلك الصوت، فغناه، فسمع الرشيد صوتا حائلا مرتعشا فلم يعجبه، و استثقله لولائه لبني أمية، فوصله، و صرفه، و لم يصل إليه بعد ذلك.

صوت

صوت(4)

ألا يا لقومي للنوائب و الدّهر *** و للمرء يردي نفسه و هو لا يدري

و للأرض كم من صالح قد توذّأت *** عليه فوارته بلماعة قفر

عروضه من الطويل، قال الأصمعي: يقال للرجل أو للقوم إذا دعوتهم: يا لكذا «بفتح اللام» و إذا دعوت للشيء. قلت بالكسرة، تقول: يا للرجال و يا للقوم. و تقول: يا للغنيمة و يا للحادثة، أي اعجلوا للغنيمة و للحادثة، فكأنه قال: يا قوم اعجلوا للغنيمة. و روى الأصمعي وغيره مكان قد توذّأت: قد تلمّأت عليه، و تلاءمت، أي وارتته، و يروى: تأكمت أي صارت أكمة.

الشعر لهديبة بن خشرم، و الغناء لمعبد ثقبيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

ص: 165

1- هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق، و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

2- في هد: «أدرك دولة بني أمية» بدل «أدرك دولة بني هاشم».

3- ف: «الثانية».

4- هذا الصوت مما سقط من طبعة بولاق، و موضعه هنا.

19 - أخبار هذبة بن خشرم و نسبوه قصته في قوله هذا الشعر و خبر مقتله

نسبه و أدبه:

19 - أخبار هذبة بن خشرم و نسبوه(1) و قصته في قوله هذا الشعر و خبر مقتله

هو هذبة بن خشرم(2) بن كرز بن أبي حية بن الكاهن - و هو سلمة - بن أسحم(3) بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم؛ و سعد بن هذيم شاعر من أسلم بن الحاف بن قضاة؛ و يقال: بل هو سعد بن أسلم، و هذيم عبد لأبيه رباه، فقيل: سعد بن هذيم، يعني سعدا هذا.

و هذبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز، و كان شاعرا راوية، كان يروي للحطيئة، و الحطيئة يروي لكعب بن زهير، و كعب بن زهير يروي لأبيه زهير، و كان جميل رواية هذبة، و كثير رواية جميل، فلذلك قيل: إن آخر فحل اجتمعت له الرواية إلى الشعر كثير.

و كان لهذبة ثلاثة إخوة كلهم شاعر: حوط و سيحان و الواسع، أمهم حية بنت أبي بكر بن أبي حية من رهطهم الأذنين، و كانت شاعرة أيضا.

و هذا الشعر يقوله هذبة في قتله زيادة بن زيد بن مالك بن عامر بن قرة بن حنش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هذيم.

أخبرني بالخبر في ذلك جماعة من شيوخنا، فجمعت بعض روايتهم إلى بعض، و اقتصرت على ما لا بد منه من الأشعار، و أتيت بخبرهما على شرح، و ألحقت ما نقص من رواية بعضهم عن رواية صاحبه في موضع النقصان.

الحرب بين رهطه و رهط زيادة بن زيد:

فممن حدثني به محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل العتكي: تينة قال: حدثنا خلف بن المثنى الحداني(4)، عن أبي عمر و المديني.

و أخبرني الحسن بن يحيى، و محمد بن مزيد بن أبي الأزهر البوشنجي، عن حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه.

و أخبرني إبراهيم بن أيوب الصائغ، عن ابن قتيبة.

و أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي، عن أبيه عن عمه. و قد نسبت

ص: 166

1- هذه الترجمة مما سقط من التراجم من طبعة بولاق و موضعها هنا بحسب المخطوطات المعتمدة.

2- خشرم - بفتح الخاء و الراء و سكون الشين - في الأصل: جماعة النحل و الزنابير.

3- في ف، هد: «ابن إسحاق» بدل «ابن أسحم».

4- في هج «الحداني»، و في ف «الجداني».

إلى كل واحد منهم ما انفرد به من الرواية، و جمعت ما اتفقوا عليه، قال عيسى بن إسماعيل في خبره خاصة:

كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان وبين بني رقاش، وهم بنو قرّة بن حفش (1) بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان، وهم رهط زيادة بن زيد، وبنو عامر رهط هدبة، أن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، و كان مطلقهما (2) من الغاية على يوم و ليلة، و ذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الروايا و القرب، و كانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها، فوهنت أوعية زيادة، ففنى ماؤه قبل ماء صاحبه، فقال زيادة:

قد جعلت نفسي في أديم *** محرم الدباغ ذي هزوم

ثم رمت بي عرض الديموم *** في بارح من وهج السموم (3)

عند اطلاق و عرة النجوم (4)

- قال اليزيدي في خبره: المحرم: الذي لم يدبغ، و الهزوم: الشقوق.

- قال: - و قال زيادة أيضا:

قد علمت سلمة بالعميس *** ليلة مرمار و مرمريس (5)

أن أبا المسور ذو شريس *** يشفي صداع الأبلج الدليس (6)

العميس: موضع، و المرمار و المرمريس: الشدة و الاختلاط، و أبا المسور يعني زيادة نفسه، و كانت كنيته أبا المسور.

هدبة و زيادة كل منهما يشب بأخت الآخر:

قال: فكان ذلك أول ما أثبت الضغائن بينهما، ثم إن هدبة بن خشرم و زيادة بن زيد اصطحبا، و هما مقبلان من الشام، في ركب من قومهما، فكانا يتعاقبان السوق بالإبل، و كان مع هدبة أخته فاطمة، فنزل زيادة فارتجز فقال:

عوجي علينا و اربعي يا فاطما *** ما دون أن يرى البعير قائما

- أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه -.

ألا ترين الدمع مني ساجما *** حذار دار منك لن تلاءما (7)

فعرّجت مطردا عراهما *** فعما بيد القطف الرواسما (8)

ص: 167

1- في ف «ابن حوم» بدل «ابن حفش».

2- مطلقهما: موضع إطلاقهما.

3- العرض: الجانب، الديموم: الصحراء المترامية الأطراف، البارح: الريح الحارة صيفا، السموم: الحر الشديد.

4- النجوم: جمع نجم، وهو ما لا ساق له من النبات، فلعله يريد عند طلوع الأرض الوعرة ذات النبات الذي لا ساق له.

5- في رواية: بالحميس.

6- الشريس: الشراسة، وهي سوء الخلق، الدلعيس: الضخمة المترهلة من الإبل، فلعله يريد أنه في زمان الشدة والاختلاط عند ما تظلم

الليالي يشفي صداع الأبيض الضخم من النوق بنحره، وذلك كناية عن كرمه.

7- يريد: حذار أن تنزلي دارا بعيدة غير ملائمة.

8- في «المختار»: «فاطردت مطردا».

- مطرد: متتابع السير، وعراهم: شديد، وفعم: ضخم، والرسيم: سير فوق العنق، والرّواسم: الإبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه -.

/كأنّ في المشاة منه عائما *** إنك و الله لأن تباغما(1)

- المشاة: الزمام، وعائم: سائح، تباغم: تكلم -.

خودا كأنّ البوص و المآكما *** منها نقا مخالط صرائما(2)

- البوص: العجز، و المآكمتان: ما عن يمين العجز و شماله، و النقا: ما عظم من الرمل. و الصرائم: دونه -.

خير من استقبالك السّمائما *** و من مناد يبتغي معاكما(3)

و يروى: و من نداء، أي رجل(4) تناديه تبتغي أن يعينك على عكمك حتى تشده.

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرتجز بأخته، فنزل فرجز بأخت زيادة، و كانت تدعى - فيما روى اليزيديّ - أمّ حازم، و قال الآخرون: أمّ القاسم، فقال هدبة:

لقد أراني و الغلام الحازما *** نزجي المطي ضمرا سواهما(5)

متى تظنّ القلص الرّواسما *** و الجلة التّاجية العياهما(6)

العياهم: الشّداد.

/يبلغن أمّ حازم و حازما *** إذا هبطن مستحيرا قاتما(7)

و رجّ الحادي لها الهماهما *** ألا ترين الحزن مني دائما(8)

حذار دار منك لن تلاءما *** و الله لا يشفي الفؤاد الهائما(9)

تمساحك اللّبات و المآكما *** و لا اللّمام دون أن تلازما(10)

و لا اللّنام دون أن تفاقما *** و لا الفقام دون أن تفاقما(11)

ص: 168

1- تباغم: من بغمت الغزالة إذا نادى ولدها بصوت لين.

2- البوص بفتح الباء و سكون الواو، أو بضم الباء.

3- السمائم: جمع سموم، الحر الشديد، و قوله: «خير» في صدر البيت خبر المصدر المؤول «أن تباغم» في البيت الأول، يقول: إن مناجاتك للحسناء الثقيلة الردين خير من الشد و الترحال في الهواجر، و من مناد يستعينك على شد رحاله.

4- في ب «رجلا تنادينه» بدل «رجل تناديه»، و هو تحريف، فلا وجه لنصب «رجلا» كما أن الخطاب لمذكر.

5- لضمر السواهم: النياق الصلبة لا ترهل في أجسامها.

6- القلص: جمع قلوص: الفتية من الإبل، الرواسم: التي تمشي الرسيم، وهو نوع خفيف من السير، الجلة: جمع جليل وهي الناجية: السريعة، العياهم: جمع عيهم، وهي الناقة السريعة أيضا.

7- يبلغن... إلخ مفعول تظن الثاني، ضمير هبطن للنياق، المستحير: الطريق في المفازة لا يعرف أين ينتهي.

8- في «المختار»: «ورفع الهادي». و الهمهمة: الصوت تنوم المرأة به طفلها استعاره هنا لحذاء الإبل، و الخطاب في «ألا ترين» لأم خازم.

9- يريد بعدم ملاءمة الدار أن تصد عنه.

10- تمساحك فاعل يشفي، و المآكم: رءوس الأفخاذ، وهي معطوفة على اللبات الواقعة مفعولا للمصدر، اللثام: اللثم، الفقام: المباشعة، الفغام: التقبيل، يقول: ليس يشفي فؤادي أن أمسح باللبات و المآكم، أو أن تلمي دون أن تلازمي، و ليس يشفيه التقبيل دون الجماع، و لا الجماع دون التقبيل، و أن تقع السيقان على السيقان.

11- تمساحك فاعل يشفي، و المآكم: رءوس الأفخاذ، وهي معطوفة على اللبات الواقعة مفعولا للمصدر، اللثام: اللثم، الفقام: المباشعة، الفغام: التقبيل، يقول: ليس يشفي فؤادي أن أمسح باللبات و المآكم، أو أن تلمي دون أن تلازمي، و ليس يشفيه التقبيل دون الجماع، و لا الجماع دون التقبيل، و أن تقع السيقان على السيقان.

و تعلقو القوائم القوائم

قال: فشمته زيادة، و شتمه هدبة، و تسابًا طويلا فصاح بهما القوم: اركبا، لا حملكما الله. فإنا قوم حجّاج، و خشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما، حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه، و هدبة أشدهما حنقا، لأنه رأى أن زيادة قد ضامه، إذ رجز بأخته و هي تسمع قوله، و رجز هو بأخته، و هي غائبة لا تسمع قوله، فمضيا و لم يتحاورا بكلمة، حتى قضيا حجّهما، و رجعا إلى عشيرتيهما.

يرتجزون بعمه زفر:

قال اليزيديّ خاصة في خبره:

ثم التقى نفر من بني عامر، من رهط هدبة، فيهم أبو جبر، و هو رئيسهم الذي لا يعصونه، و خشرم أبو هدبة، و زفر عم هدبة، و هو الذي بعث الشّر، و حجّاج بن/سلامة، و هو أبو ناشب، و نفر من بني رفاش رهط زيادة، و فيهم زيادة بن زيد، و إخوته: عبد الرحمن و نّقاع و أدرع بواد من أودية حرّتهم، فكان بينهم كلام، فغضب ابن الغسّانية، و هو أدرع، و كان زفر عم هدبة يعزى إلى رجل من بني رقاش، فقام له أدرع فرجز به فقال:

أدوا إلينا زفرا *** نعرف منه النظرا

و عينه و الأثرا(1)

قال: فغضب رهط هدبة، و ادّعوا حدّا على بني رقاش، فتداعوا إلى السلطان، ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أدرع، فيخلو به نفر منهم، فما رأوه عليه أمضوه، فلما خلوا به ضربوه الحدّ ضربا مبرّحا، فراح بنو رقاش و قد أضمروا الحرب و غضبوا، فقال عبد الرحمن بن زيد:

ألا أبلغ أبا جبر رسولا *** فما بيني و بينكم عتاب

ألم تعلم بأن القوم راحوا *** عشية فارقوك و هم غضاب

فأجابه الحجّاج بن سلامة فقال:

إن كان ما لاقى ابن كنعاء مرغما *** رقاش فزاد الله رغما سبالها(2)

منعنا أخانا إذا ضربنا أحاكم *** و تلك من الأعداء لا مثل مالها(3)

هو و زيادة يتهاديان الأشعار:

قال اليزيدي في خبره: و جعل هدبة و زيادة يتهاديان الأشعار، و يتفاخران، و يطلب/كلّ واحد منهما العلوّ على صاحبه في شعره، و ذكر أشعارا كثيرة، فذكرت بعضها، و أتيت بمختار ما فيه، فمن ذلك قول زيادة في قصيدة أولها:

أراك خليلا قد عزمت التّجّبا *** و قطّعت حاجات الفؤاد فأصحابا(4)

1- الشعر من مجزوء الرجز، و هو من قبيل التعريض.

2- البيت من الطويل دخله الخرم، و ابن كنعاء هو أدرع، السبال: طرف الشارب، أو مقدم اللحية، يقول: إذا كان ما لاقاه أدرع أذل رقاش
فزادها الله ذلاً.

3- لا مثل مالها: لا مثل الذل الذي تنطوي عليه.

4- أصحاب الفؤاد: أصابه خبل.

- وَأَنْكَ لِلنَّاسِ الْخَلِيلَ إِذَا دَنْتَ *** بِهِ الدَّارَ، وَالبَاكِي إِذَا مَا تَعَيَّبَا (1)
- وَقَدْ أَعْذَرْتَ صَرْفَ اللَّيَالِي بِأَهْلِهَا *** وَشَحَطَ التَّوَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَطْلَبًا (2)
- فَلَا هِيَ تَأْلُو مَا نَأَتْ وَتَبَاعَدَتْ *** وَلَا هِيَ يَأْلُو مَا دَنَا وَتَقَرَّبَا (3)
- أَطَعْتَ بِهَا قَوْلَ الوَشَاةِ فَلَا أَرَى الـ *** وَشَاةٌ انْتَهَوْا عَنْهُ وَلَا الدَّهْرَ أَعْتَبَا (4)
- فَهَلَّا صَرَمْتَ وَالحِبَالَ مَتِينَةَ *** أَمِيمَةَ إِنْ وَاشِ وَشَى وَتَكْذَبَا (5)
- إِذَا خَفَتْ شَكَّ الأَمْرِ فَارْمِ بَعْزِمَهُ *** غِيَابَتَهُ يَرْكَبُ بِكَ الدَّهْرَ مَرْكَبًا
- وَإِنْ وَجْهَةٌ سَدَّتْ عَلَيْكَ فِرْجَهَا *** فَإِنَّكَ لَأَقْ لَا مُحَالَةَ مَذْهَبًا
- يَلَامُ رِجَالَ قَبْلِ تَجْرِيْبِ غِيْبِهِمْ *** وَكَيْفَ يَلَامُ المَرْءَ حَتَّى يَجْرَبَا
- وَإِنِّي لَمِعْرَاضٍ قَلِيلٍ تَعْرَضِي *** لَوْجِهِ امْرئِي يَوْمًا إِذَا مَا تَجَبَّبَا (6)
- قَلِيلٌ عَثَارِي حِينَ أَذْعُرُ، سَاكِنٌ *** جَنَانِي إِذَا مَا الحَرْبُ هَرَّتْ لَتَكَلْبَا (7)
- /بِحَسْبِكَ مَا يَأْتِيكَ فَاجْمَعْ لِنَازِلِ *** قَرَاهُ وَنَوَّبَهُ إِذَا مَا تَنَوَّبَا (8)
- وَلَا تَنْتَجِعْ شَرًّا إِذَا حِيلَ دُونَهُ *** بَسْتَرِ وَهَبِ أَسْبَابَهُ مَا تَهَيَّبَا
- أَنَا ابْنُ رِقَاشٍ وَابْنُ ثَعْلَبَةَ الَّذِي *** بَنِي هَادِيَا يَعْلُو الهُوَادِي أَغْلَبَا (9)
- بَنِي العَزِّ بَنِيَانَا لِقَوْمِي فَمَا صَعَوْا *** بِأَسْيَافِهِمْ عَنْهُ فَأَصْبَحَ مَصْعَبَا (10)
- فَمَا إِنْ تَرَى فِي النَّاسِ أَمَا كَأَمَّنَا *** وَلَا كَأَيْنَمَا حِينَ نَنْسِبُهُ أَبَا
- أَتَمَّ وَأَنْمِي بِالْبَنِينَ إِلَى العَلَا *** وَأَكْرَمَ مَنَافِي المَنَاصِبِ مَنَصْبَا (11)
- مَلِكْنَا وَلمْ نَمْلِكْ وَقَدْنَا وَلمْ نَقْدُ *** كَأَنَّ لَنَا حَقًّا عَلَى النَّاسِ تَرْتِبَا
- قال اليزيدي: ترتب: ثابت لازم -.

- 1- في ب كالناس، وهو تحريف، يريد أنه لا ينسى الخليل إذا نسبه، يذكره قريبا، ويبيكه بعيدا.
- 2- أنت صرف الليالي لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه، يقول: إن صروف الليالي توجب التماس العذر للناس، وإن بعد الشقة بيني و بينك عذرني في طلابك.
- 3- يريد أنها لا تقصرني حفظ عهد إن بعدت، كما أنه يزيد حبالها إن قربت.
- 4- يريد أنه تظاهر بطاعة الوشاة ليكفوا عنهما فلم يكفوا، ولا الدهر أعتبه، أي قبل عتابه.
- 5- يقول: هلا تظاهرت يا أميمة أنت أيضا بصرم حبال الود، وإن كانت في الباطن متينة وثيقة العرى لتقطع السنة الوشاة.
- 6- معراض: كثير الإعراض عن الشيء الذي لا يهمني.
- 7- هرت: كشرت عن أنيابها، لتكلب: لتشتد.
- 8- نوبة: احفظ حقه في النوبة عند الركوب ونحوه، وربما كانت محرفة عن «ثوبه» بمعنى كافئه، وأحسن إليه.
- 9- الهادي: العنق، الأغلب: الغليظ العنق.
- 10- ماصع: جالد. وفي «المختار»: «فأصبعوا» بدل «فماصعوا».
- 11- في «المختار»: «... باليمين إلى العلا».

بآية أنا لا نرى متتوجاً *** من الناس يعلونا إذا ما تعصّباً (1)

ولا ملكاً إلا اتقانا بملكه *** ولا سوقة إلا على الخرج أتعبا (2)

ملكنا ملوكاً واستبحنا حماهم *** وكتنا لهم في الجاهلية موكبا (3)

ندامى وأردافا فلم تر سوقة *** توازننا فاسأل إيادة وتغلبا (4)

فأجابه هدبة، وهذا مختار ما فيها فقال:

تذكر شجوا من أميمة منصبا *** تليدا ومنتابا من الشوق مجلبا (5)

تذكر حبا كان في ميعة الصبا *** وجدا بها بعد المشيب معتبا (6)

إذا كاد ينساها الفؤاد ذكرتها *** فيا لك ما عنى الفؤاد وعذبا (7)

غدا في هواها مستكينا كأنه *** خليع قداح لم يجد متشبا (8)

وقد طال ما علقت ليلي مغمرا *** وليدا إلى أن صار رأسك أشيبا

- المغمّر: للغمر أي غير حدث -.

رأيتك في ليلي كذى الداء لم يجد *** طبيبا يداوي ما به فتطببا

فلما اشتفى مما به كرّ طبه *** على نفسه من طول ما كان جرّبا (9)

يقتل زيادة فيسجن:

إشارة

فلم يزل هدبة يطلب غرة زيادة حتى أصابها فيبته فقتله، وتحنى مخافة السلطان، وعلى المدينة يومئذ سعيد بن العاص، فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم بالمدينة، فلما بلغ هدبة ذلك أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلّص عمّه وأهله، فلم يزل محبوبا حتى شخص عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة إلى معاوية، فأورد كتابه إلى سعيد بأن يقيد منه إذا قامت البيعة، فأقامها، فمشت عذرة إلى عبد الرحمن، فسألوه قبول الدية فامتنع، وقال:

صوت

أنختم علينا كل كل الحرب مرة *** فنحن منيخوها عليكم بكل كل

فلا يدعني قومي لزيد بن مالك *** لئن لم أعجل ضربة أو أعجل (10)

- 1- الآية: الدليل، تعصب: لبس العصاة: عصاة الملك.
- 2- السوقة: من عدا الملك، الخرج: الضريبة ونحوها، يعني أن الناس كانوا يتعبون في تأدية الخراج، و هو معفون.
- 3- موكبا: يريد كنا جنودهم عند الحرب.
- 4- أرداف: جمع ردف، و هو خليفة الملك في الجاهلية، يجلس عن يمينه، و يشرب بعده، و ينوب عنه في الحكم إذا غزا.
- 5- منصب: متعب، مجلب: من أجلب الجرح: علقته القشرة.
- 6- معتب: مستوجب للعتاب و اللوم.
- 7- مفعول عني و عذب محذوف، أي ما عناني الفؤاد و عذبني.
- 8- الخليع: من غلب في القمار، المنتشب: من النشب، و هو النبل.
- 9- يريد أنه كما شفي من داء الحب عاوده الحنين إلى الداء و الدواء من جديد.
- 10- لا يدعني قومي... إلخ: لا ينسبني قومي إلى أبي إن لم أعجل بثأر أخي أو يعاجلني الموت.

أبعد الذي بالتّعف نعف كويكب *** رهينة رمس ذي تراب و جندل(1)

كريم أصابته ديات كثيرة *** فلم يدر حتى حين من كل مدخل(2)

أذكر بالبقيا على من أصابني *** و بقياي أني جاهد غير مؤتلي(3)

غناه ابن سريج رملا بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وقيل: إنه لمالك بن أبي المسح وله فيه لحن آخر.

رجع الخبر إلى سياقه

و أما علي بن محمد النوفليّ، فذكر عن أبيه: أنّ سعيد بن العاص كره الحكم بينهما، فحملهما إلى معاوية، فنظر في القصة، ثم ردها إلى سعيد. و أما غيره فذكر أن سعيدا هو الذي حكم بينهما من غير أن يحملهما إلى معاوية.

قال علي بن محمد عن أبيه:

فلما صاروا بين يدي معاوية قال عبد الرحمن أخو زيادة له: يا أمير المؤمنين أشكو إليك مظلمتي(4) و ما دفعت إليه، و جرى عليّ و على أهلي و قرباي(5) و قتل أخي زيادة، و ترويع نسوتي، فقال له(6) معاوية: يا هدية قل.

فقال: إن هذا رجل سبّاعة(7)، فإن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاما أو شعرا فعلت، قال: لا بل شعرا، فقال هدية هذه القصيدة ارتجالا:

ألا يا لقومي للتوائب و الدّهر *** و للمرء يردي نفسه و هو لا يدري(8)

و للأرض كم من صالح قد تأكّمت *** عليه فوارته بلمّاعة قفر

فلا تتقي ذا هيبة لجلاله *** و لا ذا ضياع هنّ يتركن للفقر(9)

حتى قال:

رمينا فرامينا فصادف رمينا *** منايا رجال في كتاب و في قدر

و أنت أمير المؤمنين فما لنا *** وراءك من معدّي و لا عنك من قصر

فإن تك في أموالنا لم نضق بها *** ذراعا، و إن صبر فنصبر للصّبر

ص: 172

1- النعف: المكان المرتفع فيه صعود و هبوط و كويكب: موضع في ديار سعد بن هذيم.

2- أصابته ديات كثيرة، يريد أنه كان يدفع الديات نيابة عن القاتلين كرما منه، أو أنه كان مطالباً بكثير من الديات لكثرة من قتل، و قوله: «حتى حين» لم نجد لها تخريجا، فلعلها «خين» بالخاء المعجمة من الخيانة، أو لعلها «خان» بمعنى هلك و البيت ساقط من س.

- 3- أذكر: متعلق الجار و المجرور بالبيت الثالث، يعني أذكر بالبقيا على من أصابني بفقد أخي بعد الذي بالنعف، غير مؤتلي: غير مقصر في طلب الوتر، وفي هج، هد: «على ما أصابني» بدل «من أصابني».
- 4- تكملة من ف.
- 5- تكملة من ف.
- 6- كلمة «له» هنا نرجح أنها زائدة فإن ضميرها يجب أن يعود على هدبة، و لم يتقدم له مرجع في الكلام.
- 7- سجاعة: صيغة مبالغة من سجع في كلامه.
- 8- أرجع إلى هذا البيت و ما بعده في أول الترجمة.
- 9- فاعل تتقي ضمير الأيام، و ذا مفعول مقدم ليتركن.

فقال له معاوية: أراك قد أقررت(1) بقتل صاحبهم، ثم قال لعبد الرحمن: هل لزيادة ولد؟ قال: نعم، المسور، وهو غلام صغير لم يبلغ، وأنا عمه وولي دم أبيه، فقال: إنك لا تؤمن على أخذ الدية أو قتل الرجل بغير حق، والمسور أحق بدم أبيه فردّه إلى المدينة فحبس ثلاث سنين حتى بلغ المسور.

بينه وبين جميل بن معمر:

أخبرني الحرمي بن العلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: نسخت من كتاب عامر بن صالح قال:

دخل جميل بن معمر العذري على هذبة بن خشرم السّجن وهو محبوس بدم زيادة بن زيد، وأهدى له بردين من ثياب كساه إياها سعيد بن العاص، وجاءه بنفقة، فلما دخل إليه عرض ذلك عليه، وسأله أن يقبله منه، فقال له هذبة: أنت يا بن معمر الذي تقول:

بني عامر أنى انتجعتم وكنتم *** إذا عدّ الأقوام كالخصية الفرد؟

أما والله لئن خلّص الله لي ساقى لأمدنّ لك مضمارك(2)، خذ برديك ونفقتك، فخرج جميل، فلما بلغ باب السجن خارجا قال: اللهم أغن(3) عني أجدع بني عامر، قال: وكانت بنو عامر قد قلّت، فحالفت لإياد.

من شعر أمه فيه:

قال أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني:

فقال أم هذبة فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها:

أيا إخوتي أهل المدينة أكرموا *** أسيركم إن الأسير كريم

فربّ كريم قد قرأه وضافه *** وربّ أمور كلّهنّ عظيم

عصى جلّها يوما عليه فراضه *** من القوم عياف أشمّ حلّيم(4)

بتوسطون له فترفض وساطتهم:

فأرسل هذبة العشيرة(5) إلى عبد الرحمن في أول سنة فكلّموه، فاستمع منهم ثم قال:

/أبعد الذي بالتّعف نعف كويكب *** رهينة رمس ذي تراب و جندل(6)

أذكر بالبقيا على من أصابني *** وبقياي أني جاهد غير مؤتلي

فرجعوا إلى هذبة بالأبيات فقال: لم يؤيسني بعد، فلما كانت السنة الثالثة بلغ المسور، فأرسل هذبة إلى عبد الرحمن من كلمه فأنصت حتى فرغوا، ثم قام عنه مغضبا وأنشأ يقول:

- 1- الإقرار يتضمنه البيت: رمينا فرمينا... إلخ.
- 2- لأمدن لك مضمارك: «لأوسعن الميدان الذي ألقى فيه، وربما كانت لأعدن لك مضمارك» وعلى كل فهي تهديد.
- 3- أغنه عني: اكفني شره، و يعني بأجدع بني عامر هدبة نفسه.
- 4- عصى جلها... إلخ، خبر أمور في البيت السابق، و الهاء من راضه يعود على جل، و المراد «بعياف أشم حلیم» هدبة نفسه.
- 5- يريد عشيرته من بني عامر.
- 6- تقدم هذا البيت و ما قبله، و هما رفض لطلب العشيرة و إباء لعرض الدية.

سأكذب أقواما يقولون: إنني *** سأخذ مالا من دم أنا ثأثره(1)

فباست امرئ و است التي زحرت به *** يسوق سواما من أخ هو واتره(2)

و نهض، فرجعوا إلى هدبة فأخبروه الخبر فقال: الآن أيست منه، و ذهب عبد الرحمن بالمسور، و قد بلغ إلى و الي المدينة، و هو سعيد بن العاص، و قيل مروان بن الحكم، فأخرج هدبة.

لقاؤه الأخير بزوجه:

إشارة

قالوا: فلما كان في الليلة التي قتل في صاحبها أرسل إلى امرأته، و كان يحبها: اثتيني الليل أستمتع بك و أودّعك، فأثته في اللباس و الطيب، فصارت إلى رجل(3)، قد طال حبسه، و أنتت في الحديد رائحته، فحادثها، و بكى، و بكت، ثم راودها عن نفسها، و طاوعته، فلما علاها سمعت قعقة الحديد فاضطربت تحته، فتنحى عنها و أنشأ يقول:

/و أدنيتني حتى إذا ما جعلتني *** لدى الخصر أو أدنى استقلّك راجف(4)

فإن شئت و الله انتهيت و إنني *** لئلا تريني آخر الدهر خائف

رأت ساعدي غول و تحت ثيابه *** جآجئ يدمى حدّها و الحراقف(5)

ثم قال الشعر حتى أتى عليه و هو طويل جدا و فيه يقول:

صوت

فلم تر عيني مثل سرب رأبته *** خرجن علينا من زقاق ابن واقف(6)

تضمّنن في الجاديّ حتى كأنما الأ *** نوف إذا استعرضتهنّ رواعف(7)

خرجن بأعناق الطباء و أعين ال *** جآذر و ارتجّت لهنّ السّوالف(8)

فلو أنّ شيئا صاد شيئا بطرفه *** لصدن طباء فوقهنّ المطارف(9)

غنى فيه الغريض رملا بالبصر من رواية حبش، و فيه لحن خفيف ثقيل، و ذكر إسحاق أن فيه لحنا ليونس، و لم يذكر طريقته في مجردة.

ص: 174

1- أنا ثأثره: أنا طالب ثأره.

2- يريد بقول: «واست الذي زحرت به»: ولدته.

3- الرجل المقصود هنا هو هدية نفسه.

4- استقلك راجف: أصابك ما أفرعك.

5- جآجئ: جمع جؤجؤ، وهو عظم الصدر، الحراقف: جمع حرقفة، وهي أعلى الورك.

6- في البيت إقواء، وفي بعض النسخ: «خرجن علينا حين إذ أنا واقف» وعليه فلا إقواء، ويرجح الرواية الأولى حديث السمكات الذي سيأتي بعد، ويرجح الرواية الثانية قول المؤلف فيما يلي: ليس هناك زقاق يحمل هذا الاسم.

7- الجادي: الزعفران.

8- السوالف: جمع سالفة، وهي جانب العتق.

9- ظباء: فاعل صدن - على لغة أكلوني البراغيث - المطارف: جمع مطرف، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام، والمعنى: لو أن اللحظ يصيد لصادت هذه الظباء التي تلبس المطارف - يقصد الغواني - بألحاظها الرجال، وفي رواية: «لصدن بألحاظ ذوات المطارف» وعليه ففي البيت إقواء، والمعنى لا يتغير.

أيهما أحسن: سربه أم السمكات الثلاث؟:

أخبرنا الحرمي قال: حدثنا الزبير عن عمه قال:

مرّ أبو الحارث جمين يوما بسوق المدينة، فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شقّ أجوافها: وقد خرج شحمها، فبكى أبو الحارث، ثم قال: تعس الذي يقول:

فلم تر عيني مثل سرب رأيتَه *** خرجن علينا من زقاق بن واقف

وانتكس ولا انجير، واللّه لهذه السمكات الثلاث أحسن من السرب الذي وصف.

وأحسب أن هذا الخبر مصنوع لأنه ليس بالمدينة بزقاق ابن واقف، ولا بها سمك، ولكن رويت ما روي.

حيّ ترثي لحاله:

وقال حماد بن إسحاق عن أبيه أنّ ابن كناسة قال:

مرّ بهدبة على حيّ (1): فقالت: في سبيل اللّه شبابك وجلدك وشعرك وكرمك؛ فقال هدبة:

تعجّب حيّ من أسير مكبّل *** صليب العصا باق على الرّسّفان (2)

فلا تعجبي منّي حليلة مالك *** كذلك يأتي الدهر بالحدثان

يبين لزوجته أوصاف من يخلفه عليها:

وقال التّوفليّ عن أبيه:

فلما مضى به من السجن للقتل، التفت فرأى امرأته؛ وكانت من أجمل النساء فقال:

/أقلّي عليّ اللّوم يا أمّ بوزعا *** ولا تجزعي ممّا أصاب فأوجعا

ولا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا *** أغمّ القفا والوجه ليس بأنزعا (3)

كليلا سوى ما كان من حدّ ضرسه *** أكبيد مبطان العشيّات أروعا (4)

ضروبا بلحيه على عظم زوره *** إذا الناس هشّوا للفعال تقنّعا (5)

وحلّي بذى أكرومة وحميّة *** وصبر إذا ما الدهر عصّ فأسرعا

زوجته تشوه جمالها بسكين:

- 1- جبي: اسم امرأة كانت تحت رجل اسمه مالك.
- 2- الرسفان: المشي الوئيد يشبه المقيد في قيده.
- 3- الأنزع: من انحسر شعره عن جبينه وقفاه.
- 4- يريد بالمصراع الأول أنه كليل العزم والسيف غير كليل الناب والضررس. الأكبيد: تصغير أكبد بمعنى مصاب في كبده، مبطان العشيات: كثير الأكل ليلاً، أروع: من الروع، وهو الخوف، أي جبان.
- 5- اللحيان: العظامان اللذان ركبت فيهما الأسنان العلوية والسفلية، والمصراع الأول كناية أيضاً عن البطن، هشوا: سروا وانشرحت صدورهم، الفعال - بفتح الفاء - الكرم والفعل الحميد، تقنع: أخفى وجهه وغطاه بغشاء.

لما أخرج هديبة من السجن ليقتل، جعل الناس يتعرّضون له ويخبرون صبره، ويستشردونه، فأدركه عبد الرحمن بن حسان(1)، فقال له: يا هديبة، أأمرني أن أتزوج هذه بعدك، يعني زوجته، وهي تمشي خلفه فقال: نعم، إن كنت من شرطها، قال: و ما شرطها؟ قال: قد قلت في ذلك:

فلا تنكحي إن فرّق الدهر بيننا *** أغمّ القفا و الوجه ليس بأنزعا(2)

و كوني حبيسا أو لأروع ماجد *** إذا ضنّ أعشاش الرجال تبرّعا(3)

فمالت زوجته إلى جزّار و أخذت شفرته، فجذعت بها أنفها، و جاءته تدمي/مجدوعة فقالت: أ تخاف أن يكون بعد هذا نكاح؟ قال: فرسف في قيوده و قال: الآن طاب الموت.

و قال النوفليّ عن أبيه:

إنها فعلت ذلك بحضرة مروان و قالت له: إن لهديبة عندي وديعة، فأمهله حتى آتية بها، قال: أسرعي، فإن الناس قد كثروا، و كان جلس لهم بارزا عن داره(4)، فمضت إلى السوق، فانتهدت إلى قصاب و قالت: أعطني شفرتك، و خذ هذين الدرهمين و أنا أردّها عليك، ففعل، فقربت من حائط، و أرسلت ملحفتها على وجهها، ثم جذعت أنفها من أصله، و قطعت شفيتها، ثم ردت الشفرة، و أقبلت حتى دخلت بين الناس و قالت: يا هديبة، أتراني متزوجة بعد ما ترى؟ قال: لا، الآن طابت نفسي بعد بالموت، ثم خرج يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه يتوقعان الثكل، فهما بسوء حال، فأقبل عليهما و قال:

أبلياني اليوم صبرا منكما *** إنّ حزنا إن بدا بادئ شرّ

لا أراني اليوم إلا ميّتا *** إنّ بعد الموت دار المستقرّ(5)

اصبرا اليوم فإني صابر *** كلّ حيّ لقضاء و قدر

زوجته تنكث بعهدها:

قال النوفليّ: فحدثني أبي قال:

حدثني رجل من عذرة عن أبيه قال: إني لبلادنا يوما في بعض المياه، فإذا أنا بامرأة تمشي أمامي و هي مدبرة، و لها خلق عجيب من عجز و هيئة، و تمام جسم، و كمال قامه، فإذا صبيّان قد اكتنفاها يمشيان، قد ترعرا، فتقدّمتهما، و التفت إليهما، فإذا هي أقبح منظر، و إذا هي مجدوعة الأنف، مقطوعة الشفتين، فسألت عنها فقبل لي:

هذه امرأة هديبة، تزوّجت(6) بعده رجلا، فأولدها هذين الصبيّين.

أخو زيادة يرفض كل شفاعة ودية:

- 1- ضبطننا حسان بالفتح على أنه مأخوذ من الحس، فهو ممنوع من الصرف.
- 2- في هد «أغم القفا والرأس».
- 3- أعشاش الرجال: من عش معرفة بمعنى قلله، يقول لها: كوني حبس خدرك أو تزوجي ماجدا.
- 4- ب: «يازاء داره».
- 5- في «المختار»: «لا أرى ذا اليوم إلا هينا».
- 6- وهكذا صدق الشاعر حين يقول: وإن حلفت لا تنقض الدهر عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

قال ابن قتيبة في حديثه:

فسأل سعيد بن العاص أخا زيادة أن يقبل الدية عنه، قال: أعطيك ما لم يعطه أحد من العرب أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء (1) ولا ذات داء، فقال له: والله لو تقبّلت لي قبّتك هذه، ثم ملأتها لي ذهباً، ما رضيت بها من دم هذا الأجدع، فلم يزل سعيد يسأله، ويعرض عليه فيأبى، ثم قال له: والله لو أردت قبول الدية لمنعني قوله:

لنجدعنّ بأيدينا أنوفكم *** ويذهب القتل فيما بيننا هدرا

فدفعه حينئذ ليقتله بأخيه.

يعرض بحبيّ و هو في طريقه إلى الموت:

قال حمّاد: وقرأت على أبي عن مصعب بن عبد الله الزبيريّ قال:

و مرّ هذبة بحبيّ، فقالت له: كنت أعدك في الفتیان، وقد زهدت فيك اليوم، لأنني لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت، لكن كيف تصبر عن هذه (2)؟ فقال: أما والله إنّ حبيّ لها لشديد، وإن شئت لأصفرنّ لك ذلك، ووقف الناس معه، فقال:

وجدت بها ما لم تجد أمّ واحد *** ولا وجد حبيّ بآبن أمّ كلاب (3)

رأته طويل الساعدين شمر دلا *** كما تشتهي من قوة وشباب (4)

فانتمعت (5) داخلة إلى بيتها فأغلقت الباب دونه. قالوا: فدفعت إلى أخي زيادة ليقتله، قال: فاستأذن في أن يصلّي ركعتين، فأذن له، فصلاهما وخفّف، ثم التفت إلى من حضر فقال: لولا- أن يظنّ بي الجزع لأطلتهما، فقد كنت محتاجا إلى إطالتهما، ثم قال/الأهله: إنه بلغني أنّ القتييل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه، فإن عقلت فإني قابض رجلي وباسطها ثلاثا، ففعل ذلك حين قتل، وقال قبل أن يقتل:

إن تقتلونني في الحديد فإني *** قتلت أخاكم مطلقا لم يقيد (6)

فقال عبد الرحمن أخو زيادة: والله لا قتلته إلا مطلقا من وثاقه، فأطلق له، فقام إليه وهز السيف ثم قال:

قد علمت نفسي وأنت تعلمه *** لأقتلنّ اليوم من لا أرحمه

ثم قتله.

فقال حمّاد في روايته:

و يقال: إن الذي تولّى قتله ابنه المسور، دفع إليه عمّه السيف وقال له: قم فاقتل قاتل أبيك، فقام، فضربه ضربتين قتله فيهما.

- 1- الجداء: القليلة اللبن من مرض أصابها.
- 2- هذه: إشارة إلى زوجته.
- 3- يعرض بحبي وبحبها لرجل افتتنت به.
- 4- الشمر دل: الجميل الخلق، وفي ف، هج: «كما اشترطت» بدل «كما تشتهي».
- 5- فانقمعت: ولت هاربة.
- 6- البيت من الطويل دخله الخرم.

كاهنة تنبأ بقتله صبوا:

أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قرأت على أبي قال:

بلغني أنّ هذبة أول من أقيد منه في الإسلام.

قال أحمد بن الحارث الخزاز (1): قال المدائني:

مرّت كاهنة بأّم هذبة وهو وأخوته نيام بين يديها، فقالت: يا هذه، إن الذي معي (2) يخبرني عن بنيك هؤلاء بأمر. قالت: و ما هو؟ قالت: أمّا هذبة و حوط فيقتلان صبوا (3)، و أما الواسع و سيحان فيموتان كمداء، فكان كذلك.

/أخبرني الحسين بن يحيى قال: قال حمّاد: قرأت على أبي: أخبرك مروان بن أبي حفصة قال:

كان هذبة أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه، قال الخزاز عن المدائني: قال واسع بن خشرم يرثي هذبة لما قتل:

يا هذب يا خير فتیان العشيرة من *** يفجع بمثلك في الدّنيا فقد فجعا

الله يعلم أنّي لو خشيتهم *** أو أوجس القلب من خوف لهم فرعا (4)

لم يقتلوه و لم أسلم أخي لهم *** حتى نعيش جميعا أو نموت معا (5)

و هذه الأبيات تمثّل بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رضي عنهم، لما بلغه قتل أخيه محمد.

أخباره هو و زياد حديث العلية:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال:

حدّثني مصعب الزبيريّ قال:

كنّا بالمدينة أهل البيوتات إذا لم يكن عند أحدنا خبر هذبة و زيادة و أشعارهما ازدريناه، و كنّا نرفع من قدر أخبارها و أشعارهما و نعجب بها.

صاحب بثينة راوية له:

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: أخبرني محمد بن الحسن الأحول، عن رواية من الكوفيين قالوا:

كان جميل بن معمر العذريّ راوية هذبة، و كان هذبة راوية الحطيئة، و كان الحطيئة راوية كعب بن زهير و أبيه.

حدّثني حبيب بن نصر المهلبيّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال:

- 1- وفي بعض النسخ الخزاز، وفي آخر الحراز.
- 2- تقصد الذي معها من علم التنجيم، أو الجن الذي تزعم مؤاخاته.
- 3- يقتل صبورا: يحبس حتى يموت.
- 4- في ف، هد، «المختار»: «جزعا» بدل «فزعا».
- 5- يريد أنهم لو خافوهم ما وتروهم في زيادة، و حينئذ يسلم أخوه.

إشارة

حدثني أبو المغيرة محمد بن إسحاق قال: حدثني أبو مصعب الزبيري قال: حدثني المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه قال: بعث هذبة بن خشرم إلى عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها: استغفري لي، فقالت: إن قتلت استغفرت لك.

صوت

ألم تر أنني يوم جوّ سويقة *** بكيت فنادتني هنيذة ماليا؟

فقلت لها: إنَّ البكاء لراحة *** به يشتهي من ظنّ أن لا تلاقيا

قفي ودّعينا يا هنيذ فإني *** أرى القوم قد شاموا العقيق اليمانيا(1)

- و يروى: أرى الركب قد شاموا -.

إذا اغرورقت عينايا أسبل منهما *** إلى أن تغيب الشعريان بكائيا(2)

الشعر للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريرا، وهي فيما قيل أول قصيدة هجاه بها، والغناء لابن سريج خفيف ثقيل عن الهشامي، قال الهشامي: وفيه لمالك ثقيل أول، وابتداء اللحنين جميعا.

ألم تر أنني يوم جوّ سويقة

و لعلوية فيه لحن من الرمل المطلق ابتداءه:

قفي ودّعينا يا هنيذ فإني:

ص: 179

1- شام السحاب و البرق و نحوهما: نظر إليه ليتحقق أفيه مطر أم لا، و المراد هنا النجعة و الرحيل.

2- الشعريان: نجمان معروفان، فلعله يريد أن يقول: إنه يبكي طول الليل، أو طول الصيف، لأن الشعريين كانا رمز الصيف عند العرب، و اسم إحداهما العبور، و اسم الأخرى الغميصاء.

نسبه:

الفرزدق لقب غلب عليه، و تفسيره الرغيف الضخم الذي يجفّفه النساء للفتوت، و قيل: بل هو القطعة من العجين التي تبسط، فيخبز منها الرغيف، شبّه وجهه بذلك؛ لأنه كان غليظا جهما. و اسمه همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم.

قال أبو عبيدة: اسم دارم بحر، و اسم أبيه مالك عوف و يقال عرف. و سمى دارم دارما لأن قوما أتوا أباه مالكا في حمالة (1) فقال له: قم يا بحر فأنتي بالخريطة - يعني خريطة كان له فيها مال - فحملها يدرم عنها ثقلا، و الدرمان: تقارب الخطو، فقال لهم: جاءكم يدرم بها، فسمى دارما، و سمي أبوه مالك عرفا لجوده.

و أم غالب ليلي بنت حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع.

و كان للفرزدق أخ يقال له هميم، و يلقب الأخطل، ليست له نباحة، فأعقب ابنا يقال له محمد، فمات و الفرزدق حيّ فرثاه، و خبره يأتي بعد. و كان للفرزدق من الولد خبطة و لبطة و سبطة، هؤلاء المعروفون، و كان له غيرهم فماتوا، و لم يعرفوا. و كان له بنات خمس أو ست.

و أم الفرزدق - فيما ذكر أبو عبيدة - لينة بنت قرظة الضبية.

جده محيي الموءودات:

و كان يقال لصعصعة محيي الموءودات؛ و ذلك أنه كان مر برجل من قومه، و هو يحفر بئرا، و امرأته تبكي، فقال لها صعصعة: ما يبكيك؟ قالت: يريد أن يئد ابنتي هذه، فقال له: ما حملك على هذا؟ قال: الفقر. قال:

فإني اشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما، تعيشون بألبانهما، و لا تند الضبية، قال: قد فعلت، فأعطاه الناقتين و جملا كان تحته فحلا، و قال/في نفسه: إن هذه لمكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فجعل على/نفسه ألاّ يسمع موءودة إلا فداها، فجاء الإسلام و قد فدى ثلاثمائة موءودة، و قيل: أربعمائة.

أخبرني بذلك هاشم بن محمد الخزاعي، عن دماذ، عن أبي عبيدة.

و أخبرني بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ و عليّ بن سليمان الأخفش قالا: حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة عن عقال بن شبة قال: قال صعصعة:

خرجت باغيا ناقتين لي فارتقتين - و الفارق: التي تفرق إذا ضربها المخاض فتندّ على وجهها، حتى تنتج - فرفعت لي نار فسرت نحوها، و هممت بالنزول، فجعلت النار تضىء مرة، و تخبو أخرى، فلم تزل تفعل ذلك حتى قلت: اللهم لك عليّ إن بلّغتي هذه النار ألاّ أجد أهلها يوقدون لكربة يقدر أحد من الناس أن يفرّجها إلا

1- الحماله: الغرامه يحملها قوم عن قوم أو الديه.

فَرَجَّتْهَا عَنْهُمْ، قَالَ: فَلَمْ أُسْرَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى أَتَيْتَهَا، فَإِذَا حَيٌّ مِنْ بَنِي أَنْمَارِ بْنِ الْهَجِيمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ، وَإِذَا أَنَا بِشَيْخٍ حَادِرٍ أُشْعِرُ (1) يُوقِدُهَا فِي مَقْدَمِ بَيْتِهِ، وَالنِّسَاءُ قَدْ اجْتَمَعْنَ إِلَى امْرَأَةٍ مَخْضُ (2)، قَدْ حَبَسْتَهُنَّ ثَلَاثَ لَيَالٍ.

فَسَلَّمْتُ فَقَالَ الشَّيْخُ: مَنْ أَنْتِ؟ فَقُلْتُ: أَنَا صَعْصَعَةُ بِنْتُ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَالٍ، قَالَ: مَرْحَبًا بِسَيِّدِنَا، فَفِيمَ أَنْتِ يَا بِنْتَ أَخِي؟ فَقُلْتُ: فِي بَغَاءِ نَاقَتَيْنِ لِي فَارِقَتَيْنِ عَمِّي عَلِيٍّ أَثْرَهُمَا، فَقَالَ: قَدْ وَجَدْتُهُمَا بَعْدَ أَنْ أَحْيَا اللَّهُ بَهُمَا أَهْلَ بَيْتِ مَنْ قَوْمِكَ، وَقَدْ تَنَجَّنَاهُمَا، وَعَطَفْتُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، وَهُمَا تَانِكٌ فِي أَدْنَى الْإِبِلِ. قَالَ: قُلْتُ: فَفِيمَ تَوْقَدُ نَارَكَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ؟ قَالَ: أَوْقِدُهَا لِامْرَأَةٍ مَخْضُ قَدْ حَبَسْتَنَا مِنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَتَكَلَّمْتُ النِّسَاءَ فَقُلْنَ: قَدْ جَاءَ الْوَلَدُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنْ كَانَ غَلَامًا فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا أَصْنَعُ بِهِ، وَإِنْ كَانَتْ جَارِيَةً فَلَا أَسْمَعَنَّ صَوْتَهَا - أَيِ اقْتِلْهَا - فَقُلْتُ: يَا هَذَا ذَرَهَا فَإِنَّهَا ابْنَتُكَ، وَرَزَقَهَا عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: اقْتُلْنَهَا، فَقُلْتُ: أَنْشُدْكَ اللَّهَ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَاكَ بِهَا حَفِيًّا، فَاشْتَرَاهَا مِنِّي، فَقُلْتُ: إِنِّي أَشْتَرِيهَا مِنْكَ، فَقَالَ: مَا تَعْطِينِي؟ قُلْتُ: أَعْطِيكَ إِحْدَى نَاقَتِي قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَأَزِيدُكَ الْأُخْرَى، فَنَظَرَ إِلَيَّ جَمَلِي الَّذِي تَحْتِي، فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَزِيدَنِي/جَمَلِكَ هَذَا، فَإِنِّي أَرَاهُ حَسَنَ اللَّوْنِ شَابَّ السِّنِّ، فَقُلْتُ: هُوَ لَكَ وَالنَّاقَتَانِ عَلَى أَنْ تَبْلُغَنِي أَهْلِي عَلَيْهِ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، فَابْتَعْتَهَا مِنْهُ بَلْقُوحِينَ (3) وَجَمَلٍ، وَأَخَذْتُ عَلَيْهِ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لِيَحْسَنَنَّ بَرَّهَا وَصَلَّتْهَا مَا عَاشَتْ، حَتَّى تَبِينَ مِنْهُ، أَوْ يَدْرِكْهَا الْمَوْتَ، فَلَمَّا بَرَزْتُ مِنْ عِنْدِهِ حَدَّثَنِي نَفْسِي وَقُلْتُ: إِنْ هَذِهِ لِمَكْرَمَةٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَآلَيْتُ أَلَّا يَبْدُ أَحَدٌ بِنْتًا لَهُ إِلَّا اشْتَرَيْتَهَا مِنْهُ بَلْقُوحِينَ وَجَمَلٍ، فَبِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ مِائَةَ مَوْءُودَةٍ إِلَّا أَرْبَعًا، وَلَمْ يَشَارِكْنِي فِي ذَلِكَ أَحَدٌ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَحْرِيمَهُ فِي الْقُرْآنِ، وَقَدْ فُخِرَ بِذَلِكَ الْفَرَزْدَقُ فِي عِدَّةِ قِصَائِدٍ مِنْ شِعْرِهِ، وَمِنْهَا قِصِيدَتُهُ الَّتِي أَوْلَاهَا:

أَبِي أَحَدِ الْغَيْشِيِّنَ صَعْصَعَةَ الَّذِي *** مَتَى تَخْلَفُ الْجُوزَاءُ وَالذَّلُّو يَمْطُرُ (4)

أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يَجْرُ *** عَلَى الْفَقْرِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مَخْفَرٍ (5)

عَلَى حَيْنٍ لَا تَحْيَا الْبَنَاتُ وَإِذْ هُمْ *** عَكُوفٌ عَلَى الْأَصْنَامِ حَوْلَ الْمَدُورِ (6)

- (7) الْمَدُورُ: يَعْنِي الدَّوَّارَ الَّذِي حَوْلَ الصَّنَمِ، وَهُوَ طُوفَاهُمْ (8) -.

أَنَا ابْنُ الَّذِي رَدَّ الْمَنِيَةَ فَضْلَهُ *** فَمَا حَسَبَ دَافَعْتَ عَنْهُ بِمَعُورٍ (9)

/وَفَارَقَ لَيْلٍ مِنْ نِسَاءِ أَتَتْ أَبِي *** تَمَارِسُ رِيحًا لَيْلَهَا غَيْرَ مَقْمَرٍ (10)

ص: 181

- 1- حادر: سمين الجسم غليظ.
- 2- ماخض: أدركها المخاض.
- 3- بلقوحين: بناقتين حاملتين.
- 4- يقصد أن هناك غيثا في السماء وغيثا في الأرض، فغيث السماء المطر، وغيث الأرض أبوه، وأن أباه خير الغيثين، فإنه لا يخلف إذا أخلفت بروج السماء.
- 5- غير مخفر: غير ناقض للعهد.
- 6- حين بفتح النون وكسرهما، وهم: القوم لا البنات.

7- التكملة من هد، هج.

8- التكملة من هد، هج.

9- معور: معيب.

10- وفارق: «الواو واو رب»، و الفارق: الناقة أخذها المخاض فندت في الأرض، و المراد هنا المرأة لا الناقة، تمارس ريحا... إلخ: تعاني ليلة مظلمة عاصفة الرياح.

فقلت: أجر لي ما ولدت فإنني *** أتيتك من هزلي الحمولة مقتر(1)

/هجفت من العثو الرعوس إذا بدت *** له ابنة عام يحطم العظم منكر(2)

رأس الأرض منها راحة فرمى بها *** إلى خدد منها إلى شرّ مخفر(3)

فقال لها: فيئي فإنني بدمتي *** لبنتك جار من أيها القنور(4)

إسلام أبيه على يد الرسول:

و وفد غالب بن صعصعة إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم(5) فأسلم و قد كان وفده أبوه صعصعة إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم(6) فأخبره بفعله في الموءودات، فاستحسنه و سأله: هل له في ذلك من أجر؟ قال: نعم فأسلم و عمّر غالب، حتى لحق أمير المؤمنين عليًا صلوات الله عليه بالبصرة، و أدخل إليه الفرزدق، و أظنه مات في إمارة زياد و ملك معاوية.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي و هاشم بن محمد الخزاعي، و عبد العزيز بن أحمد عم أبي قالوا: حدثنا الرياشي قال: حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية، قال: حدثني عقاب بن كسيب أبو الخنساء العنبري، قال: حدثني الطفيل بن عمرو الربيعي، عن ربيعة بن مالك بن حنظلة، عن صعصعة بن ناجية المجاشعي جد الفرزدق قال:

قدمت على النبي صَلَّى الله عليه و سلم، فعرض عليّ الإسلام، فأسلمت، و علّمني آيات من القرآن، فقلت: يا رسول الله إني عملت أعمالاً في الجاهلية هل لي فيها من أجر؟ فقال: و ما عملت؟ فقلت: إني أضللت ناقتين لي عشراوين، فخرجت أبغيهما على جمل، فرفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت في أحدهما شيخاً كبيراً، فقلت له: هل أحسست من ناقتين عشراوين؟ قال: و ما نارهما؟ - يعني السّمة - فقلت: ميسم بني دارم، فقال: قد أصبت ناقتيك و نتجناهما، و ظأرتا(7) على أولادهما/و نعش الله بهما أهل بيت من قومك من العرب من مضر، فبينا هو يخاطبني إذ نادته امرأة من البيت الآخر: قد ولدت، فقال: و ما ولدت؟ إن كان غلاماً فقد شركنا في قوتنا، و إن كانت جارية فادفونها، فقالت: هي جارية: أفاندها؟ فقلت: و ما هذا المولود؟ قالت: بنت لي، فقلت:

إني أشتريها منك، فقال: يا أبا بني تميم، أ تقول لي: أتبيعني ابنتك و قد أخبرتك أنني من العرب من مضر؟ فقلت:

إني لا أشتري منك رقبتها، إنما أشتري دمه لئلا تقتلها، فقال: و بم تشتريها؟ فقلت: بناقتي هاتين و ولديهما. قال:

لا- حتى تزيدني هذا البعير الذي تركبه: قلت: نعم، على أن ترسل معي رسولا فإذا بلغت أهلي رددت إليك البعير(8) ففعل، فلما بلغت أهلي رددت إليه البعير(9)، فلما كان في بعض الليل فكرت في نفسي فقلت: إن هذه مكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب، فظهر الإسلام و قد أحيت ثلاثمائة و ستين موءودة، أشتري كلّ واحدة منهن

ص: 182

1- هزلي الحمولة: من هزل الرجل إذا مات ماشيته، مقتر: فقير مقل.

2- هذا البيت من هج، هد، ساقط من ب، الهجف: الجافي الغليظ، العثو: جمع أعشى، و هو الأشعر، منكر: صفة لهجف.

3- منها: من الطفلة، خدد: شقوق.

4- فيئي: ارجعي واطمئني: القنور: الشرس الخلق، وفي هج: فقال لها فيئي إليك فإنني لبتك جار من أبيها القنور

5- التكملة من هد.

6- التكملة من هد.

7- ظأرتا: عطفتا.

8- التكملة من هد، هج.

9- التكملة من هد، هج.

بناقتين عشراوين و جمل، فهل لي في ذلك من أجر يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: هذا باب من البر، و لك أجره إذ منّ الله عليك بالإسلام، قال عباد: و مصداق ذلك قول الفرزدق:

و جدّي الذي منع الوائدات *** و أحيا الوئيد فلم يوأد(1)

أخبرني محمد بن يحيى، عن الغلابيّ، عن العباس بن بكار، عن أبي بكر الهذليّ قال:

وفد صعصعة بن ناجية جدّ الفرزدق على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في وفد من تميم، و كان صعصعة قد منع الوئيد في الجاهلية، فلم يدع تميما تند، و هو يقدر على ذلك، فجاء الإسلام و قد/فدى أربعمائة جارية، فقال للنبي صلّى الله عليه و سلّم:

أوصني، فقال: أوصيك بأملك و أبيك و أخيك و أختك و إمائك، قال: زدني، قال: احفظ ما بين لحييك(2)، و ما بين رجلك.

/ثم قال له عليه السلام: ما شيء بلغني عنك فعلته؟ قال: يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه، و لم أدر أين الوجه، غير أنني علمت أنهم ليسوا عليه، و رأيتهم يئدون بناتهم، فعلمت أنّ ربّهم لم يأمرهم بذلك، فلم أتركهم يئدون، و فديت من قدرت عليه.

و روى أبو عبيدة أنه قال للنبّي صلّى الله عليه و سلّم: إني حملت حمالات في الجاهلية و الإسلام، و عليّ منها ألف بعير، فأديت من ذلك سبعمائة، فقال له: إن الإسلام أمر بالوفاء، و نهى عن الغدر، فقال: حسبي حسبي، و وقي بها.

و روي أنه إنما قال هذا القول لعمر بن الخطاب، و قد وفد إليه في خلافته.

و كان صعصعة شاعرا و هو الذي يقول: أنشدني محمد بن يحيى له:

إذا المرء عادى من يوذك صدره *** و كان لمن عاداك خدنا مصافيا

فلا تسألن عما لديه فإنّه *** هو الداء لا يخفي بذلك خافيا(3)

أبوه يعطي دون أن يسأل:

أخبرني محمد بن يحيى، عن محمد بن زكريا؛ عن عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عديّ، عن عوانة قال:

تراهن نفر من كلب ثلاثة على أن يختاروا من تميم و بكر نفرا ليسألوهم، فأبّهم أعطى، و لم يسألهم عن نسبهم من هم؟ فهو أفضلهم، فاختر كل رجل منهم رجلا؛ و الذين اختيروا عمير بن السليك(4)، بن قيس بن مسعود الشيبانيّ، و طلبه بن قيس بن عاصم المنقريّ، و غالب بن صعصعة المجاشعيّ أبو الفرزدق، فأتوا ابن السليك فسألوه مائة ناقة، فقال: من أنتم؟ فانصرفوا عنه.

ثم أتوا طلبه بن قيس، فقال لهم مثل قول الشيبانيّ، فأتوا غالبا، فسألوه، فأعطاهم مائة ناقة و راعيها، و لم يسألهم من هم فساروا بها ليلة، ثم ردّوها، و أخذ صاحب غالب الرهن، و في ذلك يقول الفرزدق:

1- في هج «والمختار»: «الوائدين» بدل الوائدات و المعنى و الوزن لا يتغير.

2- يعني لسانك.

3- يريد أن يقول: إن صديق عدوك و عدو صديقك عدو لك.

4- في هج: «عمر بن السلوك» و في هد: عمر بن السليل».

وإذا ناحبت(1) كلب على الناس أيهم *** أحق بتاج الماجد المتكرم(1)

على نفر هم من نزار ذوي العلا *** وأهل الجرائم التي لم تهدم(2)

فلم يجز عن أحسابهم غير غالب *** جرى بعنان كل أبيض خضرم(3)

سحيم يعجز عن مباراة أبيه في كرمه:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة، عن جهم السليطي، عن إياس بن شبة، عن عقاب بن صعصعة، قال:

أجدبت بلاد تميم، وأصاب بني حنظلة سنة(4) في خلافة عثمان، فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة، فانتجعتها بنو حنظلة، فنزلوا أقصى الوادي، وتسرع غالب بن صعصعة فيهم وحده دون بني مالك(5) بن حنظلة، ولم يكن مع بني يربوع من بني مالك غير غالب(6)، فنحر ناقته فأطعمهم إياها، فلما وردت إبل سحيم بن وثيل الرياحي حبس منها ناقة، فنحرها من غد، فقيل لغالب: إنما نحر سحيم مواءمة لك - أي مساواة لك - فضحك غالب، وقال: كلا، ولكنه امرؤ كريم، وسوف انظر في ذلك، فلما وردت إبل غالب حبس منها ناقتين، فنحرهما، فأطعمهما بني يربوع، فعقر سحيم ناقتين، فقال غالب: الآن علمت أنه يوائمني، فقعر غالب عشرا، فأطعمها بني يربوع فعقر سحيم عشرا، فلما بلغ غالبا فعله ضحك، وكانت إبله ترد لخمس، فلما وردت عقرها كلها عن آخرها، فالمكث يقول: كانت أربعمائة، والمقل يقول: كانت مائة، فأمسك سحيم حينئذ؛ ثم إنه عقر في خلافة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بكناسة الكوفة مائتي ناقة وبعير، فخرج الناس بالزنايل/و الأطباق والحبال لأخذ اللحم، ورأهم علي عليه السلام، فقال: أيها الناس لا يحل لكم، إنما أهل(7) بها لغير الله عز وجل. قال: فحدثني من حضر ذلك قال: كان الفرزدق يومئذ مع أبيه وهو غلام، فجعل غالب يقول: يا بني، اردد علي، والفرزدق يردّها عليه، ويقول له: يا أبت اعقر، قال جهم: فلم يغن عن سحيم فعله، ولم يجعل كغالب إذا لم يطق فعله.

يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن:

حدثني محمد بن يحيى عن محمد بن القاسم - يعني أبا العيناء - عن أبي زيد النحوي، عن أبي عمرو قال:

جاء غالب أبو الفرزدق إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بالفرزدق بعد الجمل بالبصرة، فقال: إن ابني هذا من شعراء مضر(8) فاسمع منه، قال: علمه القرآن، فكان ذلك في نفس الفرزدق، فقيّد نفسه في وقت، و آلى:

لا يحلّ قيده حتى يحفظ القرآن.

ص: 184

1- في ب «ناديت» بدل «ناحبت» و ناحبت: راهنت.

2- الجرائم: جمع جرثومة، وهي الأصل.

3- الخضرم: الكريم المعطاء.

4- سنة: جذب.

5- التكملة من هد، هج.

6- التكملة من هد، هج.

7- يقال: أهل الذابح: رفع صوته عند ذبح الضحية باسم من قدمها قربانا له.

8- في هج، هد: «أن ابني هذا من أشعر مضر، أو شاعر مضر».

عريق في قرص الشعر:

قال محمد بن يحيى: فقد صح لنا أن الفرزدق كان شاعرا موصوفا أربعا و سبعين سنة، و ندع ما قبل ذلك، لأن مجيئة به بعد الجمل - على الاستظهار - كان في سنة ست و ثلاثين، و توفي الفرزدق في سنة عشر و مائة في أول خلافة هشام هو و جرير و الحسن البصري و ابن سيرين في ستة أشهر، و حكى ذلك عن جماعة، منهم الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه.

أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن الغلابي، عن ابن عائشة أيضا، عن أبيه قال: قال الفرزدق أيضا:

كنت أجد الهجاء في أيام عثمان، قال: و مات غالب أبو الفرزدق في أول أيام معاوية و دفن بكازمة فقال الفرزدق يرثيه:

لقد ضمت الأكفان من آل دارم *** فتى فائض الكفين محض الضرائب (1)

أيهما أشعر، هو أو جرير؟:

أخبرني حبيب المهلب قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني جعفر بن محمد العنبري، عن خالد بن أم كلثوم، قال:

قيل للمفضل الضبي: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال الفرزدق: قال: قلت: و لم؟ قال: لأنه قال بيتا هجا فيه قبيلتين و مدح فيه قبيلتين (2) و أحسن في ذلك (3) فقال:

عجبت لعجل إذ تهاجي عبيدها *** كما آل يربوع هجوا آل دارم (4)

فقيل له: قد قال جرير:

إن الفرزدق و البعث و أمه *** و أبا البعث لشر ما إستار (5)

فقال: و أي شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان و فلان و فلان و الناس كلهم بنو الفاعلة!

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة معمر بن المثنى:

كان الشعراء في الجاهلية من قيس، و ليس في الإسلام مثل حظّ تميم في الشعر، و أشعر تميم جرير و الفرزدق (6)، و من بني تغلب الأخطل (7).

قال يونس بن حبيب: ما ذكر جرير و الفرزدق في مجلس شهادته قط فاتفق المجلس على أحدهما، قال: و كان يونس فرزدقيًا.

ص: 185

1- محض: خالص، الضرائب: جمع ضريبة بمعنى الطبيعة و السجية، يقول: إن سجايا أبيه و طبائعه خالصة مما يشينها.

2- التكملة من هد، هج.

3- التكملة من هد، هج.

4- القبيلتان الممدوحتان: عجل و دارم، و القبيلتان المهجوتان: يربوع و القبيلة التي عبر عنها بقوله: عبيدها.

5- إستار: لفظ معرب بمعنى أربعة.

6- التكملة من هد.

7- التكملة من هد.

أخبرني عمي، عن محمد بن رستم الطبري، عن أبي عثمان المازني قال:

مر الفرزدق/بابن ميادة(1) الرماح و الناس حوله(2) و هو ينشد:

لو أنّ جميع الناس كانوا بريوة*** و جئت بجدي ظالم و ابن ظالم

لظلت رقاب الناس خاضعة لنا*** سجودا على أقدامنا بالجمام

فسمعه الفرزدق، فقال: أما و الله يا بن الفارسية لتدعته لي أو لأنبشّن أمك من قبرها، فقال له ابن ميادة: خذه لا بارك الله لك فيه، فقال الفرزدق:

لو أنّ جميع الناس كانوا بريوة*** و جئت بجدي دارم و ابن دارم

لظلت رقاب الناس خاضعة لنا*** سجودا على أقدامنا بالجمام

عود إليه هو و جرير:

أخبرني عمي، عن الكراني، عن أبي فراس الهيثم بن فراس، قال: حدثني ورقة بن معروف، عن حماد الرواية قال:

دخل جرير و الفرزدق على يزيد بن عبد الملك و عنده بنية له يشمها فقال جرير: ما هذه يا أمير المؤمنين عندك؟ قال: بنية لي، قال: بارك الله لأمير المؤمنين فيها. فقال الفرزدق: إن يكن دارم يضرب(3) فيها فهي أكرم العرب، ثم أقبل يزيد على جرير فقال: مالك و الفرزدق؟ قال: إنه يظلمني و يبغي عليّ، فقال الفرزدق: وجدت آبائي يظلمون آباءه فسرت فيه بسيرتهم، قال جرير: و أما و الله(4) لتردّن الكبائر على أسافلها سائر اليوم، فقال الفرزدق: أمّا بك يا حمار بني كليب فلا، و لكن إن شاء صاحب السرير، فلا و الله ما لي كفاء غيره، فجعل يزيد يضحك.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن حبيب، عن ابن الأعرابي، عن حماد الرواية قال:

أنشدني الفرزدق يوما شعرا له ثم قال لي: أتيت الكلب - يعني جريرا - قلت: نعم، قال: أفأنا أشعر أم هو؟ قلت: أنت في بعض و هو في بعض، قال: لم تناصحني، /قال: قلت: هو أشعر منك إذا أرخى من خناقة(5)، و أنت أشعر منه إذا خفت أو رجوت، قال(6): قضيت لي و الله عليه(7) و هل الشعر إلا في الخبر و الشر.

قال: و روى عن أبي الزناد عن أبيه قال:

قال لي جرير: يا أبا عبد الرحمن: أنا شعرا أم هذا الخبيث - يعني الفرزدق - و ناشدني لأخبرته، فقلت: لا و الله ما يشاركك و لا يتعلق بك في النسب قال: أوه(8) قضيت و الله له عليّ، أنا و الله أخبرك: ما دهاني، إلا أتني

- 1- التكملة من هد، هج. هج.
- 2- التكملة من هد، هج. هج.
- 3- يريد أنها أكرم العرب إن كان ثمة نسب يصلها بدارم.
- 4- في هج: «أما والله لئن شئت لثرون. إلخ». ولعل المعنى: لو أردت رددت كبائر أسلافك على أسافلها، أي عليك. وفي العبارة غموض.
- 5- لعله يريد بقوله: «إذا أرخى من خناقه» أنه أشعر إذا أمن، أو انطلق، و العبارة أيضا يكتنفها غموض.
- 6- التكملة من هد، هج. هج.
- 7- التكملة من هد، هج. هج.
- 8- أوه - بفتح الهمزة و سكون الواو و كسر الهاء -: كلمة توجع.

هاجيت كذا و كذا شاعرا، فسَمي عددا كثيرا، و أنه تفرّد لي و حدي(1).

خبره مع النوار:

إشارة

أخبرني عبد الله قال: قال المازني: قال أبو علي الحرمازي:

كان من خبر الفرزدق و التّوار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقّال المجاشعيّ - و كانت ابنة عمه - أنه خطبها رجل من بني عبد الله بن دارم فرضيته، و كان الفرزدق وليّها، فأرسلت إليه أن زوّجني من هذا الرجل، فقال:

لا- أفعل أو تشهدينني أنك قد رضيت بمن زوّجتك، ففعلت، فلما توثّق منها، قال: أرسلني إلى القوم فليأتوا، فجاءت بنو عبد الله بن دارم فشحنوا مسجد بني مجاشع و جاء الفرزدق، فحمد الله، و أثني عليه ثم قال: قد علمتم أن النوار قد ولّنتي أمرها، و أشهدكم أنني قد زوجتها نفسي على مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة. فنفرت من ذلك و أرادت الشخصوص إلى ابن الزبير حين أعيها أهل البصرة(2) ألاّ يطلقوها من الفرزدق حتى يشهد لها الشهود، و أعيها الشهود أن يشهدوا لها اتّقاء الفرزدق، و ابن الزبير يومئذ أمير(3) الحجاز و العراق يدعي له بالخلافة/ - فلم تجد من يحملها، / أو أت فتية من بني عديّ بن عبد مناة بن أد، يقال لهم بنو أمّ التّسير، فسألتهم برحم تجمعهم و إياها - و كانت بينها و بينهم قرابة - فأقسمت عليهم أمها: ليحملنها، فحملوها، فبلغ ذلك الفرزدق، فاستنهض عدّة من أهل البصرة فأنهضوه، و أوقروا له عدة من الإبل، و أعين بنفقة، فتبع التّوار، و قال:

أطاعت بني أم التّسير فأصبحت *** على شارف و رقاء صعب ذلولها(4)

و إنّ الذي أمسى يخبّب زوجتي *** كماش إلى أسد الشّري يستبيلها(5)

فأدرکها و قد قدمت مكة، فاستجارت بخولة بنت منظور بن زبّان بن سيار الفزاري، و كانت عند عبد الله بن الزبير، فلما قدم الفرزدق مكة اشرب الناس إليه، و نزل على بني عبد الله بن الزبير، فاستنشده، و استحدثوه ثم شفّعوا له إلى أبيهم، فجعل يشفّعهم في الظاهر، حتى إذا صار إلى خولة قلبته عن رأيه، فمال إلى التّوار، فقال الفرزدق في ذلك:

صوت

أمّا بنوه فلم تقبل شفاعتهم *** و شقّعت بنت منظور بن زبّان(6)

ليس الشّفيح الذي يأتيك مؤتزا *** مثل الشّفيح الذي يأتيك عربيانا

لعريب في هذا البيت خفيف رمل.

قال: و سفر بينهما رجال من بني تميم كانوا بمكة، فاصطلحا على أن يرجعا إلى البصرة، و لا يجمعهما ظل و لا كنّ حتى يجمعا في أمرهما ذلك بني تميم، و يصيرا على حكمهم. ففعلا، فلما صارا إلى البصرة رجعت إليه النوار بحكم عشيرتها.

- 1- في ب: «وحده» و الصواب «وحددي» كما في هج.
- 2- في هج و هد: «حين أعيها أمراء البصرة».
- 3- في هج: «و ابن الزبير يومئذ أمير المؤمنين بالحجاز و العراق».
- 4- الشارف: الناقة المسنة، و الورقاء: ما في لونها بياض إلى سواد.
- 5- يخبب زوجتي: يخذعها و يفسدها، يستيلها: يطلب بولها، و في هد: «يستيلها» أن يطلب نوالها.
- 6- ضمير «بنوه» يعود على عبد الله بن الزبير.

قال: وقال غير الحرمازي: إن ابن الزبير قال للفرزدق: جئني بصداقها وإلا فرقت بينكما، فقال الفرزدق:

أنا في بلاد غربة فكيف أصنع؟ قالوا له: عليك بسلم بن زياد، فإنه محبوب في السجن يطالبه ابن الزبير بمال، فأتاه فقصص عليه قصته قال: كم صداقها؟ قال: أربعة آلاف درهم، فأمر له بها وبألفين للنفقة، فقال الفرزدق:

دعي مغلقي الأبواب دون فعالهم *** ولكن تمشي بي - هبلت - إلى سلم (1)

إلى من يرى المعروف سهلا سبيله *** ويفعل أفعال الرجال التي تنمي (2)

قال: فدفعها إليه ابن الزبير، فقال الفرزدق:

هلمّي لابن عمك لا تكوني *** كمختار على الفرس الحمارا

قال: فجاء بها إلى البصرة - وقد أحبلها - فقال جرير في ذلك:

ألا تلکم عرس الفرزدق جامحا *** ولو رضيت رمح استه لاستقرت (3)

فأجابه الفرزدق، وقال:

و أمك لو لاقيتها بطمرة *** وجاءت بها جوف استه لاستقرت (4)

وقال الفرزدق وهو يخاصم النوار:

/تخاصمني وقد أولجت فيها *** كراس الصّبّ يلتمس الجراد (5)

قال الحرمازي: ومكثت النوار عنده زمانا، ترضى عنه أحيانا، وتخاصمه أحيانا، وكانت النوار امرأة صالحة، فلم تزل تشمئز منه، وتقول له: ويحك! أنت تعلم أنك إنما تزوجت بي ضغطة (6) وعلى خدعة، ثم لا تزال في كل ذلك، حتى حلفت بيمين موثقة، ثم حنثت. وتجنبت فراشه، فتزوج عليها امرأة يقال لها جهيمة (7) من بني النمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد بن ضبيعة (8) وأمها الخميصة من بني الحارث بن عباد، فنافرت الخميصة، واستعدت عليه فأنكرها الفرزدق، وقال: إنها مني بريء طالق وطلق ابنتها، وقال:

إن الخميصة كانت لي ولا بنتها *** مثل الهراسة بين الثعل والقدم (9)

إذا أتت أهلها مني مطلقة *** فلن أردّ عليها زفرة اللّدم (10)

ص: 188

1- الخطاب لناقته ونحوها، مغلقي الأبواب: يجوز فيها فتح لام مغلق وكسرها، وعلى الأول، تكون من قبيل إضافة اسم المفعول إلى نائب فاعله، وعلى الثاني تكون من إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله والفعال: الكرم وحسن الصنيع، هبلت: جملة معترضة بمعنى ثكلتك أمك أن لم تطعني.

- 2- تنمي: من نما الشيء الشيء بمعنى رفع قدره، و المفعول محذوف، أي تنمي أحسابها بمعنى تزيدها شرفاً.
- 3- إضافة الرمح إلى الاست من باب التهكم و السخرية، و من أسماء الذكر «رميح» كزبير.
- 4- الطمرة: الفرس السريعة العدو. يقول: لو ألقينا بالفرس في جوف است أمك لا تسع لها.
- 5- رأس الضب، يضرب بها المثل في الصلابة، يقال: حريذيب دماغ الضب، لأن الضب لا يعيش إلا في الصحاري، و من أمثالهم: «حتى يؤلف بين الضب و النوق».
- 6- ضغطة: اضطراب.
- 7- في هج: «رهيمة».
- 8- تكملة من «المختار».
- 9- الهراسة: نوع من الشوك، يقول النابغة: فبت كأن العائدات فرشن لي هراسا به يعلى فراشي و يقشب
- 10- في «النقائض»: أورد البيت على هذا النحو و هو أنسب: إن تأت بنتك من بيتي مطلقه فلن تردي عليها زفرة الندم

جعل يأتي النوار وبه ردع الخلق (1) و عليه الأثر فقالت له النوار: هل تزوجتها إلا هداية - تعني حيا من أزد عمان - فقال الفرزدق في ذلك:

تريك نجوم الليل و الشمس حية *** كرام بنات الحارث بن عباد (2)

أبوها الذي قاد النعام بعد ما *** أبت وائل في الحرب غير تماد (3)

انساء أبوهم الأعز و لم تكن *** من الأزد في جاراتها و هداد

و لم يك في الحي الغموض محلها *** و لا في العمانيين رهط زياد (4)

عدلت بها ميل النوار فأصبحت *** و قد رضيت بالنصف بعد عباد (5)

قال: فلم تزل النوار ترققه، و تستعطفه، حتى أجابها إلى طلاقها، و أخذ عليها ألا تفارقه و لا تبرح من منزله، و لا تتزوج رجلا بعده، و لا تمنعه من مالها ما كانت تبذله له، و أخذت عليه أن يشهد الحسن البصري على طلاقها، ففعل ذلك.

قال المازني: و حدثني محمد بن روح العدوي عن أبي شفق راوية الفرزدق قال:

ما استصحب الفرزدق أحدا غيري و غير راوية آخر، و قد صحب النوار رجال كثيرة، إلا أنهم كانوا يلوذون بالسواري خوفا من أن يراهم الفرزدق، فأتيا الحسن فقال له الفرزدق: يا أبا سعيد، قال له الحسن: ما تشاء؟ قال: أشهد أن النوار طالق ثلاثا، فقال الحسن: قد شهدنا، فلما انصرفنا قال: يا أبا شفق، قد ندمت، فقلت له: و الله إنني لأظن أن دمك يتفرق، أتدري من أشهدت؟ و الله لئن رجعت لترجمن بأحجارك، فمضى و هو يقول:

ندمت ندامة الكسعي لما *** غدت مبي مطلقه نوار (6)

و لو أنني ملكت يدي و قلبي *** لكان علي للقدر الخيار

و كانت جنتي فخرجت منها *** كآدم حين أخرجه الضرار (7)

و كنت كفاقي عينيه عمدا *** فأصبح ما يضيء له النهار

يخاصم كل من يمد يده لمساعدة النوار:

و أخبرني بخبره مع النوار أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيى، عن

1- ردع الخلق: ربح الطيب.

2- كرام: فاعل تريك. يقول: إنهن كالنجوم يبدون مع الشمس مع أن النجوم لا تظهر معها.

- 3- الحارث بن عباد: فارس النعامة «فرسه» من بني بكر. ارجع إلى خبره في «الأغاني» عند الكلام عن حرب تغلب و بكر ابني وائل.
- 4- الحي الغموض: القبيلة التي تخفي مكائنها.
- 5- يريد أنه أدب نوار بزواجه هذا. فرضيت بالنصف (بفتح النون) أي الإنصاف، أو رضيت بالنصف (بكسر النون)، أي بالقسمة بينها وبين الزوجة الجديدة.
- 6- الكسعي: رجل يضرب به المثل في الندامة على كسره قوسه، و كان جربها في عدة ظباء، فظن أنها لم تصبهن، ثم اتضح أنها أقصدتهن جميعا.
- 7- الضرار، من ضاره، يريد أن مخالفة آدم لأمر ربه أخرجه من الجنة.

أنّ التّوار لما كرهت الفرزدق حين زوّجها نفسه لجأت إلى بني قيس بن عاصم (1) المنقري ليمنعوها (2) فقال الفرزدق فيهم:

بني عاصم لا تجنّبوها فإنكم *** ملاجئ للسّوات دسم العمائم (3)

بني عاصم لو كان حيّا أبوكم *** للام بنيه اليوم قيس بن عاصم (4)

فبلغهم ذلك الشعر، فقالوا: والله لئن زدت على هذين البيتين لتقتلنك غيلة، (5) وخلّوه و النوار (6) و أرادت منافرته (7) إلى ابن الزبير، فلم يقدر أحد على أن يكرّها (8) (7) خوفاً منه (9). ثم إن قوماً من بني عدّيّ يقال لهم بنو أم التّسير أكرّوها، فقال الفرزدق:

و لو لا أن يقول بنو عدّيّ *** ألم تك أمّ حنظلة التّوار

أتتكم يا بني ملكان عنيّ *** قواف لا تقسّمها التّجار

وقال فيهم أيضاً:

لعمري لقد أردى التّوار و ساقها *** إلى البور أحلام خفاف عقولها (10)

/أطاعت بني أمّ التّسير فأصبحت *** على قتب يعلو الفلاة دليلها (11)

وقد سخطت منّي التّوار الذي ارتضى *** به قبلها الأزواج خاب رحيلها (12)

وإن امرأ أمسى يخبّب زوجتي *** كساع إلى أسد الشرى يستيلها (13)

و من دون أبواب الأسود بسالة *** و بسطة أيد يمنع الضّيم طولها (14)

وإنّ أمير المؤمنين لعالم *** بتأويل ما وصّى العباد رسولها (15)

ص: 190

1- التكملة من هد، هج.

2- التكملة من هد، هج.

3- في هد، هج: لا تلجئوها، دسم العمائم: من الدسم بمعنى الدنس، أو من دسم البعير: طلاه بالقار، جمع أدسم.

4- قيس بن عاصم المشار إليه كان مضرب المثل في الحلم، و منه تعلم الحلم أحنف بن قيس، و في قيس بن عاصم يقول الشاعر: عليك

سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمها فما كان قيس هللكه هلك واحد و لكنه بنيان قوم تهدما

5- الزيادة من هد.

6- الزيادة من هد.

7- منافرتة: مخاصمته.

- 8- يكرهها: يعطيها دابة بالكراء.
- 9- التكملة من هد.
- 10- في هد «إلى الغور» بدل «إلى البور».
- 11- القتب: الرجل الصغير على قدر سنام البعير.
- 12- في ب «شحطت» و هو تصحيف.
- 13- مضى هذا البيت.
- 14- في «المختار»: «و من دون أبوال الأسود».
- 15- يشير بذلك إلى وجوب طاعة الزوجة لبعلها كما ورد في الشريعة الإسلامية.

فدونكها يا بن الزبير فإنها *** مولعة يوهي الحجارة قيلها(1)

و ما جادل الأقوام من ذي خصومة *** كورهاء مشنوء إليها حليلها(2)

فلما قدمت مكة نزلت على تماضر بنت منظور بن زبّان زوجة عبد الله بن الزبير، ونزل الفرزدق بحمزة بن عبد الله بن الزبير، ومدحه بقوله:

أمسيت قد نزلت بحمزة حاجتي *** إن المنوّه باسمه الموثوق

بأبي عمارة خير من وطئ الحصا *** و جرت له في الصالحين عروق

بين الحواريّ الأعزّ و هاشم *** ثم الخليفة بعد و الصّدّيق(3)

/اغتنى في هذه الأبيات ابن سريج رملا بالبنصر.

قال: فجعل أمر التّوار يقوى، وأمر الفرزدق يضعف، فقال:

أمّا بنوه فلم تقبل شفاعتهم *** و شفّعت بنت منظور بن زبّانا

ملاحظة بينه و بين ابن الزبير:

و قال ابن الزبير للتّوار: إن شئت فرقت بينكما، و قتلته، فلا يهجوننا أبداً، و إن شئت سيّرته إلى بلاد العدو، فقالت: ما أريد واحدة منهما، فقال لها: فإنه ابن عمك و هو فيك راغب، فأزّجك إياه، قالت: نعم، فزوجها منه، فكان الفرزدق يقول: خرجنا و نحن متباغضان، فعدنا متحابين.

قال: و كان الفرزدق قال لعبد الله بن الزبير - و قد توجه الحكم عليه - إنما تريد أن أفارقها فتثب عليها، و كان ابن الزبير حديداً(4)، فقال له: هل أنت و قومك إلا جالية(5) العرب؟.

ثم أمر به فأقيم، و أقبل على من حضر، فقال: إن بني تميم كانوا و ثبوا على البيت قبل الإسلام بمائة و خمسين سنة، فاستلبوه، فاجتمعت العرب عليها لما انتهكت منه ما لم ينتهكه أحد قط، فأجلتها من أرض تهامة، قال: فلقني الفرزدق بعض الناس، فقال: إيه يعيرنا ابن الزبير بالجلاء! اسمع، ثم قال:

فإن تغضب قريش أو تغضب *** فإنّ الأرض توعبها تميم(6)

/هم عدد النجوم و كلّ حيّ *** سواهم لا تعدّ له نجوم

و لو لا بيت مكة ما ثبتتم *** بها صحّ المنابت و الأروم(7)

ص: 191

1- فدونكها: فخذها، و الضمير يعود إلى الأبيات، قيلها: قولها.

- 2- الورهاء: الحمقاء، مشنوء: مبغض، يقول: إنها تخاصمني إليك، وما ذا عسى أن تسمع من حمقاء تكره بعلمها؟.
- 3- يقصد أن حمزة سبط الزبير بن العوام حوارى الرسول، وأنه حفيد هاشم بن عبد مناف، لأن جدته أم الزبير بنت عبد المطلب بن هاشم، وأن جدته زوجة الزبير ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأن أباه الخليفة وفي البيت إقواء.
- 4- حديد: سريع الغضب.
- 5- الجالية: الذين أجلوا، أي أبعادوا عن أوطانهم.
- 6- تغضب الثانية مضارع محذوف إحدى التاءين، معناه تتظاهر بالغضب، توعبها: تأخذها أجمع، ولا تترك منها شيئاً.
- 7- ثويتم: أقمتم. الأروم: جمع أرومة وهي الأصل.

أبها كثر العديد و طاب منكم *** و غيركم أأخذ الريش هيم(1)

فمهلا عن تعلل من غدرتم *** بخونته و عذبه الحميم(2)

أعد الله مهلا عن أذاتي *** فإني لا الضعيف و لا الشوم

و لكئي صفاة لم تدس *** ترل الطير عنها و العصوم(3)

أنا ابن العاقر الخور الصفايا *** بضوي حين فتحت العكوم(4)

قال: فبلغ هذا الشعر ابن الزبير، و خرج للصلاة فرأى الفرزدق في طريقه، فغمز عنقه، فكاد يدقها، ثم قال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا *** و لورضيت رمح استه لاستقرت

و قال: هذا الشعر لجعفر بن الزبير.(5) و قيل: إن الذي كان تقرر عليه عشرة آلاف درهم، و إن سلم بن زياد أمر له بعشرين ألف درهم مهرا و نفقة، فقبضها، فقالت له زوجته أم عثمان بنت عبد الله/بن عمرو بن أبي العاص الثقفيّة: أ تعطي عشرين ألف درهم و أنت محبوس(6)؟ فقال:

ألا بكرت عرسي تلوم سفاهة *** على ما مضى مني و تأمر بالبخل

فقلت لها - و الجود مني سجيّة - *** و هل يمنع المعروف سؤاله مثلي؟(7)

ذريني فإني غير تارك شيمتي *** و لا مقصر طول الحياة عن البذل

و لا طارد ضيفي إذا جاء طارقا *** و قد طرق الأضياف شيخي من قبلي(8)

أبخل؟ إن البخل ليس بمخلدي *** و لا الجود يدنيني إلى الموت و القتل

أبيع بني حرب بآل خويلد! *** و ما ذاك عند الله في البيع بالعدل؟(9)

ص: 192

1- أأخذ الريش: مهيض الجناح، الهيم: النوق العطاش.

2- تعلل: من تعلل، بمعنى: أبدى الحججة و تمسك بها، كأنه يقول: كفوا يا بني قريش عن ادعائكم الشرف على بني تميم الذين غدرتموهم بخيانتكم إياهم، و كان عذابهم على أيدي محالفيهم و أصدقائهم و في بعض النسخ: فمهلا عن تذلل من عززتم بجولته و عزبه الحميم و المعنى: كفوا عن إذلال من كان سببا في عزتكم، و لعل هذه الرواية أنسب.

3- الصفاة: الصخرة، و العصوم: الأوساخ، يقول: أنا صفاة عالية نقيه لا يعف عليها طير، و لا تعلق بها الأوساخ.

4- الخور: النوق الغزر، جمع خوارة، الصفايا: المتتعاة، جمع صفيه، العكوم: مجمع عكم - بكسر العين - و هو ما يحمله الرجل على ظهره من طعام، كأنه يقول: أنا ابن من عقر النوق بضوي حين حطت الرحال و حان وقت الطعام و لعله يشير إلى ما نحره أبوه من إبل في

خلافة عثمان لبني حنظلة على نحو ما سبق.

5- (من هنا إلى رقم 6 في الصفحة التالية) تكملة من «المختار».

6- يبدو أنه كان في حبس ابن الزبير كما هو واضح من الأبيات التالية.

7- المعروف: مفعول ثان مقدم ليمنع، وسؤاله: مفعول أول مؤخر.

8- لعله يعني بشيخه أباه، أو أحد أجداده.

9- خويلد: أبو العوام جد عبد الله بن الزبير.

وليس ابن مروان الخليفة مشبها *** لفحل بني العوام، قَبِح من فحل
فإن تظهروا لي البخل آل خويلد *** فما دأبكم دأبي ولا شكلكم شكلي
وإن تقهروني حين غابت عشيرتي *** فمن عجب الأيام أن تقهروا مثلي
فلما اصطلحا، ورضيت به (1)، ساق إليها مهرها، ودخل بها، وأحبها قبل أن يخرج من مكة.
ثم خرجا وهما عديلان في محمل.

يستصرخ حمزة بن عبد الله بن الزبير:

وأخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد بنحو من هذه القصة.
قال عمر بن شبة: قال الفرزدق في خبره:

يا حمز هل لك في ذي حاجة عرضت *** أنضاؤه بمكان غير ممطور (2)

فأنت أحرى قريش أن تكون لها *** وأنت بين أبي بكر ومنظور (3)

بين الحواريّ والصدّيق في شعب *** ثبتن في طنّب الإسلام والخير (4)

يتقون لسانه:

أخبرنا أبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سلام قال: حدثنا عبد القاهر بن السريّ السلمي، قال:

كان فتى من بني حرام (5) شوبع هجا الفرزدق، قال: فأخذناه، فأتينا به الفرزدق وقلنا: هذا بين يديك فإن شئت فاضرب، و إن شئت فاحلق،
فلا عدوى عليك ولا قصاص، قد برئنا إليك منه، فحلى سبيله وقال:

فمن يك خائفا لأذاة شعري *** فقد أمن الهجاء بنو حرام

هم قادوا سفيهم وخافوا *** قلائد مثل أطواق الحمام

ليس طريقه إلى جهنم:

قال ابن سلام: وحدثني عبد القاهر قال:

مرّ الفرزدق بمجلسنا مجلس بني حرام ومعنا عنبسة مولى عثمان بن عفان، فقال: يا أبا فراس، متى تذهب إلى الآخرة؟ قال: و ما حاجتك
إلى ذاك يا أخي؟ قال: أكتب معك إلى أبي، قال: أنا لا أذهب إلى حيث أبوك، أبوك في النار، أكتب إليه مع ربالويه واصطقانوس.

يغضب على ابن الكلبي لعدم روايته شعره:

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه قال: أخبرني مخبر، عن خالد بن كلثوم الكلبي، قال:

ص: 193

-
- 1- ضمير رضيت: يعود على النوار.
 - 2- أنضاء: جمع نضو، وهو المهزول من الإبل، وذلك كناية عن الجذب والحاجة، وفي بعض النسخ: «أنضاره» بدل «أنضأؤه».
 - 3- يعني منظور بن زبّان جده لأمه.
 - 4- الخير - بكسر الخاء - : الكرم والشرف، وفي «المختار»: «نبتن في طيب الإسلام».
 - 5- في هد: «حزام» بدل «حرام».

مررت بالفرزدق، وقد كنت دَوّنت شيئاً من شعره و شعر جرير، و بلغه ذلك، فاستجلسني، فجلست إليه، و عدت بالله من شره، و جعلت أحدثه/حديث أبيه و أذكر له ما يعجبه، ثم قلت له: إني لأذكر يوم لَقَبك بالفرزدق، قال: و أي يوم؟ قلت: مررت به و أنت صبيّ، فقال له بعض من كان يجالسه: كأنّ ابنك هذا الفرزدق دهقان الحيرة في تيهه و أبهته، فسَمّاك بذلك، فأعجبه هذا القول، و جعل يستعيد، ثم قال: أنشدني بعض أشعار ابن المراغة فيّ، فجعلت أنشده، حتى انتهيت، ثم قال: فأنشد نقائضها التي أحبته بها، فقلت: /ما أحفظها، فقال: يا خالد، أتحفظ ما قاله فيّ و لا- تحفظ نقائضه؟ و الله لأهجونّ كلبا هجاء يتصل عاره بأعقابها إلى يوم القيامة، إن لم تقم حتى تكتب نقائضها أو تحفظها و تشدينها، فقلت: أفعل فلزمته شهرا، حتى حفظت نقائضها، و أنشدته إياها خوفا من شره.

بكايد النوار بحدراء فتستعدي عليه جريرا:

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي قال:

تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني، و خاصمته النّوار و أخذت بلحيتها، فجادبها و خرج عنها مغضبا و هو يقول:

قامت نوار إليّ تنتف لحيتي *** تنتاف جعدة لحية الخشخاش

كلتاها أسد إذا ما أغضبت *** و إذا رضين فهنّ خير معاش

قال: و الخشخاش رجل من عنزة، و جعدة امرأته، فجاءت جعدة إلى النّوار، فقالت: ما يريد مني الفرزدق؟ أما وجد لامرأته أسوة غيري.

و قال الفرزدق للنّوار يفضّل عليها حدراء.

لعمري لأعرايية في مظلة *** تظلّ بروقي بيتها الريح تخفق(1)

أحبّ إلينا من ضناك ضفّنة *** إذا وضعت عنها المراويح تعرق(2)

كريم غزال أو كدرّة غائص *** تكاد - إذا مرت - لها الأرض تشرق

/فلما سمعت النّوار ذلك أرسلت إلى جرير، و قالت للفرزدق: و الله لأخزيتك يا فاسق فجاء جرير، فقالت له: أما ترى ما قال الفاسق، و شكته إليه، و أنشدته شعره، فقال جرير: أنا أكفيك، و أنشأ يقول:

و لست بمطي الحكم عن شفّ منصب *** و لا عن بنات الحنظليين راغب(3)

و هنّ كماء المزن يشفي به الصّدى *** و كانت ملاحا غيرهنّ المشارب(4)

ص: 194

1- روقي: تثنية روق، و من معانيه رواق البيت.

2- الضناك: الموثق الخلق الشديد (يستوي فيه المذكر و المؤنث). الضفّنة: الحمقاء الكثيرة اللحم، يقول: إن أعرايية - يقصد حدراء - تخفق في بيتها الريح أحب من النّوار الشديدة الخلق الحمقاء المترهلة التي يتفصد جسمها عرقا إذا لم تسعفها المراح.

3- الشف: الفضل، يقول: إنك لم تعط الحكم على النساء و المفاضلة بينهن، فليس لك منصب فاضل يؤهلك لذلك، و ليس ثمة من يرغب عن بنات الحنظليين اللاتي منهن نوار.

4- ملاحا: من الملوحة لا- الملاحه، يقول: إن بنات الحنظليين يروين غلة الظمان كما ترويه مياه المطر، و غيرهن يروون الظمان ظماً لملوحة مائهن.

لقد كنت أهلاً أن يسوق دياتكم *** إلى آل زيق أن بعيبك عائب(1)

وما عدلت ذات الصليب ظعينة *** عتبية و الردفان منها و حاجب(2)

أهديت يا زيق بن بسطام طيبة *** إلى شر من تهدي إليه القرائب(3)

ألا ربّما لم نعط زيقا بحكمه *** وأدى إلينا الحكم والغلّ لازب(4)

/حوينا أبا زيق و زيقا وعمّه *** و جدّه زيق قد حوتها المقانِب(5)

فأجابه الفرزدق فقال:

تقول كليب حين مئت سبالها *** وأعشب من مروتها كلّ جانب(6)

لسواق أغنام رعتهنّ أمّه *** إلى أن علاها الشيب فوق الذوائب(7)

ألست إذا القعساء مرت براكب *** إلى آل بسطام بن قيس بخاطب(8)

وقالوا: سمعنا أنّ حدراء زوّجت *** على مائة شمّ الذرى والغوارب(9)

فلو كنت من أكفاء حدراء لم تلم *** على دارمي بين ليلي وغالب

ففل مثلها من مثلهم ثم أمهم *** بملكك من مال مراح و عازب(10)

وإني لأخشى إن خطبت إليهم *** عليك الذي لاقى يسار الكواعب(11)

ص: 195

1- عائب فاعل يسوق ويعيب (تنازع) يقول: قد كنت حريا أن يسوق ديتك إلى آل زيق عائب على زواجك منهم بدل أن تسوق إليهم أنت المهر، أن يعيبك، خشية أن يعيبك، وفي الأصل «لئن» بدل «لقد» وهو تحريف فليس في الكلام جواب لشرط أو قسم.

2- ذات الصليب: حدراء، فإنها كانت نصرانية، الظعينة: الزوجة، و جملة المصراع الثاني صفة ظعينة، عتبية: هو ابن الحارث بن شهاب، الردفان هما عتاب بن هرمي، وعوف بن عتاب بن هرمي: و حاجب: هو ابن زرارة، و الردف هو خليفة الملك يشرب بعده و ينوب عنه إذا غاب، و إنما أراد بتعداد هؤلاء بيان فضل النوار.

3- الاستفهام في البيت إنكارى، يريد أنه لا يؤمن على القرائب من النساء، فما بالك بغيرهن، و منع بسطاما من الصرف للضرورة، و في بعض النسخ: أهديت يا زيق بن زيق غريبة إلى شر من تهدي إليه الغرائب؟

4- زيق: أبو حدراء، ضرة النوار، و الغلّ: القيد، و لازب: لازم، يريد أن زيقا - و قد كان نصرانيا - شرب كأس المهانة و الذل من أيدينا و البيت من «المختار» و ساقط من نسخ «الأغاني».

5- المقانِب: جمع مقنّب، و هو جماعة الخيل و البيت من «المختار» ساقط من «الأغاني».

- 6- مئت: أخصبت، سبالها: سنابل زرعها، مروت: جمع مرت، و هو القفز لا نبات به، وقد تضاربت الأصول في ألفاظ هذا البيت كل تضارب، و هذا ما اخترناه منها.
- 7- هذا البيت من هد و يقصد بسائق الأغنام جريرا نفسه.
- 8- القعساء: من قعس الفرس إذا اطمأنت صهوته، و ارتفعت قطاته، و الأبيات الثلاثة مسوقة سياق التهكم، يقول: تقول كليب قبيلة جرير الراعي ابن الراعية إذا رأته سائقا فرسه: هل تريد أن تخطب من آل بسطام؟.
- 9- شم الذرى و الغوارب: عالية الأسنمة و الظهور.
- 10- تكملة من «المختار»، هد.
- 11- يشير بقوله: يسار الكواعب إلى قصة رجل يحمل هذا الاسم، كان عبدا لسيدة من بني غدانة، فطمع فيها، و طلب يدها، فردته مرارا، فجعل يلح عليها، فتظاهرت بالقبول، و قالت: حتى أجمرك، ثم استحضرت مجمرة و أخفت في ثيابها مدية حادة، و جعلت تجمره، ثم مدت يدها إلى قضيبه، فظن أنها تداعبه، و لكنها أخرجت المدية من ثيابها، و استأصلته فجعل يصيح: «مرحبا بمجامر الكرام» فذهبت مثلا.

و لو تنكح الشمس النجوم بناتها *** نكحنا بنات الشمس قبل الكواكب

(1) وفي المناقضات التي دارت بين الفرزدق و جرير حول زواج بنت زيق، قال جرير أبياته التي أولها:

يا زيق أنكحت قينا في استه حمم *** يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق (2)

أين الألى أنزلوا النعمان ضاحية *** أم أين أبناء شيبان الغرائق؟ (3)

يا رب قائلة بعد البناء بها: *** لا الصهر راض ولا ابن القين معشوق

غاب المثنى فلم يشهد نجيكما *** و الحوفزان و لم يشهدك مفروق (4)

و الفرزدق يقول لجرير:

إن كان أنفك قد أعياك محمله *** فاركب أتانك ثم اخطب إلى زيق (5)

خبران عن ولديه:

أخبرني الحسن بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الهيثم بن عدي، عن زكريا بن ثبابة الثقفي (6) قال:

أنشدني الفرزدق قصيدته التي رثى فيها ابنه، فلما انتهى إلى قوله:

بني الشامتين الصخر إن كان مسني *** رزية شبل مخدر في الصراغم (7)

[فلما فرغ] (8) قال: يا أبا يحيى، أ رأيت ابني؟ قلت: لا، قال: والله ما كان يساوي عباءته.

بنو تغلب أعطوا ابنه مائة ناقة:

قال إسحاق: حدثني أبو محمد العبدى، عن اليربوعي، عن أبي نصر قال: قدم لبطة بن الفرزدق الحيرة، فمر بقوم من بني تغلب فاستقراهم فقروه، ثم قالوا له: من أنت؟ قال: ابن شاعركم و مادحكم، و أنا و الله ابن الذي يقول فيكم:

أضحى لتغلب من تميم شاعر *** يرمي الأعادي بالقريض الأثقل

ص: 196

1- ساقط من «الأغاني» و أثبتناه من «المختار».

2- القين: الحداد، و يطلق على كل صانع، و كانت العرب تعتبر ذلك مهانة، و الحمم: الفحم و كل ما بقي من آثار الاحتراق، كأنه يرمي الفرزدق بسواد استه، و رواية ابن سلام تفيد أن البيت ملفق من بيتين هما: يا زيق قد كنت من شيبان في حسب يا زيق ويحك من أنكحت يا زيق! أنكحت ويحك قينا باسته حمم يا زيق ويحك هل بارت بك السوق!

- 3- يريد أن قومه من شيبان قهروا النعمان بن المنذر، و الغرائق جمع غرنوق: الشاب الممتلى الناعم وفي رواية: «استنزلوا النعمان مقتسرا» بدل «أنزلوا النعمان ضاحية»، و يلاحظ أن الفرزدق هنا يشيد بزيق و قومه، بعد ما هبط بهم إلى الحضيض في قوله: «حونا أبا زيق و زيقا و أمه... إلخ ما تقدم».
- 4- يعدد في هذا البيت أقطاب شيبان - و المثنى: هو المثنى بن حارثة بطل الحروب الفارسية في عهد أبي بكر، و الحوفزان، هو الحارث بن شريك بن الصلب، و مفروق: هو النعمان بن عمرو الأصم.
- 5- ساقط من «الأغاني» و أثبتناه من «المختار».
- 6- في هد: «زكريا بن هشام الثقفي».
- 7- بفي: بقم، و هو خبر مقدم عن الصخر، و الجملة دعائية، مخدر: ملازم خدره، و الخدر من معانيه مقر الأسد، يعني أنه لم يتأثر بموت ابنه هذا، فقيم يشمت الشامتون، ملأت الصخور أفواههم.
- 8- زيادة من الطبعة البولاقية.

إن غاب كعب بني جعيل عنهم *** و تنمّر الشعراء بعد الأخطل(1)

يتباشرون بموته ووراءهم *** مني لهم قطع العذاب المرسل

فقالوا له: فأنت ابن الفرزدق إذا، قال: أنا هو، فتنادوا: يا آل تغلب، اقضوا حق شاعركم و الذائد عنكم في ابنه، فجعلوا له مائة ناقه، و ساقوها إليه، فانصرف بها.

عمرو بن عفراء يتحداه:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: أتى الفرزدق عبد الله بن مسلم الباهليّ فسأله فثقل عليه الكثير، و خشية في القليل، و عنده عمرو بن عفراء الصّبيّ رواية الفرزدق و قد كان هجاء جرير لروايته للفرزدق في قوله:

و تبتّ جؤابا و سلما يسبني *** و عمرو بن عفري. لا سلام على عمرو(2)

فقال ابن عفراء للباهليّ: لا يهولتّك أمره، أنا أرضيه عنك فأرضاه بدون ما كان همّ له به، فأعطاه ثلاثمائة درهم، فقبلها الفرزدق و رضي عنه، فبلغه بعد ذلك صنيع عمرو فقال:

استعلم يا عمرو بن عفري من الذي *** يلام إذا ما الأمر غبّت عواقبه(3)

نهيت ابن عفري أن يعقر أمّه *** كعفر السّلا إذ جرّته ثعالبه(4)

فلو كنت ضيّبا صفحت و لو سرت *** على قدمي حيّاته و عقاربه(5)

و لكن ديافيّ أبوه و أمّه *** بحوران يعصرن السليط أقرابه(6)

و لما رأى الدهنا رمته جبالها *** و قالت ديافيّ مع الشام جانبه(7)

فإن تغضب الدهنا عليك فما بها *** طريق لمرتاد تقاد ركائبه(8)

تضنّ بمال الباهليّ كأنما *** تضنّ على المال الذي أنت كاسبه

و إنّ امرأ يغتابني لم أطأ له *** حريما و لا ينهاه عنّي أقرابه(9)

كمحتطب يوما أساود هضبة *** أتاه بها في ظلمة الليل حاطبه(10)

أ حين التقى ناباي و ابيضّ مسحلي *** و أطرق إطراق الكرى من يجانبه(11)

2- في «الديوان»: «و سكننا يسبني» و في «المختار» «وشيكا يسبني».

3- غبت عواقبه: بلغ مداه.

4- تكملة من هد، و السلا: غشاء يحيط بالجنين عند ولادته.

5- يريد أنه لو كان ضبيًا لاغترف له الإساءة مهما تعظم.

6- دياف: بلد بالشام، السليط: ما يستخرج من الحبوب من الزيوت، و قد جرى في قوله «يعصرن» على لغة أكلوني البراغيث.

7- الدهنا: مقصور الدهناء: موضع لبني تميم.

8- في هد، هج «لزيات» بدل «لمرتاد».

9- في «المختار» «يعتابني» أي يعيبي. و في ف: «تجاربه» بدل: «أقاربه».

10- الأسود: جمع أسود، و هو الحية العظيمة.

11- المسحل: جانب اللحية، يقول: أيسيني حين التقى ناباي، و شابت لحيتي، و نام عدوي بعد أن كان يجفوه النوم، و في هد، هج: «من

أحاربه» بدل من «يجانبه».

فقال ابن عفرء، وأتاه في نادي قومه: أجهد جهدك، هل هو إلا أن تسبني، والله لا أدع لك مساءة إلا أتيتها، ولا تأمرني بشيء إلا اجتنبته و لا تنهاني عن شيء إلا ركبته، قال: فاشهدوا أنني أنهاه أن ينك أمه، فضحك القوم و خجل ابن عفري.

يتطفل فيجاز:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا شعيب بن صخر قال:

/تزوج ذبيان بن أبي ذبيان العدوي من بلعدوية، فدعا الناس في وليمته، فدعا ابن أبي شيخ الفقيمي، فألقى الفرزدق عنده، فقال له: يا أبا فراس، انهض، قال: إنه لم يدعني، قال: إن ابن ذبيان يؤتى وإن لم يدع، ثم لا تخرج من عنده إلا بجائزة فأتيه، فقال الفرزدق حين دخل:

كم قال لي ابن أبي شيخ وقلت له: *** كيف السبيل إلى معروف ذبيان

إن القلوص إذا ألت جآئها *** قدام بابك لم نرحل بحرمان(1)

قال: أجل يا أبا فراس فدخل فتغدى عنده، وأعطاه ثلاثمائة درهم.

يريد أن يتحدى الناس الموت:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو بكر المدني قال:

دخل الفرزدق المدينة فوافق فيها موت طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري - وكان سيدا سخيا شريفا - فقال: يا أهل المدينة، أنتم أذل قوم لله، قالوا: وما ذلك يا أبا فراس؟ قال: غلبكم الموت على طلحة حتى أخذه(2) منكم.

يعطي عروضاً بدل النقد:

و أتى مكة، فأتى عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي - وهو سيد أهل مكة يومئذ - وليس عنده نقد حاضر، وهو يتوقع أعطيته وأعطية ولده وأهله، فقال: والله يا أبا فراس، ما وافقت عندنا نقدا، ولكن عروضاً(3) إن شئت، فعندنا رقيق فرهة(4)، فإن شئت أخذتهم، قال: نعم، فأرسل له بوصفاء من بنيه و بني أخيه، فقال: هم لك عندنا حتى تشخص، وجاءه العطاء، فأخبره الخبر وفداهم، فقال الفرزدق و نظر إلى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد و كان يطوف بالبيت الحرام يتبختر:

/تمشي تبختر حول البيت منتخبا *** لو كنت عمرو بن عبد الله لم تزد(5)

يحتج بشعره:

أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثنا عامر بن أبي عامر - وهو صالح بن رستم الخراز - قال:

أخبرني أبو بكر الهذلي قال:

- 1- الجأجئ: جمع جؤجؤ، و هو عظام الصدر، وإلقاء جأجئ الناقة كناية عن بروكها.
- 2- كأنه كان يريد من أهل المدينة أن يقاوموا الموت، وهذا من أبلغ الرثاء لطلحة بن عبد الرحمن.
- 3- العروض: جمع عرض - بفتح و سكون - وهو ما سوى النقد من المتاع.
- 4- يريد عبيدا و جوارى حسانا.
- 5- تبختر: مضارع محذوف أحد التاءين، و المقصود بالبيت أن عمرا هذا هو وحده الجدير بالتية و الخيلاء.

إننا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل، فقال: يا أبا سعيد: الرجل يقول: لا والله، بلى والله في كلامه، قال: لا يريد اليمين، فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت:

ولست بماخوذ بلغو تقوله *** إذا لم تعمّد عاقدات العزائم(1)

قال: فلم ينشب أن جاء رجل آخر، فقال: يا أبا سعيد. نكون في هذه المغازي فنصب المرأة لها زوج، أفحلّ غشيانها وإن لم يطلقها زوجها؟ فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا فما قلت؟ قال: قلت:

و ذات حليل أنكحتنا رماحنا *** حلالا لمن ييني بها لم تطلق(2)

يهجو إبليس:

قال أبو خليفة: أخبرني محمد بن سلام، وأخبرني محمد بن جعفر قال:

أتى الفرزدق الحسن(3)، فقال: إني هجوت إبليس فاسمع؟ قال لا حاجة لنا بما تقول، قال: لتسمعن أو لأخرجن، فأقول للناس: إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس، قال: اسكت فإنك بلسانه تنطق.

الحسن يتمثل بالشعر:

قال محمد بن سلام: أخبرني سلام أبو المنذر، عن علي بن زيد قال: ما سمعت الحسن متمثلا شعرا قط إلا بيتا واحدا وهو قوله:

الموت باب و كلّ الناس داخله *** فليت شعري بعد الباب ما الدار؟

قال: وقال لي يوما: ما تقول في قول الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيلة *** نعم الفتى وبئت القبيلة

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه وهجا قومه، قال: ما مدح من هجي قومه.

وقال جرير بن حازم: /و لم أسمعه ذكر شعرا قط إلا:

ليس من مات فاستراح بميت *** إنما الميت ميت الأحياء

هل ينقض الشعر الوضوء:

وقال رجل لابن سيرين وهو قائم يستقبل القبلة يريد أن يكبر: أيتوضأ(4) من الشعر؟ فانصرف بوجهه إليه فقال:

ألا أصبحت عرس الفرزدق ناشزا *** ولو رضيت رمح استه لاستقرت

- 1- يريد أن بيته يتطابق مع قوله تعالى: لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ .
- 2- ذات: مفعول مقدم لأنكحتنا، ويريد أن سبايا الحرب إماء يحل الاستمتاع بهن.
- 3- يريد الحسن البصري.
- 4- يقصد: هل يعتبر الشعر من نواقض الوضوء؟ وقد أجابه ابن سيرين عملا لا قولاً، إذ نطق ببيت الفرزدق الفاحش، ثم كبر.

ثم كبر.

من أبياته السيارة:

قال ابن سلام: وكان الفرزدق أكثرهم بيتا مقلدا - والمقلد: المغني (1) المشهور الذي يضرب به المثل - من ذلك قوله:

فيا عجبا حتى كليب تسبني *** كأن أباه نهشل أو مجاشع (2)(3) وقوله:

ليس الكرام بناحليك أباهم *** حتى يردّ إلى عطية نهشل (4)

وقوله:

وكنّا إذا الجبار صعر خده *** ضربناه حتى تستقيم الأخادع (5)

وقوله:

و كنت كذب السوء لما رأى دما *** بصاحبه يوما أحال على الدم (6)

وقوله:

ترجّي ربيع أن تجيء صغارها *** بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

وقوله:

أكلت دوابرها الإكام فمشيها *** مما و جئن كمشية الإعياء (7)

وقوله:

قوارص تأتيني و تحتقرونها *** وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقوله:

أحلامنا تزن الجبال رزاة *** و تخالنا جنا إذا ما نجهل (8)

وقوله (9)

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما *** لأنت المعنى يا جرير المكلف (10)

وقوله:

فإن تنج مني تنج من ذي عظمة*** وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقوله:

ترى كل مظلوم إلينا فراره*** ويهرب منا جهده كلّ ظالم

وقوله:

ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا*** وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وقوله:

فسيف بني عبس وقد ضربوا به*** نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد(11)

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها*** ويقطعن أحيانا مناط القلائد

ص: 200

1- في هد، هج؛ و المقلد: «البيت المستغني» بدل «المغني».

2- كليب: قبيلة جرير، نهشل و مجاشع: من أجداد الفرزدق.

3- تكملة من هد، هج. و عطية: أبو جرير، يقول: لن تعد من الكرام إلا إذا ثبت أن جدي نهشلا من صلب عطية أبيك، وفي بعض النسخ «تعتل» بمعنى تجر جرا عنيفا بدل «نهشل» و هو تحريف.

4- تكملة من هد، هج. و عطية: أبو جرير، يقول: لن تعد من الكرام إلا إذا ثبت أن جدي نهشلا من صلب عطية أبيك، وفي بعض النسخ «تعتل» بمعنى تجر جرا عنيفا بدل «نهشل» و هو تحريف.

5- صعر خده: أماله تكبرا، الأخادع: جمع أخدع: و هو أحد عرقين في جانب العنق.

6- أحال على الدم: أقبل عليه، و يضرب هذا البيت مثلا لمن إن نزلت بصاحبه مصيبة استغلها لمصلحته بدل أن يفرجها عنه.

7- دوابر: جمع دابرة، و هي العرقوب، و الآكام: جمع أكمة، و جئن، من الوجا، و هورقة الحافر أو الخف من كثرة المشي، و البيت وصف للناقة يضمها السير و في هد، هج، «كمشية الأطفال».

8- في هج «و المختار» بدل المصراع الثاني: «و يزيد جاهلنا على الجهال» و المثبت في «الديوان» 717 و ما جاء في هج «و المختار» من قصيدة أخرى في «الديوان»: 730.

9- التكملة من هج، هد. ف.

10- التكملة من هج، هد. ف.

11- يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حين أمسك به خالد غريمه فحاول ورقة بن زهير إنقاذ أبيه، فضرب خالد، فنها سيفه، و ضرب أحد أنصار خالد زهيرا ففلق رأسه.

او كان يداخل الكلام، و كان ذلك يعجب(1) أصحاب النحو، من ذلك قوله يمدح هشام بن إسماعيل المخزوميّ خال هشام بن عبد الملك:

وأصبح ما في الناس إلا مملّكا *** أبو أمه حيّ أبوه يقاربه(2)

وقوله:

تالّله قد سفهت أميّة رأيها *** فاستجهلت سفهاؤها حلماها(3)

وقوله:

ألستم عائجين بنا لعنّا *** نرى العرصات أو أثر الخيام(4)

فقالوا: إن فعلت فأغن عنا *** دموعا غير راقنة السّجام(5)

وقوله:

فهل أنت إن ماتت أتانك راحل *** إلى آل بسطام بن قيس فخاطب(6)

وقوله:

فئل مثلها من مثلهم ثم دلّهم *** على دارميّ بين ليلي و غالب(7)

وقوله:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني *** نكن مثل من - يا ذئب - يصطحبان(8)

وقوله:

إنا وإياك إن بلّغن أرحلنا *** كمن بواديه بعد المحل ممطور(9)

وقوله:

بنى الفارق أمّك و ابن أروى *** به عثمان مروان المصا(10)

وقوله:

إلى ملك ما أمّه من محارب *** أبوه و لا كانت كليب تصاهره(11)

وقوله:

إليك أمير المؤمنين رمت بنا *** هموم المنا والهوجل المتعسف (12)

وعضّ زمان يا بن مروان لم يدع *** من المال إلا مسحتا أو مجلّف (13)

ص: 201

- 1- لا نعتقد أن هذا التداخل كان يعجب النحاة وإنما كانوا يستشهدون به، أما علماء البلاغة فيستشهدون بهذا التداخل على التعقيد اللفظي الذي ينافي الفصاحة.
- 2- أصل تركيب البيت «وأصبح ما في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه» هاء يقاربه تعود على خال هشام بن عبد الملك و هاء أمه تعود على هشام بن عبد الملك، و هاء «أبوه» تعود على خال هشام، أي لا حي يشابه خال الملك إلا الملك الذي جده أبو خاله. وفي رواية: «و ما مثله» بدل «وأصبح» و البيت على تعقيده تافه المعنى، و لوقال: و أصبح ما في الناس إلا مملكا أبو أمه أبوه حي يقاربه لكان أقل تعقيدا مع استقامة الوزن.
- 3- سفه رأيه: حملة على السفه.
- 4- لعنا، أصلها «لعلنا» و هذا هو موضع الشاهد.
- 5- غير راقنة السجام: «دائمة الهملان».
- 6- وفي رواية «فاتت» بدل «ماتت» و البيت متعلق بالمساجلة التي دارت بينه و بين جرير بشأن حدراء، و قد تقدم ذكرها، و إن لم يرد فيها هذا البيت.
- 7- تقدم هذا البيت في المساجلة المشار إليها برواية أخرى، و الأولى أصح.
- 8- الخطاب للذئب، و المداخلة هنا هي فصله بين الموصول «من» وصلته «يصطحبان» بالنداء.
- 9- ضمير «إياك» للممدوح، «و نون بلغن» للرواحل، ممطور: خبر مبتدأ محذوف، تقديره هو، يعني إذا بلغناك كنا كمن أمطر واديه بعد الجذب.
- 10- في بعض النسخ «نما» بدل «بنى» و في بعضها «فما» و الذي نختاره على ما فيه من معازلة هو رواية «الديوان»: هو السيف الذي نصر ابن أروى به عثمان مروان المصابا على أن يكون «مروان» بدلا من ابن أروى، و «عثمان» مفعولا به، و «المصابا» صفتة.
- 11- لعل تركيب البيت السليم إلى ملك أبوه محارب، ما أمه من كليب و لا كانت تصاهره، و ليس بعد ذلك تعسف.
- 12- الهوجل المتعسف: الدليل المتعسف، المسحت: الكسب الخبيث، المجلف: الموقع صاحبه في الجذب، و في البيتين إقواء.
- 13- الهوجل المتعسف: الدليل المتعسف، المسحت: الكسب الخبيث، المجلف: الموقع صاحبه في الجذب، و في البيتين إقواء.

وقوله:

و لقد دنت لك بالتخلف إذ دنت *** منها بلا بخل و لا مبدول(1)

و كأن لون رضاب فيها إذ بدا *** برد بفرع بشامة مصقول(2)

وقوله فيها لمالك بن المنذر:

إن ابن ضباري ربيعة مالكا *** لله سيف صنيعه مسلول(3)

ما نال من آل المعلى قبله *** سيف لكل خليفة و رسول(4)

/ما من يدي رجل أحق بما أتى *** من مكرمات عطاية الأخطار(5)

من راحتين يزيد يقده زنده *** كفاهما ويشد عقد جوار(6)

وقوله:

إذا جتته أعطاك عفوا و لم يكن *** على ماله حال الندى منك سائله(7)

لدى ملك لا تنصف النعل ساقه *** أجل لا، وإن كانت طولا حمائله(8)

وقوله:

و الشيب ينهض في الشباب كأنه *** ليل يسير بجانيه نهار

لا يكذب في مدحه:

قال أبو خليفة: أخبرنا محمد بن سلام قال: حدثني شعيب بن صخر، عن محمد بن زياد، و أخبرني به الجوهري و جحظة عن ابن شبة، عن محمد بن سلام، و كان محمد في زمام الحجاج زمانا قال:

انتهيت إلى الفرزدق بعد موت الحجاج بالردم(9) و هو قائم و الناس حوله(10) ينشد مديح سليمان بن عبد الملك:

و كم أطلقت كفاك من غلّ بائس *** و من عقدة ما كان يرجى انحلالها

كثيرا من الأيدي التي قد تكثفت *** فككت و أعناقا عليها غلالها(11)

قال: قلت: أنا و الله أحدهم، فأخذ بيدي و قال: أيها الناس سلوه عما أقول و الله ما كذبت قط.

يأبى حين يريد:

- 1- دنت، أي حبيبتة، البشام: نوع من الشجر، و البيتان شاهد أيضا على الإقواء.
- 2- دنت، أي حبيبتة، البشام: نوع من الشجر، و البيتان شاهد أيضا على الإقواء.
- 3- في هج «جباري» وفي أخرى «جباري»، وفي هد، هج، «ما زال» بدل «ما نال» «مالكا» بدل من ابن، رسول في البيت الثاني عطف على سيف، فإن عطف على خليفة كان في البيت إقواء.
- 4- في هج «جباري» وفي أخرى «جباري»، وفي هد، هج، «ما زال» بدل «ما نال» «مالكا» بدل من ابن، رسول في البيت الثاني عطف على سيف، فإن عطف على خليفة كان في البيت إقواء.
- 5- يمدح رجلا فيقول: لا يدين أحق بالمكرمات من يده اللتين يستعين بهما يزيد ويشد بهما عقد جواره.
- 6- يمدح رجلا فيقول: لا يدين أحق بالمكرمات من يده اللتين يستعين بهما يزيد ويشد بهما عقد جواره.
- 7- ف: «الردى» تحريف لكلمة «الندى» والمعنى إذا جئته أعطاك عفوا، ولم يكن منك سائل له عند العطاء.
- 8- لا تصف النعل ساقه: لا تبلغ نصفها، كناية عن قصر النعل، وإن كانت طوالا حمائله: كناية عن طول القامة، يريد أنه قصير النعل، لكيلا تعوقه عن الحركة، وإن كان طويل القامة، وقوله «أجل» تأكيد لمضمون الجملة، وقوله: «لا» تأكيد «للا» في المصراع الأول، و هذان البيتان و ما قبلهما تكملة من هج، هد.
- 9- التكملة من هد.
- 10- التكملة من هد.
- 11- كثيرا مفعول مقدم لفككت، والغلال: جمع غل، وهو الطوق و جاء في «اللسان»: جمع الغل أغلال لا يكسر على غير ذلك.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: وسمعت الحارث بن محمد بن زياد يقول:

كتب يزيد بن المهلب لما فتح جرجان إلى أخيه مدركة أو مروان: أحمل إليّ الفرزدق، فإذا شخص فأعط أهله كذا وكذا؛ ذكر عشرة آلاف درهم، فقال له الفرزدق: ادفعها إليّ، قال: اشخص وأدفعها إلى أهلِكَ، فأبى، وخرج وهو يقول:

دعاني إلى جرجان و الرّيّ دونه *** لآتيه إنّي إذا لزعور(1)

لآتي من آل المهلب ثائرا *** بأعراضهم و الدّائرات تدور(2)

سأبى و تأبى لي تميم وربما *** أبيت فلم يقدر عليّ أمير

لم يستطع أهله منعه:

قال أبو خليفة: قال ابن سلام:

وسمعت سلمة بن عيَّاش قال: حبست في السجن، فإذا فيه الفرزدق قد حبسه مالك بن المنذر بن الجارود، فكان يريد أن يقول البيت فيقول صدره وأسبغه إلى القافية، ويجيء إلى القافية فأسبغه إلى الصدر، فقال لي: ممّن أنت؟ قلت: من قريش قال: كلّ أير حمار من قريش، من أيّهم أنت؟ قلت: من بني عامر بن لؤي، قال: لئام والله أذلة، جاورتهم فكانوا شرّ جيران، قلت: ألا أخبرك بأذلّ منهم وألام؟ قال: من؟ قلت: بنو مجاشع، قال: ولم ويلك! قلت: أنت سيدهم وشاعرهم وابن سيدهم، جاءك شرطي مالك، حتى أدخلك السجن، لم يمنعوك. قال: قاتلك الله.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام:

يهجو عمر بن هبيرة:

وكان مسلمة بن عبد الملك على العراق بعد قتل يزيد بن المهلب فلبث بها غير كثير، ثم عزله يزيد بن عبد الملك، واستعمل عمر بن هبيرة على العراق فأساء عزل مسلمة، فقال الفرزدق وأنشدنيه يونس:

أولت بمسلمة الركاب مودّعا *** فارعي فزارة لا هناك المرتع(3)

فسد الزمان و بدّلت أعلامه *** حتى أمية عن فزارة تنزع(4)

ولقد علمت إذا فزارة أمرت *** أن سوف تطمع في الإمارة أشجع(5)

وبحقّ ربك ما لهم و لمثلهم *** في مثل ما نالت فزارة مطمع(6)

عزل ابن بشر و ابن عمرو قبله *** و أخو هراة لمثلها يتوّقع

ابن بشر: عبد الملك بن بشر بن مروان، كان على البصرة، أمره عليها مسلمة. و ابن عمرو: سعيد بن

- 1- فاعل دعاني ضمير يزيد بن المهلب، الري: بلد معروف، ويكنى بذلك عن بعد الشقة، زور: مبالغة من الزيارة.
- 2- في بعض النسخ «زائرا»، والمعنى دعوني لأمدحهم وأثار لأعراضهم، وقد يعرضني ذلك للخطر مستقبلا.
- 3- يشير إلى أن عمر بن هبيرة، من بني فزارة.
- 4- تنزع: تكف أذاها عنها وتجاهلها.
- 5- أشجع: قبيلة خاملة لا شأن لها يقول: ما دامت فزارة وليت الإمارة فسوف تليها أحقر القبائل.
- 6- يعني أنه ما كان لأشجع ومثلها مطمع في الإمارة فأصبحوا الآن يطمعون فيها، وفي بعض النسخ «ولخلق مثلك».

حذيفة بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأخوه هراة: عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص.

ويروى للفرزدق في ابن هبيرة:

أمير المؤمنين وأنت عَفّ *** كريم لست بالطَّبع الحريص (1)

أوليت العراق ورافديه *** فزارياً أخذ يد التميمص (2)

ولم يك قبلها راعي مخاض *** لتأمنه على وركي قلوص (3)

تفنن بالعراق أبو المثنى *** وعلم أهله أكل الخبيص (4)

/وأشدني له يونس:

جهّز فإنك ممتار و مبتعث *** إلى فزارة عيرا تحمل الكمرا (5)

إنّ الفزاريّ لو يعمى فأطعمه *** أير الحمار طيب أبرأ البصرا

إن الفزاريّ لا يشفيه من قرم *** أطائب العير حتى ينهش الذكرا

يقول لما رأى ما في إناهم: *** لله ضيف الفزاريين ما انتظرا (6)

فلما قدم خالد بن عبد الله القسريّ واليا على ابن هبيرة حبسه في السجن، فنقب له سرب، فخرج منه، فهرب إلى الشام، فقال فيه الفرزدق يذكر خروجه:

ولما رأيت الأرض قد سدّ ظهرها *** ولم تر إلا بطنها لك مخرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعد ما *** ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا (7)

فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة *** وما سار سار مثلها حين أدلجا

خرجت ولم تمنن عليك شفاعة *** سوى ربذ التقريب من آل أعوجا (8)

أغرّ من الحوّ اللهمم إذ جرى *** جرى بك محبوبك القرى غير أفحجا (9)

جرى بك عريان الحماتين ليله *** به عنك أرخي الله ما كان أشرجا (10)

ص: 204

2- أخذ: مقطوع، يد القميص: كمه، يكنى بقطع الكم عن قطع اليد أو قصرها.

3- يريد أنه لم يكن يملك إبلا، فكيف يؤتمن الآن على ورك ناقة.

4- أبو المثنى هو عمر بن هبيرة وفي رواية «تعتق» بدل «تقنن»، والمعنى ترفه و تنعم بعد جوع و شظف.

5- ممتار: طالب ميرة، غيرا: مفعول جهز، الكمر: جمع كمره، وهي رأس القضيبي.

6- فاعل يقول ضمير الطيب، وقد يكون ضمير العير.

7- يشير إلى دعاء يونس ربه و هو في بطن الجوت.

8- ربذ التقريب: خفيف الجري، أعوج: حصان عتيق تنسب العرب إليه جياذ الخيل، يقول له خرجت بلا شفاعه، و لم ينجدك إلا جواد كريم.

9- من الحو: من الجياذ السمر الألوان، اللهاميم: جمع لهموم، وهو السريع العدو، القرى: الظهر، أفحج، من الفحج، وهو تداني صدور قدمي الفرس و تباعد عقبيه.

10- الحماتان: لحمتان في ساقى الفرس، أشرج، من أشرج العيبة: أحكم شدها.

و ما احتال محتال كحيلته التي *** بها نفسه تحت الصّريمة أولجا(1)

/او ظلماء تحت الأرض قد خضت هولها *** و ليل كلون الطيلسانيّ أدعجا(2)

هما ظلمتا ليل و أرض تلاقتا *** على جامع من همّه ما تعوّجا(3)

يهجو خالد بن عبد الله القسري أيضا:

/فحدثني جابر بن جندل قال: فقيل لابن هبيرة: من سيد العراق؟ قال: الفرزدق هجاني أميراً و مدحني سوقة و قال الفرزدق لخالد القسري حين قدم العراق أميراً لهشام:

الأقطع الرحمن ظهر مطية *** أتتنا تمطى من دمشق بخالد(4)

و كيف يؤمّ المسلمين و أمّه *** تدين بأنّ الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها الصليب لأمة *** و هدم من كفر منار المساجد

و قال أيضا:

نزلت بجيلة واسطا فتمكّنت *** و نفت فزارة عن قرار المنزل(5)

و قال أيضا:

لعمري لئن كانت بجيلة زانها *** جرير لقد أخزى بجيلة خالد

فلما قدم العراق خالد أميراً أمر على شرطة البصرة مالك بن المنذر بن الجارود، و كان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر يدّعي على مالك قرية(6)، فأبطلها خالد، و حفر النهر الذي سماه المبارك، فاعترض عليه الفرزدق، فقال:

أهلك مال الله في غير حقّه *** على النهر المشنوم غير المبارك

و تضرب أقواما صحاحا ظهورهم *** و تترك حقّ الله في ظهر مالك(7)

/أ إنفاق مال الله في غير كنهه *** و منعا لحقّ المرملات الضرائك؟(8)

مهر حدراء و مصرعها:

أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعيّ قال: قال أعين بن لبطة:

دخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حدراء يستميحه مهرها، فقال له: تزوّجت أعرابية على مائة بعير، فقال

- 1- الصريمة: القطعة من الليل أو القطعة من الرمل، يريد أنه أدخل نفسه في الليل، أو في منفذ رملي نقب له.
- 2- الطيلساني: فيه طلسة، وهي السواد، أدعج: شديد الظلمة.
- 3- يقول: إنه برغم ظلمتي السجن و الليل عرف طريق الهرب، ولم يتعوج أو يضل. وفي ب: «تعرجا» بالراء.
- 4- تمطى أصله تتمطى. وفي «المختار»: «أتتنا تخطى».
- 5- بجيلة: قبيلة خالد، وفي الأصل «فزار» وهو تصحيف «قرار».
- 6- قرية: اسم يطلق على عدة أماكن في العراق، والمراد أحدها.
- 7- يريد أنك تحدّ قوما برآء، و تترك مالكا الذي وليته أميرا للشرطة، وهو أحق بأن يحدّ.
- 8- الاستفهام في البيت إنكاري. المرملات: من أرملت المرأة إذا فقدت زوجها، الضرائك: جمع ضريكة، وهي الفقيرة.

له عنبسة بن سعيد: إنما هي فرائض قيمتها ألفا درهم، - الفريضة عشرون درهما - فقال له الحجاج: ليس غيرها، يا كعب، أعط الفرزدق ألفي درهم.

قال: وقدم الفضيل العنزيّ بصدقات بكر بن وائل،(1) فاشتري الفرزدق مائة بعير بألفين و خمسمائة درهم على أن يشبتها له في الديوان، قال الفرزدق: فصليت مع الحجاج الظهر حتى إذا سلّم، خرجت فوقفت في الدار فرآني، فقال مهيم(2)، فقلت: إن الفضيل العنزي قدم بصدقات بكر بن وائل(3)، وقد اشترت منه مائة بعير بألفين و خمسمائة درهم على أن تحتسب له في الديوان، فإن رأى الأمير أن يأمر لي بإثباتها له فعل، فأمر أبا كعب أن يثبت للفضيل ألفين و خمسمائة درهم، ونسي ما كان أمر له به(4)، قال: فلما جاء الفرزدق بالإبل قالت له النوار:

خسرت صفتك، أتزوج أعرابية نصرانية سوداء مهزولة خمشاء(5) الساقين على مائة من الإبل؟ فقال يعرض بالنوار و كانت أمها وليدة:

لجارية بين السليل عروقتها *** وبين أبي الصهباء من آل خالد(6)

أحقّ بإغلاء المهور من التي *** ربت تردّي في حجور الولاند

/فأبت النوار عليه أن يسوقها كلها، فحبس بعضها، و امتار(7) عليه ما يحتاج إليه أهل البادية، و مضى و معه دليل يقال له أوفى بن خنزير، قال أعين: فلما كان في أدنى الحي رأوا كبشا مذبوحا، فقال الفرزدق: يا أوفى، هلكت و الله حدراء، قال: و ما علمك بذلك؟ قال: و يقال: إن أوفى قال للفرزدق: يا أبا فراس لن ترى حدراء، فمضوا حتى وقفوا على نادي زيق، و هو جالس، فرحب به، و قال له: انزل فإن حدراء قد ماتت، و كان زيق نصرانيا فقال: قد عرفنا أن نصيبك/من ميراثها في دينكم النصف، و هو لك عندنا، فقال له الفرزدق: و الله لا أرزؤك منه قطميرا، فقال زيق: يا بني دارم، ما صاهرنا أكرم منكم في الحياة و لا أكرم منكم شركة في الممات، فقال الفرزدق:

عجبت لحادينا المقحّم سيره *** بنا موجعات من كلال و ظلّعا(8)

ليدنيا ممن إلينا لقاؤه *** حبيب و من دار أردنا لتجمعا

و لو نعلم الغيب الذي من أمامنا *** لكربنا الحادي المطيّ فأسرعا(9)

يقولون: زر حدراء و التّرب دونها *** و كيف بشيء وصله قد تقطّعا(10)

ص: 206

1- التكملة من هج.

2- مهيم: كلمة استفهام بمعنى ما شأنك؟.

3- التكملة من هج.

4- يعني الدراهم الألفين التي أمر عنبسة بإعطائه إياها.

5- خمشاء الساقين: مجرحتهما مشوهتهما.

6- السليل و أبو الصهباء: من أجداد حدراء.

7- أمتار: طلب الميرة، وهي الطعام يجمع للسفر ونحوه.

8- المقحم من قحم - بالتشديد - الفرس الراكب، دخل به في أرض مخوفة، موجعات: مفعول مقحم، ظلعا: معطوف على موجعات، جمع ظالع بمعنى أعرج، والمعنى عجت لحاديننا الذي يسوق إبلنا الكليلة في أرض مخوفة وفي بعض النسخ «المقسم سيره» بدل «المقحم سيره» وفي بعضها «والمختار»: «مزحفات» بدل «موجعات» من أزحف البعير: أعيأ و كل.

9- يريد لو نعلم بوفاة حدراء لعدنا أدراجنا مسرعين.

10- تكملة من «المختار».

يقول ابن خنزير: بكيت ولم تكن *** على امرأة عيني إخال لتدمعا

وأهون رزء لا مرئى غير جازع *** رزينة مرتج الروادف أفرعا(1)

ولست - وإن عزت - علي بزائر *** ترابا على مرموسة قد تضعضعا(2)

(3) وقيل إن التوار كانت استعانت بأم هاشم لا بتماضر، وأم هاشم أخت تماضر؛ لأن تماضر ماتت عند عبد الله بعد أن ولدت له خبيبا و
ثابتا ابني عبد الله بن الزبير، وتزوج بعدها أختها أم هاشم، فولدت له هاشما وحمزة وعبادا، وفي أم هاشم يقول الفرزدق:

تروحت الركبان يا أم هاشم *** وهنّ مناخات لهنّ حين

وحبسن حتّى ليس فيهنّ نافع *** لبيع ولا مركوبهنّ سمين(4)

زوجة أخرى تشز منه:

أخبرنا عبد الله قال: حدثنا محمد بن حبيب قال: حدثني الأصمعي قال:

نشزت رهيمة بنت غني بن درهم التمرية بالفرزدق فطلقها، وقال يهجوها بقوله:

لا ينكحن بعدي فتى نمرية *** مرثلة من بعلمها لبعاد(5)

وبيضاء زعراء المفارق شخنة *** مولعة في خضرة و سواد(6)

لها بشر شئن كأن مضمه *** إذا عانقت بعلا مضم قتاد(7)

قرنت بنفسي الشؤم في ورد حوضها *** فجرعته ملحا بماء رماد

وما زلت - حتى فرق الله بيننا *** له الحمد - منها في أذى و جهاد

تجدد لي ذكرى عذاب جهنم *** ثلاثا تمسيني بها و تغادي(8)

بيكي ولدا له من سفاح:

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثني الحسين(9) بن موسى قال: قال المدائني: لقي الفرزدق جارية لبني نهشل، فجعل ينظر إليها نظرا شديدا، فقالت له: مالك تنظر؟ فوالله لو كان لي ألف حر ما طمعت في واحد منها، قال: ولم يا لخناء(10)؟ قالت: لأنك قبيح المنظر سيئ المخبر فيما أرى، فقال: أما والله لو جربتني لعفى خبري

- 2- مرموسة: ساكنة الرمس تضعضع: قل، يريد أن الريح سفت ما فوق قبرها من التراب فقل.
- 3- تكملة من «المختار». و ضمير «هن» في البيت الأول يعود على الإبل المفهوم من المقام. و البيتان في شكوى الزمان و سوء الحال.
- 4- تكملة من «المختار». و ضمير «هن» في البيت الأول يعود على الإبل المفهوم من المقام. و البيتان في شكوى الزمان و سوء الحال.
- 5- فتى: فاعل ينكحن، مرملة لبعاد: لم يمت عنها زوجها، ولكنه فارقها.
- 6- بيضاء: يريد بياض البرص لا بياض الجمال، زعراء المفارق: قليلة الشعر، شخطة، نحيفة، وفي الأصل «شجنه» وهو تصحيف، مولعة في خضرة و سواد: تعالج برصها بمختلف الألوان.
- 7- لها بشر ششن: لها جلد خشن غليظ.
- 8- ثلاثا: لعله يعني ثلاث سنوات.
- 9- في هد، ف: «محمد بن موسى» بدل الحسين بن موسى.
- 10- اللخناء: القبيحة الكلام.

على منظري، قال: ثم كشف لها عن مثل ذراع البكر، فتضبعت(1) له عن مثل سنام البكر(2) فعالجها، فقالت:

أنكاح بنسيئة؟ هذا شر القضية، قال: ويحك، ما معي إلا جيتي، أفتسلييني إياها ثم تستمها، فقال:

أولجت فيها كذراع البكر *** مد ملك الرأس شديد الأسر(3)

زاد على شبر ونصف شبر *** كأنني أولجته في جمر

يطير عنه نفيان السّعر *** نفى شعور الناس يوم النحر(4)

قال: فحملت منه، ثم ماتت، فبكاها وبكى ولده منها.

وغمد سلاح قد رزئت فلم أنح *** عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفي جوفه من دارم ذو حفيظة *** لو أنّ المنايا أنساته لياليا

ولكنّ ريب الدهر يعثر بالفتى *** فلم يستطع ردّا لما كان جائيا(5)

وكم مثله في مثلها قد وضعته *** وما زلت وثّابا أجرّ المخازيا(6)

/فقال جرير يعيره:

واكم لك يا بن القين إنّ جاء سائل *** من ابن قصير الباع مثلك حامله(7)

وآخر لم تشعر به قد أضعته *** وأوردته رحما كثيرا غوائله(8)

يتزوج ظبية فيعجز عن إتيانها:

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثني محمد بن سليمان الكوفي(9) عن أبيه قال:

تزوج الفرزدق ظبية ابنة حالم من بني مجاشع بعد أن أسنّ، فضعف، وتركها عند أمها بالبادية سنة، ولم يكن صداقها عنده، فكتب إلى أبان بن الوليد البجليّ - وهو على فارس عامل لخالد بن عبد الله القسريّ - فأعطاه ما سأل وأرضاه، فقال يمدحه:

فلو جمعوا من الخلاّن ألفا *** فقالوا: أعطنا بهم أبانا

لقلت لهم: إذا لغبتموني *** وكيف أبيع من شرط الزمانا(10)

ص: 208

- 2- في هد: عن مثل سنام «الناب» بدل «البكر».
- 3- مدملك الرأس: رأسه كالثدي الناهد، شديد الأسر: قوي محكم.
- 4- نفيان الشعر: ما طار منه: يريد أنه يطير شعر العانة كما يطير الشعر من رعوس الحجاج، أو من جلود الأضاحي.
- 5- في هد «والمختار» «ولا يستطيع رد ما كان جائيا».
- 6- ضمير مثله يعود على ولده، وضمير مثلها يعود على جارية بني نهشل.
- 7- إن جاء سائل: إن جاء من يسأل عن ذريتك، حامله: كذا بالأصل، و نرجح أنها خاملة: من الخمول، أي حامل الباع وعليه يكون لفظ خامله صفة لابن تبعاء، للأصل لا لحركة حرف الجر الزائد.
- 8- في الأصل «جما» و الصواب «رحما» و هو موضع تكون الجنين.
- 9- في هد: «علي بن سليمان المكي».
- 10- في بعض النسخ: «ما تغبنوني» بدل «لغبتنوني» وفي بعضها «الضمانا» بدل «الزمانا»، و شرط الضمان: التزم به، و المراد المهر.

خليل لا يرى المائة الصفايا *** ولا الخيل الجياد ولا القيانا

عطاء دون أضعاف عليها *** ويطعم ضيفه العبط السمانا

العبط: الإبل التي لا وجع بها.

فما أرجو لظبية غير ربّي *** وغير أبي الوليد بما أعانا(1)

/أعان بهجمة أرضت أباه *** وكانت عنده غلقا رهانا(2)

وقال أيضا في ذلك:

لقد طال ما استودعت ظبية أمها *** وهذا زمان ردّ فيه الودائع

وقال حين أراد أن يبني بها:

أبادر سؤالا بظبية أني *** أتتني بها الأهوال من كل جانب(3)

بمالئة الحجلين لو أنّ ميّنا *** ولو كان في الأموات تحت النصاب(4)

دعته لألقى التّرب عند انتفاضه *** - ولو كان تحت الراسيات الرواسب - (5)

فلما ابتنى منها عجز عنها فقال:

يا لهف نفسي على نعظ فجعّت به *** حين التقى الرّكب المحلوق والرّكب(6)

وقال جرير:

وتقول ظبية إذ رأتك محوقلا *** - حوق الحمار - من الخبال الخابل(7)

إنّ البليّة وهي كلّ بليّة *** شيخ يعلّل عرسه بالباطل

لو قد علقت من المهاجر سلّما *** لنجوت منه بالقضاء الفاصل(8)

/قال: فنشزت فيه، ونافرته إلى المهاجر، وبلغه قول جرير فقال المهاجر: لو أتتني بالملائكة معها لقضيت للفرزدق عليها.

يشيد بابنته مكية وأمها الزنجية:

قال: وكان للفرزدق ابنة يقال لها مكية، وكانت زنجية، وكان إذا حمي الوطيس، وبلغ منه الهجاء يكتنى بها، ويقول:

1- أبو الوليد كنية أبان وفي «المختار»: «وغير ابن الوليد».

2- الهجمة: عدد كبير من الإبل، يقال: غلق الرهن: استحق لمن هو عنده بعد مضي ميعاده، وهذا هو المراد بقوله: «وكانت عنده غلقا

رهانا» يعني أنها كادت تكون من حق أبيها لا من حقه لعجزه عن مهرها.

3- لعله يريد بالأهوال ما كان فيه من العسر والعجز عن سداد المهر.

4- الحجل: الخلخال، ومالئة الحجلين: كناية عن امتلاء الساقين، النصاب: الأحجار تنصب حول الحوض.

5- المراد بالراسيات الرواسب الجبال.

6- الركب: العانة أو منبتها، أو أصل الفرج.

7- محوقلا: من حوقل بمعنى ضعف وأعياء، حوق الحمام: منادى، وهو لقب للفرزدق.

8- المهاجر كان إذ ذاك - على ما يبدو - قاضيا أو واليا.

ذاكم إذا ما كنت ذا محميه *** بدارمي أمه ضبيه (1)

صمحمح يكنى أبا مكية

وقال في أمها:

يا ربّ خود من بنات الرّنج *** تحمل تنورا شديد الوهج (2)

أقعب مثل القدح الخلنج *** يزداد طيبا عند طول الهرج (3)

مخجتها بالأير أيّ مخج (4)

فقلت له النوار: ريحها مثل ريحك.

وقال في أم مكية يخاطب النوار:

فإن يك خالها من آل كسرى *** فكسرى كان خيرا من عقال

و أكثر جزية تهدي إليه *** وأصبر عند مختلف العوالي

أقال: وكانت أم النوار (5) خراسانية، فقال لها في أم مكية:

أغرّك منها أدمه عربيّة *** علت لونها إن البجاديّ أحمر (6)

بمدح سعيدا فيغضب مروان:

حدثني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي قال:

دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وهو والي المدينة لمعاوية فأنشده:

نرى الغرّ الجحاح من قریش *** إذا ما الخطب في الحدثان غالا (7)

وقوفا ينظرون إلى سعيد *** كأنهم يرون به هلالا

وعنده كعب بن جعيل، فلما فرغ من إنشاده قال كعب: هذه والله رؤياي البارحة، رأيت كأن ابن مرّة في نواحي المدينة وأنا أضم

ذلاذلي (8) خوفا منه، فلما خرج الفرزدق خرج مروان في أثره فقال: لم ترض أن تكون قعودا حتى جعلتنا قياما في قولك:

ص: 210

يحدث لي، إذا ما كنت ذا أعراض محمية بدارمي... إلخ، و الصمحمح: القوي الشديد المجتمع الألواح، ويعني بالدرامي الذي أمه ضبيه نفسه.

2- الخود: الشابة الناعمة الحسنة الخلق، تنورا شديد الوهج، كناية عن حرها.

3- أقعب: شبيه بالقعب، وهو القدح الكبير، الخلنج: نوع من الشجر، الهرج: كثرة النكاح.

4- مخجتها: أتيتها.

5- لعل الصواب أن يقول: وكانت أم مكية خراسانية، حتى يستقيم الكلام مع البيتين السابقين، إلا إذا كان يعني أن كليهما من أم فارسية، أو أن أم النوار عربية من خراسان.

6- الأدمة: من الأديم، وهو الجلد الأحمر، البجادي: نوع مخطط من الأكسية العربية.

7- الججاجح: جمع ججاجح، وهو السيد الكريم.

8- الذلاذل: أسافل القميص الطويل. وفي ب، ف: كأن ابن قتره.

قياما ينظرون إلى سعيد *** كأنهم يرون به هلالا

فقال له: يا أبا عبد الملك إنك من بينهم صافن(1)، فحقد عليه مروان ذلك، و لم تطل الأيام حتى عزل سعيد، و ولي مروان فلم يجد على الفرزدق متقدما(2) حتى قال قصيدته التي قال فيها:

/هما دلتاني من ثمانين قامة *** كما انقضّ باز أقم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا *** أحيي يرحي أم قتيل نحاذره

فقلت: ارفعا الأمراس لا يشعروا بنا *** وأقبلت في أعقاب ليل أبادره(3)

أبادر بوابين لم يشعروا بنا *** و أحمر من ساج تلوح مسامره(4)

فقال له مروان: أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه و سلم، أخرج عن المدينة فذلك قول جرير:

تدليت تزني من ثمانين قامة *** وقصرت عن باع الندى و المكارم(5)

أخبرنا(6) ابن دريد، قال: أخبرنا الرياشي، عن محمد بن سلام، قال:

رواية أخرى للخبر السابق:

دخل الفرزدق المدينة هاربا من زياد، و عليها سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أميرا من قبل معاوية، فدخل على سعيد، و مثل بين يديه، و هو معتم(7)، و في مجلس سعيد الحطيئة و كعب بن جعيل التغلبي، و صاح الفرزدق: أصلح الله الأمير، أنا عائد بالله و بك، أنا رجل من تميم، ثم أحد بني دارم، أنا الفرزدق بن غالب، قال:

فأطرق سعيد مليًا، فلم يجبه، فقال الفرزدق: رجل لم يصب دما حراما، و لا مالا حراما، فقال سعيد: إن كنت كذلك فقد أمنت، فأنشده:

/إليك فررت منك و من زياد *** و لم أحسب دمي لكما حلالا(8)

و لكتي هجوت و قد هجاني *** معاشر قد رضخت لهم سجالا(9)

فإن يكن الهجاء أحلّ قتلي *** فقد قلنا لشاعرهم و قالوا

ص: 211

1- صفن الرجل: صف قدميه، كأنه يريد أن يقول له: إنك من بينهم لست واقفا فحسب، بل حسن الوقوف منتصب القامة، بدليل غضبه عليه.

2- لم يجد على الفرزدق متقدما، أي سببا يستقدم من أجله ليحاكم، و في بعض الأصول «مقدما» بدل «متقدما».

3- الأمراس: الحبال، و قد جاء في ب بدل هذا البيت و ما بعده. فقلت ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا و أحمر من ساج تلوح مسامره و التصويب من هد «و المختار».

- 4- وأحمر من ساج: يريد الباب.
- 5- في هد: «وقصرت عن باع العلا والمكارم».
- 6- هذا الخبر - على طوله - ساقط من الأصول، ولكنه مثبت عند ابن سلام، «والمختار» ح 8 ص 115 وما بعدها.
- 7- كذا في «المختار»، وعند ابن سلام: «وهو معهم».
- 8- كذا في «المختار»، وفي الأصول: ضلالا.
- 9- رضخت لهم، من قولهم: رضخت التيوس إذا أخذت في النطاح، أي أخذت أساجلهم النطاح.

أرقت فلم أنم ليلاً طويلاً *** أراقب هل أرى التّسرين زالا(1)

عليك بني أمية فاستجرهم *** وخذ منهم لما تخشى حبلاً

فإن بني أمية في قريش *** بنوا لبيوتهم عمداً طوالاً

ترى الغرّ الجحاح من قريش *** إذا ما الأمر في الحدّثان غالا

قياما ينظرون إلى سعيد *** كأنّهم يرون به هلالاً

قال: فلما قال هذا البيت، قال الحطيئة لسعيد: هذا والله الشعر، لا ما كنت تعلّل به منذ اليوم، فقال كعب بن جعيل: فضلتته على نفسك(2)، فلا تفضله على غيرك، قال: بلى والله إنه ليفضلني وغيري، يا غلام، أدركت من قبلك، و سبقت من بعدك، ولئن طال عمرك لتبرزنّ.

ثم عبث الحطيئة بالفرزدق، فقال: يا غلام، أنجدت أمك؟ قال: لا بل أبي، أراد الحطيئة: إن كانت أمك أنجدت فقد أصبتها فولدتك إذ شابهنّتي في الشعر، فقال الفرزدق: لا بل أبي(3)، فوجده لقنا.

بينه و بين مخنث:

أخبرني ابن دريد قال: قال لنا أبو حاتم: قال الأصمعي:

/و من عبثات الفرزدق أنه لقي مخنثاً فقال له: من أين راحت عمتنا؟ فقال له المخنث: نفاها الأغر بن عبد العزيز يريد قول جرير:

نفاك الأغرّ ابن عبد العزيز *** وحقك تنفي من المسجد

جرير يعترف له بالغلبة:

أخبرنا ابن دريد عن الرياشي، عن النضر بن شميل قال: قال جرير:

ما قال لي ابن القين بيتاً إلا وقد اكتفأته، أي قلبته إلا قوله:

ليس الكرام بناحليك أباهم *** حتى يرد إلى عطية تعتل(4)

/فإني لا أدري كيف أقول فيها.

جرير يلقبه بالعزيز:

و أخبرني ابن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد، عن محمد بن عباد، عن ابن الكلبي، عن عوانة بن الحكم، قال:

بينما جرير واقف في المربد وقد ركبته الناس و عمر بن لجأ مواقفه(5) فأنشده عمر جواب قوله:

- 1- النسرین: کوبان.
- 2- إنما فضله الحطيئة على نفسه لقوله لسعيد: هذا هو الشعر، لا ما كنت تعلق به منذ اليوم، أي لا ما كنت تتساقاه في هذا اليوم، و كان بين ما روى في هذا اليوم من الشعر شعر الحطيئة نفسه، و من هنا جاء التفضيل.
- 3- يريد الفرزدق أن أباه هو الذي أنجد، فوقع على أم الحطيئة ف جاء به شبيها له في الشعر.
- 4- و هذا البيت في خبر سابق في الترجمة نفسها.
- 5- ب: «مواقفه».

يا تيم تيم عدِّي لا أبا لكم *** لا يقذفنكم في سواة عمر

أ حين صرت سماما يا بني لجأ *** و خاطرت بي عن أحسابها مضر(1)

فقال عمر جواب هذا:

لقد كذبت و شرّ القول أكذبه *** ما خاطرت بك عن أحسابها مضر

أ لست نزوة خوَار على أمة؟ *** لا يسبق الحلبات اللؤم و الخور(2)

/وقد كان الفرزدق رفته بهذين البيتين في هذه القصيدة، فقال جرير لما سمعها: قبحا لك يا بن لجأ، أ هذا شعرك، كذبت والله و لو متّ (3)، هذا شعر حنظلي، هذا شعر العزيز(4) يعني الفرزدق فأبلس عمر فما ردّ جوابا.

يلقب جريرا بالقرم:

و خرج غنيم بن أبي الرّقراق حتى أتى الفرزدق، فضحك، و قال: إيه يا بن أبي الرقراق، و إن عندك لخبرا، قلت: خزي أخوك ابن قتب، فحدثته، فضحك، حتى فحص برجليه، ثم قال في ساعته:

و ما أنت إن قرما تميم تساميا *** أخوا التيم إلا كالوشيطة في العظم(5)

فلو كنت مولى الظلم أو في ثيابه *** ظلمت و لكن لا يدي لك بالظلم(6)

فلما بلغ هذان البيتان جريرا قال: ما أنصفني في شعر قط قبل هذا يعني قوله:

... إن قرما تميم تساميا

يغتصب شعر الشعراء:

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا الرياشي قال:

كان الفرزدق مهيبا تخافه الشعراء، فمر يوما بالشمردل، و هو ينشد قصيدته حتى بلغ إلى قوله:

و ما بين من لم يعط سمعا و طاعة *** و بين تميم غير حرّ الغلاصم(7)

/قال: و الله لتتركّن هذا البيت أو لتتركّن عرضك، قال: خذه على كره مني، فهو في قصيدة الفرزدق التي أولها قوله:

تحرنّ بزوراء المدينة ناقتي

1- خاطرت: رافعت، و لعل متعلق الظرف «حين» في أبيات تالية لم تذكر.

2- الحلبات جمع حلبة بمعنى الميدان، وفي هج: أ لست نزوة خوار على أمة لا تسبق الخلتان اللؤم والخور؟ و كأنه يعني بالخوار أباه و بالأمة أمه.

3- «و لومت» كذا بالأصل، و نرجح أنها تحريف «و لومت» من اللؤم.

4- في رواية أخرى «هذا شعر الفريد» بالفاء، و في رواية ثالثة: «هذا شعر القريد» بالقاف، و كأنه تصغير قرد.

5- في الأصل «العزم» بدل «العظم» و لا معنى له، و التصويب من هد، هج، الوشيطة: شطية زائدة في أصل العظم.

6- لا يدي لك بالظلم: لا قدرة لك عليه، و إنما حذف النون من يدين لتقدير إضافتها إلى كاف لك، كما قالوا في «لا أبا لك» و في «يا أبا من لا أخاله».

7- الغلاصم: جمع غلصمة، و هي رأس الحلقوم، أو اللحم بين الرأس و العنق.

قال: و كان الفرزدق يقول: خير السرقة ما لا يجب فيه القطع يعني سرقة الشعر.

أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن الضحاک بن بهلول الفقيمي قال:

بينما أنا بكازمة و ذو الرمة ينشد قصيدته التي يقول فيها:

أحين أعاذت بي تميم نساءها *** و جرّدت تجريد اليماني من الغمد

إذا راكبان قد تدلّيا من نعف كازمة متنعان، فوقفا، فلما و فرغ ذو الرمة حسر الفرزدق عن وجهه، و قال: يا عبيد، اضممها إليك - يعني راويته - و هو عبيد أخو بني ربيعة ابن حنظلة، فقال ذو الرمة: نشدتك الله يا أبا فراس إن فعلت، قال: دع ذا عنك، فانتحلها في قصيدته و هي أربعة أبيات:

أحين أعاذت بي تميم نساءها *** و جرّدت تجريد اليماني من الغمد

و مدت بضبعي الرباب و مالك *** و عمرو، و شالت من ورائي بنو سعد(1)

أو من آل يربوع زهاء كأنه *** دجى الليل محمود النكاية و الورد(2)

و كئنا إذا الجبار صعر خده *** ضربناه فوق الأنثيين على الكرد(3)

يحوز السبق في الفخر:

أخبرنا ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال:

اجتمع الفرزدق، و جرير و كثير و ابن الرقاع عند سليمان بن عبد الملك، فقال: أنشدونا من فخركم شيئا حسنا، فبدرهم الفرزدق، فقال:

و ما قوم إذا العلماء عدت *** عروق الأكرمين إلى التراب(4)

بمختلفين إن فضّلتونا *** عليهم في القديم و لا غضاب

و لو رفع السحاب إليه قوما *** علونا في السماء إلى السحاب

فقال سليمان: لا تنطقوا، فوالله ما ترك لكم مقالا.

يتعصب لابنته مكية:

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن عمران الضبي، عن سليمان بن أبي سليمان الجوزجاني قال:

غاب الفرزدق فكتبت النوار تشكو إليه مكية(5) و كتب إليه أهله يشكون سوء خلقها و تبذيرها عليهم فكتب إليهم:

-
- 1- بضبعي: تشنية ضبع، وهو ما بين الإبط إلى منتصف العضد من أعلاها، ومدت بضبعي: أعانتني، والرباب و مالك وعمرو و بنو سعد: قبائل.
 - 2- الزهاء: العدد الكثير، والمراد بالورد ورد دم الحروب.
 - 3- الأثنيان: الأذنان، الكرذ: العنق، أو أصل العنق، صعر خده: أماله صلفا و تكبرا. وفي «المختار»: «ضربناه حتى يستقيم على الكرذ».
 - 4- يريد بقوله: إلى التراب الكرام السالفين الذين أصبحوا عظما رميما.
 - 5- مكية: هي ابنة الفرزدق، كما تقدم.

كتبتم عليها أنها ظلمتكم *** كذبتم وبيت الله بل تظلمونها

فإلا تعدوا أنها من نسائكم *** فإن ابن ليلى والد لا يشينها (1)

وإن لها أعمام صدق و اخوة *** و شيخا إذا شاءت تتمر دونها (2)

يعقه ابنه:

قال: و كان للفرزدق ثلاثة أولاد يقال لواحد منه لبطه، و الآخر حبطة، و الثالث، سبطة، و كان لبطه من العققة فقال له الفرزدق:

أ إن أرعشت كفا أيبك و أصبحت *** يدالك يدي ليث فإنك جادبه

إذا غالب ابن بالشباب أبا له *** كبيرا فإن الله لا بدّ غالبه

أ رأيت تباشير العقوق هي التي *** من ابن امرئ ما إن يزال يعاتبه (3)

ولما رأني قد كبرت و أنني *** أخو الحي و استغنى عن المسح شاربه (4)

أصاخ لغربان التّجّي و إنه *** لأزور عن بعض المقالة جانبه (5)

قال (6) أبو عبيدة في «كتاب النقائص»: قال رؤبة بن العجاج: حج سليمان بن عبد الملك، و حجت معه الشعراء، فمر بالمدينة منصرفا، فأتي بأسرى من الروم نحو أربعمائة، فقعده سليمان، و عنده عبد الله بن حسن بن حسن - عليهم السلام - و عليه ثوبان ممصران (7)، و هو أقربهم منه مجلسا، فأدنوا إليه بطريقهم، و هو في جامعة (8)، فقال لعبد الله بن حسن: قم، فاضرب عنقه فقام، فما أعطاه أحد سيفا، حتى دفع إليه حرسيّ سيفا كليلا، فضربه، فأبان عنقه و ذراعه، و أطق (9) ساعده و بعض الغلّ، فقال له سليمان: و الله ما ضربته بسيفك و لكن بحسبك، و جعل يدفع الأسرى إلى الوجوه، فيقتلونهم، حتى دفع إلى جرير رجلا منهم، فدست إليه بنو عبس سيفا قاطعا في قراب أبيض، فضربه، فأبان رأسه، و دفع إلى الفرزدق أسير، فدست إليه القيسيّة سيفا كليلا، فضرب به الأسير ضربات، فلم يصنع شيئا، فضحك سليمان و ضحك الناس معه. و قيل: إن سليمان لما دفع إليه الأسير دفع إليه سيفا، و قال:

أقتله به، فقال: لا، بل أقتله/بسيف مجاشع (10)، و اخترط سيفه، فضربه، فلم يغن شيئا، فقال سليمان: أما و الله لقد بقى عليك عارها و سناها، فقال جرير قصيدته التي يهجو فيها، و أولها:

ص: 215

1- في البيت أقواء.

2- يريد بالشيخ نفسه.

3- يقول: إن تباشير العقوق بدأت من ابنه له بكثرة العتاب أولا.

4- أخو الحي: لعله يقصد أنه هرم فأصبح ملازما للحي، و يريد بقوله: استغنى عن المسح شاربه أنه استوى و بلغ أشده، كأن الطفل يحتاج إلى من يمسه له شاربه من أثر الطعام و شرب اللبن و نحو ذلك.

- 5- غربان النجى: قرناء السوء، وفي بعض النسخ: «عريان» بالياء المثناة، وقد آثرنا ما أثبتناه على تشبيه قرناء السوء بالغربان، أזור: معرض، يريد أنه يصغي لقرناء السوء، ولا يعير نصائحه هو التفاتا.
- 6- ورد في «المختار» من أول هذا الخبر إلى صفحة 330 ولم تشر إليه الأصول التي بأيدينا.
- 7- ممصران: مصبوغان بصبيغ أصفر.
- 8- جامعة: قيد يجمع اليدين إلى الرجلين.
- 9- أطن: قطع.
- 10- مجاشع: أحد أجداد الفرزدق.

الأحيي ربيع المنزل المتقادم *** و ما حلّ مذ حلّت به أمّ سالم

منها:

ألم تشهد الجونين و الشعب ذا الغضى *** و كرات قيس يوم دير الجماجم؟(1)

تحرض يا بن القين قيسا ليجعلوا *** لقومك يوما مثل يوم الأرقام(2)

سيف أبي رغوان سيف مجاشع *** ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم(3)

ضربت به عند الإمام فأرعثت *** يدك و قالوا: محدث غير صارم

فقال الفرزدق يجيب جريرا عن قوله:

و هل ضربة الروميّ جاعلة لكم *** أبا عن كليب أو أبا مثل دارم(4)

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها *** و تقطع أحيانا مناط التمام(5)

و لا تقتل الأسرى و لكن نكّهم *** إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

و قال يعرض بسليمان، و يعيره نبو سيف و رقاء بن زهير العبسي عن خالد بن جعفر، و بنو عيس هم أخوال سليمان:

/فإن يك سيف خان أو قدر أبي *** بتعجيل نفس حتفها غير شاهد(6)

فسيف بني عيس و قد ضربوا به *** نبا بيدي و رقاء عن رأس خالد(7)

كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها *** و تقطع أحيانا مناط القلائد

و أولها:

تباشر يربوع بنبوة ضربة *** ضربت بها بين الطّلا و المحارذ(8)

و لو شئت قد السيف ما بين عنقه *** إلى علق بين الحجاين جامد(9)

و قيل: إن الفرزدق قال لسليمان: يا أمير المؤمنين، هب لي هذا الأسير، فوهبه له، فأعتقه، و قال الأبيات التي منها:

ص: 216

1- الجونان: عمرو و معاوية ابنا الجون، و يوم دير الجماجم يوم مشهور كان بين محمد بن الأسقف الخارج على بني أمية و جيوش بني أمية.

2- يوم الأرقام كان بين قيس وبنى تغلب.

3- أبو رغوان: كنية مجاشع جد الفرزدق، وابن ظالم: الحارث بن ظالم من فتاك العرب المشهورين، وكان له سيف ماض يسمى ذا الحيات.

4- كليب: جد جرير، ودارم: جد الفرزدق.

5- ظباتها: جمع ظبة: حد السيف، مناط التمام: كناية عن الأعناق.

6- حنقها غير شاهد: لم يحن ميعاد أجلها بعد.

7- يشير إلى مقتل زهير بن جذيمة حينما اعتنقه خالد بن جعفر، فحاول ورقاء قتل خالد، فبنا سيفه.

8- تباشر: أصله تباشر، ويربوع: قبيلة جرير، الطلا: الأعناق، والمحارد: مفاصل الأعناق.

9- العلق: ما تجمد من الدم.

و لا تقتل الأسرى و لكن نكفهم *** إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

ثم أقبل على راويته، فقال: كأني بابن المراغة، وقد بلغه خبري، فقال:

سيف أبي رغوان سيف مجاشع *** ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعشت *** يدك و قالوا محدث غير صارم

فما لبثنا إلا أياما يسيرة، حتى جاءتنا القصيدة، و فيها البيتان، فعجبنا من فطنة الفرزدق:

و قال أيضا في ذلك:

أ يعجب الناس أن أضحكت خيرهم *** خليفة الله يستقى به المطر

/فما نبا السيف عن جبن و عن دهش *** عند الإمام و لكن آخر القدر

و لو ضربت به عمدا مقلده *** لخرّ جثمانه ما فوقه شعر(1)

و ما يقدم نفسا قبل ميّتها *** جمع اليدين و لا الصمصامة الذكر(2)

من شعره في سجنه:

و أخبرني عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن أبي عبيدة، قال:

هجا الفرزدق خالدا القسريّ و ذكر المبارك: النهر الذي حفره بواسط، فبلغه ذلك، و كتب خالد إلى مالك بن المنذر أن احبس الفرزدق فإنه

هجا نهر أمير المؤمنين بقوله:

و أهلكت مال الله في غير حقّه *** على نهرك المشؤوم غير المبارك

الآبيات، فأرسل مالك إلى أيوب بن عيسى الضبيّ، فقال: اتّني بالفرزدق، فلم يزل يعمل فيه حتى أخذه، فطلب إليهم أن يمروا به على بني

حنيفة، فقال الفرزدق: ما زلت أرجو أن أنجو حتى جاوزت بني حنيفة، فلما قيل لمالك: هذا الفرزدق انتفخ وريد مالك غضبا، فلما أدخل

عليه قال:

أقول لنفسي حين غصّت بريقها *** ألا ليت شعري ما لها عند مالك؟

لها عنده أن يرجع الله روحها *** إليها و تنجو من جميع المهالك(3)

و أنت ابن جباري ربيعة أدركت *** بك الشمس و الخضراء ذات الحبائك(4)

/فسكن مالك، و أمر به إلى السجن، فقال يهجو أيوب بن عيسى الضبيّ:

- 1- ما فوقه شعر: كناية عن انفصال الرأس الذي هو موضع الشعر عن الجسد.
- 2- الصمصامة: السيف الذي لا يثنيه الضراب، و هو أيضا اسم سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي البطل المعروف، و إلى هنا ينتهي ما في «المختار».
- 3- في هد، هج: «عظيم المهالك» بدل «جميع المهالك» و سكن واو «تنجو» للضرورة.
- 4- الذي نرجحه أن «جباري» تصحيف «جباري» بالجيم لا بالحاء، و أنه يشير إلى جدين بارزين من أجداده، و في هد، هج «أدركا» بدل «أدركت» و الخضراء: السماء، و الحبانك: جمع حبيكة، و هي مسير النجم، و منه قوله تعالى: وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ.
- 5- في هد و هج: «ضنيا» بدل «قيسيا» و خبر لكن محذوف تقديره أنت، أو الأصل: و لكنك كنت زنجيا... إلخ.

متت له بالرّحم بيني و بينه *** فألفيته مني بعيدا أوأصره(1)

وقلت: امرؤ من آل ضبة فاعتزى *** لغيرهم لون استه و محاجرّه(2)

فسوف يرى النوبي ما اجترحت له *** يداه إذا ما الشّعر عيّت نوافره(3)

ستلقي عليك الخنفساء إذا فست *** عليك من الشعر الذي أنت حاذره(4)

و تأتي ابن زبّ الخنفساء قصيدة *** تكون له مني عذابا يباشره

تعذرت يا بن الخنفساء و لم تكن *** لتقبل لابن الخنفساء معاذره

فإنكما يا بني يسار نزوتما *** على ثفرها ما حنّ للزيت عاصره(5)

لزنجبة بطراء شقق بظرها *** زحير بأيوب شديد زوافره(6)

ثم مدح خالد بن عبد الله و مالك بن المنذر و هو محبوس مديحا كثيرا، فأنشدني يونس في كلمة له طوييلة.

يا مال هل هو مهلكي ما لم أقل *** و ليعلمنّ من القصائد قبلي(7)

يا مال هل لك في كبير قد أتت *** تسعون فوق يديه غير قليل

فتجير ناصيتي و تفرج كربتي *** عني و تطلق لي يداك كبولي

و لقد بنى لكم المعلى ذروة *** رفعت بناءك في أشمّ طويل

و الخيل تعلم في جذيمة أنها *** تردى بكل سميدع بهلول(8)

فاسقوا فقد ملأ المعلى حوضكم *** بذنوب ملتهم الرّباب سجيل(9)(10) و قال يمدح مالكا و كانت أم مالك هذا بنت مالك بن مسمع:

و قرم بين أولاد المعلى *** و أولاد المسامعة الكرام

تخمّط في ربيعة بين بكر *** و عبد القيس في الحسب اللّهام(11)

فلما لم تنفعه مديحة مالك، قال يمدح هشام بن عبد الملك، و يعتذر إليه:

ألكنني إلى راعي البرية و الذي *** له العدل في الأرض العريضة نورا(12)

- 1- مت إليه: انتسب، الرحم: الصلة و القرابة، يجوز فيه إسكان الحاء مع تشديد الراء و كسرهما أو فتحها.
- 2- يقول: ظننته ضيبا فإذا عيناه و لون بشرته تنم على أنه نوبي لا ضبي.
- 3- إذا ما الشعر عيت نوافره: إذا استعصى على غيري فإنه لا يستعصي علي.
- 4- في هد، هج: «التي فست» بدل «إذا فست» و يريد بالخنفساء أمه.
- 5- الثفر: مسلك القضيبي في المرأة، يقول: من ثفرها خرجتما و عليه نزوتما، كما يشرب الزيت من يعصره.
- 6- الزنجية خبر ثان لأنكما في البيت السابق، بطراء: طويلة البظر، الزحير: أنين المرأة عند المخاض، و أيوب هو ابن عيسى الذي يهجو.
- 7- مال: مرخم مالك، و هو ضمير الشأن، أو عائد على «ما» الموصولة بعده، قبلي: بمعنى قولي نائب فاعل «يعلمن».
- 8- تردى: تضرب الأرض بحوافرها، السמידع: السيد الكريم، البهلول: السيد الجامع لكل خير.
- 9- الذنوب: الدلو، و الرباب: السحاب الأبيض، السجيل: العظيم من الدلاء، بذنوب: متعلق بقوله: فاسقوا، لا بقوله: ملاً.
- 10- من «المختار» و تخمط، أصله تتخمط بمعنى تكبر و تتعالى، الحسب اللهام: الذي يلتهم كل حسب غيره، و يغطى عليه.
- 11- من «المختار» و تخمط، أصله تتخمط بمعنى تكبر و تتعالى، الحسب اللهام: الذي يلتهم كل حسب غيره، و يغطى عليه.
- 12- أكني: أحمل عني ألوكة؛ رسالة.

فإن تنكروا شعري إذا خرجت له *** بوادر لو يرمى بها لتفقرا(1)

ثبير و لو مست حراء لحركت *** به الراسيات الصم حتى تكورا(2)

إذا قال غاو من معد قصيدة *** بها حرب كانت وبالا مدمرا(3)

أينطفئها غيري و أرمى بجرمها *** فكيف ألوم الدهر أن يتغيرا

لئن صبرت نفسي لقد أمرت به *** و خير عباد الله من كان أصبرا

و كنت ابن أحوار و لو كنت خائفا *** لكنت من العصماء في الطود أحوارا(4)

و لكن أتوني أمنا لا أخفهم *** نهارا و كان الله ما شاء قدرا

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام قال: حدثني أبو يحيى قال:

قال الفرزدق لابنه لبطة و هو محبوبس اشخص إلى هشام، و أمدحه بقصيدة، و قال: استعن بالقيسية، و لا يمنعك قولي فيهم فإنهم سيغضبون لك و قال:

بكت عين محزون ففاض سجامها *** و طالت ليالي ساهر لا ينامها

فإن تبك لا تبك المصيبات إذ أتى *** بها الدهر و الأيام جم خصامها(5)

و لكنما تبكي تهتك خالد *** محارم منا لا يحل حرامها

فقل لبني مروان: ما بال ذمة *** و حرمة حق ليس يرعى ذمامها

أقتل فيكم أن قتلنا عدوكم *** على دينكم و الحرب باق قتامها(6)

أتاك بقتل ابن المهلب خالد *** و فينا بقيات الهدى و إمامها(7)

فغير - أمير المؤمنين - فإنها *** يمانية حمقاء و أنت هشامها(8)

أرى مضر المضربين قد ذل نصرها *** و لكن عسى أن لا يذل شامها(9)

فمن مبلغ بالشام قيسا و خندفا *** أحاديث ما يشفى براء سقامها

أحاديث منا نشكها إليهم *** و مظلمة يغشى الوجوه قتامها

فإن من بها لم ينكر الضيم منهم *** فيغضب منها كهلهما و غلافها(10)

- 1- جواب الشرط إذا خرجت له، نائب فاعل يرمي «ثبير» في البيت التالي، تفقر، تقسم فقرا.
- 2- تكور: تهدم، وصار كالكرة، ثبير و حراء: جبلان معروفان.
- 3- الحرب: الويل والهلاك، ويريد بقوله: كانت وبالاً أنها وبال عليه هو بدليل البيت التالي.
- 4- و كنت ابن أهدار: ابن حزم و تحرز، العصماء: التي في جسمها بياض، يقصد الطيور العصماء، يريد أنه خدع، وأخذ على غرة.
- 5- جواب الشرط «لا تبك» و تتممة معنى البيت فيما يليه، و محارم في البيت التالي مفعول لتهتك.
- 6- على دينكم متعلق بقتلنا، و المعنى أقتل إن قتلنا عدوكم سائرين على مذهبكم؟.
- 7- أتاك. في س: «أثار» و كأنه تخفيف «أثار» بمعنى اطلب الأثر.
- 8- يحض الخليفة على عزل خالد القسري، ويشير إلى أنها حركة يمانية ضد المضربة.
- 9- لعله يريد بالمضرين الحجاز و العراق، و يستعدي المضربين في الشام. و فيهم الخلافة - على اليمانيين.
- 10- «من» فاعل لفعل محذوف تقديره «فإن لم ينكر من بها الضيم، و ضمير بها يعود على الشام».

نمت مثلها من مثلهم و تنكّلوا *** فيعلم أهل الجور كيف انتقامها(1)

بغلباء من جمهورنا مضرّية *** يزايل فيها أذرع القوم هامها(2)

وبيض على هام الرجال كأنّها *** كواكب يحولها لسار ظلامها

غضبنا لكم يا آل مروان فاغضبوا *** عسى أنّ أرواحا يسوغ طعامها

و لا تقطعوا الأرحام منا فإنّها *** ذنوب من الأعمال يخشى أثامها(3)

ألم تك في الأرحام منّا و منكم *** حواجز أيام عزيز مرامها

فترعى قريش من تميم قرابة *** و نجزي بأيام عزيز مرامها

لقد علمت أبناء خندف أننا *** ذراها و أنا عزّها و سنامها

وقد علم الأحياء من كل موطن *** إذا عدّت الأحياء أنا كرامها

و أنّا إذا الحرب العوان تضرّمت *** نليها إذا ما الحرب شبّ ضرمامها

قوام قوى الإسلام و الأمر كلّه *** و هل طاعة إلا تميم قوامها

/تميم التي تخشى معدّ و غيرها *** إذا ما أبي أن يستقيم همامها(4)

إلى الله تشكو عزّنا الأرض فوقها *** و تعلم أنا ثقلها و غرامها

شكّتنا إلى الله العزيز فأسمعت *** قريبا، و أعياء من سواه كلامها

نصول بحول الله في الأمر كلّه *** إذا خيف من مصدوعة ما التأمها(5)

فأعانتة القيسية و قالوا: كلما كان ناب من مضر أو شاعر أو سيد و ثب عليه خالد.

و قال الفرزدق أبياتا كتب بها إلى سيد بن الوليد الأبرش و كلم له هشاما:

إلى الأبرش الكلبيّ أسندت حاجة *** تواكلها حيّا تميم و وائل(6)

على حين أن زلت بي النعل زلّة *** فأخلف ظنيّ كلّ حاف و ناعل

فدونكها يا بن الوليد فإنّها *** مفضّلة أصحابها في المحافل(7)

- 1- «نمت مثلها من مثلهم»: تفاقمت ثورة أخرى منهم، وفي رواية «تعد مثلها من مثلهم» وعلى كل فالفعل جواب الشرط في البيت المتقدم، وتنكلوا: عطف على الشرط في البيت السابق «لم ينكر الضيم» والمعنى: إن لم تنكروا الضيم، وتنكلوا بهم شبت لهم ثورة أخرى، والضمير في انتقامها يعود على المضرية المفهومة من المقام، والمراد بأهل الجود: اليمانية، وفي البيتين التواء ظاهر.
- 2- بغلباء: بكتيبة غلباء، أو بحرب غلباء: كثيرة العدد، متعلق بقوله: «تنكلوا» في البيت السابق، أي إن لم تؤدبواهم بكتيبة غلباء... إلخ.
- 3- الأثام: جزاء الإثم، وضمير إنها يعود على القطيعة المفهومة من قوله: «ولا تقطعوا الأرحام».
- 4- في ألفاظ هذا البيت خلط واضطراب بين مختلف النسخ وقد آثرنا ما أثبتناه منها، وهو الذي يستقيم معه المعنى، وعائد الموصول «التي» محذوف تقديره «تميم التي تخشاها معد وغيرها».
- 5- ما صفة مصدوعة، التثام: نائب فاعل «خيف» وفي الكلام قلب، وكان القياس «إذا خيف من ملتئمة تصدعها» فينبغي أن يكون في العبارة مضاف محذوف والتقدير: إذا خيف من مصدوعة ما عدم التثامها حتى يستقيم المعنى.
- 6- حيا: تشية حي محذوف النون للإضافة.
- 7- هذه رواية هج «فدونكها» وهي أصح أي فخذها وقم بها، والضمير للحاجة ويريد بقوله: «مفضلة أصحابها في المحافل» أن أصحاب هذه الحاجة قوم كرام، يعني نفسه.

و دونكها يا بن الوليد فقم بها *** فقام امرئ في قومه غير حامل

فكلم هشاما و أمر بتخليته فقال يمدح الأبرش:

لقد وثب الكلبي وثبة حازم *** إلى خير خلق الله نفسا و عنصرا

إلى خير أبناء الخليفة لم يجد *** لحاجته من دونها متأخرا

أبي حلف كلب في تميم و عقدها *** كما سنّت الآباء أن يتغيّرا

أو كان هذا الحلف حلفا قديما بين تميم و كلب في الجاهلية، و ذلك قول جرير بن الخطفي في الحلف:

تميم إلى كلب و كلب إليهم *** أحقّ و أدنى من صداء و حميرا

و قال الفرزدق:

أشدّ حبال بين حيين مرّة *** حبال أمرت من تميم و من كلب (1)

و ليس قضاعيّ لدينا بخائف *** و لو أصبحت تغلي القدور من الحرب

و قال أيضا:

ألم تر قيسا قيس عيلان شمّرت *** لنصري و حاطتني هناك قرومها

فقد حالفت قيس على النأي كلّهم *** تميما فهم منها و منها تميمها (2)

و عادت عدويّ إن قيسا لأسرتي *** و قومي إذا ما الناس عدّ صميمها

شرطيان يعبتان به:

أخبرني ابن دريد: قال حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة، قال:

بينما الفرزدق جالس بالبصرة أيام زياد في سكة ليس لها منفذ إذ مرّ به رجلان من قومه كانا في الشرطة و هما راكبان، فقال أحدهما لصاحبه: هل لك أن أفزّعه - و كان جباناً - فحرّكا دابّتيهما نحوه فأدبر موليا فعثر من طرف برده فشقه، و انقطع شسع نعله، و انصرفا عنه، و عرف أنّهما هزّئا منه فقال:

لقد خار إذ يجري عليّ حماره *** ضرار الخنا و العنبري بن أخوقا (3)

و ما كنت لو خوّفتماني كلاكما *** بأميكما عريانتين لأفرقا

حديثه مع توبة و ليلي الأخيلية:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا القحذمي عن بعض ولد قتيبة بن مسلم

ص: 221

-
- 1- المرة: إحكام الفتل.
 - 2- المصراع الثاني منقول عن هد، وفي ب «لأسرى لقومي قيسها وتميمها» و لا معنى له.
 - 3- لا موضع للخور هنا، و نرجح أن «خار» تحريف «خاب» و ضرار و ابن أخوق: الشرطيان اللذان سخرا به.
 - 4- الخادر الشتيم: الأسد، و أراد به حمارهما على سبيل التهكم، و في بعض النسخ بدل «مزقا» «فرقا» و في بعضها: «مرقا».

عن ابن زالان المازني، قال: حدثني الفرزدق، قال:

لما طردني زياد أتيت المدينة وعليها مروان بن الحكم، فبلغه أنني خرجت من دار ابن صياد، وهو رجل يزعم أهل المدينة أنه الدجال، فليس يكلمه أحد، ولا يجالسه أحد، ولم أكن عرفت خبره، فأرسل إليّ مروان فقال:

أتدري ما مثلك؟ حديث تحدث به العرب: أن ضبعاً مرت بحي قوم، وقد رحلوا، فوجدت امرأة، فنظرت وجهها فيها، فلما نظرت قبح وجهها ألقته، وقالت: من شر ما أطرحك أهلك، ولكن من شر ما أطرحك أميرك(1)، فلا تقيمنّ بالمدينة بعد ثلاثة أيام، قال: فخرجت أريد اليمن، حتى إذا صرت بأعلى ذي قسيّ - وهو طريق اليمن من البصرة - فإذا رجل مقبل، فقلت: من أين أوضع الراكب(2)؟ قال: من البصرة، قلت: فما الخبر وراءك؟ قال: أتانا أن زيادا مات بالكوفة، قال: فنزلت عن راحلتي، فسجدت، وقلت: لو رجعت، فمدحت عبيد الله بن زياد، وهجوت مروان بن الحكم، فقلت:

وقفت بأعلى ذي قسيّ مطيبيّ *** أمثل في مروان و ابن زياد

/فقلت: عبيد الله خيرهما لنا *** وأدناهما من رافة و سداد(3)

و مضيت لوجهي، حتى وطئت بلاد بني عقيل فوردت ما بين مياهم(4) فإذا بيت عظيم و إذا فيه امرأة سافرة لم أر كحسنها و هيئتها قط، فدنوت، فقلت: أتأذنين/في الظل؟ قالت: أنزل فلك الظل و القرى، فأنخت، و جلست إليها، قال: فدعت جارية لها سوداء كالراعية، فقالت: ألطفية(5) شينا و اسعي إلى الراعي، فردّي عليّ شاة، فاذبحها له، و أخرجت إليّ تمرا و زبدا، قال: و حادثتها فو الله ما رأيت مثلها قطّ، ما أنشدتها شعرا إلا أنشدتني أحسن منه، قال: فأعجبني المجلس و الحديث إذ أقبل رجل بين بردين، فلما رأته رمت ببرقعها على وجهها، و جلس(6) و أقبلت عليه بوجهها و حديثها، فدخلني من ذلك غيظ، فقلت للحين: هل لك في الصراع؟ فقال: سوأة لك(7)، إن الرجل لا يصارع ضيفه، قال: فألححت عليه، فقالت له: ما عليك لو لا عبت ابن عمك؟ فقام، و قمت، فلما رمى ببرده، إذا خلق عجيب، فقلت: هلكت و ربّ الكعبة، فقبض على يدي، ثم اختلجني(8) إليه، فصرت في صدره، ثم حملني، قال: فو الله ما أتقيت الأرض إلا بظهر كبدي و جلس على صدري، فما ملكت نفسي أن ضرطت ضرطة منكرة، قال: و ثرت إلى جملي فقال: أنشدك الله(9)، فقالت المرأة: عافاك الله الظل(10) و القرى، فقلت: أخزى الله ظلّكم و قراكم، و مضيت، فبينما أسير إذ لحقني الفتى على نجيب يجنب بختيا(11) برحله

ص: 222

1- «و لكن من شر ما اطرحك أميرك»: كلام جديد ليس من تنمة المثل، و لعل مروان يعني أن الفرزدق كالمراة التي ترى القبيح قبحه، و ذلك لكثرة أحاجيه و ذكره معايب الناس.

2- يقال: أوضع الراكب الدابة: حملها على المسير.

3- في هد: «خيرهمو أبا و أدناهمو» بدل «خيرهما لنا و أدناهما».

4- في هد، هج: «فوردت ماء من مياهم».

5- ألطف فلان فلانا: أتخفه و بره.

6- في بعض النسخ: «و جلست».

7- سوأة لك: أتيت عملا سائنا.

8- اختلجه: جذبه، و انتزعه.

9- يقسم عليه ألا يرحل.

10- تريد انتظر ما طلبته لك من الظل و القرى.

11- في هج: يجنب نجيبا، البختي: واحد البخت، و هي الإبل الخراسانية، و المعنى على كلا الحالين أنه لحقه بجمل فاره إلى جانبه.

وزمامه، و كان رحله من أحسن الرجال، فقال: يا هذا، والله ما سرني ما كان، وقد أراك أبدعت أي كَلَّت ركابك، فخذ هذا النجيب، وإياك أن تخدع عنه، فقد والله أعطيت به ماتتي دينار قلت: نعم آخذه، ولكن أخبرني من أنت؟ و من هذه المرأة؟ قال: أنا توبة بن الحمير، وتلك ليلى الأخيلىة، /وقد أخبرني بهذا الخبر عمي.

رواية أخرى في الخبر السابق:

قال: حدثني القاسم بن محمد الأنباري، قال: حدثني أحمد بن عبيد، عن الأصمعي، قال:

كانت امرأة من عقيل يقال لها ليلى، يتحدث إليها الشباب، فدخل الفرزدق إليها، فجعل يحادثها، وأقبل فتى من قومها، كانت تألفه، ودخل إليها فأقبلت عليه بحديثها، وتركت الفرزدق، فغاظه ذلك، فقال للرجل:

أ تصارعني؟ قال: ذلك إليك، فقام إليه الرجل فلم يلبث أن أخذ الفرزدق مثل الكرة فصرعه، وجلس على صدره، فصرط الفرزدق، فوثب عنه الرجل خجلا، وقال له الرجل: يا أبا فراس، هذا مقام العائذ بك، والله ما أردت بك ما جرى، فقال: ويحك، ما بي أن صرعتني، ولكن كأني بآبنا الأتان جرير، وقد بلغه خبري هذا، فقال يهجونى:

جلست إلى ليلى لتحظى بقربها *** فخانك دبر لا يزال يخون

فلو كنت ذا حزم شددت وكاءها *** كما شدّ خرتا للدلاص قيون(1)

قالوا: فوالله ما مضت أيام حتى بلغ جريرا الخبر، فقال فيه هذين البيتين.

يقضي يوما كيوم دارة جلجل:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذمي، قال: حدثني بعض أصحابنا، عن عبد الله بن زالان التميمي راوية الفرزدق، أن الفرزدق قال: أصابنا بالبصرة مطر(2) جود ليلا، فإذا أنا بأثر دوابّ قد خرجت ناحية البرية، فظننت قوما قد خرجوا لنزهة، فقلت: خليق أن تكون معهم سفرة و شراب.

فقصصت أثرهم، حتى وقفت إلى بغال عليها رحائل/موقوفة على غددير، فأغذذت(3) السير نحو الغدير، فإذا نسوة مستنقعات في الماء، فقلت: لم أر كالسيوم قط، /و لا يوم دارة جلجل(4)، وانصرفت مستحييا منهن، فنادينني:

بالله يا صاحب البغلة، ارجع نسألك عن شيء، فانصرفت إليهن، وهن في الماء إلى حلوقهن، فقلن: بالله إلا ما خبرتنا بحديث دارة جلجل، فقلت: إن امرأة القيس كان عاشقا لابنة عم له يقال لها عنيزة، فطلبها زمانا، فلم يصل إليها، وكان في طلب غرة من أهلها؛ ليزورها، فلم يقض له، حتى كان يوم الغدير، وهو يوم دارة جلجل، وذلك أن الحي احتملوا(5)، فتقدم الرجال، وتخلف النساء والخدم والنقل(6)، فلما رأى ذلك امرؤ القيس تخلف بعد ما سار مع قومه غلوة، فكمن في غيابة من الأرض، حتى مر به النساء فإذا فتيات، وفيهن عنيزة، فلما وردن الغدير قلن: لو نزلنا فذهب عنا بعض الكلال، فنزلن إليه، ونحّين العبيد عنهن، ثم تجردن فاغتمسن في الغدير، كهيتكن

- 1- الوكاء: الخيط الذي تربط به الصرة أو الكيس ونحوهما، الخرت: الثقب. الدلاص: الدرع اللينة، قيون: جمع قين، وهو الحداد.
- 2- المطر الجود: المطر الغزير.
- 3- أغذ السير: أسرع.
- 4- دارة جلجل: مكان، وهو المشار إليه في معلقة امرئ القيس بقوله: ألابّ يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل
- 5- احتملوا: رحلوا.
- 6- الثقل - بفتح القاف -: المتاع.

الساعة، فأتاهن امرؤ القيس محتالاً - كنعو ما أتيتكن، و هن غوافل، فأخذ ثيابهن، فجمعها - و رمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعض أثوابهن، فجمعها، و وضعها على صدره - و قال (1) لهن كما أقول لكن: و الله لا أعطي جارية منكن ثوبها، و لو أقامت في الغدير يومها، حتى تخرج مجردة، قال الفرزدق: فقالت إحداهن، و كانت أمجنهن:

ذلك كان عاشقاً لابنة عمه، أفاعشقت أنت لبعضنا؟ قال: لا و الله، ما أعشقت منكن واحدة، و لكن أشتهيكن، قال:

فنعرن (2)، و صفقن بأيديهن، و قلن: خذ في حديثك، فلست منصرفاً إلا بما تحب، قال الفرزدق في حديث امرئ القيس: فتأبين ذلك عليه حتى تعالي النهار، ثم خشين أن يقصرن دون المنزل الذي أردنه، فخرجت إحداهن، فوضع لها ثوبها ناحية! فأخذته فلبسته، ثم تتابعن/على ذلك حتى بقيت عنيزة، فناشدته الله أن يطرح إليها ثوبها، فقال: دعينا منك؛ فأنا حرام (3) إن أخذت ثوبك إلا بيدك، فخرجت فنظر إليها مقبلة و مدبرة، فوضع لها ثوبها، فأخذته، و أقبلن عليه يلمنه، و يعدلنه، و يقلن: عزيتنا، و حبستنا، و جوعتنا، قال: فإن نحررت لكن مطيتي أ تأكلن منها؟ قلن: نعم، فاخترط (4) سيفه، فعقرها، و نحرها، و كشطها، و صاح بالخدم، فجمعوا له حطباً، فأجج ناراً عظيمة، ثم جعل يقطع لهن من سنامها و أطايبها و كبدها، فيلقياها على الجمر، فيأكلن، و يأكل معهن، و يشرب من ركوة (5) كانت معه و يغنيهن، و ينبذ إلى العبيد و الخدم من الكباب، حتى شعبن، و طربن، فلما أراد الرحيل قالت إحداهن: أنا أحمل طنفسته (6)، و قالت الأخرى: أنا أحمل رحله، و قالت الأخرى: أنا أحمل حشيتته و أنساعه (7)، فتقسّ من متاع راحلته بينهن، و بقيت عنيزة لم يحمّلها شيئاً، فقال لها امرؤ القيس: يا ابنة الكرام، لا بد لك أن تحمليني معك؛ فإني لا أطيق المشي، و ليس من عادتي، فحملته على غارب بعيرها، فكان يدخل رأسه في خدرها، فيقبلها، فإذا امتنعت مال حدجها (8)، فتقول: يا مرأ القيس، عقرت بعيري، فانزل، فذلك قوله:

تقول و قد مال الغبيط بنا معا: *** عقرت بعيري يا مرأ القيس فانزل

فلما فرغ الفرزدق من الحديث قالت تلك الماجنة: قاتلك الله، ما أحسن حديثك يا فتى/ أو أظرفك، فمن أنت؟ قال: قلت: من مضر، قالت: و من أيها؟ فقلت: من/ تميم، قالت: و من أيها؟ قلت: إلى هاهنا انتهى الكلام، قالت: إخالك و الله الفرزدق قلت: الفرزدق شاعر و أنا راوية، قالت: دعنا من توريتك على نسبك (9)، أسألك بالله، أنت هو؟ قال: أنا هو و الله، قالت: فإن كنت أنت هو (10) فلا أحسبك مفارقاً ثيابنا إلا عن رضا، قلت: أجل، قالت: فاصرف وجهك عنا ساعة و همست إلى صويحاتها بشيء لم أفهمه، فغططن في الماء، فتوارين، و أبدين رءوسهن، و خرجن، و مع كل واحدة منهن ملء كفيها طينا، و جعلن يتعادين نحوي، فضربن بذلك الطين

ص: 224

- 1- فاعل «قال» ضمير امرئ القيس.
- 2- نعرن: صوتن بخياشيمهن أصواتاً فيها غنة.
- 3- العبارة في معنى القسم، أو المراد: أنا مرتكب حرام.
- 4- اخترط سيفه: سله من غمده.
- 5- الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، أو الدلو الصغيرة.
- 6- الطنفسة - بضم الطاء و الفاء، أو فتح الطاء مع كسر الفاء و فتحها، أو كسر الطاء مع فتح الفاء و كسرهما - الوسادة الصغيرة تجعل تحت الرجل.
- 7- الأنساع: سيور طويلة عريضة تشد بها الحقائب و الرحال.

8- الحدج: مركب من مراكب النساء، كالهودج والمحفة.

9- في هج: «عن نفسك» بدل «على نسبك».

10- أنت هنا ليست تأكيدا للتاء، وإلا لوجب أن يقول: فإن كنت إياه. وإنما جملة «أنت هو» خبر كان.

و الحمأة(1) وجهي، و ملآن عيني و ثيابي، فوقعت على وجهي، فصرت مشغولا بعيني و ما فيها، و شددن على ثيابهن، فأخذنها، و ركبت الماحنة بغلتي، و تركتني منبطحا بأسوا حال و أخزاها و هي تقول: زعم الفتى أنه لا بد أن ينيكنا، فما زلت(2) من ذلك المكان حتى غسلت وجهي و ثيابي، و جففتها، و انصرفت عند مجيء الظلام إلى منزلي على قدمي، و بغلتي قد وجهن بها إلى منزلي مع رسول لهن، و قلن: قل له تقول لك أخواتك: طلبت مئا ما لم يمكننا، و قد وجهنا إليك بزوجتك، فنكها سائر ليلتك و هذا كسر(3) درهم لحمامك إذا أصبحت، فكان إذا حدث بهذا الحديث يقول: ما منيت بمثلهن.

يهجو من يرثي زيادا:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم الحراني، قال: حدثني الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال:

لما مات زياد رثاه مسكين الدرامي، فقال الفرزدق:

أ مسكين أبكى الله عينيك إنما *** جرى في ضلال دمعها إذ تحدرا

بكيت امرأ من آل ميسان كافرا *** ككسرى على عدائه أو كقيصرا(4)

أقول له لَمَا أتاني نعيه *** به لا بطبي بالصريمة أفرأ(5)

يهجو و يمدح آل المهلب:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي مسلم الحراني، قال: حدثنا الأصمعي، قال: حدثنا العلاء بن أسلم، قال:

لما أراد المهلب الخروج إلى الأزارقة(6) لقي الفرزدق جريرا، فقال له: يا أبا فراس، هل لك أن تكلم المهلب، حتى يضع عني البحث، و أعطيك ألف درهم، فكلم المهلب، فأجابه فلامه جذيع، رجل من عشيرته، و شكاه ذلك إلى خيرة امرأة المهلب و قال لها: لا يزال الآن الرجل يجيء فيسأل في عشيرته و صديقه، فلامته خيرة بنت ضمرة القشيرية، فقال المهلب. إنما اشتريت عرضي منه، فبلغ ذلك الفرزدق، فقال يهجو جذيعا.

إن تبني دارك يا جذيع فما بني *** لك يا جذيع أبوك من بنيان

و أبوك ملتزم السفينة عاقد *** خصيه فوق بنائق التبان(7)

و يظل يدفع باسته متقاعسا *** في البحر معتمدا على السكان(8)

ص: 225

1- الحمأة: الطين الأسود الكريه الرائحة.

2- ما زلت هنا تامة لا خبر لها بمعنى ما انتقلت.

3- الكسر: القليل.

- 4- ميسان: كورة بين البصرة وواسط، العدان: العهد و الزمان، و انظر «اللسان» (عدد).
- 5- الصريمة: القطعة المنعزلة من الرمل، الأعفر من الظباء: ما يعلو بياضه حمرة، و المعنى: به الهلاك لا بظبي أعفر، كأن الظبي خير منه.
- 6- الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق من الخوارج.
- 7- بنائق: جمع بنيقة، و هي الزيتق يخاط في جيب القميص تثبت فيه الأزرار، التبان: سراويل يلبسها الملاحون و الفلاحون و نحوهم، يعيره بأن أباه ملاح في سفينة.
- 8- التقاعس: بروز الصدر و دخول الظهر في الجسم.

لا تحسبنّ دارهما جمعتها *** تمحو مخازيك التي بعمان

/وقال يهجو خيرة.

ألا قشر الإله بني قشير *** كقشر عصا المنقح من معال (1)

أرى رهطاً لخيرة لم يثوبوا *** بسهم في اليمين ولا الشمال (2)

/إذا رهزت رأيت بني قشير *** من الخيلاء منتفشي السبال

فغضب بنو المهلب لما هجا جديعا وخيرة، فنالوا منه، فهجاهم، فقال:

و كائن للمهلب من نسيب *** يرى بلبانة أثر الزيار (3)

بخارك لم يقدر فرسا ولكن *** يقود الساج بالمسد المغار (4)

عمي بالتائف حين يضحى *** دليل الليل في اللجج الغمار (5)

و ما لله يسجد إذ يصلي *** ولكن يسجدون لكل نار

فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان والعراق بعد أبيه - ولأه سليمان بن عبد الملك - خاف الفرزدق من بني المهلب، فقال يمدحهم:

فلا مدحت بني المهلب مدحة *** غراء قاهرة على الأشعار

/مثل النجوم أمامها قمرؤها *** تجلو العمى وتضيء ليل الساري (6)

ورثوا الطعان عن المهلب والقرى *** و خلانقا كتدقق الأنهار

كان المهلب للعراق وقاية *** و حيا الربيع و معقل الفرار

و إذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم *** خضع الرقاب نواكس الأبصار

ما زال مذ شدد الإزار بكفه *** و دنا فأدرك خمسة الأشبار (7)

أ يزيد إنك للمهلب أدركت *** كفأك خير خلانق الأخيار

ص: 226

1- يقال: نفع العود: قشره، معال: أعلى، يقول: قشر الله بني قشير كقشر عصا العود المقشور من أعلاه.

2- في هد، هج: «فلو لا رهز خيرة لم يتوبوا» و نرجح أن رهز تحريف «رعز» و الرعز: الجماع، يقول: إن بني قشير يستمدون مجدهم من

مصاهرتهم للمهلب و مواقعه خيرة ابنتهم.

3- نسيب: قريب ينتسب إليه، اللبان: الصدر، الزيار: ما يشد به الرحل إلى صدر البعير، يعيره بأن أهله فلاحون. يرى أثر جر حبال المراكب في صدورهم.

4- في الأصل «نجارك» وهو تصحيف بخارك، و خارك: جزيرة فارسية كان أبو المهلب منها، الساج: شجر تتخذ منه المراكب، المغار: المحكم القتل يقول: إن للمهلب في خارك أقارب لا يقودون خيلا، بل يجرون السفن بالحبال، وفي بعض النسخ «تخاذل» بدل «بخارك» وهو تصحيف أيضا.

5- التناف: جمع تنوفة، وهي الفلاة: يقول: إن أهله لا عهد لهم بالصحارى فلا يعرفونها في النهار، و يعرفون شواطئ المياه ليلا، وفي الأصول «ذليل» وهي تصحيف «دليل».

6- القمراء: ضوء القمر.

7- خبر «ما زال» مفهوم من المقام، أي ما زال كريما مهيبا ونحو ذلك.

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثني الأصمعي، قال:

لما قدم يزيد بن المهلب واسطا قال لأمية بن الجعد - وكان صديق الفرزدق -: إني لأحب أن تأتيني بالفرزدق، فقال للفرزدق: ما ذا فاتك من يزيد أعظم الناس عفواً، وأسخرى الناس كفاً، قال: صدقت، ولكن أخشى أن آتية فأجد العمانيّة ببابه فيقوم إليّ رجل منهم فيقول: هذا الفرزدق الذي هجانا، فيضرب عنقي، فيبعث إليه يزيد، فيضرب عنقه، ويبعث إلى أهلي ديتي، فإذا يزيد قد صار أوفى العرب، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب، قال(1): لا والله لا أفعل، فأخبر يزيد بما قال، فقال: أما إذ قد وقع هذا بنفسه فدعه لعنه الله.

ماجن يريد أن ينزو عليه:

قال ابن حبيب: وحدثنا يعقوب بن محمد الزهري عن أبيه عن جده قال:

دخل الفرزدق مع فتیان من آل المهلب في بركة يتبرّدون فيها، و معهم ابن أبي علقمة الماجن، فجعل يتفلّت إلى الفرزدق، فيقول: دعوني أنكحه، حتى لا يهيجونا/أبدأ، وكان الفرزدق من أجبن الناس، فجعل يستغيث، ويقول: ويلكم! لا يمّسّ جلده جلدي، فيبلغ ذلك جريراً، فيوجب عليّ أنه قد كان منه الذي يقول، فلم يزل يناشدهم حتى كفوه عنه.

يفخر بالمضربة أمام حاكم يمانى:

أخبرني عبيد الله قال: حدثني محمد بن حبيب قال: حدثني موسى بن طلحة قال: لمّا ولي خالد بن عبد الله العراق، فقدمها وكان من أشد خلق الله عصبية على نزار فقال(2) لبطة بن الفرزدق: فلبس أبي من صالح ثيابه؛ و خرج يريد السلام عليه، فقلت له: يا أبت، إن هذا الرجل يمانى، وفيه من العصبية ما قد علمت، فلو(3) دخلت إليه فأشددته مدائحك أهل اليمن لعل الله أن يأتيك منه بخير، فإنك قد كبرت على الرحلة، فجعل/لا يردّ عليّ شيئاً؛ حتى دفعنا إلى البواب؛ فأذن له؛ فدخل؛ وسلم؛ فاستجلسه(4)؛ ثم قال: إيه يا أبا فراس، أنشدنا مما أحدثت، فأشددته:

يختلف الناس ما لم نجتمع لهم *** ولا خلاف إذا ما أجمعت مضر

فيها الكواهل والأعناق تقدمها *** فيها الرءوس وفيها السّمع والبصر(5)

ولا نحالف غير الله من أحد *** إلا السيوف إذا ما اغرورق النظر(6)

و من يمل يمل المأثور قلّته *** بحيث يلقي حفافي رأسه الشعر(7)

ص: 227

1- فاعل «قال» ضمير الفرزدق، وفي بعض النسخ «ثم قال».

2- كذا في الأصول، ونرى حذف الفاء من «فقال» أو حذف لما من أول الجملة.

3- «لو» هنا ليست شرطية، بل هي للترجي.

4- فاعل «فاستجلسه» ضمير خالد بن عبد الله.

5- ضمير فيها يعود على الأعناق، و الكلام على تشبيه عليه القوم بالكواهل و الأعناق.

6- في الأصول و لا «يخالف» و هو تصحيف، و الصواب «نحالف» من المحالفة لا من المخالفة، اغرورق النظر: امتلأت العين بالدموع،
يكنى بذلك عن احتدام الحرب في لفحة الحر.

7- المأثور: السيف، قلته: رأسه، حفافا الشيء: جانباه، و المصراع الثاني، كناية عن الموت، كأنه شعر الحي تتجه أعاليه للهواء، فإذا صرع
التف بجاني الرأس.

أما المملوك فإننا لا نلين لهم *** حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

/ثم قام، فخرجنا، قلت: أ هكذا أوصيتك (1)؟ قال: اسكت، لا أم لك فما كنت قطّ أملاً لقلبه مني الساعة.

يفهم المنذر بن الجارود:

أخبرني عبد الله: قال حدثني محمد بن حبيب، عن موسى بن طلحة قال:

كان الفرزدق في حلقة في المسجد الجامع، وفيها المنذر بن الجارود العبديّ، فقال المنذر: من الذي يقول:

وجدنا في كتاب بني تميم *** أحقّ الخيل بالركض المعار (2)

فقال الفرزدق: يا أبا الحكم هو الذي يقول:

أ شارب قهوة و خدين زير *** و عبديّ لفسوته بخار (3)

وجدنا الخيل في أبناء بكر *** و أفضل خيلهم خشب وقار (4)

قال: فنجعل المنذر، حتى ما قدر على الكلام.

خليفة أموي بفضلته و يصله:

أخبرني عبد الله بن مالك: قال: حدثني محمد بن موسى قال: حدثنا الأصمعيّ قال:

دخل الفرزدق على بعض خلفاء بني مروان ففاخره قوم من الشعراء فأنشأ يقول:

ما حملت ناقة من معشر رجلا *** مثلى إذا الريح لفتني على الكور (5)

أعزّ قوما و أوفى عند مكرمة *** لمعظم من دماء القوم مهجور (6)

/فقال له: إيه، فقال:

إلا قريشا فإنّ الله فضّلها *** على البرية بالإسلام و الخير (7)

تلقى وجوه بني مروان تحسبها *** عند اللقاء مشوفات الدنانير (8)

ففضّله عليهم، و وصله.

عيسى بن حصيلة يعينه على الفرار من زياد:

قال ابن حبيب: و كان الفرزدق يهاجي الأشهب بن رميلة النهشليّ و بني فقيم، فأرث (9) بهم، فاستعدوا عليه

1- ينكر لبطة على أبيه فخره بالمضرية، مع أنه أوصاه بمدح اليمانية.

2- يريد أن التميميين يحافظون على خيولهم، و لا يقون على خيول غيرهم إذا استعاروها.

3- الزير: أحد أوتار العود، ويريد بالمصراع الأول أنه رجل خمر و لهو و طرب، أما المصراع الثاني فقد اختلفت الأصول فيه اختلافا كبيرا، و الذي أثبتناه هو ما رجحناه. ففي بعض الأصول «لنسوته يخار» بدل «لفسوته بخار» و في بعضها «وصراء» بدل «وعبدي».

4- يكنى بالخشب و القار عن السفن، كأنه يعيرهم بالملاحة.

5- الكور: الرحل.

6- يريد بقوله: «من دماء القوم مهجور» أنه لا- يطالب بتره، كما يقول المتنبي: «و كل دم أراقته جبار»، و في هد: «مبهور» و في هج: «مشهور».

7- الخير - بكسر الخاء - الكرم و الشرف.

8- مشوفات الدنانير: الدنانير المجلوة اللامعة.

9- أرفث: أفحش.

زيادا، فحدثني جابر بن جندل: قال: فأتى عيسى بن حصيلة بن مغيث بن نصر بن خالد السلمي ثم من بني بهز، فقال: يا أبا حصيلة، إن هذا الرجل قد أخافني؛ وقد لفظني جميع من كنت أرجو، قال: فمرحبا بك يا أبا فراس، فكان عنده ليالي، ثم قال: إني أريد أن ألحق بالشام، قال: إن أقمت ففي الرّحب والسّعة، وإن شخصت فهذه ناقة أرحبيّة (1) أمّتك بها، وألف درهم، فركب الناقة، وخرج من عنده ليلا، فأرسل عيسى معه من أجازته من البيوت؛ فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث، فقال يمدحه:

كفاني بها البهزيّ حملان من أبي *** من الناس، والجاني تخاف جرائمه (2)

فتى الجود عيسى و المكارم و العلا *** إذا المال لم ينفع بخيلا كرائمه

/و من كان يا عيسى يؤنّب ضيفه *** فضيفك يا عيسى هنيء مطاعمه (3)

/و قال: تعلّم أنها أرحبيّة *** وأنّ لك الليل الذي أنت جاشمه (4)

فأصبحت و الملقى ورائي و حنبل *** و ما صدرت حتى علا النجم عاتمه (5)

تزاور في آل الحقيق كأنها *** ظليم تبارى جنح ليل نعائمه (6)

رأت دون عينها ثوية فانجلى *** لها الصبح عن صعل أسيل مخاطمه (7)

و قال:

تداركني أسباب عيسى من الرّدى *** و من يك مولاه فليس بواحد

نمته النواصي من سليم إلى العلا *** و أعراق صدق بين نصر و خالد

سأنتي بما أوليتني و أربّه *** إذا القوم عدّوا فضلهم في المشاهد

فلما بلغ زيادا شخصه أتبعه عليّ بن زهدم الفقيميّ: أحد بني موآلة (8) فلم يلحقه فقال الفرزدق:

فإنك لو لا لاقيتني بن زهدم *** لأبت شعاعيا على غير تمثال (9)

بلجا إلى بكر بن وائل:

فأتى بكر بن وائل، فجاورهم، فأمن، فقال:

ص: 229

1- أرحبية: نسبة إلى أرحب، و هو فحل أو مكان أو قبيلة تنسب إليها الإبل الممتازة.

2- ضمير بها يعود على الناقة المهداة إليه، البهزي: لقب عيسى بن حصيلة، الحملان - بضم الحاء - الدواب تحمل عليها الهدايا، يقول:

كفاني بهذه الناقة أن أستهدي من يأبى إهدائي ناقة تحملني، و من كان جانبا مثله تحاشاه الناس.

3- هنيئا: مفعول مطلق لفعل محذوف، وفي هد، هج: «فضيفك محبور هنيء مطاعمه».

4- أرحبية: انظر هامش 4 ص 349، جاشمة: متكلف السير فيه، يريد أن هذه الناقة تعينه على السير ليلا.

5- الملقى و حنبل: مكانان، عاتمه: مظلمه، وفي بعض النسخ: «تلا الليل» بدل «علا النجم».

6- تزاور: أصله تتزاور بمعنى تميل، والحقيق: مكان، وفي بعض النسخ: «الحفير» وهو مكان أيضا. الظليم: ذكر النعام، تبارى: أصله تبارى، ولا مانع من اعتباره فعلا ماضيا، والمراد التباري في العدو.

7- ثوبة: مكان، وفي بعض النسخ «روية»، الصعل: ما دق رأسه من النعام، أسيل: ناعم، مخاطم: جمع مخطم، وهو مقدم الأنف. وفي ف: «تخاطمه».

8- في بعض النسخ: «أحد بني سواة» وفي بعضها «موآلة» وفي بعضها: «سواة».

9- شعاعيا: نسبة إلى الشعاع بمعنى التفرق، يريد: لتطيرت جوارحك أو نفسك، فلم يكن لك تمثال، وفي بعض النسخ «على شر تمثال» و في بعضها: «على قبر تمثال»

أو قد مثلت أين المسير فلم تجد *** لعودتها كالحَيِّ بكر بن وائل(1)

وسارت إلى الأجنان خمسا فأصبحت *** مكان الثريا من يد المتناول(2)

وما ضرها إذ جاورت في بلادها *** بني الحصن ما كان اختلاف القبائل

الحصن بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل.

يأمن زيادا في حمى سعيد بن العاص:

وهرب الفرزدق من زياد، فأتى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، وهو على المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فأمنه سعيد، فبلغ الفرزدق أن زيادا قال: لو أتاني أمنته، وأعطيته، فقال في كلمة له:

دعاني زياد للعطاء ولم أكن *** لآتيه ما ساق ذو حسب وقرا(3)

وعند زياد لو أراد عطاءهم *** رجال كثير قد يرى بهم فقرا(4)

قعود لدى الأبواب طلاب حاجة *** عوان من الحاجات أو حاجة بكر(5)

فلما خشيت أن يكون عطاؤه *** أداهم سودا أو محدرجة سمر(6)

نميت إلى حرف أضرت بنيها *** سرى الليل واستعراضها البلد القفرا(7)

فلما اطمأن عند سعيد بن العاصي بالمدينة قال:

ألا من مبلغ عني زيادا *** مغلغة يخب بها البريد(8)

بأن قد فررت إلى سعيد *** ولا يسطاع ما يحمي سعيد

فررت إليه من ليث هزبر *** تقادى عن فريسته الأسود(9)

فإن شئت انتميت إلى النصارى *** وناسبي وناسبت اليهود

وإن شئت انتسبت إلى فقيم *** وناسبي وناسبت القرود

وأبغضهم إلي بنو فقيم *** ولكن سوف آتي ما تريد(10)

ص: 230

المسير؟ فلم تجد من يعيدها كهذا الحي.

2- الأجنان: جمع جفن، و من معانيه أصل الكرم، أو قضبانه، أو نوع من العنب، أو شجر طيب الرائحة، و كل هذه المعاني محتملة.

3- الوقر: الحمل، و المراد أنه لن يذهب إليه البتة.

4- ضمير «عطاءهم» يعود على رجال، و هو متأخر لفظاً لا رتبة، و ذلك جائز.

5- العوان: من سبق لها الزواج من النساء، و أراد هنا الحاجة المتكررة، و كان القياس «عوانا» بالنصب على التبعية لحاجة باعتبار المعنى، حتى لا يكون في البيت إقواء.

6- أدهم: جمع أدهم، يريد القيد، المحدوجة: السياط.

7- نمت إلى حرف: من نمت الصيد إذا غاب و تباعد، و الحرف: الناقة، و النى: الشحم، يقول: لما خفت قيود زياد و سياطه لجأت إلى ناقة أكل السير و السري شحمها.

8- مغلغلة، أي رسالة مغلغلة: محمولة من بلد إلى بلد.

9- من هنا بيانية، فالمشبه بالأسد سعيد لا زياد الذي فر منه.

10- في هج: «و لكن سوف آتي ما يكيد» و لعل هذه الرواية أنسب.

فأقام الفرزدق بالمدينة؛ فكان يدخل بها على القيان. فقال:

إذا شئت غنّاني من العاج قاصف *** على معصم ريان لم يتخذد(1)

البيضاء من أهل المدينة لم تعش *** ببؤس و لم تتبع حمولة مجحد(2)

وقامت تخشيني زيادا و أجفلت *** حوالِي في بردي يمان و مجسد(3)

فقلت: دعيني من زياد فإني *** أرى الموت وقّاعا على كل مرصد

بينه و بين مسكين الدارامي:

فلما هلك زياد رثاه مسكين بن عامر بن شريح بن عمرو بن عدي بن عدس بن عبد الله بن دارم، فقال:

أرأيت زيادة الإسلام ولّت *** جهارا حين فارقتها زياد

فبلغ ذلك الفرزدق، فقال:

أ مسكين أبكى الله عينيك إنّما *** جرى في ضلال دمعها فتحدّرا(4)

أ تبكي امرا من آل ميسان كافرا *** ككسرى على عدّانه أو كقيصرا

أقول له لما أتاني نعيّه: *** به لا بظبي بالصريمّة أعفرا

فقال مسكين:

ألا أيها المرء الذي لست قائما *** و لا قاعدا في القوم إلا انبرى ليا

فجنني بعمّ مثل عمّي أو أب *** كمثل أبي أو خال صدق كخاليا

بعمرو بن عمرو أوزارة ذي الندى *** سموت به حتى فرعت الرّوايا

فأمسك الفرزدق عنه، و كان يقول: نجوت من أن يهجونني مسكين، فإن أجبته ذهبت بشطر فخري، وإن أمسكت عنه كانت وصمة على مدى الدهر.

عائذة بقبر أبيه:

أخبرني(5) أبو خليفة، فقال: أخبرنا ابن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد المازني، قال: كان تميم بن زيد القضاعي، ثمّ أحد بني القين بن جسر غزا الهند في جيش، فجمّهم(6)؛ وفي جيشه رجل يقال له حبّيش، فلما طالت غيبته على أمه اشتاقته، فسألت عمن يكلم لها تميم بن زيد أن يقفل ابنها، فقيل لها: عليك بالفرزدق، فاستجيري بقبر أبيه، فأنت قبر غالب بكازمة، حتى علم الفرزدق مكانها.

- 1- قاصف من العاج: مزهر أو نحوه من آلات الغناء متخذ من العاج، وهو من القصف بمعنى اللهو، على معصم ريان لم يتخذد: على معصم ممتلئ أملس لا تشقق فيه.
- 2- المجحد: القليل الخير، يريد أنها جارية ناشئة في نعمة.
- 3- مجسد: مطلي بالجسد، وهو الزعفران أو العصفور ونحوهما مما كانوا يطلون به الثياب، تخشيني زيادا: تخوفني إياه.
- 4- تقدمت هذه الأبيات في الترجمة نفسها، فارجع إليها.
- 5- هذا الخبر و الخبران اللذان بعده ساقطة من الأصل، وقد نقلناها من هد، هج.
- 6- جمرهم: أطال مدة غزوهم.

ثم أتته، وطلبت إليه حاجتها، فكتب إلى تميم بن زيد هذه الأبيات:

هب لي حببشا واتخذ فيه منة *** لغصة أم ما يسوغ شرابها

أتنتي فعادت يا تميم بغالب *** وبالحفرة السافي عليها ترابها

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي *** بظهر فلا يخفى عليّ جوابها

فلما أتاه كتابه لم يدر ما اسمه حببش أو حنيش، فأخرج «ديوانه»، وأقل كل حببش وحنيش في حببشه، وهم عدّة، وأنفذهم إلى الفرزدق.

عائذ بقبر أبيه:

قال أبو خليفة: قال ابن سلام، وحدثني أبو يحيى الضبي، قال:

ضرب مكاتب لبنى منقر بساطا على قبر غالب أبي الفرزدق؛ فقدم الناس على الفرزدق، فأخبروه بمكانه عند قبر أبيه.

ثم قدم عليه فقال:

بقبر ابن ليلي غالب عدت بعد ما *** خشيت الردى أو أن أردّ على قسر

فأخبرني قبر ابن ليلي فقال لي: *** فكاكك أن تأتي الفرزدق بالمصر (1)

فقال الفرزدق: صدق أبي؛ أنخ؛ ثم طاف له في الناس؛ حتى جمع له مكاتبته وفضلا.

عائذة أخرى بقبر أبيه:

وكان نقيع ذو الأهدام: أحد بني جعفر بن كلاب يتعصب لجرير بمدحه قيسا؛ فهجاه الفرزدق، فاستجارت أمه بقبر غالب؛ وعادت من

هجاه الفرزدق؛ فقال:

أو تبت ذا الأهدام يعوى و دونه *** من الشام زراعاتها وقصورها

على حين لم أترك على الأرض حية *** ولا نابجا إلا استقرّ عقورها

كلاب نبحن الحيّ من كل جانب *** فعاد عواء بعد نبج هريرها (2)

عجوز تصلي الخمس عادت بغالب *** فلا و الذي عادت به لا أضيورها

لئن نافع لم يرع أرحام أمه *** وكانت كدلو لا يزال يعيرها (3)

لبس دم المولود بلّ ثيابها *** عشية نادى بالغلام بشيرها

وإني على إشفاقها من مخافتي *** وإن عققها بي نافع لمجيرها

ولو أن أمّ الناس حوّاء جاورت *** تميم بن مرّ لم تجد من يجيرها(4)

ص: 232

1- سكن ياء تأتي للضرورة.

2- يريد بقوله «عاد عواء بعد نبج» أنها عادت تنن بعد أن كانت تصول.

3- عار يعير: عاب أو أتلّف، يريد أنه يسبب لأمه المتاعب.

4- يريد أن حواء لو استجارت ببني تميم منه لم تجد من يجيرها.

و هذا البيت يروى لغيره في غير هذه القصيدة(1).

جرير يبيز:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: حدثنا أحمد بن حاتم المعروف بابن نصر، عن الأصمعي، قال:

كان عبد الله بن عطية راوية الفرزدق و جرير، قال: فدعاني الفرزدق يوما، فقال: إني قلت بيت شعر و التّوار طالق إن نقضه ابن المراغة(2)، قلت: ما هو؟ قال: قلت:

فإني أنا الموت الذي هو نازل *** بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله(3)

ارحل إليه بالبيت، قال: فرحلت إلى اليمامة، قال: ولقيت جريرا بفناء بيته يعبث بالرمل، فقلت: إن الفرزدق قال بيتا، و حلف بطلاق النوار أنك لا تنقضه، قال: هيه، /أظنّ و الله ذلك؟ ما هو؟ ويملك، فأنشدته إياه، فجعل يتمرغ في الرمل، و يحثوه على رأسه و صدره، حتى كادت الشمس تغرب، ثم قال: أنا أبو حزره، طلقت امرأة الفاسق، و قال:

أنا الدهر يفني الموت و الدهر خالد *** فجئني بمثل الدهر شيئا يطاوله

ارحل إلى الفاسق، قال: فقدمت على الفرزدق، فأنشدته إياه، و أعلمته بما قال، فقال: أقسمت عليك لما سترت هذا الحديث.

هناك من هو أجفى منه:

أخبرني عبد الله، قال: أخبرني محمد بن حبيب، قال: حدثنا الأصمعي و أبو عبيدة، قال:

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة و عنده ناس من اليمامة، فضحكوا فقال: يا أبا فراس أتدري ممّ ضحكوا؟ قال: لا، قال: من جفائك، قال: أصلح الله الأمير، حججت، فإذا أنا برجل منهم على عاتقه الأيمن صبي، و على عاتقه الأيسر صبي؛ و إذا امرأة آخذة بمئزره؛ و هو يقول:

أنت و هبت زاندا و مزيدا *** و كهلة أولج فيها الأجردا(4)

او المرأة تقول من خلفه: إذا شئت، فسألت: ممن هو؟ فقيل: من الأشعريين، أفأنا أجفى أم ذلك؟ فقال بلال: لا حيّاك الله، قد علمت أنهم لن يفلتوا منك.

تهزمه امرأة:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن حبيب، قال: حدثنا موسى بن طلحة، عن أبي زيد الأنصاري، قال:

ص: 233

1- آخر التكملة من هد و هج.

2- المراغة: الأتان.

- 3- في بعض النسخ يروى هذا البيت هكذا: وإني أنا الموت الذي هو لاحق بنفسك فانظر كيف أنت محاوله
- 4- الخطاب في قوله: «أنت» لله جل جلاله، وزائد و مزيد: ولداه و يريد بالكهلة أمهما.

ركب الفرزدق بغلته، فمر بنسوة؛ فلما حاذاهنّ لم تتمالك البغلة أن ضرطت، فضحك منه، فالتفت إليهنّ، فقال: لا تضحكن، فما حملتني أنثى إلا- ضرطت، فقالت له/إحداهن: ما حملتك أنثى أكثر من أمك، فأراها قاست منك ضراطا كثيرا، فحرك بغلته، وهرب منهن، وبهذا الإسناد قال:

يهجو إبليس:

أتى الفرزدق الحسن البصري؛ فقال: إني قد هجوت إبليس، فقال: كيف تهجوه و عن لسانه تنطق؟.

يسأل الفرزدق فيفحمه:

وبهذا الإسناد قال حمزة بن بيض للفرزدق: يا أبا فراس، أسألك عن مسألة، قال: سل عما أحببت، قال:

أيما أحبّ إليك؟ أتسبق الخير أم يسبقك؟ قال: إن سبقني فإنتي، وإن سبقته فتّه، ولكن نكون معا، لا يسبقني، ولا أسبقه، ولكن أسألك عن مسألة. قال ابن بيض: سل، قال: أيما أحبّ إليك؟ أن تنصرف إلى منزلك، فتجد امرأتك قابضة على أير رجل، أم تراه قابضا على عنها، قال: فتحير، وكان قد نهى عنه، فلم يقبل.

لا صلح بينه وبين جرير:

أخبرني عبد الله قال: حدثني محمد بن عمران الضبي، قال: حدثني الأصمعي، قال: اجتمع الفرزدق و جرير عند بشر بن مروان فرجا أن يصلح بينهما حتى يتكافأ، فقال لهما: ويحكما! قد بلغتما من السن ما قد بلغتما، وقربت آجالكما؛ فلو اصطلحتما و وهب كل واحد منكما لصاحبه ذنبه، فقال جرير: (1) أصلح الله الأمير، إنه يظلمني، و يتعدى عليّ، فقال الفرزدق: (2) أصلح الله الأمير إني وجدت آبائي يظلمون آباءه. فسلكت طريقهم في ظلمه، فقال بشر: عليكم لعنة الله، لا تصطلحان و الله أبدا.

يهزأ به و بهجائه:

و أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن عمران الضبيّ، قال: حدثنا الأصمعيّ: قال الفرزدق:

ما أعياني جواب أحد ما أعياني جواب دهقان مرة قال لي: أنت الفرزدق الشاعر؟ قلت: نعم؛ قال: أفأموت إن هجوتني؟ قلت: لا، قال: /أ فتموت عيشونة ابنتي؟ قلت: لا، قال: فرجلي إلى عنقي في حر أمك، قال(3):

قلت: ويلك! لم تركت رأسك؟ قال: حتى انظر أي شيء تصنع؟.

يأمره مجنون فيطيع:

أخبرني عبد الله، قال: حدثنا محمد بن حبيب عن الأصمعي، قال:

مرّ الفرزدق بمأجل(4) فيه ماء، فأشرع بغلته فيه، فقال له مجنون بالبصرة: يقال له حريش: نَحّ بغلتك، جذ الله رجلك، قال: ولم؟ ويلك، قال: لأنك كذوب الحنجرة، زاني الكمرة، فقال الفرزدق لبغلته: عدس و مضى، و كره أن يسمع قوله الناس.

- 1- تكملة من هد، هج.
- 2- تكملة من هد، هج.
- 3- فاعل «قال» ضمير الأصمعي.
- 4- المأجل: كل ماء في أصل جبل أو واد.

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل للفرزدق: ما اختيارك في شعرك للقصار؟ قال: لأنني رأيتها أثبت في الصدور، وفي المحافل أجول؛ قال: وقيل للحطيئة: ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ قال: لأنها في الآذان أولج، وفي أفواه الناس أعلق.

أخبرني عبد الله بن حبيب، عن سعدان بن المبارك، قال: قيل لعقيل بن علفة: مالك تقصّر في هجائك؟ قال:

حسبك من القلادة ما أحاط بالرقبة.

يتندر باسمه فيلقمه حجرا:

أخبرني عبد الله، عن محمد بن علي بن سعيد الترمذي، عن أحمد بن حاتم: أبي نصر، قال:

قال الجهم بن سويد بن المنذر الجرمي للفرزدق: أ ما وجدت أمك اسما لك إلا الفرزدق الذي تكسره النساء في سويقها(1)؟ قال: و العرب تسمى خبز الفتوت الفرزدق فأقبل/الفرزدق على قوم معه في المجلس. فقال: ما اسمه؟ فلم يخبروه باسمه، فقال: و الله لئن لم تخبروني لأهجونكم كلكم، قال: الجهم بن سويد بن المنذر، فقال الفرزدق: /أحقّ الناس ألا يتكلّم في هذا أنت؛ لأن اسمك اسم متاع المرأة، و اسم أبيك اسم الحمام و اسم جدك اسم الكلب(2).

بيتان يثيرانه:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن الزبير عن عمه عن بعض القرويين، قال:

قدم علينا الفرزدق، فقلنا له: قدم علينا جرير، فأنشدنا قصيدة يمدح بها هؤلاء القوم، و مضى يريدهم، فقال:

أنشدونها، فأنشدناه قصيدة كثير التي يقول فيها(3).

و ما زالت رقاك تسلّ ضغني *** و تخرج من مكانها ضبابي(4)

و يرقيني لك الحاوون حتى *** أجابك حية تحت الحجاب(5)

قال: فجعل وجهه يتغير، و عندنا كانون، و نحن في الشتاء، فلما رأينا ما به قلنا: هوّن عليك يا أبا فراس، فإنما هي لابن أبي جمعة(6)، فأنشئ سريعا ليسجد، فأصاب ناحية الكانون و وجهه فأدماه.

هو و الحسين بن علي:

أخبرني عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: أخبرني القحذمي، قال:

ص: 235

1- السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة و الشعير.

2- ليس فيما بين أيدينا من المعجمات ما ورد فيه إطلاق هذه الأسماء على تلك المسميات فإن صح ذلك فما أحرأها أن تضاف إليها، لأن

اللغة من أمثال هؤلاء استمدت.

- 3- يبدو أنهم أرادوا أن يثيروا الفرزدق بنسبة هذين البيتين إلى جرير وقد أثاروه فعلا و لم يفرخ روعه إلا حينما علم أنهما ليسا لجرير و لا مقولين فيه أما سر ثورة الفرزدق فهو ما تضمنناه من فحش في أسلوب بارع، وانظر التعليق عليهما.
- 4- رفاك: جمع رقية و هي ما يرقى به المريض و نحوه. الضباب: جمع ضب و هو الحقد الكامن في الصدر.
- 5- يريد بالحية تحت الحجاب ذكره، و المعنى: كنت غاضبا عليك لا آتيك فما زلت تتودد إلي، و يسعى الساعون في سل بغضي لك من صدري، حتى نشطت إليك، و عاودت إتيانك.
- 6- يبدو أن ابن أبي جمعة هو كثير نفسه.

لقي الفرزدق الحسين بن علي عليهما السلام متوجها إلى الكوفة خارجا من مكة في اليوم السادس من ذي الحجة فقال له الحسين - صلوات الله عليه وآله -: ما وراءك؟ قال: يا بن رسول الله، أنفس الناس معك، /وأيديهم عليك؛ قال: ويحك، معي وقر بغير من كتبهم يدعونني، ويناشدونني الله، قال: فلما قتل الحسين - صلوات الله عليه - قال الفرزدق: انظروا فإن غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها، وتبقى هيبتها، وإن صبرت عليه، ولم تتغير لم يزلها الله إلا ذلًا إلى آخر الدهر، وأنشد في ذلك:

فإن أنتم لم تتأروا لابن خيركم *** فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

حافضة الفرزدق:

أخبرنا عبد الله بن مالك: قال: أخبرني أبو مسلم: قال: حدثني الأصمعي، قال: أنشد الراعي الفرزدق أربع قصائد، فقال له الفرزدق: أعيدها عليك، لقد أتى علي زمان، ولو سمعت بيت شعر وأنا أهوي في بئر ما ذهب عني(1).

يشرب الخمر ممزوجة بالبن:

أخبرني عبد الله بن مالك قال حدثني أبو مسلم الحراني عن الأصمعي، قال:

تغدى الفرزدق عند صديق له. ثم انصرف فمر ببني أسد، فحدثهم ساعة ثم استسقى ماء، فقال فتى منهم: أو لبنا، فقال: لبنا، فقام إلى عس (2)، فصب فيه رطلا من خمر، ثم حلب، وناوله إياه، فلما كرع فيه انتفخت أوداجه(3)، واحمر وجهه ثم رد العس، وقال: جزاك الله خيرا، فإني ما علمتكم تحب أن تحفي(4) صديقك، وتخفي معروفك ثم مضى.

يزني بامرأته:

و أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن القحذمي، قال:

كان الفرزدق أراد امرأة شريفة على نفسها، فامتعت عليه، و تهددها بالهجاء والفضيحة، فاستغاثت بالنوار امرأته، وقصت عليها القصة، فقالت لها: واعديه ليلة، ثم أعلميني، ففعلت، /و جاءت النوار، فدخلت الحجلة مع المرأة، فلما دخل الفرزدق البيت أمرت الجارية، فأطفأت السراج، وغادرت(5) المرأة الحجلة، و اتبعها(6) الفرزدق، فصار إلى الحجلة، وقد انسلت المرأة خلف الحجلة، و بقيت النوار فيها، فوقع بالنوار وهو لا يشك أنها صاحبه، فلما فرغ قالت له: يا عدو الله، يا فاسق، فعرف نغمتها، وأنه خدع، فقال/لها: وأنت هي يا سبحان الله! ما أطيبك حراما، وأردأك(7) حلالا.

ص: 236

1- في هد، هج: «و أنا أهوي في بئر لحفظته و ذلك أن الإنسان إذا هوي في بئر ذهب عقله».

2- العس: القدح الكبير.

3- الأوداج: جمع ودج، وهو عرق في العنق يقطعه الذابح، فيذهب بالحياة.

4- في الأصول «تحفي» و هو تصحيف «تحفي» يريد أنه يحتفي بضيفه، و يذهب بلبه، فلا يعرف قيمة ما أسدى إليه من معروف.

5- في النسخ «بادرت» و نرجح أنها تحريف «غادرت».

- 6- واتبعها: اتبع الحجلة، لا المرأة.
- 7- في هد: «وَأَرْذَاكَ» بدل «وَأَرْذَاكَ».

يُضِن عَلَيْهِ ابْنُ سِيرَةَ بَجَارِيَةَ فِيهِجْوَهُ:

أخبرني عبد الله بن مالك. قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثني القحذمي قال:

استعمل الحجاج الخيار بن سيرة المجاشعي على عمان، فكتب إليه الفرزدق يستهديه جارية فكتب إليه الخيار:

كُتِبَ إِلَيَّ تَسْتَهْدِي الْجَوَارِي *** لَقَدْ أَنْعَظْتَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ

فأجابه الفرزدق:

أَلَا قَالَ الْخِيَارُ وَكَانَ جَهْلًا *** قَدْ اسْتَهْدَى الْفَرَزْدَقُ مِنْ بَعِيدٍ (1)

فَلَوْ لَا أَنَّ أَمَكُ كَانَ عَمِّي *** أَبَاهَا كُنْتُ أَخْرَسُ بِالنَّشِيدِ (2)

وَأَنَّ أَبِي لَعَمَّ أَيْبِكَ لِحَا *** وَأَنْكَ حِينَ أَغْضَبَ مِنْ أَسْوَدِي (3)

إِذَا لَشَدَّدْتَ شِدَّةَ أَعُوجِي *** يَدُقُّ شَكِيمَ مَجْدُولِ الْحَدِيدِ (4)

لَا يَسْتَسِيغُ خَطَأَ فِي الْقُرْآنِ:

أخبرنا عبد الله بن مالك عن الأصمعي قال:

سمع الفرزدق رجلاً يقرأ: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فقال (5): لا ينبغي أن يكون هذا هكذا، قال: فقيل له: إنما هو عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ قال: هكذا ينبغي أن يكون.

يَمْدَحُ أَسْمَاءَ بْنَ خَارِجَةَ:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال: حدثنا الأصمعي: قال:

مرَّ أَسْمَاءُ بْنُ خَارِجَةَ الْفَزَارِيُّ عَلَى الْفَرَزْدَقِ، وَهُوَ يَهْنَأُ (6) بَعِيرًا لَهُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ لَهُ أَسْمَاءُ: يَا فَرَزْدَقُ كَسَدَ شَعْرِكَ، وَاطْرَحْتَكَ الْمَلُوكَ، فَصُرْتَ إِلَى مَهْنَةِ إِبْلِكَ، فَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ بَعِيرٍ، فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ فِيهِ يَمْدَحُهُ:

إِنَّ السَّمَّاحَ الَّذِي فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ *** قَدْ حَازَهُ لِلَّهِ لِلْمُفْضَالِ أَسْمَاءُ

يُعْطِي الْجَزِيلَ بَلَا مَنْ يَكْدَرُهُ *** عَفَوْا وَيَتَّبِعُ آلَاءَ بِنِعْمَاءِ (7)

مَا ضَرَّ قَوْمًا إِذَا أَمْسَى يَجَاوِرُهُمْ *** أَلَّا يَكُونُوا ذَوِي إِبِلٍ وَلَا شَاءَ

هَلْ شَاحَ شَعْرَهُ بِشَيْخُوخَتِهِ:

أخبرني عبد الله بن مالك (8) عن محمد بن موسى بن طلحة، قال: قال أبو عبيدة:

- 1- اسم كان ضمير القول المفهوم من المقام.
- 2- يريد: لو لا أن أمك ابنة عمي لأخرستك عن قول الشعر بهجائي لك، أو كنت أنت أحرص بالنشيد، أي لأخرستك عن قول الشعر.
- 3- لحا: من لحت القرابة إذا دنت، و التصقت، و لعله يريد بقوله: «من أسودي» أنه من أنصاره الشجعان حين يغضب.
- 4- الأعوجي: الجواد المنسوب إلى أعوج، و هو جواد أصيل ينسب إليه الخيول الجيدة، و لعله يريد بتلك الشاة أنه يهجو.
- 5- في هج: هد: فقال الفرزدق: فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا وَاللَّهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ و لا ينبغي... إلخ و العبارة ساقطة من ب.
- 6- يهنأ بعيرا: يطلية بالهناء، و هي القار.
- 7- جر نعماء بالكسرة للضرورة، و لو قال: «آلاء بآلاء» لسلم منها.
- 8- في هد، هج: «أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم عن محمد... إلخ، و في رواية أخرى نسبة هذا الخبر إلى الأصمعي.

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة، فأنشده قصيدته المشهورة فيهم التي يقول فيها:

فإن أبا موسى خليل محمد *** وكفاه يمني للهدى وشمالها

فقال ابن أبي بردة: هلكت والله يا أبا فراس، فارتاع الشيخ، وقال: كيف/ذاك؟ قال ذهب شعرك، أين مثل شعرك في سعيد، وفي العباس بن الوليد، وسمي قوما فقال: جنني بحسب مثل أحسابهم، حتى أقول فيك كقولي فيهم، فغضب بلال حتى (1) دزت أوداجه (2) ودعي له بطست (3) فيه ماء بارد، فوضع يده فيها، حتى سكن، فكلمه فيه جلساؤه وقالوا: قد كفك الشيخ نفسه وقل ما يبقى حتى يموت، فلم يحل عليه الحول حتى مات.

قواد له من أصحابه:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن سعيد بن همام اليمامي، قال:

شرب الفرزدق شرابا باليمامة وهو يريد العراق، فقال لصاحب له: إن الغلطة قد آذنتني (4) فأكسبني بغيا، قال:

من أين أصيب لك هاهنا بغيا؟ قال: فلا بد لك من أن تحتال، قال: فمضى الرجل إلى القرية، وترك الفرزدق ناحية؛ فقال: هل من امرأة تقبل (5)، فإن معي امرأتي وقد أخذها الطلق فبعثوا معه امرأة، فأدخلها الفرزدق، وقد غطاه، فلما دنت منه واثبها. ثم ارتحل مبادرا، وقال: كأني بآبن الخبيثة (6) يعني جريرا لو قد بلغه الخبر قد قال:

أو كنت إذا حللت بدار قوم *** رحلت بخزية وتركت عارا

قال: فبلغ جريرا الخبر، فهجاه بهذا الشعر.

يغتصب بيتا:

وأخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، قال: قال أبو نهشل: حدثنا بعض أصحابنا: قال:

وقف الفرزدق على الشمردل، وهو ينشد قصيدة له، فمر هذا البيت في بعض قوله:

وما بين من لم يعط سمعا وطاعة *** وبين جرير غير حزّ الحلاقم (7)

فقال الفرزدق: يا شمردل، لتتركن هذا البيت لي أو لتتركن عرضك؛ قال: خذه، لا بارك الله لك فيه فهو في قصيدته التي ذكر فيها قتيبة بن مسلم، وهي التي أولها قوله:

تحنّ إلى زورا اليمامة ناقتي *** حنين عجلو تبغي البوراثم (8)

ص: 238

- 2- التكملة من هد، هج، در العرق: امتلاً دما، الأوداج: جمع ودج، وهو عرق يقطعه الذابح في العنق، فيذهب بالحياة.
- 3- في الأصل: «بطشت» بالشين، وهي لغة والشائع «طست» بالسين، معرب عن «تشت» يؤنث ويذكر.
- 4- في هد: «قتلتني» بدل «آذنتي».
- 5- تقبل: تشتغل قابلة، أي مولدة.
- 6- في هد: «كأني بالخبيث».
- 7- مر هذا الخبر برواية «الغلاصم» بدل «الحلاقم».
- 8- في هد، هج «تحن بزوراء اليمامة... إلخ» البو: جلد يحشى تبنا على هيئة الحوار يتخذ لتدر الناقة اللبن حين تراه، رائم: عطوف.

تستعيز بقبر أبيه:

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال:

جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق؛ فضربت عليه فسطاطا. فأتاها فسألها عن أمرها. فقالت: إني عائذة بقبر غالب من أمر نزل بي، قال لها: وما هو، قد ضمنت خلاصك منه، قالت: إن ابنا لي أغزى إلى السند مع تميم بن زيد(1)؛ وهو واحد قال: انصرفي، فعلي انصرفه إليك إن شاء الله، قال: وكتب من وقته إلى تميم(2) بقوله:

تميم بن زيد لا تكوننّ حاجتي *** بظهر فلا يخفى عليّ جوابها

/وهب لي حبيشا و اتخذ فيه منة *** لحرمة أم ما يسوغ شرابها

أتنتي فعادت يا تميم بغالب *** وبالحفرة السافي عليها ترابها

قال: فعرض تميم جميع من معه من الجند، فلم يدع أحدا اسمه حبيش، ولا حنيش إلا وصله، وأذن له في الانصراف إلى أهله.

ما ذا يشتهي:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: أخبرنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال:

مرّ الفرزدق بصديق له، فقال له: ما تشتهي يا أبا فراس؟ قال: أشتهي شواء رشراشا، و نبيذا سعيرا، وغناء يفتق السمع.

الرشراش: الرطب، والسّعير: الكثير.

يتبرم بعشاق شعره:

أخبرنا عبد الله بن مالك. قال: حدثنا محمد بن حبيب: قال: حدثني السعدي، عن أبي مالك الزيدي(3).

قال:

أتينا الفرزدق لنسمع منه شيئا، فجلسنا ببابه ننتظر، إذ خرج علينا في ملحفة. فقال لنا: يا أعداء الله، ما اجتماعكم بيابي؟ والله لو أردت أن أزني ما قدرت.

يعاني في قرص الشعر:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا أبو مسلم، قال حدثنا الأصمعي عن هشام بن القاسم، قال:

قال الفرزدق: قد علم الناس أني فحل الشعراء، وربما أتت عليّ الساعة لقلع ضرس من أضراسي أهون عليّ من قول بيت شعر.

يهجو راويته فلا ينقض كلامه:

حدثنا عبد الله بن مالك عن أبي مسلم، عن الأصمعي، قال:

ص: 239

1- مر هذا الخبر، و أثرتنا أن نثبتته، كما في الأصول لقصره.

2- في هد: تميم بن زائدة.

3- في هد، هج: «عن أبي مالك النهري».

كان الفرزدق و أبو شقفل راويته في المسجد؛ فدخلت امرأة، فسألت عن مسألة، و توسّمت؛ فرأت هيئة أبي شقفل، فسألته عن مسألتها، فقال الفرزدق:

أبو شقفل شيخ عن الحق جائر *** باب الهدى و الرّشد غير بصير

/فقلت المرأة: سبحان الله؟ أ تقول هذا لمثل هذا الشيخ؟ فقال أبو شقفل: دعيه فهو أعلم بي.

سكينة بنت الحسين تجرحه و تأسوه:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني، قال:

خرج الفرزدق حاجا، فمر بالمدينة، فأتى سكينة بنت الحسين صلوات الله عليه و آله، فقالت: يا فرزدق. /من أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت؛ أشعر منك الذي يقول:

بنفسي من تجنّبه عزيز *** عليّ و من زيارته لمام

و من أمسي و أصبح لا أراه *** و يطرقني إذا هجع النيام(1)

فقال: و الله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه. فقالت: أقيموه: فأخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثاني. فقالت له: يا فرزدق. من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت: أشعر منك الذي يقول:

لولا الحياء لها جني استعبار *** و لزرت قبرك و الحبيب يزار

لا يلبث القرفاء أن يتفرّقوا *** ليل يكرّ عليهم و نهار

كانت إذا هجر الضجيج فراشها *** كتم الحديث و عفّت الأسرار(2)

قال: أفأسمعك(3) أحسن منه؟ قالت: اخرج.

ثم عاد إليها في اليوم الثالث و على رأسها جارية كأنها ظبية، فاشتدّ عجبها بها. فقالت: يا فرزدق، من أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبت. أشعر منك الذي يقول:

/إنّ العيون التي في طرفها مرض *** قتلنا ثم لم يحيين قتلانا(4)

يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك له *** و هنّ أضعف خلق الله أركاناً(5)

ثم قالت: قم فاخرج. فقال لها: يا بنت رسول الله، إن لي عليك لحقاً. إذ كنت إنما جئت مسلماً عليك، فكان من تكذيبك إياي و صنيعك(6) بي حين أردت أن أسمعك شيئاً من شعري ما ضاق به صدري. و المنايا تغدو و تروح، و لا أدري، لعلي لا أفارق المدينة حتى أموت. فإن متّ فمري من يدفني في حر هذه الجارية التي على رأسك، فضحكت سكينة، حتى كادت تخرج من ثيابها، و أمرت له

-
- 1- هذان البيتان لجرير.
 - 2- وهذه الأبيات لجرير أيضا، من قصيدة يرثي فيها زوجته.
 - 3- فأسمعك: الفاء هنا عاطفة على معطوف محذوف، أي أنشدك، فأسمعك أو نحو ذلك.
 - 4- وهذان البيتان لجرير أيضا، ويعدهما مؤرخو الأدب أبرع ما قيل في الغزل، وكثير من الروايات «حور» بدل «مرض».
 - 5- في كثير من الروايات «إنسانا» بدل «أركاننا»..
 - 6- في هد «و منعك أن أسمعك شيئا من شعري».

بها على نفسي، قال: فخرج و هو أخذ بريطتها(1).

بطالب معاوية بتراث عمه:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن موسى، قال: حدثنا المدائني قال:

وقد الحتات عمّ الفرزدق على معاوية، فخرجت جوائزهم، فانصرفوا، و مرض الحتات، فأقام عند معاوية حتى مات، فأمر معاوية بماله، فأدخل بيت المال، فخرج الفرزدق إلى معاوية، و هو غلام، فلما أذن للناس دخل بين السماطين(2)، و مثل بين يدي معاوية، فقال:

أبوك و عمّي يا معاوي ورتّا *** تراثا فيحتاز التّراث أقاربه(3)

/فما بال ميراث الحتات أكلته *** و ميراث حرب جامد لي ذائبه؟(4)

فلو كان هذا الأمر في جاهليّة *** علمت من المولى القليل حلابه(5)

و لو كان هذا الأمر في ملك غيركم *** لأداه لي أو غصّ بالماء شاربه(6)

فقال له معاوية: من أنت؟ قال: أنا الفرزدق قال: ادفعوا إليه ميراث عمه الحتات، و كان ألف دينار، فدفع إليه.

امرأة تهجوه فتوجهه:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن أبي حمزة الأنصاري، قال: أخبرنا أبو زيد، قال: قال أبو عبيدة.

انصرف الفرزدق من عند بعض الأُمراء في غداة باردة، و أمر بجزور، فنحرت ثمّ قسّمت، فأغفل امرأة من بني فقيم، نسيها، فرجرت به، فقالت:

/فيشلة هدلاء ذات شقشق *** مشرفة اليافوخ و المحوّق(7)

مدمجة ذات حفاف أخلق *** نيطت بحقوي قطم عشّق(8)

أولجتها في سبّة الفرزدق(9)

ص: 241

1- الريطة: الملاة كلها نسيج واحد و قطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق.

2- السماطين: الصفيين.

3- يحتاز: يحوز، أقاربه: أقارب التراث، أو أقارب الميت المفهوم من المقام.

4- كأنه يريد أن يقول له: ما دمت أكلت عمي فدعني آكل تراث أبيك حرب بن أمية.

5- المولى: القريب، حلاب: جمع حلوبة، يريد أن عمه لو مات في الجاهلية لآل ميراثه إليه، و لا سيما أنه محتاج إلى قليل من النوق.

6- يريد بقوله: «أو غص بالماء شاربه» تهديد من يأكل ميراثه.

7- هدلاء: طويلة، من قولهم: هدل الجمل: طالت مشافره، الشقشق: شيء كالرثة يخرجه الجمل من فيه إذا هدر. مشرفة اليافوخ: طويل أعلاها، المحوق: من الحوق، وهو ما أحاط بالكمرة من حوافيها..

8- الحفاف: ما أحاط بالشيء، أخلق: صلب مصمت لا يؤثر فيه شيء، الحقو: الخصر، قطم: مجيد للنكاح مشتته له، عشنق: طويل.

9- السبة: الاست و جملة أولجتها في سبة الفرزدق «خبر فيشله» في صدر الأبيات،... و ما بينهما صفات لها.

قال أبو عبيدة: فبلغني أنه هرب منها، فدخل في بيت حمّاد بن الهيثم(1)، ثم إن الفرزدق قال فيها بعد ذلك:

أقتلت قتيلًا لم ير الناس مثله *** أقلبه ذا تومتين مسورا(2)

حملت عليه حملتين بطعنة *** فغادرته فوق الحشايا مكورا(3)

ترى جرحه من بعد ما قد طعنته *** يفوح كمثل المسك خالط عنبرا(4)

و ما هو يوم الزحف بارز قرنه *** ولا هو ولى يوم لاقى فادبرا

بني دارم ما تأمرون بشاعر *** برود الثنايا ما يزال مزعفرا(5)

إذا ما هو استلقى رأيت جهازه *** كمقطع عنق الناب أسود أحمرا(6)

وكيف أهاجي شاعرا رمحه استه *** أعد ليوم الروع درعا ومجمرا(7)

فقاتل المرأة: ألا لا أرى الرجال يذكرون مّي هذا، وعاهدت الله ألا تقول شعرا.

كأنه يريد أن يؤتى:

أخبرنا عبد الله بن مالك بن مسلم، عن الأصمعيّ قال:

مرّ الفرزدق يوما في الأزد، فوثب عليه ابن أبي علقمة لينكحه، وأعانته على ذلك سفهاؤهم، فجاءت مشايخ الأزد وأولو النهى منهم، فصاحوا بابن أبي علقمة وبأولئك السفهاء، فقال لهم ابن أبي علقمة: ويلكم! أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر؛ هذا شاعر مضر ولسانها، قد شتم أعراضكم، وهجا ساداتكم، والله لا تتالون من مضر مثلها أبدا، فحالوا بينه وبينه، فكان الفرزدق يقول بعد ذلك: قاتله الله. إي والله، لقد كان أشار عليهم بالرأي.

أنصاري يتحداه بشعر حسان بن ثابت:

أخبرني عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، قال: قال الكلبي: قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص. وأخبرنا بهذا الخبر محمد بن العباس اليزيديّ والأخفش جميعا، عن السكريّ، عن ابن حبيب، عن أبي عبيدة والكلبيّ: قال: وأخبرنا به إبراهيم بن سعدان، عن أبيه، عن أبي عبيدة، قالوا جميعا:

قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان، فأتى الفرزدق وكثير عزة، فبينما هما يتناشدان الأشعار إذ طلع

ص: 242

1- في هد: «حماد بن القسم».

2- التومة: لؤلؤة تتحلى بها المرأة، مسورا: لابسا أساور، يريد أنه صرع بهجائه محاربا من النساء.

- 3- في هد: حملت عليه حملة فطعنته فغادرته فوق الفراش مكورا وفي هج: حملت إليه طعنتي فطعنته فغادرته بين الحشايا مكورا و المعاني متقاربة.
- 4- يريد أن المطعون جميل، يتضوع دمه مسكا و عنبرا.
- 5- في الأصول «يرود» بالياء المثناة، و هو تصحيف «برود» بالباء الموحدة، يصف غريمه بأنه عذب الرضاب بارده..
- 6- يريد بالجهاز بضع المرأة، و الناب: الناقة المسنة.
- 7- اختلفت الأصول في رواية هذا البيت اختلافا كثيرا، وقد اخترنا رواية هد، هج، غير أننا نرى أن «درعا» تحريف «ردعا» بمعنى زعفران، و المعنى: كيف أهاجي امرأة سلاحها ما بين أفخاذها، تعد للحرب طيبا و بخورا؟.

عليهما غلام شخت(1) رقيق الأدمة، في ثوبين ممصرين، فقصد نحونا، فلم يسلم، وقال: أيكم الفرزدق؟ فقلت(2) مخافة أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها؟ فقال: لو كان كذلك لم أقل هذا، فقال له الفرزدق: من أنت لا أم لك، قال: رجل من الأنصار، ثم من بني النجار، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم، بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب، وتزعمه مضر، وقد قال شاعرنا حسان بن ثابت شعرا، فأردت أن أعرضه عليك، وأوجلك سنة، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب، كما قيل، وإلا فأنت منتحل كذاب، ثم أنشده:

ألم تسأل الربيع الجديد التكلما

حتى بلغ إلى قوله:

وأبقى لنا مرّ الحروب ورزوها *** سيوفا وأدراعا وجمّا عمر ما(3)

/متى ما تردنا من معدّ عصابة *** وغسان نمنع حوضنا أن يهدّما

/لنا حاضر فعم وباد كأنه *** شماريخ رضوى عزة و تکرّما(4)

أبى فعلنا المعروف أن نطق الخنا *** وقائلنا بالعرف إلا تكلّما(5)

بكل فتى عاري الأشاجع لاحه *** قراع الكماة يرشح المسك و الدّما(6)

ولدنا بني العنقاء و ابني محرّق *** فأكرم بذا خالا و أكرم بذا ابنما(7)

يسوّذ ذا المال القليل إذا بدت *** مروءته فينا و إن كان معدما(8)

وإن لنقري الضيف إن جاء طارقا *** من الشحم ما أمسى صحيحا مسلّما(9)

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحي *** وأسيافنا يقطرن من نجدة دما(10)

فأنشده القصيدة، وهي تيّف و ثلاثون بيتا، وقال له: قد أجلتك في جوابها حولا، فانصرف الفرزدق مغضبا، يسحب رداءه، و ما يدري أيّة طرقة(11) حتى خرج من المسجد، فأقبل على كثير، فقال له: قاتل الله الأنصار(12) ما أفصح لهجتهم، وأوضح حجّتهم، وأجود شعرهم، فلم نزل في حديث الأنصار و الفرزدق بقية يومنا، حتى إذا كان /من الغد خرجت من منزلي إلى المسجد الذي كنت فيه بالأمس، فأتي كثير، فجلس معي، وإنا لتتذاكر الفرزدق،

ص: 243

1- الشخت: الضامر النحيف خلقة، وفي بعض النسخ: «شخت اللون» و كان الأنسب أن يقال: «شخت الجسم».

2- التاء من قلت: ضمير راوي الخبر، وفي هذا الخبر بعض الالتواء، ولكنه هكذا في الأصول.

3- جما عمر ما: جيشا كثير العدد. وفي ف: «جمعا عمر ما».

4- فعم: ممتلى، والمراد مفاخر.

- 5- هذا البيت تكملة من «المختار».
- 6- الأشاجع: أصول الأصابع، أو عروق ظاهر الكف، ويكنى بعريها عن كثرة قبضها على السلاح، لآحه: أهزله و أضمره، و يكنى بقوله: «يرشح المسك و الدم» عن أنه مترف وقت السلم، شجاع وقت الحرب.
- 7- ولدنا: ولدت أوائلنا، ابنا - بفتح النون - تمييز، و هو أحد اسمين يتبع ما قبل آخره في الأعراب آخره، و هما «امرؤ و ابنم».
- 8- في ب: «منا» بدل: «فينا».
- 9- يريد أنه إذا قرى لا يعتمد إلى الهزيل أو السقيم من نوقه فيذبحه.
- 10- البيت مشهور، و له قصة طويلة بين الخنساء و حسان و النابغة، ارجع إليها في كتب الأدب.
- 11- كذا في النسخ و المقام يستدعي زيادة كلمة «يسلك» بعد «أية طريقه» و في «المختار»: «يذهب».
- 12- في بعض النسخ: «قاتل الله الأنصاري، ما أفصح لهجته... إلخ، بضمير الواحد».

و نقول: ليت شعري ما صنع؟ إذ طلع علينا في حلّة أفواف(1)، قد أرخى غديرته، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاري؟ فنلنا منه، و شتمناه، فقال: قاتله الله: ما منيت بمثله، و لا سمعت بمثل شعره، فارقتة، و أتيت منزلي، فأقبلت أصعد و أصوب في كل فن من الشعر، فكأنني مفحم لم أقل شعرا قط، حتى إذا نادى المنادى بالفجر رحلت ناقتي، و أخذت بزمامها حتى أتيت ريانا(2)، و هو جبل بالمدينة، ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أخاكم، يعني شيطانه، فجاش صدري كما يجيش المرجل، فعقلت ناقتي و توسدت ذراعها، فما عتمت(3) حتى قلت مائة بيت من الشعر و ثلاثة عشر بيتا، فبينما هو ينشد إذ طلع الأنصاري، حتى إذا انتهى إلينا سلم علينا، ثم قال:

إني لم آتكَ لأعجلك عن الأجل الذي وقَّته لك، و لكنني أحبيت ألا أراك إلا سألتك: إيش(4) صنعت؟ فقال:

اجلس، و أنشده قوله:

عزفت بأعشاش و ما كنت تعزف *** و أنكرت من حدراء ما كنت تعرف

و لَجَّ بك الهجران حتى كأنما *** ترى الموت في البيت الذي كنت تألف

في رواية ابن حبيب: تيلف(5) حتى بلغ إلى قوله:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا *** و إن نحن أومأنا إلى النَّاس و قَفُوا

و أنشدها الفرزدق، حتى بلغ إلى آخرها، فقام الأنصاري كئيبا، فلما توارى طلع أبوه أبو بكر بن خزم في مشيخة من الأنصار، فسلموا عليه، و قالوا: يا أبا فراس، قد عرفت حالنا و مكاننا من رسول الله صَلَّى الله عليه و سلَّم، و قد بلغنا أن سفيها من سفهائنا ربما تعرض لك، فنسألك بحق الله و حق رسوله لما حفظت فينا وصية رسول الله صَلَّى الله عليه و سلَّم، و وهبتنا له، و لم تفضحنا.

قال محمد بن إبراهيم: فأقبلت عليه أكلمه، فلما أكثرنا عليه، قال: اذهبوا، فقد وهبتكم لهذا القرشي.

[قال سليمان بن عبد الملك للفرزدق: أنشدني أجود شعر عملته، فأنشده:

عزفت بأعشاش و ما كدت تعزف(6)

فقال: زدني: فأنشده:

ثلاث و اثنتان فتلك خمس *** و واحدة تميل إلى الشَّمام(7)

فتبن بجانبٍ مصرعات *** و بتّ أفصّ أغلاق الختام(8)

ص: 244

1- أفواف: ثياب رقاق موشاة مخططة.

2- هكذا في ب «ريانا» و الصواب «ريان» بالمنع من الصرف، لأنه من الري و ربما كان من الرين، فتكون نونه أصلية، و حينئذ فلا مانع من صرفه، و في «المختار»: «ذبابا» بدل «ريانا».

3- ما عتمت: ما أبطأت.

4- إيش: لفظ منحوت من «أي شيء» وهو عربي فصيح.

5- وكذا في «الديوان»: 551 و«النقائض» وهي لهجة تميمية في تألف.

6- تقدمت الأبيات التي تبتدئ بهذا المصراع.

7- يريد بهذا العدد: من عبث بهن من النساء، و الشمام: القبل و الترشف و ما إليهما.

8- كنى بفض أغلاق الختام عن المضاجعة و المواقعة...

فقال له سليمان: ما أراك إلا قد أحللت نفسك للعقوبة، أقررت بالزنى عندي، وأنا إمام، ولا تريد مني إقامة الحد عليك، فقال: إن أخذت في بقول الله عزّ وجلّ لم تفعل. قال: و ما قال؟. قال: قال الله تبارك وتعالى:

وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، فضحك سليمان وقال:

تلافيتها و درأت عنك الحدّ و خلع عليه و أجازته[1].

يجتمع هو و جرير بالشام:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا محمد بن حبيب، عن الأصمعي، قال:

قدم الفرزدق الشام و بها جرير بن الخطفي، فقال له جرير: ما ظننتك تقدم بلدا أنا فيه، فقال له/الفرزدق: إني طالما أخلفت ظن العاجز.

أخبرنا عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن طلحة: قال: قال أبو مخنف:

الفرزدق لعنة و جرير شهاب:

كان الفرزدق(2) لعنة، أي يتلعّن به كأنه لعنة على قوم، و كان جرير شهابا من شهب النار.

يتندر بمحمد بن وكيع:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثنا الأزديّ: قال: حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال: قال أبو عمرو ابن العلاء(3):

مر الفرزدق بمحمد بن وكيع بن أبي سود، و هو على ناقه فقال له: غَدْنِي، قال: ما يحضرني غداء، قال:

فاسقني سويقا، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذا، قال: أو صاحب نبيذ عهدتني، قال: فما يحضرني غداء، قال:

فاسقني سويقا، قال: ما هو عندي، قال: فاسقني نبيذا، قال: أو صاحب نبيذ عهدتني، قال: فما يقعدك في الظل؟ قال: فما أصنع؟ قال أطل وجهك بدبس(4)، ثم تحوّل إلى الشمس، و اقعد فيها، حتى يشبه لونك لون أبيك الذي تزعمه، قال أبو عمرو: فما زال ولد محمد يسبّون بذلك من قول الفرزدق انتهى.

هاشم بن القاسم يتجاهله:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن ابن حبيب، عن موسى بن طلحة، عن أبي عبيدة، عن أبي العلاء: قال: أخبرني هاشم بن القاسم العنزي أنه قال:

جمعني و الفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه، فقلت له: من أنت؟ قال: أ ما تعرفني؟ قلت: لا، قال: فأنا أبو فراس، قلت: و من أبو فراس، قال: أنا الفرزدق، قلت: و من الفرزدق؟ قال: أ و ما تعرف الفرزدق؟ قلت: أعرف الفرزدق/أنه شيء يتّخذة النساء عندنا، يتسمن به و هو الفتوت، فضحك و قال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم.

الكليون يعثنون به:

-
- 1- تكملة من «المختار».
 - 2- تكملة من هج و لعل المراد أن الأول لعنة على من يهجو، و الثاني يرم من يهجو كما يرم الشهاب.
 - 3- تكملة من هج و لعل المراد أن الأول لعنة على من يهجو، و الثاني يرم من يهجو كما يرم الشهاب.
 - 4- الدبس: الأسود من كل شيء.

مر الفرزدق بماء لبني كليب مجتازا، فأخذه، و كان جبانا، فقالوا: والله لتلقين منا ما تكره، أو لتنكحن هذه الأتان، وأتوه بأتان، فقال: ويلكم! اتقوا الله، فإنه شيء ما فعلته قط، فقالوا: إنه لا ينجيك و الله إلا الفعل قال: أمّا إذا أيتم فأتوني بالصخرة التي يقوم عليها (1) عطية، فضحكوا، وقالوا: اذهب لأصحابك الله.

أسود يستخف به:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن العتبي قال:

دخل الفرزدق على قوم يشربون عند رجل بالبصرة، وفي صدر مجلسهم فتى أسود، و على رأسه إكليل؛ فلم يحفل بالفرزدق، و لم يحف به تهاونا، فغضب الفرزدق من ذلك و قال:

جلوسك في صدر الفراش مذلة *** و رأسك في الإكليل إحدى الكبائر

و ما نظفت كأس و لا لذّ طعمها *** ضربت على حافاتهما بالمشافر (2)

يرثي وكيعا، فينسى مشيعه الاستغفار له:

أخبرني عبد الله بن مالك عن محمد بن موسى، عن العتبي قال:

لما مات وكيع بن أبي سود أقبل الفرزدق حين أخرج، و عليه قميص أسود، و قد شقه إلى سرتة و هو يقول:

فمات و لم يوتر و ما من قبيلة *** من الناس إلا قد أبأت على وتر (3)

و إنّ الذي لاقى وكيعا و ناله *** تناول صديق النبي أبا بكر (4)

قال: فعلق الناس الشعر، فجعلوا ينشدونه، حتى دفن، و تركوا الاستغفار له.

ميمته المأثورة في علي بن الحسين:

أخبرنا عبد الله بن علي بن الحسن الهاشمي، عن حيان بن علي العنزي، عن مجالد، عن الشعبي قال:

حج الفرزدق بعد ما كبر، و قد أتت له سبعون سنة، و كان هشام بن عبد الملك قد حج في ذلك العام فرأى علي بن الحسين في غمار الناس في الطواف، فقال: من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحي و جوهها؟ فقالوا: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته *** و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم

/ هذا ابن خير عباد الله كلّهم *** هذا التقى النقي الطاهر العلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله *** بجده أنبياء الله قد ختموا (5)

وليس قولك: من هذا بضائره *** العرب تعرف من أنكرت والعجم

إذا رآته قريش قال قائلها: *** إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ص: 246

-
- 1- يريد عطية أبا جرير، و معروف أنه كان يلقب جريرا بابن المراغة.
 - 2- نطفت الكأس: قطرت، و المصراع الثاني صفة لكأس مع الفصل بين الصفة و الموصوف.
 - 3- في ب: «أبأت» و في نسخة أخرى «أثابت» و كلاهما بمعنى «رجع» المتعدي كأنه يريد رجعت نفسها إلى الأخذ بالثأر.
 - 4- ظاهر البيتين يفيد أن وكيعا مات قتيلا، و أنه كان ذا صلة بالخليفة أبي بكر.
 - 5- نون «فاطمة» للضرورة.

يغضبي حياءً ويغضبي من مهابته *** فما يكلم إلا حين يتسم

بكفه خيزران ريحها عبق *** من كفّ أروع في عرينه شمم (1)

يكاد يمسكه عرفان راحته *** ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم (2)

اللّه شرفه قدما وعظمه *** جرى بذاك له في لوحه القلم

أيّ الخلائق ليست في رقابهم *** لأولىّية هذا أوله نعم؟ (3)

من يشكر الله يشكر أولىّية ذا *** فالدين من بيت هذا ناله الأمم

ينمي إلى ذروة الدين التي قصرت *** عنها الأكفّ وعن إدراكها القدم

من جدّه دان فضل الأنبياء له *** وفضل أمته دانت له الأمم

مشتقّة من رسول الله نبعته *** طابت مغارسه والخيم والشيم (4)

ينشقّ ثوب الدجى عن نور غرّته *** كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

من معشر حبّهم دين، وبغضهم *** كفر وقربهم منجى ومعتصم

مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم *** في كلّ بدء ومختوم به الكلم

إن عدّ أهل التقي كانوا أئمتهم *** أو قيل من خير أهل الأرض قيل: هم

لا يستطيع جواد كنه جودهم *** ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

يستدفع الشّرّ والبلوى بحبّهم *** ويستربّ به الإحسان والنعم (5)(6) وقد حدثني بهذا الخبر أحمد بن الجعد، قال: حدثنا أحمد بن

القاسم البرتي، قال: حدثنا إسحاق بن محمد النخعي، فذكر أن هشاما حجّ في حياة أبيه، فرأى عليّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهم

يطوف بالبيت والناس يفرجون له. فقال: من هذا؟ فقال الأبرش الكلبي: ما أعرفه، فقال الفرزدق: ولكنني أعرفه، فقال: من هو؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

وذكر الأبيات... إلخ (7).

قال: فغضب هشام فحبسه بين مكة والمدينة فقال:

أ تحبسني بين المدينة والتي *** إليها قلوب الناس يهوى منيها (8)

- 1- العرنين: الألف.
- 2- عرفان: مفعول لأجله، أي يكاد ركن الحطيم يقبض على راحته عند استلامها إياه، لأن الركن يعرف هذه الكف.
- 3- نعم اسم ليس، أي، ما في الخلائق مخلوق لا- يدين بالنعمة له أو لأوليته: جدوده السابقين، وفي نسخة أخرى: أي الخلائق إلا في رقابهم، وعليه تكون «نعم» مبتدأ مؤخرًا لقوله: «في رقابهم».
- 4- النبعة: شجرة صلبة الألياف تتخذ منها القسي، وكنى بها عن الأصل والأرومة، والخيم: الأصل والشرف.
- 5- يسترب: يستراد وينمى.
- 6- تكملة من هد، هج.
- 7- تكملة من هد، هج.
- 8- كنى بقوله: «والتى... إلخ» عن مكة.

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيّد *** و عينا له حولاء باد عيو بها(1)

فبلغ شعره هشاماً، فوجّه، فأطلقه.

بينه و بين مالك بن المنذر:

أخبرنا عبد الله بن مالك، عن محمد بن موسى، عن الهيثم بن عديّ، قال: أخبرنا أبو روح الراسبيّ، قال:

لما ولي خالد بن عبد الله العراق ولى مالك بن المنذر شرطة البصرة، فقال الفرزدق:

بيغض فينا شرطة المصر أنني *** رأيت عليها مالكا عقب الكلب

قال، فقال مالك: عليّ به، فمضوا به إليه، فقال:

أقول لنفسي إذ تغصّ بريقها *** ألا ليت شعري ما لها عند مالك؟

قال: فسمع قوله حائك يطلع من(2) طرازه، فقال:

لها عنده أن يرجع الله ريقها *** إليها و تنجو من عظيم المهالك(3)

فقال الفرزدق هذا أشعر الناس، و ليعودنّ مجنوناً، يصيح الصبيان في أثره(4) فقال: فأوه بعد ذلك مجنوناً يصيح الصبيان في أثره(5).

/أخبرنا/عبد الله بن مالك قال: حدثنا محمد بن علي بن سعيد، قال حدثنا القحذميّ: قال:

فلما أتوا مالك بن المنذر بالفرزدق قال: هيه عقب الكلب، قال: ليس هذا هكذا قلت، وإنما قلت:

ألم ترني ناديت بالصوت مالكا *** ليسمع لما غصّ من ريقه الفم

أعوذ بقبر فيه أكفان منذر *** فهن لأيدي المستجيرين محرم(6)

قال: قد عدت بمعاذ(7)، و خلّى سبيله.

أخبرنا عبد الله قال: حدثني محمد بن موسى، قال:

كتب خالد القسريّ إلى مالك بن المنذر يأمره بطلب الفرزدق، و يذكر أنه بلغه أنه هجاه، و هجا نهره المبارك(8)، و هو النهر الذي بواسط

الذي كان خالد حفره،(9) فاشتد مالك في طلبه حتى ظفر به في البراجم(10) فأخذه و حبسه و مرّوا به على بني مجاشع، فقال: يا قوم،

اشهدوا أنه لا خاتم بيدي، و ذلك أنه(11) أخذ عمر بن

- 1- فاعل يقلب، ضمير هشام، و كانت عينه حولاء و كان القياس «باديا عيوبها»، و لا يصح أن يكون «باد» خيرا مقدما عن «عيوب» لأنه مفرد.
- 2- هد: «يطلع من طراز له»: دكان الحائك.
- 3- سكن واو «تنجو» للضرورة.
- 4- تكملة من هد، هج. هج.
- 5- تكملة من هد، هج. هج.
- 6- منذر: أبو مالك، و ضمير هن يعود على الأكنان.
- 7- بمعاذ: بذى حرمة، يعوذ من استعاذ به.
- 8- تقدم هذا الخبر برواية أخرى.
- 9- تكملة من هد، هج. هج.
- 10- تكملة من هد، هج. هج.
- 11- فاعل أخذ: ضمير المنذر.

يزيد بن أسيد، ثم أمر به فلويت عنقه، ثم أخرجه ليلا إلى السجن، فجعل رأسه يتقلب، والأعوان يقولون له: قوم رأسك، فلما أتوا به السجان قال: لا أسلمه منكم ميتا، فأخذوا المفاتيح منه، وأدخلوه الحبس، وأصبح ميتا، فسمّعوا أنه مصّ خاتمه وكان فيه سم، فمات، وتكلم الناس في أمره، فدخل لبطة بن الفرزدق على أبيه، فقال: يا بني، هل كان من خبر؟ قال: نعم، عمر بن يزيد مصّ خاتمه في الحبس، وكان فيه سم، فمات، فقال الفرزدق:

والله يا بني لئن لم تلحق بواسط ليمص (1) أبوك خاتمه، وقال في ذلك:

ألم يك قتل عبد الله ظلما *** أبا حفص من الحرم العظام (2)

قتيل عداوة لم يجن ذنبا *** يقطع وهو يهتف للإمام

قال: وكان عمر عارض خالدا وهو يصف لهشام طاعة أهل اليمن وحسن موالاتهم ونصيحتهم، فصفق عمرو بن يزيد إحدى يديه على الأخرى، حتى سمع له في الإيوان دوي، ثم قال: كذب والله يا أمير المؤمنين، ما أطاعت اليمانية، ولا نصحت، أليس (3) هم أعداؤك وأصحاب يزيد بن المهلب وابن الأشعث؟ والله ما ينق ناعق إلا أسرعوا الوثبة إليه، فاحذرهم يا أمير المؤمنين (4) قال: فتبين ذلك في وجه هشام (5) وثب رجل من بني أمية، فقال لعمر بن يزيد: وصل الله رحمك وأحسن جزاءك، فلقد شددت من أنفوس قومك، وانتهزت الفرصة في وقتها، ولكن أحسب هذا الرجل سيالي العراق، وهو منكر حسود، وليس (6) يخار لك إن ولي، فلم يرتدع عمر بقوله، وظن أنه لا يقدم عليه، فلما ولي لم تكن له همة غيره، حتى قتله، قال:

جرير يشفع له:

ثم إن مالكا وجه الفرزدق إلى خالد، فلما قدم به عليه وجده قد حج، واستخلف أخاه أسد بن عبد الله على العراق، فحبسه أسد، ووافق عنده جريرا، فوثب يشفع له، وقال: إن رأى الأمير أن يهبه لي، فقال أسد: أتشفع له يا جرير؟ فقال: إن ذلك أذل له - أصلحك الله - وكلم أسدا ابنه المنذر، فحلّى سبيله، فقال الفرزدق في ذلك:

لا فضل إلا فضل أم على ابنها *** كفضل أبي الأشبال عند الفرزدق (7)

تداركني من هوة دون قعرها *** ثمانون باعا للطوال العشتق (8)

أو قال جرير يذكر شفاعته له:

وهل لك في عان وليس بشاكر *** فتطلق عنه عصّ مسّ الحدائد (9)

ص: 249

1- «ليمص» كذا في النسخ، والقياس «ليمصن» بنون التوكيد، ومراد الفرزدق أنه سيقتل، ويدعي عليه أنه مصّ خاتمه، لا أنه يمص مصا حقيقيا.

2- أبا حفص: مفعول «قتل».

3- اسم ليس هنا ضمير الشأن، و جملة «هم أعداؤك» خبر ليس.

4- فتبين ذلك، أي أثر ذلك الكلام، و التكملة من هد.

5- فتبين ذلك، أي أثر ذلك الكلام، و التكملة من هد.

6- و ليس يخار لك: ليس يختار لك ما يرضيك، و الجملة يراد بها التحذير.

7- البيت من الطويل دخله الخرم، أبو الأشبال: يراد به أسد بن المنذر، الجار و المجرور «كفضل» خبر لا، و أصل التركيب: لا فضل

كفضل أبي الأشبال إلا فضل أم علي ابنها.

8- الطوال - بضم الطاء - الطويل، و العشق: الطويل أيضا، فهو من باب التكرار للتأكيد.

9- يريد بالحدائد القيود، و يلاحظ أن جريرا لم ينس النيل من الفرزدق في بيته حتى في مقام الشفاعة له.

يعود و كان الخبث منه سجية *** وإن قال: إني منته غير عائد

يهجو بني فقيم:

/أخبرني عبيد الله، عن محمد بن موسى، عن القحذمي، قال:

كان سبب هرب الفرزدق من زياد، و هو على العراق، أنه كان هجا بني فقيم، فقال فيهم أبياتا منها:

و آب الوفد وفد بني فقيم *** بأخبث ما تنوب به الوفود

أتونا بالقروذ معادليها *** فصار الجدّ للجدّ السعيد(1)

وقال يهجو زيد بن مسعود الفقيمي و الأشهب بن رميلة بأبيات، منها قوله:

تمنى ابن مسعود لقائي سفاهة *** لقد قال مينا يوم ذاك و منكر(2)

غناء قليل عن فقيم و نهشل *** مقام هجين ساعة ثم أدبرا(3)

يعني الأشهب بن رميلة، و كان الأشهب خطب إلى بني فقيم، فردوه، و قالوا له: اهج الفرزدق حتى نزوجك، فرجز به الأشهب، فقال:

يا عجباً هل يركب القين الفرس *** و عرق القين على الخيل نجس؟(4)

و إنما سلاحه إذا جلس *** الكلبتان و العلاة و القبس(5)

يهرب من زياد:

فلما بلغ الفرزدق قوله هجاه، فأرث(6) له، و ألح الفرزدق على النهشليين بالهجاء، فشكوه إلى زياد، و كان يزيد بن مسعود ذا منزلة عند

زياد، فطلبه زياد، فهرب، فأتى بكر بن وائل، فأجاروه، فقال الفرزدق يمدحهم بأبيات:

إني و إن كانت تميم عمارتي *** و كنت إلى القرموس منها القمام(7)

لمثن على أبناء بكر بن وائل *** ثناء يوافي ركبهم في المواسم(8)

همو يوم ذي قار أناخوا فجالدوا *** برأس به تدمى رءوس الصّالدم(9)

ص: 250

1- معادليها: حال من الواو، أي أتونا بالقروذ و هم مشابهون لها، و في الأصل: «قصار المجد للجد السعيد» و لا معنى له، فضلا عما فيه من الإقواء، و قد اخترنا رواية ف «قصار الجد للجد السعيد» على أن الجد الأولى بمعنى الحظ، و الجد الثانية - يفتح الجيم أو ضمها - بمعنى الرجل المجدود، و السعيد صفة الجد الأولى، و المعنى: رجعوا هم بالقروذ، و رجع المحظوظ بالحظ السعيد.

2- في هج: «حينا» بدل «ميتا» وفي غيرها «ميتا» و هو تصحيف.

3- الهجين: غير صريح النسب، وفي البيت عطف الفعل على الاسم، والمعنى: أقام ساعة ثم أدبرا.

4- القين: الحداد.

5- الكلبتان: آلة من آلات الحداد، والعلاة: السندان، والقيس: ما يستعمله الحداد من النيران في إننة الحديد.

6- أرفث: أفحش.

7- البيت من الطويل دخله الخرم، العمارة: الحي دون القبيلة، القرموس، السيد الرئيس، القماقم: الجواد ذو الفضل الغزير.

8- لمثن: خبر «إني» في البيت السابق.

9- يوم ذي قار: يوم مشهور، كان للعرب على الفرس، ولعل يعني بالرأس هانئ بن مسعود بطل ذلك اليوم، الصلادم: جمع صلدم بمعنى

الأسد أو الحجر الصلب، والمعنى يستقيم على كلا المعنيين.

و هرب، حتى أتى سعيد بن العاص، فأقام بالمدينة يشرب، ويدخل إلى القيان، وقال:

إذا شئت غنّاني من العاج قاصف *** على معصم ريان لم يتخذد(1)

ليضاء من أهل المدينة لم تعش *** ببؤس و لم تتبع حمولة مجحد

وقامت تخشيني زيادا وأجفلت *** حوالي في برد يمان و مجسد

فقلت: دعيني من زياد فإني *** أرى الموت وقافا على كل مرصد

مروان ينفيه ثم يجيزه:

فبلغ شعره مروان، فدعاه، و توعده، و أجله ثلاثا، وقال: اخرج عني، فأنشأ يقول الفرزدق:

دعانا ثم أجلنا ثلاثا *** كما وعدت لمهلكها ثمود(2)

قال مروان(3): قولوا له عني: إني أجبتة، فقلت:

قل للفرزدق و السفاهة كاسمها *** إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس(4)

ودع المدينة إنها محظورة *** و الحق بمكة أو بيت المقدس

قال: وعزم على الشخصوص إلى مكة، فكتب له مروان إلى بعض عماله، ما بين مكة و المدينة بمائتي دينار، فارتاب بكتاب مروان، فجاء به إليه وقال:

مروان إن مطيتي معقولة *** ترجو الحباء وربها لم يبأس

آتيتني بصحيفة مختومة *** يخشى علي بها حباء النقرس(5)

ألق الصحيفة يا فرزدق لا تكن *** نكراء مثل صحيفة المتلمس(6)

قال: ورمى بها إلى مروان، فضحك، وقال: ويحك! إنك أمي، لا تقراء، فاذهب بها إلى من يقرؤها، ثم ردّها، حتى أختمها، فذهب بها، فلما قرئت إذا فيها جائزة، قال: فردّها إلى مروان، فختمها، و أمر له الحسين بن عليّ عليهما السلام بمائتي دينار، قال: ولما بلغ جريرا أنه أخرج عن المدينة قال:

إذا حلّ المدينة فارجموه *** و لا تدنوه من جدث الرسول(7)

فما يحمي عليه شراب حدّ *** و لا ورهاء غائبة الحليل(8)

فأجابه الفرزدق، فقال:

1- تقدمت هذه الأبيات في الترجمة نفسها. فارجع إليها.

2- في هج «دعاني ثم أجلني».

3- ليس فيما قاله الفرزدق ما يستدعي عدول مروان عن عقوبته، فلعل هنا خرما، أو لعل بعد البيت السابق أبيات استعطاف لم تذكر.

4- الشعر لمروان: ولم نستطع التوفيق بين قوله: «اجلس» في البيت الأول وقوله: «ودع المدينة» في البيت الثاني، ربما كانت «اجلس»

تصحيف «احلس» - بالحاء - بمعنى ضع الحلس على دابتك و ارحل، و الحلس: القتب أو السرج ونحوهما.

5- النقرس: الهالك، أو الداهية، أو وجع في مفاصل الكعبين.

6- صحيفة المتلمس: صحيفة حملها تتضمن هلاكه، وقصتها مشهورة، و المتلمس الشاعر المعروف.

7- في هج «إذا حل الفرزدق».

8- في هد «يخفى» بدل «يحمى» و الورهاء: الحمقاء، و المراد أنه مدمن زير نساء.

نعت لنا من الورهاء نعتا *** قعدت به لأمك بالسييل

فلا تبغي إذا ما غاب عنها *** عطية غير نعتك من حليل (1)

يموت بذات الجنب:

أخبرنا عبد الله بن مالك، قال: حدثني محمد بن موسى، قال: حدثنا أبو عكرمة الضبي عن أبي حاتم السجستاني، عن محمد بن عبد الله الأنصاري، قال أبو عكرمة: و حكى لنا عن لبطة بن الفرزدق أن أباه أصابته ذات الجنب، فكانت سبب وفاته.

قال: و وصف له أن يشرب التّفط الأبيض، فجعلناه له في قدح، و سقيناها إياه، فقال: يا بني عجّلت لأبيك شراب أهل النار، فقلت له: يا أبت، قل: لا إله إلا الله، فجعلت أكررها عليه مرارا، فنظر إليّ و جعل يقول:

فظلّت تعالي باليفاع كأنها *** رماح نحاهها وجهه الرّيح راكز (2)

فكان ذا هجّيراه حتى مات.

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني شعيب بن صخر، قال:

دخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات فيه، و هو يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي *** إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب

/البيتين (3)، فقال بلال: إلى الله، إلى الله.

يتمرد في مرض موته:

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الأصمعيّ، قال:

كان الفرزدق قد دبّر عبيدا له، و أوصى بعثتهم بعد موته، و يدفع شيء من ماله إليهم، فلما احتضر جمع سائر أهل بيته، و أنشأ يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي *** إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب

إلى من تفزعون إذا حثوتهم *** بأيديكم عليّ من التراب

فقال له بعض عبيده - الذين أمر بعثتهم - : إلى الله، فأمر ببعه قبل وفاته، و أبطل وصيته فيه، و الله أعلم.

أخبرني الحسن بن عليّ، عن بشر بن مروان، عن الحميديّ، عن سفيان، عن لبطة بن الفرزدق قال:

لما احتضر أبو فراس قال - أي لبطة: أبغني كتابا أكتب فيه وصيتي، فأتيته بكتاب فكتب وصيته:

البيتين، فقالت مولاة له - قد كان أوصى لها بوصية -: إلى الله عزّ وجلّ، فقال: يا لبطة، امحها من الوصية.

ص: 252

-
- 1- يريد بالبيتين أن أم جرير هي الورهاء التي لا يخفى مكانها عليه حين يغيب حليلها عطية.
 - 2- تعالى: أصله تتعالى، و لعل ضمير «ظلت» يعود على خيل، أو إبل، أو نحو ذلك، و كأن الفرزدق صرف هذا الضمير إلى روحه التي تصاعدت حتى بلغت حلقومه.
 - 3- لم يتقدم ذكر البيتين، بل ذكر بيتا واحدا، على أنه سيعيدهما بعد أسطر.

قال سفيان: نعم ما قالت و بئس ما قال أبو فراس.

ينظم وصيته شعرا:

وقال عوانة: قيل للفرزدق في مرضه الذي مات فيه أوص، فقال:

أوصي تميما إن قضاة ساقها *** ندى الغيث عن دار بدومة أو جذب(1)

/فإنكم الأكفاء والغيث دولة *** يكون بشرق من بلاد و من غرب(2)

إذا انتجعت كلب عليكم فوسّعوا *** لها الدار في سهل المقامة والرحب

فأعظم من أحلام عاد حلومهم *** وأكثرهم عند العديد من الترب

أشدّ حبال بعد حيين مرة *** حبال أمرت من تميم و من كلب(3)

يسبقه إلى الآخرة غلام له:

قال: و توفي للفرزدق ابن صغير قبل وفاته بأيام، و صلى عليه، ثم التفت إلى الناس، فقال:

و ما نحن إلا مثلهم غير أننا *** أقمنا قليلا بعدهم و تقدّموا

قال: فلم يلبث إلا أياما حتى مات.

أنشد عند موته:

وقال المدائني: قال لبطة: أغمي على أبي، فبكينا، ففتح عينيه، و قال: أعلّي تبكون؟ قلنا: نعم، أفعلى ابن المراغة نبكي؟ فقال: ويحكم! أ هذا موضع ذكره؟ و قال:

إذا ما دبّ الأتقاء فوقى *** و صاح صدى عليّ مع الظلام(4)

فقد شمت أعاديكم و قالت: *** أدانيكم من أين لنا المحامي؟

وقع نعيه على جرير:

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب إجازة، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: حدثنا أبو العرف، قال:

نعي الفرزدق لجرير، و هو عند المهاجر بن عبد الله باليمامة، فقال:

/مات الفرزدق بعد ما جرّعته *** ليت الفرزدق كان عاش قليلا(5)

فقال له المهاجر: بئس ما قلت، أتهجو ابن عمك بعد ما مات! ولو رثيته كان أحسن بك. فقال: والله إني لأعلم أنّ بقائي بعده لقليل، وأنّ نجمي لموافق لنجمه، أفلا أرثيه؟ قال: أبعد ما قيل لك: ألو كنت بكيته ما نسيتك العرب.

ص: 253

-
- 1- قضاة: مفعول به لفعل محذوف تقديره: «إن ساق ندى الغيث قضاة»، دومة: اسم مكان بعينه.
 - 2- دولة: متداولة، لا تستقر على حال.
 - 3- المرة: إحكام القتل.
 - 4- في ب: «الأفياء»، والنقا: الكثيب من الرمل، والصدى: رجع الصوت من الجبل ونحوه، أو هو طائر يخرج من رأس القتييل، ويقول: اسقوني حتى يؤخذ بثأره، وليس المراد أنه مات قتيلا بل المراد أنه مجاور لهذا الطائر و أمثاله.
 - 5- جرعته: سقيته المر ونحوه، وفي، هج: «جدعته» بالدال المشددة بمعنى قطعت أنفه.

قال أبو خليفة: قال ابن سلام: فأُشِدني معاوية بن عمرو، قال: أنشدني عمارة بن عقيل لجرير يرثي الفرزدق بأبيات منها:

فلا ولدت بعد الفرزدق حامل *** ولا ذات بعل من نفاس تعلت (1)

هو الوafd المأمون و الرأتق الثأى *** إذا النعل يوما بالعشيرة زلت (2)

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة بخبر جرير لَمَّا بلغه وفاة الفرزدق، و هو عند المهاجر، فذكر نحو ما ذكره ابن سلام، و زاد فيه، قال:

ثم قال، و بكى، و ندم، و قال: ما تقارب رجلان في أمر قط، فمات أحدهما إلا أو شك صاحبه أن يتبعه.

في أي سنة مات:

قال أبو زيد: مات الحسن و ابن سيرين و الفرزدق و جرير في سنة عشر و مائة، فقبّر الفرزدق بالبصرة، و قبر جرير و أيوب السخيتاني و مالك بن دينار باليمامة في موضع واحد.

و هذا غلط من أبي زيد عمر بن شبة، لأن الفرزدق مات بعد يوم كاظمة، و كان ذلك في سنة اثنتي عشرة و مائة، و قد قال فيه الفرزدق شعرا، و ذكره في مواضع من قصائده، و يقوِّي ذلك ما أخبرنا به وكيع، قال:

/حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال: حدثني ابن النطّاح، عن المدائنيّ، عن أبي اليقظان و أبي همام المجاشعيّ: أن الفرزدق مات سنة أربع عشرة و مائة.

جرير يعني نفسه و يرثيه:

قال أبو عبيدة:

حدثني أبو أيوب بن كسيب من آل الخطفي، و أمه ابنة جرير بن عطية، قال:

بينما جرير في مجلس بقاء داره بحجر إذ راكب قد أقبل، فقال له جرير: من أين وضح الراكب (3)؟ قال: من البصرة، فسأل عن الخبر، فأخبره بموت الفرزدق، فقال:

/مات الفرزدق بعد ما جرّعته *** ليت الفرزدق كان عاش قليلا

ثم سكت ساعة، فظنّاه يقول شعرا، فدمعت عيناه، فقال القوم: سبحان الله، أتبكي على الفرزدق! فقال:

و الله ما أبكي إلا على نفسي، أما و الله إن بقائي؛ خلافة (4) لقليل، إنه قل ما كان مثلنا رجلان يجتمعان على خير أو شر إلا كان أمد ما بينهما قريبا، ثم أنشأ يقول:

فجعنا بحمّال اللّيات ابن غالب *** و حامي تميم كلّها و البراجم

- 1- تعلق المرأة من نفاسها: انقضت عنها مدته.
- 2- الثأى: الفتق.
- 3- من أين وضح الراكب؟: من أين طلع؟ وفي بعض النسخ «أوضح» بدل «وضح» وهما بمعنى واحد.
- 4- خلافه: بعده، ومنه قوله تعالى: لَا يَلْبِثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا.

بكيناك حدثان الفراق وإنما *** بكيناك شجوا للأمر العظام(1)

فلا حملت بعد ابن ليلي مهيرة *** ولا شد أنساع المطي الرواسم(2)

يموت بالديلة:

او قال البلاذري: حدثنا أبو عدنان(3)، عن أبي اليقظان، قال:

أسنّ الفرزدق حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة(4)، وهو بالبادية فقدم إلى البصرة؛ فأتي برجل من بني قيس متطبب؛ فأشار بأن يكوى، و يشرب التفط الأبيض، فقال: أتعجلون لي طعام أهل النار في الدنيا؟ وجعل يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي *** إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب

أبو ليلي المجاشعي يرثيه:

وقال أبو ليلي المجاشعي يرثي الفرزدق:

لعمري لقد أشجعي تميما وهدّها *** على نكبات الدهر موت الفرزدق

عشيّة قدنا للفرزدق نعشه *** إلى جدث في هوة الأرض معمق

لقد غيّبوا في اللحد من كان ينتمي *** إلى كل بدر في السماء محلّق

ثوى حامل الأتقال عن كل مثقل *** ودفّاع سلطان الغشوم السملّق(5)

لسان تميم كلّها وعمادها *** وناطقها المعروف عند المختق(6)

فمن لتميم بعد موت ابن غالب *** إذا حل يوم مظلم غير مشرق

لتبك النساء المعولات ابن غالب *** لجان وعان في السلاسل موثق

أعلام ماتوا سنة موته:

وقال ابن زكريا الغلابي، عن ابن عائشة، قال:

مات الفرزدق وجرير في سنة عشرة ومائة، و مات جرير بعده بستة أشهر، و مات في هذه السنة الحسن البصريّ و ابن سيرين، قال:

فقالت امرأة من أهل البصرة: كيف يفلح بلد مات فقيهاه و شاعراه في سنة؟ و نسبت جريرا إلى البصرة لكثرة قدومه إليها من اليمامة، و قبر جرير باليمامة، و بها مات، و قبر الأعشى أيضا باليمامة: أعشى بني قيس بن ثعلبة، و قبر الفرزدق بالبصرة في مقابر بني تميم:

-
- 1- حدثان الفراق: أول الفراق وابتداءه.
 - 2- المهيرة: من غولي في مهرها، أنساع: جمع نسع، وهو سير عريض تشد به الحقائق والعيب ونحوها، الرواسم: الإبل التي تؤثر في الأرض.
 - 3- في هج: «أبو هفان» بدل «أبو عدنان».
 - 4- الدبيلة: داء من الأدواء التي تصيب الجوف.
 - 5- في هج: «وحمال» بدل «ودفاع»، السملق: الشرس السيئ الخلق.
 - 6- عند المخنق: عند ما يعيا المتكلم عن الكلام كأنه مخنق.

وقال جرير لما بلغه موت الفرزدق: قلّما تصاول فحلان، فمات أحدهما إلا أسرع لحاق الآخر به.

ورثاهما جماعة، فمنهم أبو ليلى الأبيض(1)، من بني الأبيض بن مجاشع فقال فيهما:

لعمري لئن قرما تميم تتابعا *** مجيبين للدّاعي الذي قد دعاهما

لربّ عدوّ فرّق الدهر بينه *** وبينهما لم تشوه ضغمتاهما(2)

يتراءى في المنام:

أخبرني ابن عمار، عن يعقوب بن إسرائيل، عن قعنب بن المحرز الباهلي، عن الأصمعي، عن جرير يعني أبا حازم(3) قال:

رئي الفرزدق وجرير في النوم، فرئي الفرزدق بخير، وجرير معلّق(4).

قال قعنب: وأخبرني الأصمعيّ، عن روح الطائيّ(5)، قال:

رئيّ الفرزدق في النوم، فذكر/أنه غفر له بتكبيره كبرها في المقبرة عند قبر غالب.

/قال قعنب: وأخبرني أبو عبيدة النحويّ وكيسان بن المعروف النحوي، عن لبطة بن الفرزدق، قال:

رأيت أبي فيما يرى النائم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال. نفعني الكلمة التي نازعنيها(6) الحسن على القبر.

هو و الحسن في جنازة النوار:

أخبرني وكيع، عن محمد بن إسماعيل الحسانيّ، عن عليّ بن عاصم، عن سفيان بن الحسن، وأخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام - و الرواية قريب بعضها من بعض - أن التّوار لما حضرها الموت أوصت الفرزدق - وهو ابن عمها - أن يصلّي عليها الحسن البصريّ، فأخبره الفرزدق، فقال: إذا فرغتم منها فأعلمني، وأخرجت، وجاءها الحسن، وسبقهما الناس، فانظروهما، فأقبلا والناس ينتظرون، فقال الحسن: ما للناس؟ فقال: ينتظرون خير الناس وشرّ الناس، فقال: إني لست بخيرهم، ولست بشرهم، وقال له الحسن على قبرها: ما أعددت لهذا المصجع، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة.

هذا لفظ محمد بن سلام. وقال وكيع في خبره: فتشاغل الفرزدق بدفنها، وجلس الحسن يعظ الناس، فلما فرغ الفرزدق وقف على حلقة(7) الحسن، وقال:

ص: 256

1- في هج: «الأبيضي» بدل «الأبيض».

2- في الأصل «لم يثوه ضيفاهما» ولا معنى له، فضلا عن اختلال وزن البيت. وفي هد: «لم تشوه صحفتاهما» وليس بشيء، وفي هج: «لم تشوه صنعتاهما» وليس بشيء أيضا، والذي نرجحه «لم تشوه ضغمتاهما» من أشوى الصائد الصيد: أخطأه، والضغمة: العض العنيف، والمعنى: أن يموتا قرب عدو عضّناه، فلم يخطئا مقتله، وربما كانت «لم تشوه صعدا تاهما» والصعدة: الرمح.

3- في هد، هج: «ابن حازم» بدل «أبا حازم».

4- في هد، هج: «محتبس» بدل «معلق».

5- في هد: «الكلبي» بدل «الطائي».

6- يعنى بهذه الكلمة «شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين عاماً» على نحو ما سيأتي تفصيله فيما بعد.

7- ب: «على حلقة الناس».

لقد خاب من أولاد آدم من مشى *** إلى الناس مغلول القلادة أزرقا(1)

أخاف وراء القبر إن لم يعافني *** أشد من القبر التهبا وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائد *** عنيف و سواق يقود الفرزدقا(2)

رواية أخرى له مع الحسن:

أخبرنا أحمد: قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا حيان(3) بن هلال: قال: حدثنا خالد بن الحر: قال:

رأيت الحسن في جنازة أبي رجاء العطاردي، فقال للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع و تسعين(4) سنة، قال إذا تتجوإن صدقت. قال: وقال الفرزدق: في هذه الجنازة خير الناس و شر الناس، فقال الحسن: لست بخير الناس و لست بشرهم.

يذكر ذنوبه فينشج:

أخبرنا ابن عمار، عن أحمد بن إسرائيل، عن عبيد الله بن محمد القرشي بطوس، قال:

حدثني يزيد بن هاشم العبدي: قال: حدثنا أبي: قال: حدثنا فضيل الرقاشي قال:

خرجت في ليلة باردة، فدخلت المسجد، فسمعت نشيجا و بكاء كثيرا، فلم أعلم من صاحب ذلك، إلى أن أسفر الصبح، فإذا الفرزدق، فقلت: يا أبا فراس، تركت(5) التوار، و هي لينة الدثار دفنة الشعار، قال: إني و الله ذكرت ذنوبي، فأقلقتني، ففرغت إلى الله عز و جلّ.

تنجيه شيبته من النار:

أخبرني وكيع، عن أبي العباس مسعود بن عمرو بن مسعود الجحدري قال: حدثني هلال بن يحيى(6) الرازي: قال: حدثني شيخ كان ينزل سكة قریش: قال:

لرأيت الفرزدق في النوم فقلت: يا أبا فراس، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بإخلاصي يوم الحسن، و قال:

لولا شيبتك لعذبتك بالنار.

رواية أخرى في لقائه مع الحسين:

أخبرني هاشم الخزاعي عن دماذ، عن أبي عبيدة، عن لبطة بن الفرزدق، عن أبيه: قال:

لقيت الحسين بن عليّ - صلوات الله عليهما - و أصحابه بالصّ فاح، و قد ركبوا الإبل، و جتّبوا الخيل، متقلّدين السيوف، متنكبين القسيّ، عليهم يلامق(7) من الديباج، فسلمت عليه، و قلت: أين تريد؟ قال: العراق، فكيف تركت الناس؟ قال: تركت الناس قلوبهم معك، و سيوفهم عليك، و الدنيا مطلوبة، و هي في أيدي/بني أمية، و الأمر

- 1- يراد بالقلادة الطوق، و بغلها إطباقها، و يراد بقوله: «أزرقا» ما ورد في التنزيل من أن المجرمين يحشرون إلى جهنم زرقا.
- 2- في هج: «يسوق» بدل «يقود».
- 3- في هج: «حسان» بدل «حيان».
- 4- في هج: «و ثمانين» بدل «و تسعين».
- 5- يريد أنه يبكي لفراق النوار.
- 6- في هج: «هلال بن عيسى» بدل «هلا بن يحيى».
- 7- في هج: «يلائق» و هو تحريف «يلائق» و واحدة «يلمق» و هو القباء: فارسي معرب.

إلى الله عز وجل، والقضاء ينزل من السماء بما شاء.

أبو هريرة بعظه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ، وأحمد بن عبد العزيز، عن ابن شبة قال: حدثني هارون بن عمر، عن ضمرة بن شوذب قال:

قيل لأبي هريرة: هذا الفرزدق، قال: هذا الذي يقذف المحصنات، ثم قال له: إني أرى عظمك رقيقاً وعرقك (1) دقيقاً، ولا طاقة لك بالنار، فتب، فإن التوبة مقبولة من ابن آدم حتى يطير غرابه (2).

أخبرني هاشم بن محمد، عن الرياشيّ، عن المنهال بن بحر بن أبي سلمة، عن صالح المريّ، عن حبيب بن أبي محمد، قال:

رأيت الفرزدق بالشام، فقال: قال لي أبو هريرة: إنه سيأتيك قوم يؤيسونك من رحمة الله، فلا تيأس.

موازنة بينه وبين جرير والأخطل:

قال أبو الفرج: و الفرزدق مقدّم على الشعراء الإسلاميين هو و جرير و الأخطل، /و محلّه في الشعر أكبر من أن ينبّه عليه بقول، أو يدلّ على مكانه بوصف؛ لأن الخاص و العام يعرفانه بالاسم، و يعلمان تقدّمه بالخبر الشائع علما يستغنى به عن الإطالة في الوصف، و قد تكلم الناس في هذا قديما و حديثا، و تعصبوا، و احتجوا بما لا مزيد فيه، و اختلفوا بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة في أيّهم أحقّ بالتقدم على سائرهما، فأما قدماء أهل العلم و الرواة فلم يسمّوا بينهما و بين الأخطل؛ لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، و لا له مثل ما لهما من فنونه، و لا تصرّف كتصرّفهما في سائرهما، و زعموا أن ربيعة أفرطت فيه، حتى ألحقت بهما، و هم في ذلك طبقتان، أما من كان يميل إلى جزالة الشعر، و فخامته، و شدّة أسره، فيقدّم الفرزدق، و أما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين، و إلى الكلام السّمج السهل الغزل فيقدّم جريرا.

أخبرنا أبو خليفة: قال حدثنا محمد بن سلام، قال: سمعت يونس بن حبيب يقول:

ما شهدت مشهدا (3) قط ذكر فيه الفرزدق و جرير، فاجتمع أهل ذلك المجلس على أحدهما. قال ابن سلام:

و كان يونس يقدم الفرزدق تقدمة بغير إفراط، و كان المفضل يقدمه تقدمة شديدة.

قال ابن سلام: و قال ابن دأب، و سئل عنهما، فقال: الفرزدق أشعر خاصّة و جرير أشعر عامّة.

أخبرني الجوهريّ و حبيب المهلبيّ عن ابن شبة، عن العلاء بن الفضل: قال: قال لي أبو البيداء: يا أبا الهذيل، أيّهما أشعر؟ أ جرير أم الفرزدق؟ قال: قلت: ذاك إليك، ثم قال: ألم تسمعه يقول:

/ما حمّلت ناقة من معشر رجلا *** مثلي إذا الريح لفتني على الكور (4)

إلا قريشا فإن الله فضّلها *** مع النبوة بالإسلام و الخير

- 1- في هج: «و جلدك» بدل «وعرقك».
- 2- طيران الغراب: كناية عن الشيب، و هي كناية قائمة على تشبيه سواد الشعر بسواد الغراب.
- 3- في هج: «ما شهدت مجلسا».
- 4- تقدم هذان البيتان.

و يقول جرير:

لا تحسبنّ مراسم الحرب إذ لقتت *** شرب الكسيس و أكل الخبز بالصّير؟ (1)

سلح و الله أبو حزره.

ثالث اللغة من شعره:

أخبرني هاشم الخزاعي، عن أبي حاتم السجستاني، عن أبي عبيدة، قال:

سمعت يونس يقول: لو لا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب

يقرض الشعر في خلافة عثمان و علي:

أخبرني هاشم الخزاعي، عن أبي غسان، عن أبي عبيدة قال: قال يونس أبو البيداء: قال الفرزدق:

كنت أهاجي شعراء قومي، و أنا غلام في خلافة عثمان بن عفان، فكان قومي يخشون معرّة لساني منذ يومئذ، و وفد بي أبي إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه عام الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشعر، فقال: علّمه القرآن، فهو (2) خير له.

يسلخ خمسا و سبعين سنة من عمره في الهجاء:

قال أبو عبيدة: و مات الفرزدق في سنة عشر و مائة، و قد تيّف على التسعين سنة، كان منها خمسة (3) و سبعين سنة يباري الشعراء، و يهجو الأشراف فيغصّهم، ما ثبت له أحد منهم قط، إلا جريرا.

يرث الشعر عن خاله:

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفي: قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزّي، قال: حدثني محمد بن معاوية الأسدي، قال: حدثنا ابن الرازي، عن خالد بن كلثوم قال:

قيل للفرزدق: مالك و للشعر؟ فوالله ما كان أبوك غالب شاعرا، و لا كان صعصعة شاعرا، فمن أين لك هذا؟ قال: من قبل خالي، قيل: أيّ أخوالك؟ قال: خالي العلاء بن قرظة (4) الذي يقول:

إذا ما الدهر جرّ على أناس *** بكلكلة أناخ بأخربنا (5)

فقل للشامتين بنا أفيقوا *** سيلقى الشامتون كما لقينا

يؤنبه أخواله فيمن عليهم:

أخبرني عمّي قال: حدثنا الكراني. عن العمري، عن الهيثم بن عدي، عن حمّاد الراوية، و أخبرني هاشم الخزاعي: قال: حدثنا دماذ، عن أبي عبيدة قال:

- 1- الكسيس: شراب يتخذ من الشعير و الذرة، الصير: السمكات المملوحة، وفي هد: «الكشيش» بالشين، وهو تصحيف، وفي ب: «بالصبر» بالباء الموحدة بدل بالصير «بالباء المثناة» وهو تصحيف أيضا.
- 2- تقدم هذا الخبر في أول الترجمة.
- 3- اسم كان ضمير الفرزدق، و خمسة منصوب على الظرفية.
- 4- في هد، هج: «قرطة» بالطاء المهملة.
- 5- في هج: «كلاكلة» بدل «بكلكلة»، و الكلاكل: عظام الصدر.

دخل قوم من بني ضبّة على الفرزدق فقالوا له: قَبِّحَكَ اللَّهُ من ابن أخت! قد عرّضتنا لهذا الكلب السفيف - يعنون جريرا - حتى يشتم أعراضنا، ويذكر نساءنا، فغضب الفرزدق، وقال: بل قَبِّحَكُمْ اللَّهُ من أخوال! فوالله لقد (1) شرفكم من فخري أكثر مما غصّكم من هجاء جرير، أفأنا ويلكم عرّضتكم لسويد بن أبي كاهل حيث يقول:

لقد زرقت عينك يا بن مكعبر *** كما كلّ ضبّي من اللؤم أزرق

ترى اللؤم فيهم لائح في وجوههم *** كما لاح في خيل الحلائب أبلق (2)

أو أنا عرّضتكم للأغلب العجليّ حيث يقول:

لن تجد الضبّي إلا فلاّ *** عبدا إذانا و لقوم ذلاّ (3)

/مثل قفا المدية أو أكالاّ *** حتى يكون الألام الأقالاّ

أو أنا عرّضتكم له حيث يقول:

إذا رأيت رجلا من ضبّه *** فنكه عمدا في سواء السبّه (4)

إن اليمانيّ عقاص الزبّه (5)

أو أنا عرّضتكم لمالك بن نويرة حيث يقول:

و لو يذبح الضبّي بالسيف لم تجد *** من اللؤم للضبّي لحما ولا دما!

والله لما ذكرت من شرفكم، وأظهرت من أيامكم أكثر، أ لست القاتل:

و أنا ابن حنظلة الأغرّ و إنني *** في آل ضبّة للمعمّ المخول

فرعان قد بلغ السماء ذراهما *** وإيهما من كل خوف يعقل (6)

بنو حرام يخشون لسانه:

أخبرنا أبو خليفة، عن ابن سلام، عن أبي بكر محمد بن واسع و عبد القاهر قالا:

كان (7) فتى في بني حرام بن سماك شويعر، قد هجا الفرزدق، فأخذناه، فأتينا به الفرزدق، و قلنا: هو بين يديك، فإن شئت فاضرب، و إن شئت فاحلق، لا عدوى عليك و لا قصاص، فخلّى عنه و قال:

فمن يك خائفا لأداة قولي *** فقد أمن الهجاء بنو حرام

هم قادوا سفيهم و خافوا *** قلاند مثل أطواق الحمام

- 1- في هج: «لما شرفكم» بدل «لقد شرفكم».
- 2- الحلائب: خيول السباق، والأبلق من الخيل ونحوها: ما اجتمع فيه سواد وبياض.
- 3- الفل: المنهزم، للواحد والجمع، إذانا: مصدر مفعول لفعل محذوف من آذنه إذا أخذ بأذنه، لأن العبد كان يأخذه النخاس بأذنه، وفي الأصل «وأقواما ذلا» وقد رجحنا أنها محرفة عن «ولقوم ذلا».
- 4- السواء: الوسط، السبّة: الدبر.
- 5- العقاص: خيط تربط به الضفيرة، الزبّة: نرجح أنها إدغام زببه - بالتحريك - جمع زب، وعلى ذلك يكون المعنى إن دبر اليماني تجمع الأيور كما يجمع الخيط الشعر.
- 6- يعقل: يلجأ ويفزع «بالبناء للمجهول».
- 7- تقدم هذا الخبر في الترجمة نفسها.

لائذة بقبر أبيه:

/أخبرنا أبو خليفة، عن محمد بن سلام، قال: حدثني الحكم بن محمد، قال: /كان رجل من قضاة ثم من بني القين على السند، وفي حبسه رجل يقال له حبيش - أو خنيس - وطالت غيبته عن أهله، فأنت أمه قبر غالب بكاطمة، فأقامت عليه، حتى علم الفرزدق بمكانها، ثم إنها أتت فطلبت إليه في (1) أمر ابنها، فكتب إلى تميم القضاعيّ.

هب لي خنيسا و اتخذ فيه مئة *** لغصة أم ما يسوغ شرابها

أتنتي فعادت يا تميم بغالب *** وبالحفرة السافي عليه ترابها

تميم بن زيد لا تكوننّ حاجتي *** بظهر فلا يخفى عليّ جوابها(2)

فلما أتاه الكتاب لم يدر: أ خنيس أم حبيش! فأطلقهما جميعا.

لائذ آخر بقبر أبيه:

أخبرني أبو خليفة: قال: حدثنا محمد بن سلام: قال: حدثني أبو يحيى الضبيّ قال: ضرب مكاتب لبني منقر خيمة على قبر غالب، فقدم الناس على الفرزدق فأخبروه أنهم رأوا بناء على قبر غالب أبيه، ثم قدم عليه، وهو بالمربد فقال:

بقبر ابن ليلي غالب عدت بعد ما *** خشيت الردى أو أن أردّ على قسر(3)

فخاطبني قبر ابن ليلي وقال لي: *** فكاكك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق: صدق أبي، أنخ أنخ، ثم طاف في الناس، حتى جمع له كتابته وفضلا.

يعتذر عن مناقضته نفسه:

أخبرني ابن خلف وكيع، عن هارون بن الزيات، عن أحمد بن حماد بن الجميل، قال: حدثنا القحذميّ، عن ابن عياش: قال:

/لقيت الفرزدق فقلت له: يا أبا فراس، أنت الذي تقول:

فليت الأكفّ الدافنات ابن يوسف *** يقطعن إذ غيبن تحت السقائف(4)

فقال: نعم، أنا، فقلت له: ثم قلت بعد ذلك له:

لئن نفر الحجّاج آل معتب *** لقوا دولة كان العدو يدالها(5)

- 2- تقدمت هذه الأبيات، كما تقدمت القصة نفسها، وإنما أثبتناها تمشياً مع الأصول - على ما في ذلك من تكرار - لما قد يكون في المكرر من اختلاف في الأسلوب أو السند أو نحو ذلك.
- 3- شأن هذه الأبيات مع قصتها شأن سابقتها من التكرار.
- 4- ابن يوسف هو الحجاج، وابن مفعول الدافنات، السقائف: جمع سقيفة، والمراد بها هنا ما يسقف به القبر من حجر ونحوه، يدعو على الأيدي التي دفنت الحجاج بالقطع في معرض رثائه، وفي هج، هد «يحثين» بدل «غيبين» من حثى التراب يحثيه، وهي لغة في حثاه يحثوه.
- 5- نفر: فاعل فعل محذوف، تقديره لئن لقي نفر الحجاج، آل معتب بدل من نفر الحجاج، الدولة: الغلبة، كان العدو يدالها: كانت تتاح للعدو، وفي هج: «كان الزمان أزالها» وهو تحريف يغير المعنى فضلاً عما فيه من الإقواء.

لقد أصبح الأحياء منهم أذلة*** وفي الناس موتاهم كلوحا سبالها(1)

قال: فقال الفرزدق: نعم، نكون مع الواحد منهم ما كان الله معه، فإذا تخلى منه انقلبنا عليه.

هل أجاز إياس شهادته؟

أخبرنا هاشم بن محمد، عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي، عن عمه، عن بعض أشياخه قال:

شهد الفرزدق عند إياس بن معاوية، فقال: أجزنا شهادة الفرزدق أبي فراس، وزيدونا شهودا، فقام الفرزدق فرحا، فقيل له: أما(2) والله ما أجاز شهادتك قال: بلى، قد سمعته يقول: قد قبلنا شهادة أبي فراس، قالوا: أفما سمعته يستزيد شاهدا آخر؟ فقال: وما يمنعه(3) ألا يقبل شهادتي، وقد قذفت ألف محصنة!.

يسترد هبته:

أخبرنا ابن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، عن يونس: قال:

كان عطية بن جعال الغداني(4) صديقا ونديما للفرزدق، فبلغ الفرزدق أنّ رجلا/من بني غدانة هجاه وعاون جريرا عليه، وأنه أراد أن يهجو بني غدانة، فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح له عن قومه، ويهب له أعراضهم، ففعل، ثم قال:

أبني غدانة إنني حررتكم*** فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم*** من بين الأم أعين و سبال(5)

فبلغ ذلك عطية، فقال: ما أسرع ما ارتجع أخي(6) هبته، قبحتها الله من هبة ممنونة مرتجعة.

مجنون يريد أن ينزو عليه:

/أخبرني وكيع، عن هارون بن محمد: قال: حدثني قبيصة بن معاوية المهلبّي، عن المدائني، عن محمد بن النضر:

أن الفرزدق(7) مرّ بباب المفضل بن المهلب، فأرسل إليه غلما، فاحتملوه، حتى أدخل إليه بواسط، وقد خرج من تيار ماء كان فيه، فأمر به، فألقى فيه، بثيابه، وعنده ابن أبي علقمة اليمحمديّ المجنون، فسعى إلى الفرزدق، فقال له المفضل: ما تريد؟ قال: أريد أن أنيكة وأفضحه، فوالله لا يهجو بعدها أحدا من الأزد، فصاح

ص: 262

1- هذا البيت جواب القسم في البيت الأول، وضمير منهم يعود على نفر الحجاج، كلوحا: جمع كالح، بمعنى عابس، السبال: جمع سبلة، وهي طرف الشارب، أو طرف اللحية، والبيتان من قصيدة يمدح بها الخليفة، ويهجو الحجاج، وفي بعض النسخ: وفي النار مثوالم بدل «موتاهم».

2- في الأصل: (أنا) بدل (أما) وهو تحريف.

3- كأنه عدل رأيه في إجازة إياس شهادته، وعلل عدم قبولها.

4- في الأصل: «العدواني» بدل «الغداني» و هو تحريف.

5- ب، «الديوان»، «النقائض»: «الأم أنف» وهذه الرواية مرجوحة؛ لأنه لا معنى لأن يكون الأنف بين الأنف و السبال، و ما أثبتناه من «هج» «و المختار».

6- يريد أنه هجاهم هجاء مقذعا في معرض العفو عنهم و ذكر هبتهم لصديقه.

7- هذا من باب تكرار أخبار أبي الفرج مع تغيير في الأسلوب أو في السند، فقد تقدمت هذه القصة.

الفرزدق: الله (1) الله أيها الأمير في، أنا في جوارك و ذمتك؛ فممنع عنه ابن أبي علقمة، فلما خرج قال: قاتل الله مجنونهم؛ و الله لو مس ثوبه ثوبي لقام بها جرير و قعد؛ و فضحني في العرب فلم يبق لي فيهم باقية.

و أخبرني بنحو هذا الخبر حبيب المهلب، عن ابن شبة، عن محمد بن يحيى، عن عبد الحميد، عن أبيه، عن جده: قال أبو زيد: و أخبرني أبو عاصم عن الحسن بن دينار، قال: قال لي الفرزدق:

/ما مر بي يوم قط أشد علي من يوم دخلت فيه على أبي عيينة بن المهلب - و كان يوما شديد الحر - فما منّا أحد إلا جلس في أبن (2). فقلنا له: إن أردت أن تنفعا فابعث إلى ابن أبي علقمة، فقال: لا تريدوه؛ فإنه يكدر علينا مجلسنا، فقلنا: لا بد منه، فأرسل إليه، فلما دخل فرآني؛ قال الفرزدق و الله. و وثب إلي، و قد أنعظ أيره، و جعل يصيح: و الله لأنيكته؛ فقلت لأبي عيينة: الله الله في، أنا في جوارك، فو الله لئن دنا إلي لا تبقى له باقية مع جرير؛ فلم يتكلم أبو عيينة؛ و لم تكن لي همة إلا أن عدوت حتى صعدت إلى السطح، فاقتحمت الحائط، فقيل له: و لا يوم زياد (3) كان مثل يومئذ، فقال: و لا مثل يوم زياد (4).

عمر بن عبد العزيز بجيره، ثم ينفيه:

أخبرني عمي، عن ابن أبي سعد، عن أحمد بن عمر، عن إسحاق بن مروان مولى جهينة و كان يقال له: كوزا الرواية؛ قال أحمد بن عمر: و أخبرني عثمان بن خالد العثماني (5):

أن الفرزدق قدم المدينة في سنة مجدبة حصاء (6) فمشى أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز، فقالوا له: أيها الأمير، إن الفرزدق قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة التي أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة، و ليس عند أحد منهم ما يعطيه شاعرا، فلو أن الأمير بعث إليه، فأرضاه، و تقدم إليه (7) ألا يعرض لأحد بمدح و لا هجاء؛ فبعث إليه عمر: إنك يا فرزدق قدمت مدينتنا هذه في هذه السنة الجدبة، و ليس عند أحد ما يعطيه شاعرا، و قد أمرت لك بأربعة آلاف درهم؛ فخذها، و لا تعرض لأحد بمدح و لا هجاء، فأخذها الفرزدق، و مرّ بعبد الله بن عمرو بن عثمان، و هو جالس في سقيفة داره، و عليه مطرف (8) خزّ أحمر و جبّة خزّ أحمر، فوقف عليه، و قال:

أعبد الله أنت أحقّ ماش *** و ساع بالجماهير الكبار

نما الفاروق أمك و ابن أروى *** أبوك فأنت منصدع النهار (9)

هما قمر السماء و أنت نجم *** به في الليل يدلج كلّ سار

ص: 263

1- الله: مفعول فعل محذوف تقديره «ارع» أو «اتق» و نحو ذلك.

2- الأبن: حوض يشبه «البانيو» عندنا، كان يتخذ من المعدن و نحوه للاستحمام، و هو لفظ معرب.

3- التكملة من هد، هج، و قد تقدم أن زيادا طرده، و أنه هجا مسكينا الدارمي لثائه آباه في الأبيات التي يقول فيها: «به لا بظبي في الصريمة أعفرا».

4- التكملة من هد، هج، و قد تقدم أن زيادا طرده، و أنه هجا مسكينا الدارمي لثائه آباه في الأبيات التي يقول فيها: «به لا بظبي في الصريمة

أعفرا)).

5- في هد، هج: (عمر بن خالد العماني)).

6- الحصاء: السنة الجرداء لا خير فيها.

7- تقدم إليه: أمره، أو طلب منه.

8- المطرف - بكسر الميم وضمها مع سكنون الطاء وفتح الراء - رداء من خز مربع ذو أعلام.

9- يريد أنه ينسب إلى الخليفتين عمر و عثمان، منصدع: مصدر ميمي، أو اسم مكان من الصدع، بمعنى انشقق و تبلج، و أروى: أم عثمان

بن عفان.

فخلع عليه الجبة و العمامة و المطرف، و أمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج رجل كان حضر عبد الله و الفرزدق عنده، و رأى ما أعطاه إياه، و سمع ما أمره عمر به من ألا يعرض لأحد، فدخل إلى عمر بن عبد العزيز؛ فأخبره، فبعث إليه عمر: ألم أتقدم إليك يا فرزدق ألا تعرض لأحد بمدح و لا هجاء؟ أخرج، فقد أجلتك ثلاثا، فإن وجدتك بعد ثلاث نكّلت بك؛ /فخرج و هو يقول:

فأجلني و واعدني ثلاثا *** كأعدت لمهلكها ثمود(1)

قال: و قال جرير فيه:

نفاك الأغرّ ابن عبد العزيز *** و مثلك ينفي من المسجد

و شبّهت نفسك أشقى ثمود *** فقالوا: ضللت و لم تهتد(2)

يهجو من يستكر عليه الجائزة:

أشارة

أخبرني(3) حبيب المهلبى، عن ابن أبي سعد، عن صباح، عن النوفليّ بن خاقان، عن يونس النحويّ قال:

/مدح الفرزدق عمر بن مسلم الباهلي، فأمر له بثلاثمائة درهم، و كان عمرو بن عفراء الصّببيّ صديقا لعمر، فلامه، و قال: أ تعطي الفرزدق ثلاثمائة درهم، و إنّما كان يكفيه عشرون درهما، فبلغه ذلك فقال:

نهيت ابن عفرى أن يعفّر أمّه *** كعفر السّلا إذا جرّته ثعالبه

و إنّ امرأ يغتابني لم أطأ له *** حريما فلا ينهاه عنّي أقاربه

كمحتطب يوما أساود هضبة *** أتاها بها في ظلمة الليل حاطبه

ألما استوى ناباي و ابيضّ مسحلي *** و أطرق إطراق الكرى من أحاربه؟

فلو كان ضببياً صفحت و لو سرت *** على قدمي حيّاته و عقاربه

و لكن ديافيّ أبوه و أمه *** بحوران يعصرن السّليط قرائبه

صوت

و مقالها بالتّعف نعف محسّر *** لفتاتها: هل تعرفين المعرّضا؟(4)

ذاك الذي أعطى موثق عهده *** ألا يخون و خلت أن لن ينقضا

فلئن ظفرت بمثلها من مثله *** يوما ليعترفنّ ما قد أقرضا(5)

-
- 1- مر هذا البيت في غير هذا الموضوع.
 - 2- سبق هذان البيتان أيضا في غير هذا الموضوع.
 - 3- مرت هذه القصة أيضا و سبق معالجة الأبيات الواردة فيها.
 - 4- مقالها: معطوف على كلام سابق؁ أو مبتدأ محذوف الخبر؁ تقديره: و عجب مقالها و نحو ذلك؁ و النعف: مكان مرتفع يكون فيه صعود و هبوط؁ محسر: مكان.
 - 5- أقرض: أسلف؁ و في البيت توعد؁ أي ليعرفن نتيجة إعراضه و نقضه لعهوده.

الهشامي و ابن المكي و حبش. و قبل أن أذكر أخباره و نسبه فإنني أذكر الرواية في أن هذا الشعر له.

قصة تتعلق بأبيات هذا الصوت:

أخبرنا محمد بن خلف و كيع: قال: أخبرني عبد الواحد بن سعيد، قال: حدثني أبو بشر (1)، محمد بن خالد البجلي: قال: حدثني أبو الخطاب بن يزيد بن عبد الرحمن: قال: سمعت أبي يحدث: قال: حدثني مسمع بن مالك بن جحوش البجلي، قال:

ركب خالد بن عبد الله، و هو أمير العراق، و هو يومئذ بالكوفة إلى ضيعته التي يقال لها المكرخة، و هي من الكوفة على أربعة فراسخ، و ركبت معه في زورق، فقال لي: نشدتك الله يا بن جحوش، هل سمعت غريض مكة يتغنى:

و مقالها بالتعف نعف محسّر *** لفتاتها: هل تعرفين المعرضا

قل: قلت: نعم، قال: الشعر و الله لي، و الغناء لغريض مكة، و ما وجدت هذا الشعر في شيء من دواوين عمر بن أبي ربيعة التي رواها المدنيون و المكيون؛ و إنما يوجد في الكتب المحدثثة و الإسنادات المنقطعة، ثم نرجع الآن إلى ذكره.

فهرس موضوعات الجزء الحادي والعشرون

الموضوع الصفحة

أخبار المنخل و نسبه 5

أخبار أمية بن الأسكر و نسبه 11

نسب عبدة بن الطيب و أخباره 21

أخبار الأغلب و نسبه 23

أخبار البحترى و نسبه 28

ذكر نتف من أخبار عريب مستحسنة 40

ذكر معقل بن عيسى 65

الأحوص و بعض أخباره 67

ذكر عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام و نسبه و أخباره و خبر هذا الشعر 78

أخبار تأبط شرا و نسبه 86

عمرو بن براق 116

أخبار الشنفرى و نسبه 118

أخبار الخليل و نسبه 129

أخبار علقمة و نسبه 132

ذكر أبى خراش الهذلى و أخباره 136

أخبار ابن دارة و نسبه 151

أخبار مسعود بن خرشة 163

أخبار بحر و نسبه 165

أخبار هدبة بن خشرم و نسبه 166

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

